

منشورات جماعة علم النفس الشاملين  
بإشراف الدكتور يوسف مراد

# علم الطباعة

## المدرسة الفرنسية

الدكتور سامي الدروبي  
ترجمته عن الفرنسية: محمد بن عبد الله



دار المعارف بمطرو

١٩٦٤

منشورات جماعة علم النفس الشكاملتي

بإشراف الدكتور يوسف مراد

# علم الطب

المدرسة الفرنسية

الدكتور سامي الدروبي

أستاذ علم النفس المساعد بجامعة دمشق



دار المعارف بمطرب

١٩٦١

ملزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر - شارع كورنيش النيل - القاهرة ج.ع.م.

## مقدمة

لئن صدق أحدهم حين قال ما من ورقتين على أغصان الشجر في الغابة تشبه إحداهما الأخرى شبيهاً تاماً، فإن هذا القرب أصدق على أفراد البشر منه على أوراق الشجر . ما من وجهين إنسانيين يشبه أحدهما الآخر شبيهاً تاماً ، حتى ولا وجهي التوأمين اللذين نشأ عن بيضة واحدة . ولئن صدق هذا على ملامح الوجه ، فهو على ملامح النفس وسمات الطبع وصفات الخلق أصدق .

ولكن كما أن اختلاف أوراق الشجر في الغابة لا يمنع عالم النبات من أن يدرس خصائصها وأن يصنفها في أجناس وأنواع تبعاً لما بينها من وجوه الشبه ووجوه الاختلاف ، تاركاً للرسم أن يصور منها ورقة بالذات ، فكذلك اختلاف أفراد البشر ما يجب أن يمنع عالم النفس من أن يدرس خصائصها وأن يصنفها في نماذج وفئات تبعاً لما بينها من وجوه الشبه ووجوه الاختلاف ، تاركاً للروائي أو الدرامي أو الشاعر أن يصور منها فرداً بالذات .

ولقد ظل علم النفس مدة طويلة لا ينظر إلى الأفراد من ناحية الفروق التي تميز بينهم ، بل من ناحية العناصر المشتركة التي تجمعهم : ظل علم النفس مدة طويلة يدرس « الإنسان » بوجه عام ، محاولاً أن يستخرج القوانين العامة التي تنطبق على جميع أفراد البشر ، فيقرر مثلاً أنه لا بد لمنهين من نوع واحد من أن يكون بينهما نسبة في الشدة معينة ، بغض النظر عن شدة كل منهما ، حتى يمكن تمييز أحدهما عن الآخر ( قانون العتبة الفرقية في الإحساس ) .

والحق أن « الإنسان » الذي يدرسه علم النفس العام ويتحدث عنه ليس إلا وسطياً . وهذا الإنسان الوسطى يمكن أن لا يوجد في الواقع أبداً ، أي يمكن أن لا يكون أي إنسان في الواقع مطابقاً لهذا الوسطى : مثل ذلك كمثل وسطى الثورتين اللتين يملكهما شخصان ، فهل هذا الوسطى هو ثروة أي واحد منهما ؟

وهب أن بين الناس أفراداً يتصفون بعين الصفات التي يتصف بها الوسطى ، فإن هؤلاء الأفراد ليسوا إلا أقلية ضئيلة إذا قيسوا بالآخرين .

ثم إن هذا الإنسان الوسطى هو على وجه العموم تجريد ، لأنه يُردّ إلى عدد من الخصائص العامة . والواقع أن البشر الذين يعيشون يملكون عدا هذه الخصائص العامة كثيراً جداً من صفات الطبع ، وهب هذه الخصائص العامة تنطبق على جميع أفراد البشر ، فإن تخصصها في الطبائع الفردية التي لا نهاية لتنوعها تمنعنا من أن نوجد بين ذلك الإنسان العام المجرد وبين أنفسنا ، أو بينه وبين أولئك الذين نعيش بين ظهرانيهم . فإذا أردنا أن نصف أنفسنا وأن نصف هؤلاء الناس بما نحن به وبما هم به : كنا في حاجة إلى تصورات غير التصورات التي نستعملها في فهم الإنسان بوجه عام ، كنا في حاجة إلى تصورات إن كانت عامة هي الأخرى من غير شك ، فإن مفهومها أغنى كثيراً ، وإنها أكثر انطباقاً على التجربة الحية التي يجب أن تمثلها . وهذه التصورات الأقرب إلى العناية هي ما تمدنا به دراسة للأفراد تتناول الفروق التي بينهم ، وهذه الدراسة هي ما يسمى بعلم النفس الفرقي ، فإذا كان علم النفس الفرقي يدرس اختلاف الطبائع سمي بعلم الطبائع ، وإذا انتهى علم الطبائع إلى تصنيف الأفراد في نماذج سمي بعلم التماذج .

على أن الدراسات التي نحن بصدها ، في هذا الكتاب ، أعنى المدرسة الفرنسية في علم الطبائع ، قد أطلقت على نفسها اسم علم الطبائع وكفى .

• • •

وعلم الطبائع ، بهذا المعنى ، علم حديث النشأة من حيث هو علم يقوم على دراسة منهجية ، ولكنه في الوقت نفسه قديم قدم الفكر الإنساني نفسه من حيث هو دراسة أولية . قديماً صنف الإغريق الناس في أربعة أمزجة تبعاً لقلية أحد أخلاط الجسم على الأخلاط الأخرى ، ولقد حظى هذا التصنيف بكثير من الرواج خلال العصور ، وما زالت له آثار حتى في الدراسات الحديثة . وكانت الأمزجة الأساسية الأربعة هي الضمراوى ، والبلغمى ، والنموى ،

والعصبى . فأما الصفرأوى فأشكاله مستطيلة ، وأطرافه طويلة ، ومزاجه مزاج حركى . وأما البلغمى فأشكاله ثقيلة ذات شحم ، ونشاطه بطىء . وأما الدموى فهو فى حاجة كبيرة إلى الحركات والانفعالات ، قفصه الصدرى عريض ، والطبقة الوسطى من وجهه نامية ، وأما العصبى فهو خاضع لسيطرة الاستجابات العصبية ، ويتميز بضخامة الجمجمة فوق جسم نحيل .

ذلك هو التصنيف القديم ، وأما التصنيف الحديثة فكثيرة جداً ، ولا نريد هنا أن نعرض لها بتفصيل ، فذلك يخرج عن نطاق الغرض من هذا الكتاب ، ولكن لا بد من بعض الإشارات السريعة إليها ، لأن علم الطباع الفرنسى المعاصر الذى نحن بصده إنما يحاوي كما سنرى أن يتعلمها وأن يمتصها فلا بد من أن نكون فكرة مجملة عن أهمها .

فهناك الدراسات التى قام بها العالمان الفرنسيان سيجو وماك أوليف<sup>(١)</sup> اللذان انتبها إلى التمييز بين أربعة نماذج جسمية طبيعية تختلف فيما بينها تبعاً لغلبة جهاز من الأجهزة العضوية على الأجهزة الأخرى : النموذج العصبى ، والنموذج التنفسى ، والنموذج الهضمى ، والنموذج الدماغى .

وهناك الدراسات التى قام بها العالم الإيطالى باندو مكملاً أعمال زميله الإيطالى فيولا ، ميمراً بين أربعة نماذج جسمية طبيعية : الطولانى القوى ، الطولانى الضعيف ، العرضانى القوى ، العرضانى الضعيف . فأما النموذج الأول ، أى الطولانى القوى ، فيتميز من الناحية الجسمية بنشاط فى الغدة الدرقية على غير قصور فى الكظرين وفى الغدة الجنية ، وهو نحيل نسبياً ، إلى نمو فى العظام والعضلات وإلى خفة فى الحركات . ويتميز من الناحية النفسية بأن استجاباته الحركية والنفسية سريعة ، على قوة ومهارة . وكثيراً ما يقترن هذا بعدم الاستقرار ، فرى أفراد هذا النموذج يتقبلون فى عواطفهم وسلوكهم ، ونراهم يسرعون إلى الغضب ، ويميلون إلى التشاؤم . وأما النموذج الثانى ، أعنى الطولانى الضعيف ،

(١) راجع الخلاصة التى قدتها جى بلاند عن هذه الدراسات فى كتابه « علم الطباع »

فهو يتميز من الناحية الجسمية بنشاط في الدرقية على قصور في الكظر وفي الغدة الجنسية ، وهو مشوق القامة ( وليس من الضروري أى يكون طويلاً ) ، نحيل العظام ضئيل العضلات ، منخفض الضغط الدموى ، مفرط الحساسية ميال إلى الميوط ويتميز من الناحية النفسية بسرعة الاستجابة على ضعف وخور فهو يصلح للأعمال التى تقتضى حدقاً بلا قوة ولا مقاومة ، وأما النموذج الثالث ، أى العرضانى القوى ، فهو من الناحية الجسمية قليل نشاط الدرقية كثير نشاط الكظر ، أو كثير نشاط الغدة الجنسية أو كثير نشاط البانكرئاس ، وهو مربع القامة ، قصير الأطراف عريض الجذع ، نامى العظام والعضلات ، جم النشاط ، ويتميز من الناحية النفسية بأن استجاباته بطيئة مكينة ، سواء فى العاطفة أو الإرادة أو التفكير ، وهو قادر على القيام بجهد كبير مستمر ، وإن يكن بطيئاً . وأما النموذج الرابع ، أى العرضانى الضعيف ، فيتميز من الناحية الجسمية بأنه قليل نشاط الدرقية ، وهو ملدور الأشكال الجسمية على ضعف واسترخاء ، ويتميز من الناحية الطبيعية بأنه ميال إلى العطالة والسكون ، تعوزه الإرادة ، وتسيطر عليه الكآبة ، وهو فى عمله لا يقدر على بذل جهد جسمى قوى ، ولكنه فى مقابل ذلك دقيق صبور<sup>(١)</sup>

وإن التصنيف الذى جاء به العالم الألمانى كرتشمير<sup>(٢)</sup> شبيه بتصنيف بانده ، وقد استمده من ملاحظة الأشكال الجسمية للمصابين بالأمراض النفسية المختلفة . لقد لاحظ كرتشمير أن المصابين بالفصام يتميزون بأشكال جسمية أسامية أهمها ما يلى : التحول ، ضيق القفص الصدرى ، فقدان الكرش ، استطالة الأطراف ، ضعف العظام والعضلات ، طول العنق ، صغر الرأس ، يضاوية الوجه ، حدة زاوية البروفيل ، شحوب البشرة ، تنوء القمامات ، كثافة

(١) راجع الخلاصة التى قلمها شرايدر عن دراسات فيولا وبانده فى كتابه « النماذج الإنسانية » .

(٢) راجع تلخيصنا لدراسات كرتشمير ، فى « مجلة كلية التربية » ، دمشق ، العدد ١

الشعر الأولى ، قلة الشعر الثانوي ، إلخ ، فأطلق على هذا النموذج الجسمي اسم النموذج النحيل . ولاحظ كرتشمير أن المصابين بالمانيا والمألخوليا يتميزون بشكل جسمي يخالف شكل النموذج السابق فالجسم بدين ، والأطراف أميل إلى الامتلاء والقصر ، والجذع نام ذو شحم ، والرأس مدور ، والقسمات سميكة ، والبشرة ملونة ، والجمجمة مستديرة ، والجبين عال ، والعنق قصيرة ثخينة ، والأطراف عضلات وشحم ، وزاوية البروفيل منفرجة لا حادة ، واليدان قصيرتان عريضتان ، والشعر الأولى قليل ناعم (الصلع) في حين أن الشعر الثانوي كثيف ، إلخ . وقد أطلق كرتشمير على هذا النموذج اسم النموذج العريض . ولاحظ كرتشمير أن هناك شكلاً جسيماً ثالثاً أسماه بالنموذج الرياضي ، ويتميز أفراده بنمو العظام والعضلات نمواً واضحاً ، فالأطراف عندهم ثقيلة قوية ، والرأس ضخم ، يكاد يكون مربعاً ، والرقبة ثخينة ، والذقن ناتئة ، واليدان كبيرتان ضخمة عظامهما ، إلخ . ولاحظ كرتشمير أن هذه النماذج الجسمية الثلاثة تتصف بصفات طبيعية مختلفة ، فالصفات التي يتصف بها أفراد النموذج النحيل من الأسوياء ، تذكر بالأعراض المرضية التي تلاحظ في المصابين بالفصام من أفراد هذا النموذج الجسمي ، على أنها فيهم سوية إن واحد منهم يتأرجح على محور المزاج بين فرط الحساسية وفقدان الحساسية . إنه قريب منك بعيد عنك في آن معاً ، إنقاع عواطفه وحركاته وأفكاره وثب وتقطع وتناقض . في سلوكه دائماً شيء لا تتوقعه ولا تفهمه . إنه متناقض . وهو منطوق على نفسه لا يفتح للعالم إلا من حين إلى حين ، ولكن ما ينفذ إليه من العالم حين يفتح للعالم يدخل إلى أعماقه . لقد أطلق كرتشمير على طبع هذا النموذج اسم الطبع المذكّر بالفصام . فإذا كانت هذه الصفات قوية مفرطة في القوة إلى الحد الذي يكون فيه الشخص غير حافل بالعالم الخارجي ، غير مكثرت بالواقع ، سمى طبعه عندئذ بالطبع الشبيه بالفصام ، فإذا وصل ذلك كله إلى درجة المرض كان هو الفصام . وأما أفراد النموذج العريض ، فإن طبعهم يذكر بالأعراض التي تلاحظ في المصابين بالمانيا والمألخوليا . فزاجهم يتأرجح بين الفرح والحزن ،



وإيقاع سلوكهم متموج لا تقطع فيه ، ولا وثب ، بل تنن وسهولة . وهم على صلة بالعالم الخارجى دائماً ، يشاركون فى البيئة التى تحيط بهم ، ويتجاوبون معها ، بل يغرقون فيها ، يأخذون منها ويعطونها ، يتأثرون بها ويؤثرون فيها ، يتلاءمون مع الواقع ، ويثرون أنفسهم به ، ويصيرون حظوظاً من النجاح . إنهم يحبون الناس ، ويتواصلون معهم . ولكن حياتهم تتصف بالسطحية جملة . وأما أفراد النموذج الرياضى ، فهم يتأرجحون على محور المزاج بين الهدوء الساكن والاندفاع المتضجر . إنهم أناس رصينون جديون بطيئون مطردون مرتبون محبون للنظام والقاعدة لا يخرجون عنها ، يكرهون الارتجال ، ويحبون المكوث والاستقرار ، ويمتازون برباطة الجأش عند الملهمات ، الزوج منهم وفى والصديق صديق ، إلخ .

وقد قام العالم الأمريكى شلدون<sup>(١)</sup> بدراسة من هذا النوع نفسه فى أغراضها ونتائجها ، من حيث أنها انتهت إلى الربط بين خصائص جسمية معينة وصفات طبيعية معينة . فقد انتهى شلدون إلى تمييز ثلاثة نماذج جسمية يختلف بعضها عن بعض تبعاً لاختلاف غلبة مقومة من المقومات الجسمية الثلاث التى كشف عنها باستعمال منهج الترابط . وأطلق على هذه النماذج الثلاثة أسماء النموذج الخشوى ، النموذج البدنى ، النموذج الدماغى . وفصل القول فى وصف الخصائص الجسمية والخصائص الطبيعية لكل نموذج من هذه النماذج ، وقد جاءت نتائجه تشبه النتائج التى وصل إليها كوتشمر .

ومن هذا القبيل ، ولكن على صعيد أسارير الوجه خاصة ، وبغض النظر عن شكل الجسم عامة ، الدراسات التى قام بها العالم الفرنسى الدكتور كورمان<sup>(٢)</sup> ففيز بين نموذجين أساسيين يتصفان بصفات معينة من أسارير الوجه وخصائص الطبع ، هما : النموذج المنطلق الأسارىز ، والنموذج المتقبض الأسارىز .

(١) راجع تلخيصنا لدراسة شلدون فى « مجلة كلية التربية » العدد الثانى ص ٧٢ - ٨٧

(٢) راجع تلخيصنا لدراسات الدكتور كورمان فى « مجلة كلية التربية » العدد الثالث ،

وهناك الدراسات التي قام بها الإخوان بنش<sup>(١)</sup> ، وانتهيا منها إلى التفريق بين نموذجين أساسيين هما : النموذج المتكامل والنموذج غير المتكامل .  
 وإذا كانت التصنيفات التي مر ذكرها تشتمل على التسليم بأن طبع الشخص إنما تحدده عوامل بيولوجية معينة ، أو تلازمه أشكال جسمية معينة تحددها بدورها عوامل بيولوجية ، فإن هناك تصنيف للطباع لا تلتق بالآ إلى العوامل البيولوجية ، ولا تعنى بالأشكال الجسمية ، وإنما تحاول أن تبحث عن العوامل النفسية المحددة للطبع . وأبرز هذه التصنيفات تلك التي تقوم على أساس التحليل النفسي .

وأهم ما يجب أن نذكره عن التحليل النفسي بهذا الصدد هو ما بيّنه من أن مراحل التطور الجنسي التي مر بها الفرد طفلاً تحدد طبعه راشداً . وعلى هذا الأساس ميز فرويد بين خمسة نماذج طبيعية : النموذج الشبقي ، والنموذج الحواذي ، والنموذج الرجسي ، والنموذج الشبقي الرجسي ، والنموذج الرجسي الحواذي ، والنموذج الشبقي الحواذي<sup>(٢)</sup>

فأما النموذج الشبقي فهو الذي يتجه إلى الحب ، يصبو إلى أن يجب وأن يحب ، ويخشى دائماً أن يفقد حب الآخرين ، فهو لذلك يقف منهم موقف المرتبط بهم ، الخاضع لهم . وأما النموذج الحواذي فهو يتصف بسيطرة الأنا العليا عليه ، لا يخشى أن يضيع حب الآخرين له بقدر ما يخاف ضمير الشخصى ، فارتباطه ليس ارتباطاً بالخارج بل بالداخل . وبين الأنا والأنا العليا يبقى التوتر عنيفاً في نفسه . وأما النموذج الرجسي فليس خاضعاً لغيره ، ولا وجود لتوتر خاص بين الأنا والأنا العليا في نفسه ، وإنما يعنيه بقاؤه ، وهو لذلك قليل الخضوع أو الارتباط . ويمكن أن تنشط ينابيع العدوانية فيه ، فيفرض نفسه على الآخرين ، ويوجههم ويستخدمهم ، ويدعمهم ، ويبث في الحضارة

(١) راجع تلخيصنا لدراسات الآخرين ينش ، في «مجلة كلية التربية» العدد الثامن

(٢) راجع الخلاصة التي قسمها شرايدر في كتابه «النماذج الإنسانية» عن تصنيف فرويد ؛

اندفاعات جديدة ، أو يحطم أطرها الراحنة . وأما النموذج الشبقي الرجسبي فهو من النماذج الخليطة ، ولعله أشيع النماذج . إنه يجمع بين النموذجين الصافيين ، فتحد صفات كل منهما من صفات الآخر . وأما النموذج الرجسبي الحواذى ، فيتصف بأنه فعال ، وهو قادر على أن يحمى الأنا من قسوة الأنا العليا ، وهو ميال من جهة أخرى إلى إخضاع الآخرين للنظام الذى ارتضاه لنفسه . وأما النموذج الشبقي الحواذى فهو يرتبط بالآخرين وبالأنا العليا فى آن واحد . إنه يرتبط خاصة بالأشخاص الذين تشده إليهم عواطف راحنة ويشده إليهم الوفاء اللاشعورى لذكرى أبويه اللذين أسهما فى تكوين أناه العليا .

ومن التصنيفات التى من هذا القبيل تصنيف جوليت بونويه<sup>(١)</sup> المستلهم من التحليل النفسى ، والذي يميز بين ثلاث طوائف من نماذج خلل الإرادة ، طائفة المكبوتين التى تضم نماذج المثالى ، المنطقى ، المشائم ، السجين الإرادى ، الساخر ، علو الزمن ، وطائفة المرتبطين التى تضم نماذج : الخاضع ، المتمرد ، الخاضع المتمرد ، المتمرد الكلامى ، المحبر على العمل ، وطائفة المفتلين التى تضم نماذج المفتون بالإرادة : الخيالى الواهم ، المتقلب ، عبد الإرادة .

وما ينبغى أن يفوتنا ذكر التصنيف المستمد من دراسة المنعكسات الشرطية (مدرسة بافلوف الروسى) ، فقد فرق انفانوف سمولسكى ، أحد تلاميذ بافلوف ، بين أربعة نماذج طبيعية : النموذج المتوازن ، النموذج المستجيب ، النموذج المكفوف ، النموذج العاطل .

وهناك تصنيف للطباع مستمدة من النظر فى القيم ، أهمها التصنيف الذى وضعه الفيلسوف وعالم النفس الألمانى شيرانجر ، وفيه يميز ، تبعاً لقلبة إحدى القيم على الأخرى فى نفس الشخص ، بين ستة نماذج : «الغنى» ، والاقتصادى ، والنظري ، والدينى ، والسياسى ، والاجتماعى .

وغنى عن البيان أن تصنيف بونج الذى فرق بين النموذج الانطوائى ، المنكئ على نفسه ، المخلتق دون العالم الخارجى ، وبين النموذج الانبساطى الملتفت

إلى العالم الخارجي ، المتلائم مع البيئة ، قد أصاب من الرواج ما لم يصبه أى تصنيف آخر ، حتى لقد دخلت مصطلحاته إلى اللغة الدارجة ، ولا حاجة بنا إلى تفصيل القول فى هذا التصنيف الشهير ، وستاح لنا فرصة الكلام عليه عرضاً فى ثنايا هذا البحث ، غير مرة .

وإنما عرضنا فى هذه المقدمة عرضاً سريعاً لبعض التصانيف الطباعية الهامة ، لأن المدرسة التى جعلنا موضوع هذا الكتاب عرضاً ونقداً لها إنما تحاول أن تتلع وأن تمتص سائر التصانيف ، فكان لا بد من الإلمام بأهم تلك التصانيف . والمدرسة التى ستناوينا بالعرض والنقد إنما هى المدرسة الفرنسية المعاصرة فى علم الطباع .

• • •

ويرجع تاريخ نشأة هذه المدرسة إلى العقد الأول من القرن الحالى ، ولكنها لم تبلغ أشدها ولم تكمل ولم تنضج إلا عام ١٩٤٥ ، حين أصدر الفيلسوف الفرنسى رونييه لوسين ، أستاذ الفلسفة فى السوربون ، كتابه « علم الطباع » ، ثم كان هذا الكتاب فاتحة لصدور سلسلة من الكتب استلهمته واستمدت منه وبنيت عليه ، وهى السلسلة التى صدرت عن « دار المطبوعات الجامعية بفرنسا » تحت عنوان « الطباع » ، وأشرف على إصدارها رونييه لوسين نفسه ، إلى أن توفى سنة ١٩٥٥ ، فخلفه فى الإشراف عليها الأستاذ إدوار موروسير . وما تزال هذه السلسلة توالى صدورها ، فتطلع علينا من حين إلى حين بدراسات جديدة فى علم الطباع ، ينشرها باحثون فرنسيون من أصحاب هذه المدرسة . وهذه هى الكتب التى صدرت إلى الآن

|  |              |
|--|--------------|
| علم الطباع                                     | رونييه لوسين |
| تحليل الطبع .                                  | جاستون برجيه |
| علم طابع الأطفال والمراهقين .                  | أنلره لوجال  |
| الذكاء والتربية العقلية ، دراسات طباعية .      | بول جريجيه   |
| الحجل ، دراسة فى الصحة النفسية للطبع العاطفى . | جينت جودبه   |

|  |                    |
|--|--------------------|
| التحليل الطباعي لتلاميذ فصل من الفصول<br>من قبل معلمهم . | روجيه جايا         |
| الحالة دييرو ، دراسة في علم الطباع الأدبي .              | بيز مينار          |
| اليوميات الشخصية .                                       | ميشيل لولو         |
| اختبار طباعي من أجل تشخيص سريع .                         | موريس جكس          |
| الطباع والوجوه .   | روجيه موتشيلي      |
| العمل الطبي وطبع المريض .                                | الدكتور جورج توريس |
| الكتاب الهجاءون  | ف . آ . باننورج    |
| الطباع والوجوه .   | إميل كاي           |

لقد كان كتاب رونييه لوسين إذن فاتحة لصدور عدد من الكتب استلهمنا وبنيت عليه . والحق أن كتاب رونييه لوسين نفسه لم يكن إلا توضيحاً وإغناء للدراسات قام بها صاحبها في العقد الأول من هذا القرن ، كما ذكرنا ، وكان صاحبها هذان من الهولانديين لا من الفرنسيين . نغني تلك البحوث التي نشرها الفيلسوف وعالم النفس الهولاندي جرتروود هيانس متعاوناً في بعضها مع زميله طبيب الأمراض العقلية الدكتور فرزما . وقد نشرت نتائج تلك الدراسات مقالات في مجلة « سيكولوجية وفزيولوجية أعضاء الحواس » الصادرة بليزيخ ( المجلد ٥١ ، سنة ١٩٠٩ ) ، ثم لم تجمع هذه المقالات في كتاب ، وهذا ما أخرج انتشارها . ولقد كتب هيانس عدداً من المقالات باللغة الفرنسية يلخص فيها النتائج التي وصل إليها من دراساته الطباعية ، وهي « في مناهج علم النفس الخاص » ( السنة السيكولوجية ، المجلد ١٧ ، سنة ١٩١١ ) ، « تصنيف الطباع ( مجلة الشهر ، ١٠ مارس ١٩١١ ) ، « العصر المقبل لعلم النفس » ( مجلة الشهر ١٠ نوفمبر سنة ١٩١٢ ) ، « نتائج ومستقبل علم النفس الخاص » ( في « الأرشيف الترندى للعلوم الدقيقة والطبيعية » ، السلسلة ٣ ، المجلد ٢ ، ص ٤٧٥ - ٤٩٥ ) هذا وإن كتاب هيانس عن « سيكولوجية المرأة » قد بنى على النتائج التي وصل

إليها مع زميله فرزما من بحثهما الطباعية ، وحين ترجم روني لوسين هذا الكتاب إلى الفرنسية صدره بمقدمة تلخص نتائج هيانس وفرزما<sup>(١)</sup>

ويجدر بنا أن نذكر أن روني لوسين ، حين تحدث عن هذه الدراسات عام ١٩٢٥ وكان ذلك في كتابه « الكذب والطبع » الذى قدمه إحدى الساتين إلى السوربون ، وطبق فيه مناهج ونتائج تلك الدراسات على ظاهرة الكذب ، رابطاً هذه الظاهرة بالطبع ، كما سرى ذلك فيما بعد (راجع ص ٨٩) ، اقترح أن يطلق على تلك البحوث اسم مدرسة جروننج فى علم الطباع ، لأن هيانس وفرزما ، الأستاذين فى جامعة جروننج ، هما أبواها ، درجت هذه التسمية على الألسن بفرنسا أول الأمر ، وجرت بها الأقلام ، إذا فتحنا أى كتاب من كتب علم النفس الفرنسية التى صدرت فى ذلك الحين وجدناها حين نتحدث عن دراسات لوسين ومن أعقبه من الباحثين الفرنسيين الذين ساروا على غراره وأكملوا عمله ، تطلق على هذه الدراسات اسم مدرسة جروننج ، جريباً على التسمية التى أطلقها المرحوم لوسين . ولكن الفرنسيين ما لبثوا أن جنحوا عن هذه التسمية وأصبحوا يطلقون على هذه الدراسات اسم المدرسة الفرنسية فى علم الطباع ، فهكذا فعل مثلاً الأستاذ إدوار مورو سير حين قدم لكتاب إميل كاي عن « الطباع والخطوط » (راجع تلك المقدمة ، ص ٧) . والحق أن لهذه التسمية ما يبررها :

من ذلك أولاً أن بحوث هيانس وفرزما نفسها ترجع ، بمعنى من المعانى ، إلى أصول فرنسية ، وما أكثر ما يستشهد هذان الباحثان فى سياق كلامهما بتلك الأصول الفرنسية ، حتى إن معظم مصطلحاتهما مستمدة من دراسات علماء النفس الفرنسيين الذين بحثوا فى الطباع منذ أواخر القرن الماضى ، ونخص بالذكر من تلك الدراسات

بيدول ريبو : « فى مختلف أشكال الطبع » (المجلة الفلسفية ، المجلد ٣٤ ،

١٨٩٢) ، « سيكولوجية العواطف » ، باريز .

(١) وقد ترجمنا هذا الكتاب إلى العربية ، ونشرته دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٥٢ .

|  |             |
|--|-------------|
| « المزاج والطبع بحسب الأفراد ، والجنسين ، والأجناس » ،<br>باريز ، ١٨٩٥ | ألفرد فوييه |
| « الطبع من الطفل إلى الرجل » باريز ١٨٩١                                | برنار بيريز |
| « الطباع والتربية الأخلاقية » باريز ، ١٨٩٦                             | كيرا        |
| « محاولة في تصنيف الطباع تصنيفاً طبيعياً » باريز : ١٩٠٢                | ريبري       |
| « سيكولوجية الطبع » ، باريز ، ١٩٠٢                                     | ليني        |
| « الطباع » ، باريز ، ١٨٩٤  | بولان       |
| « عناصر الطبع وقوانين تزاوجها » ، باريز ، ١٨٩٧                         | مالاير      |

فدراسات هيانس وفرزما قد تأثرت إذن تأثراً كبيراً ببحوث علماء النفس الفرنسيين ، حتى إننا إذا قرأنا صفحة من صفحات مالاير خاصة في وصف نموذج من النماذج التي صنف فيها الطباع حسبنا أننا نقرأ للوسين نفسه ، من فرط ما هنالك من شبه في الوصف رغم أن مناهج البحث كانت مختلفة ، من ناحية الاستقراء على الأقل : ولا أقول من ناحية الحدس (راجع فيما بعد الفصل الثاني المناهج) .

ويرجع هذا الشبه في الدرجة الأولى إلى أن مقومتين من مقومات الطبع التي كانت عماد تصنيف هيانس كاننا أساساً لتصنيف مالاير ، وهاتان المقومتان هما الانفعالية والفعالية . (راجع فيما بعد ، الفصل الثالث) .

ومن الأسباب التي تبرر تسمية هذه الدراسات باسم المدرسة الفرنسية في علم الطباع أن نظرية هيانس وفرزما قد هاجرت من هولانده واستوطنت فرنسا ، وكانت هجرتها تلك هجرة نهائية . فأن كانت هولانده تعتر بفيلسوفها وعالمها هيانس فإنها لا تذكره اليوم بدراساته الطباعية مثلما تذكره بغير ذلك من بحوث في الفلسفة والأخلاق ، ولو رجعنا إلى ما يكتبه الهولنديون اليوم عن هيانس لوجدنا احتفالهم ينصب على فلسفته أكثر ما ينصب ، ولا يكاد يعنى بعلم الطباع الذي أنشأه هيانس إلا لماماً . على حين أن الفرنسيين قد عنوا بعلم

الطباع هذا ، وسعوه وأكلوه وأنضجوه وأغثوه ، فكأنه طفل أنجته هولانده ثم احتضت فرنسا ورعته منذ نعومة أظفاره ، فحق له أن يحمل اسم من تبناه حتى لكأنه أبوه .

ثم إن الدراسات التي قام بها الفرنسيون لا تقاس بها دراسات هيانس وفرزما ، لا من حيث الكم ولا من حيث الكيف . وإذا كانت بحوث جامعة جروننج ، ترجع هي نفسها إلى أصول فرنسية ، فكأن المشاركة التي قدمتها تلك الجامعة والتراث الذي صدرته إلى فرنسا ، بضاعة فرنسية ردت إليها ، أو كأنها جسر بين تيارين كلاهما فرنسي . ولما كنا لا نقصد إلى تأريخ تلك المدرسة التي وضع نواتها هيانس وفرزما وإنما هدف إلى عرض ونقد النتائج التي حملها الباحثون الفرنسيون في الوقت الحاضر ، فإننا لم نر حرجاً من مجازاة المتأخرين من الفرنسيين أصحاب هذه الدراسات في تسميتها باسم ، « المدرسة الفرنسية في علم الطباع » .

• • •

وكانت الخطوة التي اتبعناها في عرض دراسات لوسين ومن أعقبوه ، كتاب سلسلة « الطباع » ، تقوم على أساس اعتبار هذه السلسلة وحدة متكاملة ، حتى كأن كاتبها مؤلف واحد . والواقع أن الكتب التي تضمها هذه السلسلة قد أشرف لوسين نفسه على توجيه مؤلفيها ، وعلى إصدارها ، كما أنه صدرها بمقدمات ، باستثناء ما ظهر منها بعد وفاته طبعاً ، وهو قليل ، وكانت هذه الكتب لا تزيد على أن تغني كتاب لوسين نفسه ، بل لم تكن موضوعاتها إلا من الموضوعات التي أشار لوسين في كتابه إلى ضرورة معالجتها ، فكتاب « الوجوه والطباع » مثلاً الذي يتناول العلاقة بين شكل الوجه ومقومات الطبع يبحث في موضوع حض لوسين على دراسته في غير موضع من كتابه ، وكذلك سائر الموضوعات التي تناولها هذه الكتب بالدراسة ، حتى إن الحقائق التي تنهى إليها هذه الكتب يتضمنها كتاب لوسين نفسه على حالة بذور وإنباءات وفروض .

وكان طبيعياً أن يكون جل اعتمادنا على كتاب لوسين نفسه ، ملهم المدرسة



وموجهها ومخطط برنامجها ويجب أن نذكر أن رونه لوسين فيلروف قبل أن يكون من علماء النفس، وقد اختلطت النظريات الفلسفية في كتابه بالملاحظات الطباعية اختلاطاً حاولنا في هذا العرض أن نتحرر منه ما أمكننا ذلك، وما رأينا أن هذا التحرر لا يحل بروح النظرية. وقد حرصنا على أن نعرض هذه المدرسة عرضاً لا يلخص نتائجها فحسب، بل يعكس روحها أيضاً، ولا يخلو حتى من لهجة الإيمان بصدق هذه النتائج، ولهجة الحرارة في الدفاع عنها، حتى ليمكن أن يظن بنا التأييد الكامل للنظرية التي نحن بصدددها، وليس الأمر كذلك، وإنما رأينا أن الأمانة في العرض تقتضي أن نبين كأنه بقلم أصحاب النظرية أنفسهم. وقد أفردنا في ختام هذه الرسالة، فصلاً نظرح فيه بعض التساؤلات النقدية بصدد بعض الأسس التي تقوم عليها هذه المدرسة وبصدد منهجها.

وقد عمدنا، حين الكلام على التماذج، إلى الاستشهاد بسير رجال من تاريخ العرب، استشهاداً قد يحمل على الظن بأننا فعلنا ما فعلنا على إيمان منا كامل بصدق نتائج هذه المدرسة، والحق عن ذلك بعيد، وإنما نحن رأينا أن نطبق المنهج نفسه الذي طبقه هيانس وطبقه بعده لوسين في تصنيف بعض رجال التاريخ، رغبة منا في أن نستطيع حين عرض التماذج الاستشهاد برجال يعرف القارئ العربي سيرتهم أكثر مما يعرف سيرة رجال التاريخ من الأجانب الذين قد لا يعرف من سيرتهم شيئاً البتة. وقوام ذلك المنهج هو أن نتصفح سيرة الرجل، لنستخرج منها صيغته الطباعية، أي لنعرف هل كان انفعالياً أو غير انفعال، وهل كان فعالاً أو غير فعال، وهل كان ذا ترجيح بعيد أو ذا ترجيح قريب، حتى إذا استوى لنا تعيين صيغته الطباعية على هذا النحو، بحثنا في سائر سيرته عما يجيء مؤيداً لهذا التشخيص أولاً، ومفسراً لخصائص سلوكه بعد ذلك. وكان طبعياً أن تقتصر على عدد قليل من رجال التاريخ العربي الذين نستشهد بهم على هذا النحو، وذلك لعدة أسباب

أهمها أن تقصى سير عدد كبير منهم وتطبيق المنهج الطباعي على هذه السير يستغرق من الوقت والجهد ما لا تملكه الآن ، لا سيما وأن السير التي تترجم لرجال التاريخ العربي لا تنعم بما يجب أن تنعم به من غنى واتساق وعدم تناقض ، فلا بد من جهد خاص يجمع الشتات من هنا ومن هناك ، ويحاول حل المتناقضات بتجريح الروايات والانتهاز إلى إبعاد بعضها وإبقاء البعض الآخر ، وهذا ما يحتاج إلى عمل يجب أن ينهض به كتاب السير أنفسهم .

• • •

أما بعد ، فإن الناس على قدر من التنوع كبير . ولعل هذا التنوع سبب من أسباب جمال الحياة ، ومصدر من مصادر شقاء البشر ، في آن واحد . أما أنه سبب من أسباب جمال الحياة فحسبنا لاجتلاء ذلك أن نساءل تُرى ماذا يبقى في درامة الحياة من جمال ، بل ماذا يبقى من درامة الحياة نفسها ، لو كان جميع الناس نسخاً متشابهة ، كما تخيل ذلك أحد كبار الأدباء المعاصرين ؟ وأما أنه مصدر من مصادر شقاء البشر فحسبنا لتبين ذلك أن نتذكر أن الحروب ومآسيها ليست في جميع الأحوال تنافساً على منفعة فحسب ، بل كثيراً ما تقوم صراعاً حول وجهة نظر إن الإنسان يريد أن يفرض على الآخرين ما يرى من رأى ، وما يدين به من عقيدة ، بل ما يؤثر في الفن من لون من ألوان الجمال . وذلك كله ، من طبعه ينبع .

وخلق بعلم الطباع أن يقوى شعورنا بتنوع أفراد البشر ، فيزيد إدراكنا لجمال الحياة ، ويطامن غلواءنا فيما يقوم بيننا من ضروب الصراع .

ولعلم الطباع بعد ذلك فوائد لا يحصها عد : يحتاج إليه الأب حين يريد أن يعرف أبنائه ليوجههم على وعى وبصيرة ، ويحتاج إليه رجل الصناعة حين يريد أن يعرف مستخدميه ليضعهم حيث يجب أن يوضعوا ، ويحتاج إليه المعلم حين يريد أن يعامل تلاميذه بما يلائم شخصية كل منهم ، ويحتاج إليه رجل الدولة حين يريد أن يعرف الشعوب من أجل أن يعرف ما يستطيع أن يتظروه منها ، ويحتاج إليه الناقد حين يريد أن يفحص إلى ينايع ما يدرس من آثار

الشاعر أو الروائي أو الفنان ، بل يحتاج إليه الصديق حين يريد أن يعرف صديقه فيتحاشى ما يمكن أن يهدد صداقتهما ، بل يحتاج إليه كل منا حين يريد أن يعرف نفسه وأن يستخرج منها خير ما فيها .

والمدرسة الفرنسية في علم الطباع ، على أنها قد لا تكون الكلمة الأخيرة كما يريد لها أصحابها أن تكون ، تساهم حقاً في تقوية شعورنا بتنوع البشر ، وتفتح آفاقاً ، وتلقى أضواء ، وتستحق لهذا أن نفردها لهذا الكتاب .

## الفصل الأول

### تعريفات

الطبع يعرف لوسبن الطبع بقوله « هو مجموعة الاستعدادات الفطرية التي تؤلف الهيكل النفسى للإنسان » .

ويتضمن هذا التعريف ثلاثة أمور

أولاً أن الطبع ليس كل الفرد ، وإنما هو ما يملكه الفرد حصولاً للوراثة التي تصالت فيه ( من أبويه وأجداده القريبين والبعيدون ) . وعلى هذا يكون كل ما فى الطبع فطرياً ولد مع الفرد ، وعلى هذا نعد من معنى الطبع كل شيء مكتسب ، أى كل ما أتى إلى الفرد من تاريخه ، سواء اعتبرنا هذا التاريخ ما خضع له الفرد من مؤثرات ، أو ما أحدثه هو فى نفسه من تأثير .

ثانياً أن هذا الطبع وطيد ثابت ، فهو الذى يضمن للفرد وحدة بنيت ، ويكون القاع الثابت الذى لا يتطور ، وإنما يحدد التطور النفسى

ثالثاً : أن هذا الهيكل نفسى ، ولكنه ليس من الحياة النفسية إلا هيكلها . وعن هذا يمكن أن نعبّر بقولنا : إن الطبع يقع على الحدود بين ما هو عضوى وما هو نفسى . إن الطبع يكمل الجسم ويحدد الروح .

الشخصية : فى مقابل الطبع هناك الشخصية ( بصرف النظر عن كل معنى أخلاقى أو قيمة روحية ) . إن الشخصية تتضمن الطبع أولاً ، ولكنها تتضمن أيضاً جميع العناصر التي اكتسبها الفرد خلال حياته ، فخصصت طبعه على نحو كان يمكن أن يكون مختلفاً ، وتتضمن كذلك اتجاهيهما التركيبى ( أعنى الطبع والعناصر المكتسبة ) . وعلى هذا فإن الشخصية ، خلافاً للطبع ، لا تدع فى خارجها أى شيء يتسنى إلى الحياة النفسية ، فهي المجموع العيانى للآثار ،

المجموع العياني الذي ليس الطبع إلا صورته الأساسية غير المتبدلة .  
الذات والطبع والشخصية هما إذن طرفا علاقة تشبه علاقة صورة بمادة .  
 وفي قلب هذه العلاقة التي تجمع الطبع إلى الشخصية ، هنالك مبدأ فعال يقول  
 عنه لوسين إنه حر ، إشارةً إلى أنه كان يستطيع وما يزال يستطيع أن يخصص  
 الطبع فيخرج منه شخصية أخرى وهذا المبدأ. الفعال هو ما نطلق عليه  
 اسم « الذات » .

ويعمد لوسين إلى التشبيه فيقول « في هذه المنظومة المؤلفة من هذه الحدود  
 الثلاثة ، يمكن أن يشبه الطبع بآلة من الآلات ، آلة كتابة أو آلة عازفة ،  
 ويمكن أن تشبه الشخصية بالرسالة المكتوبة أو اللحن المعزوف يخرجان من الآلة  
 ويحددهما إعمال هذه الآلة ، ويمكن أن تشبه الذات عندئذ بالضارب على الآلة  
 الكاتبة أو الآلة العازفة » ( لوسين ، « علم الطباع » ، ص ١١ ) .

وقولنا عن الذات إنها حرة لا يعنى أنها قادرة على كل شيء ، فإن الذات  
 مسلحة بالطبع محدودة به ، على نحو فطري ثابت .

ولكل إنسان طبع . فليس الإنسان واقعاً مرناً يمكن صوغه على هذا النحو  
 أو ذلك على السواء ، ويمكن أن يصبح أى شيء . فذلك فرض يبطله الاستقراء  
 العادي والبحث العلمي كلاهما : فنحن في تعاملنا مع الناس كل يوم ندرك  
 أن لكل مهم طبعاً خاصاً يتميز بمصائص معينة ، كما أن علم الطباع قديم  
 قدم الفكر الإنساني نفسه .

وكل طبع ثابت لا يتغير ، والحق أننا متى سلمنا بوجود الطبع كنا نؤكد ضمناً  
 بأن لهذا الطبع هوية ثابتة إلى حد ما . إن الطبع فطري ، سابق على تاريخ الفرد ،  
مستقل عن مضمون هذا التاريخ ، وثباته موصول بثبات الجسم . ويمكن القول  
بأن طبع الفرد لا يتغير من أول الحياة إلى آخرها .

يقول لوسين ما خلاصته : كان يمكن التردد في قبول هذا الرأي لولا أننا  
 ميزنا بين الطبع والشخصية ، ونسبنا حركة الفردية إلى الذات لا إلى الطبع .

فنحن حين نذهب إلى أن الطبع ثابت ، لا نحذف الصيرورة النفسية ، وإنما نعى أن هناك صفات خاصة في الطبع تحدد هذه الصيرورة . سيختلف العصبي عند الشيخوخة ، في بعض صفاته ، عما كان عليه في شبابه ، ولكن اختلافه هذا سيظل خاضعاً لقانون الشيخوخة الخاص بالعصبي ، لأنه سيكون في شيخوخته غير ما يكونه للمفاوى في شيخوخته . ثم إن قولنا عن الطبع إنه لا يتغير لا يحطم فكرة الحرية . ولكي ندرك أن ثبات الطبع وفكرة الحرية لا يتنافيان يكفي أن نفرق بين التغير وبين التخصص . فالتغير انتقال من صفة إلى أخرى ، من حالة إلى ثانية ، فيه تحطم الحالة الجديدة الحالة القديمة التي حلت محلها : أما التخصص فيحفظ بما يتضاف هو إليه ، ولا يزيد على أن يجمع فرقاً نوعياً إلى جنس قائم من قبل ، مستمر بعد إضافة الفرق . وعلى أساس هذا التمييز يمكن القول إن الحرية لا تغير الطبع وإنما تخصصه . فالشخص الجموح ذو النشاط المبطر مثلاً مهياً بحكم طبعه حياة فعالة ، ولكن هذا التمييز يظل غير معين نسياً ، إلى أن توجهه الذات الحرة ، فينفق الجموح قدرته على الفعل في هذا الاتجاه أوفى ذلك . وهكذا يكون لكل من الصيرورة والحرية ميدانها ، ونحن لا نلاحظ إلا الشخصية ، أي الطبع الذي صار إلى شخصية ، ولكننا من مجموع الشخصية التي نلاحظها نستخرج العناصر الثابتة في الطبع .

وما تقدم يتبين أن ثمة فرقاً بين الرأي الذي يذهب إليه لوسين في ثبات الطبع وبين الرأي الذي ذهب إليه شوبنهاور في ذلك في كتابه « رسالة في حرية الإرادة » . إن لوسين إذ فرق بين الطبع والشخصية ، وإذ أدخل فعالية الذات في إنتاج الطبع للشخصية التي تخصصه ، قد خفف من وطأة الجبرية ، واستبعد بذلك رد الأخلاق إلى العلم . قال شوبنهاور « من سرق يوماً ، يظل سارقاً إلى الأبد » ، أما لوسين فيقول : « من سرق يوماً فقد حملة على السرقة طبعه ، وسيظل بحمله على السرقة في الظروف نفسها . ولكنه إذا حاول أن يؤلف بين استعداداته القطرية تأليفاً جديداً ، أو إذا حاول أن يخصصها تخصصاً مناسباً ، فإنه

يستطيع أن يحرف هذا الإجراء أو أن يمنعه .  
ولا شك أن علم الطباع يساعد الأفراد على أن يستخرجوا من طباعهم خير  
ما يمكن استخراجه منها ، وذلك لأنه يصرهم بدوافع سلوكهم ، نتيح للذات  
الحرق أن تتدخل في تخصيص الطبع بما يتفق مع الأخلاق .

### علم الطباع بالمعنى الضيق

يميز لوسين بين معنيين لكلمة « علم الطباع » : معنى ضيق ، ومعنى  
واسع .

فعلم الطباع ، بالمعنى الضيق ، هو العلم الذى يدرس الطبع من حيث هو  
تلك « المجموعة من الاستعدادات الفطرية التى تؤلف الهيكل النفسى للإنسان » ،  
أى الاستعدادات الفطرية الثابتة القائمة على الحدود بين ما هو عضوى وما هو  
نفسى ، على نحو ما حددنا كلمة الطبع . وواضح أنه لا شأن لعلم الطباع هنا  
بالصفات والحركات التى تتقاطع فى حياة الفرد النفسية بحيث تكون تاريخه  
لا بينته .

### علم الطباع بالمعنى الواسع

إن علم الطباع ، بمعناه الواسع لا يقتصر على دراسة ما هو دائم وثابت فى  
نفس الفرد ، بل يدرس أيضاً طريقة الفرد فى استعادته من تراثه الفطرى ، وفى  
تخصيصه إياه ، وفى تعويضه عنه ، وفى استجابته له . ومن هذا القبيل دراسات  
آدler ، وهابرلن ، وكلاجس وغيرهم .

وعلم الطباع الفرنسى المعاصر الذى نحن بصدد عرضه هو علم الطباع  
بالمعنى الضيق فى الدرجة الأولى ، وهو لا يتداخل بعض التداخل مع علم الطباع  
بالمعنى الواسع إلا فى أثناء ما يسوق من ملاحظات تتصل بالسيكودياكليك .

## علم الطباع العام :

إن علم الطباع أربعة مستويات يجب أن يمر بها حتى يصل إلى معرفة فرد من الأفراد معرفة عميقة غنية .

أول هذه المستويات الأربع هو علم الطباع العام . وموضوعه معرفة المقومات الأساسية والتكميلية التي تتألف الطباع من تزاوجها ، وتعيين المعايير التي بها يكشف عن وجودها في ضج إنسان من الناس . وعلم الطباع العام هو لإذن معرفة مجردة ، بمعنى من التجريد هو المعنى الذي يشير إلى استحالة الوجود المستقل ، والحق أن كل مقومة من المقومات الأساسية تظل ملتبة غير متبينة ما لم ننظر إليها داخلة في المركبات التي تدخل فيها ، أي في النماذج الطباعية . وقد تحدثت دراسات هيانس وفرزما التي كانت أساس علم الطباع الفرنسي المعاصر عن ثلاث مقومات أساسية هي الانفعالية والفعالية والترجيع ، كما تحدثت عن عدد من المقومات التكميلية ، تاركة باب الكشف عن مقومات تكميلية أخرى لمزيد من البحث .

## علم الطباع الخاص

وهو المستوى الثاني ، وموضوعه دراسة النماذج الأساسية التي تنشأ عن تزواج المقومات الأساسية التي تم الكشف عنها وتعيينها . ولما كان عدد المقومات الأساسية التي تم الكشف عنها ثلاثاً ، فإن النماذج الأساسية التي تنشأ عن تزواج هذه المقومات ثلاث ثلاث هي ٨ نماذج .

## علم فئات الطبع

هذا هو المستوى الثالث الذي سيكون ، فيما يقول لوسين ، أكثر مستويات علم الطباع استعمالاً قطع علم الطباع أشواطاً بعيدة في طريق التقدم والاعتناء . وموضوعه تقسيم كل نموذج من نماذج الطبع الأساسية إلى فئات ، تبعاً لدرجة



كل مقومة من المقومات الأساسية التي يتألف منها ، وتبعاً لانضيايف مقومات  
تكميلية إلى تلك المقومات الأساسية .

### علم طبع الفرد

وهذا هو المستوى الرابع الذي يقترّب من معرفة الفرد أكبر اقتراب ممكن ،  
ويتيح لنا أن نرسم لطبعه صورة غنية ، وذلك على أساس معلومات عن حياته  
تضاف إلى مبادئ المستويات الثلاثة التي مررنا بها .

## الفصل الثاني

### مناهج علم الطباع<sup>(١)</sup>

من أخطر الصراعات الفكرية في عصرنا هذا ، الصراع الذي يدور حول السؤال التالي : كيف نعرف الإنسان ؟ هل يجب أن نهج في معرفة الإنسان نهج العلوم الطبيعية ، أو يجب أن نهج في معرفته نهجاً خاصاً يناسب طبيعته التي تمتاز بالشعور والحرية ؟

لقد أمل عدد كبير من العلماء ، منذ ما يقرب من قرنين ، وما زال عدد كبير منهم يؤمل أن تكتمل العلوم الطبيعية بعلوم إنسانية تنهج نهج العلوم الطبيعية في البحث ، وتمتاز بما تمتاز به العلوم الطبيعية من دقة كمية ، وشكل رياضي ، وفائدة تكنولوجية . حتى لقد نشأت في الواقع علوم بيولوجية وسيكولوجية تطمح في الموضوعية العلمية ، وتعى إليها .

يقول لوسين ما خلاصته أما النتائج التي حصلت عليها العلوم الوضعية للإنسان ، فيمكن أن نلخصها دون أن نظلمها ، بقولنا : إن معرفة الإنسان كانت تكتسب الصفة العلمية على قدر هبوطها إلى قطاعات من الحياة الإنسانية ترتد فيها الإنسانية إلى الحيوانية ، وإنها كانت تفقد هذه الصفة العلمية على قدر صعودها ونفاذها إلى الصميم المعقد وإلى الأصالة من النفس الإنسانية . (لوسين ، « علم الطباع » ، ص ٢٧)

ونحن نعرف أن عدداً من العلماء والفلاسفة قد انتبهوا إلى هذه الحقيقة ، فانتقدوا الوضعية الطبيعية في مجال معرفة الإنسان ، ولعلنا نستطيع أن نعد فلسفة

(١) راجع هانس « سيكولوجية المرأة » (الترجمة العربية ، ص ١٣ - ٣٦) .  
لوسين ، « علم الطباع » ، ص ٢٦ - ٤٤ ، مقدمة لوسين لكتاب هيمايس ، « سيكولوجية المرأة »  
الطبعة الفرنسية ص ٧ - ١٤ ؛ آذره ليوال « علم طبايع الأطفال والمراهقين » ، ص ٨ - ٣١ .

برجسون أقوى رد على ذلك الاتجاه الوضعى الطبيعى فى معرفة الإنسان ، فقد فرق برجسون بين الروح والمادة ، وأظهر عجز انتصورات العلمية عن إدراك الروح ، وقصر معرفة الروح على الحدس الذى يعانق الحركة ويتم بتعاطف مع الديمومة

ولم يته الصراع بين الاتجاهين ، فما زال لكل منهما أنصار ودعاة .

ويقول لوسين ما خلاصته إن المفتاح الذى نحل به هذا الصراع هو تجربتنا لأنفسنا . إن الإنسان يُدركُ بطريقتين . تبعاً لكونه يعرف نفسه من داخل ، أو يعرفه غيره من خارج . فحين يدرك الإنسان نفسه من داخل يراها ذاتاً لا تنقسم ، منها تنبع الأفكار والعواطف والأعمال . وحين يدركه غيره من خارج يراه مجموعة من التعيينات والعلاقات ، أتى يراه سلوكاً يخضع لقوانين ويمكن قياسه . والحق أن تقاطع الإنسان الصمى النفسى مع الإنسان الظاهر الحسى الحركى هو بعينه الطبع . ومعنى ذلك أن تعيين الطبع يقع عند ملتقى معرفتين ، إحداهما تشبه العلم فى كل شيء لأنها موضوعية تحاول أن تتسنى من استقراء السلوك الإنسانى الذى يلاحظ من خارج إلى القوانين التى تولف ضروراته الداخلية ، وهذه المعرفة الاستقرائية خالية من إدراك المعنى الإنسانى المترقق فى السلوك الظاهر . والثانية لا تشبه العلم الموضوعى ، ولكنها معرفة لا بد منها ، تم بتعاطف مع ينبوع الذى يصدر عنه السلوك ، وتدرِك بحدس أصيل ، ذلك المركز الذى بإدراكه تصيح وحدة السلوك ونيته واضحتين معقولتين .

ولما كانت هاتان المعرفتان ، الموضوعية والحدسية ، ليستا آخر الأمر ، إلا معرفة واحدة ذات وجهين ، كان يمكننا أن ننتقل من الملاحظة الخارجية التى تنظر إلى الإنسان على أنه شيء ، ولكنها تدرِك تعييناته ، إلى الحدس الذى يدرك وحدة التعيينات ومعناها ، ثم من الحدس الذى يتلمس نيات الذات ويفرض فيها الفروض ، إلى التجليات العقلية والعملية التى هى تعيينات الذات والتى يمكن أن نتحقق بالنظر إليها من صدق تلك الفروض .

وعلى هذا يرى لوسين أن لعلم الطباع مراحل ثلاثا ، تقابل المراحل الثلاث

التي يتألف منها منهج العلوم الطبيعية في صورتها الموضوعية .

إن المرحلة الأولى من مراحل المنهج التجريبي في علوم الطبيعة هي مرحلة جمع الوقائع والمقارنة بينها . والثانية هي المرحلة التي نستخرج فيها من الوقائع قانوناً ، والثالثة هي المرحلة التي نستنتج فيها من القانون نتائج نجدها مرة أخرى في الطبيعة . والقانون ما لم يستخرج من وقائع سبقت معرفتها ، وما لم يؤدي إلى وقائع أخرى تمكن معرفتها ، يظل فرضاً لا أكثر .

والأمر كذلك في علم الطباع . مع فارق واحد ، هو أن الدور الذي يلعبه القانون ( أو الفرض ) في علوم الطبيعة تلعبه في علم الطباع الذات أو بالأصح الطبع . فالفكر الذي جمع الوقائع يؤدي به وحى الوقائع إلى أن يضع نفسه في موضع الطبع التي ليست هذه الوقائع إلا تعبيراته ، إلى أن يتخيل الطبع الذي ولدها والذي لا بد أن يولد أيضاً أفعالاً أخرى وأفعالاً أخرى يمكن التحقق ، عند الاقتضاء ، من صدورها عنه .

فالحدس الطباعي هو في هذه الحركة لحظتها المركزية ، فيها نرى الطبع الذي توحى به الوقائع المعروفة ، والذي تشتق منه وتتحدّر عنه أفعال يمكن التحقق منها

ويشتمل منهج علم الطباع إذن على ثلاث مراحل ، سنوجز الكلام عليها فيما يلي

### (١) الاستقراء الطباعي

إن الوثائق التي نحصل عليها بملاحظة منهجية والتي بها يبدأ البحث الطباعي هي التصاویر النفسية . والتصويرة النفسية هي البيان المشتمل على طرز الفعل التي يفصح بها شخص عن نفسه خلال حياته ، كوصفنا ذلك الشخص مثلاً بأن صوته أصم ، وأنه هادئ ، وأنه مشغول في أكثر الأحيان ، وأنه يؤثر

العزلة على الاجتماع بالناس ، وأنه يدخن أو يسرف في التدخين ، وأنه سريع إلى الغضب ، وأنه يكتب يوميات شخصية ، وأنه يحب الأطفال ، إلخ إلخ .  
فالتصويرة النفسية أشبه بتقرير يشتمل على شهادات عن سلوك شخص من الناس ، شهادات سجلت تسجيلاً أميناً دقيقاً ، ورتبت ترتيباً منظماً منهجياً .  
ومن الممكن أن تكون المعلومات التي نجمتها عن أحد الناس على هذا النحو أجوبة على أسئلة يضمها استجواب مهياً ، كاستجواب هيانس الذي سنعرض له بعد قليل .

ويمكن أن نفرق بين أنواع مختلفة من هذه التصاويرة النفسية :

( أ ) التصاويرة النفسية الإحصائية وهي التي نحصل عليها باستقصاء إحصائي يتيح لنا أن نطبق على المعلومات الطباعية منهج حساب الترابط ، كما سنرى حين الكلام على استقصاء هيانس .

( ب ) التصاويرة النفسية المستمدة من سيرة شخص من الأشخاص في حياته ، كما يلاحظها أحد القريبين منه أو عدد من القريبين منه ، أو كما تصورها لنا سيرة تترجم له إن كان من رجال التاريخ . واستعمال السير المكتوبة أسهل على عالم الطباع منها على المؤرخ ، لأن المؤرخ يهتم بالأحداث الكبرى ، وكثيراً ما يتفق للمؤرخ الذي يكتب سيرة رجل من رجال التاريخ أن يفهم دوره في تلك الأحداث الكبرى فهماً خاطئاً ، أو فهماً يميله الهوى والتعصب ، أما عالم الطباع فهو يعنى من سيرة رجل التاريخ بأمر لا تثير الهوى ولا نستطيع خلافاً بين المؤرخين .

إن كتاب السير يختلف بعضهم عن بعض في الصورة التي يرمونها لبطلمهم ، فهذا يرسم لصاحبه صورة محببة ، وذلك يرسم له صورة منفرة . « حين يراد تعيين مسئولية روبسيير في الإرهاب ، أو تقدير أفكار ديلرو في الفن ، أو القطع برأى في قيمة نابوليون الأخلاقية ، فن الواضح أن الآراء هنا تتعارض ، وقد تتعارض تعارضاً عنيفاً ولكنك إذا نشدت في السير معلومات

كالمعلومات التالية هل كان فلان يغير مسكنه كثيراً ، وهل كان يؤثر العمل في الصباح أو في المساء ، وهل كان يحب التزهات الطويلة ، فلا مجال ثمة للخلاف بين كتاب السير ، لأن هذه أمور لا شأن لها بقيمة الرجل ، ولا برأى صاحبه فيه ، وهي لا تثير العواطف والأهواء والتحيز لذلك نستطيع أن نحصل من عدد من السير التي تعرض حياة شخصية من الشخصيات التاريخية ، على تفاصيل واحدة بعينها ، وإن كان كل مؤرخ يزواج بين هذه التفاصيل مزاجية من شأنها أن ترسم صورة حلوة أو بشعة ، تبعاً لما يحمله لصاحب الصورة من حب أو كره ، ومن إعجاب أو احتقار . وإنما يكون على عالم الطباع عندئذ أن لا يأخذ من السير المختلفة إلا تلك التفاصيل نفسها ، دون أن يعنى بما حرص كاتب السيرة على خلعه على الصورة جملة من جمال أو قبح . « لوسين ، مقدمة ترجمته الفرنسية لكتاب هيانس « سيكولوجية المرأة » )

ويمكن للتائج التي نحصل عليها من استقصاء قائم على السير أن تجمع وأن يطبق عليها منهج حساب الترابط الذي طبقناه على معلومات الاستقصاء الإحصائي . وهذا ما فعله هيانس في استقصاء السير الذي سنعرض له .

( ج ) التصاوير النفسية المستمدة من السير الذاتية ، أي مما يكتبه الشخص نفسه عن نفسه . فهذه التصاوير النفسية إذا نحن لم نقبلها دون نقد ، يمكن أن تقدم لنا فوائد كبيرة ، سواء أكانت تعرض حياة الشخص من أولها إلى آخرها ، كالبيومات التي تركها لنا بعض الكتاب ، أم كانت عدداً من الاعترافات الصادقة التي يفضى بها شخص عن نفسه .

إن المقارنة الكمية والكيفية بين التصاوير السيكلوجية هي التي تؤدي إلى الاستقراء الطباعي . ذلك أن هذه التصاوير السيكلوجية المختلفة ستجمع في مجموعات متعددة ، تتجانس تصاوير كل مجموعة منها فيما بينها ، والتصاوير التي تؤلف مجموعة متجانسة هي تلك التي تتشابه في عدد من الصفات الأساسية .

وهنا تعرضنا هذه الصعوبة : إن هذه الصفات المشتركة يمكن أن تنشأ إما

عن تعارض ظروف ليست من الطبع ، وإما عن وحدة طبيعية حقيقية . ومعنى ذلك أن المجموعة من المجموعات لا يجوز أن تعد متجانسة إلا إذا كانت الصفات ناشئة عن وحدة الطبع حقاً . وإنما نفرق بين الصفات المشتركة الراجعة إلى ظروف لا شأن لها بالطبع وبين الصفات المشتركة الراجعة إلى وحدة الطبع ، بواسطة الحدس الطباعي الذي لا يمكن الاستغناء عنه . وهذه هي المرحلة الثانية من مراحل مهبج علم الطباع

### (٢) الحدس الطباعي

قلنا إن الحدس الطباعي ضروري ، والحق أن ضرورته إنما ترجع إلى أننا لكي ندرك الارتباط بين طبع وبين طريقة في القول أو الفعل ، لا نملك إلا وسيلة واحدة ، هي أن نضع أنفسنا في موضع ذلك الطبع فتدرك بنوع من التعاطف صدور تلك الطريقة في القول أو الفعل عن هذا الطبع ولا بد إذن أن يستطيع الإنسان أن يضع نفسه في موضع طبع آخر غير طبعه . وهذا ممكن لعمومية الشعور فينا جميعاً . فالمفروض في كل نفس شاعرة أن تستطيع توليد حركات جميع النفوس الشاعرة الأخرى : كما يستطيع رياضي عادي أن يفهم برهاناً يأتي به رياضي عبقرى . إلا أن بعض الاتجاهات حياتنا أسهل علينا كثيراً من بعضها الآخر بحكم التعمين الجسمي ، وهذه الاتجاهات هي خطوط القوى من طبعنا الخاص . فلا بد لعالم الطباع إذن ، ونستطيع أن نقول إن هذا هو أخلاقيته الملكية ، من أن يتحرر من هذه السهولة ، وأن يعمل بخيال أصيل ، على أن يُحِلَّ محل طبعه ، إلى حين ، طبع الشخص الذي يريد أن يفهمه فتى وصل إلى هذا ملك الحدس الطباعي الذي يدرك به ذلك الطبع الآخر ، واستطاع بذلك الحدس أن يفهم تجليات هذا الطبع الآخر ، فإذا هو بخيل مع البخيل ، خجول مع الخجول ، متردد مع المتردد ، إلخ . أما أن هذا ممكن ، فذلك مالا يستطيع أن يشك فيه أحد ، إذ بدون هذا الاشتراك بين الضمائر وبدون هذه المرونة في النفس ، لا يكون هنالك مسرح ولا رواية .

ولا تعاطف مع الآخرين ، ولا مجتمع . فما كان لكريم أن يفهم شخصية البخيل في مسرحية موليير ، وما كان لحازم أن يفهم شخصية المتردد في « هملت » شكسبير ، وما كان لإنسان متوازن معاني أن يفهم الشخصيات المريضة التي يصورها دوستوفسكي ، وما كان لنا أن نفاهم مع الناس من حولنا وتواصل ، ما لم تكن بنا هذه القدرة على حدس طباع الآخرين . وبهذا الحدس إنما يكون علم الطباع ممكناً . فإذا اتخذنا بعد ذلك جميع الاحتياطات اللازمة لتحاشي الأخطاء ، كما نفعل ذلك في جميع العلوم ، كان في وسع معرفة الإنسان أن تحظى بموضوعية تشبه الموضوعية العلمية إن لم تكن هي بعينها الموضوعية العلمية .

### (٣) فهم الطبع والتحقق من الحدس :

سيستفيد عالم الطباع من الحدس الذي حصل عليه ، استفادة عالم الطبيعة من الفرضية التي وضعها فكيف يتم الانتقال من الحدس إلى التحقق ؟ ليس الحدس مجرد معرفة ، ليس موقفاً سلبياً تجاه تجربة معينة ندرکہا على أنها حالة صرف ، إذ سرعان ما يصبح تعاوناً واشتراكاً مع ما هو فعال في الطبع الذي أدركه . وبهذا الاشتراك مع ما هو حي ، يتقلب الحدس إلى تعاطف جنل . إن كل ذات إنما هي مركب من الإمكانيات ، والطبع لا يزيد على أن يجعل لبعض هذه الإمكانيات الغلبة على بعضها الآخر ، بما يحقق لها من سهولات ، ويترتب على هذا أن عالم الطباع حين يتعاطف مع طبع معين ، يتمم هذه السهولات التي تميز ذلك الطبع عن سائر الطباع ، ويأخذ يتخيل ويولد الحركات الجدلية التي تعين العمليات العقلية والعملية الخاصة بهذا الطبع الذي أدركه بالحدس . فإذا نفذ بالحدس إلى نفس الغيور ، وبدأ يصبح هذا الغيور نفسه ، ثم أصبح هذا الغيور نفسه إلى حد ما ، فلا بد أن ينخرط في الأفكار والعواطف التي توحى بها الغيرة إلى من تستعبده وتستبد به ، فإذا هو يحس مشاعره ، وساوسه وأوهامه والنار التي في قلبه ، وإذا



هو يتصور الأعمال التي يمكن أن تصدر عن ذلك كله من شراسة وانتقام ، إلخ .  
إلا أن هذا كله ليس إلا فرضيات ، لأن الحدس ، كسائر طرز المعرفة ،  
لا يعصم من الزلل .

ولا بد إذن من التحقق من صدقه . غير أن هذا الحدس ، سواء أكان  
كاذباً أم صادقاً ، يكون قد أدى لعالم الطباع تلك الخدمة التي لا يمكن أن يحل  
محلها شيء ، وهي أنه أمدته بالوقائع التي يجب أن يتحقق من صدقها ، وبالأسئلة  
التي يجب أن يطرحها على التجربة . وها هو ذا عالم الطباع إذن يرتد إلى التجربة  
الموضوعية ، لا ليتلقى منها المعلومات مثل ما فعل في المرحلة الأولى ، بل ليبحث  
عن التحقق من الفرضيات التي وضعها . فيتساءل هل الغيورون يتألمون :  
ويكثرون من الشك والريبة ، ويتنقمون ، إلى آخر ما هنالك من صفات  
يتصفحها في الغيورين كما يحسها في ذات نفسه .

و شيئاً فشيئاً ينقلب تحليل الطبع إلى ديبالكتيك الطبع . فلا يقتصر عالم  
الطباع على وصف الطبع كما هو ، بل يضيف إلى ذلك الحركات التي ترد  
بها الذات على الطبع ، فتعدل آفاته ، وتخصصه إذ توجهه في اتجاه ما . وسرى  
ذلك حين الكلام على الديبالكتيك النفسى في الطباع المختلفة .  
وهكذا نرى أن منهج علم الطباع يقوم على الانتقال من الوقائع إلى الحدس  
ومن الحدس إلى الوقائع ، على مراحل ثلاث .

أما الحدس فإن جميع الفصول التي تناول في هذا الكتاب وصف النماذج  
الطباعية تصور لنا الدور الذي يقوم به .  
وإنما ينبغي لنا الآن أن نلقى نظرة على الوقائع التي اعتمد عليها علم الطباع  
الفرنسى المعاصر .

إن الوقائع التي قام عليها الاستقراء الطباعى هذه المدرسة هي التصاوير  
النفسية المستمدة من الاستقصاء الإحصائى ومن استقصاء السير ومن استقصاء  
السير الذاتية . والأساس في هذا كله إنما هو الاستقصاء ان الذان قام بهما  
العالمان الهولنديان همانس وفرزما : الاستقصاء الإحصائى واستقصاء السير ،

ولا سيما الأول . فجميع الأرقام التي يستخدمها لوسين في كتابه « علم الطباع » إنما هي نتائج الاستقصاء الإحصائي الذي قام به هيانس وفرزما . وقد وضع عدد من أصحاب هذه المدرسة استجابات مستلهمة من استجاب هيانس وفرزما على شيء من التعديل<sup>(١)</sup> ، فجاءت نتائجهم الإحصائية متفقة مع نتائج هيانس وفرزما في أكثرها ومختلفة عنها في أقلها ، فأما الاتفاق فقد اعتبره أصحاب هذه المدرسة دليلاً على موضوعية المنهج ، وأما الاختلاف فقد حاولوا أن يردوه إلى أسبابه ، وأحالوه بذلك دليلاً جديداً على موضوعية المنهج . والمهم على كل حال أن علم الطباع الفرنسي المعاصر إنما خرج من الاستقراء الذي قام به هيانس وفرزما . وعلى يديهما إنما تم ميلاد هذه المدرسة التي نمت بعد ذلك وامتدت واستعملت في إثرائها مناهج جديدة كما سرى بعد قليل . فما هي الوقائع التي اعتمدها هذان العالمان في استقراءهما الطباعي ؟

### الاستقصاء الإحصائي

لقد أرسل هيانس وفرزما إلى ثلاثة آلاف طبيب من هولانده وألمانيا استجابياً يضم ٩٠ سؤالاً من الأسئلة التي تتناول صفات الطبع ، وطلبوا إلى هؤلاء الأطباء أن يفضلوا ، مشكورين ، بأن يلاحظوا أفراد أسرة من الأسر ، الأبوين وأولادهما من البنين والبنات ، وأن يجيبوا بصدق كل فرد من هؤلاء الأفراد عن الأسئلة التسعين بكلمة ( نعم ) أو كلمة ( لا ) . وكان هذان العالمان يقصدان من جمع هذه المعلومات إلى معرفة انتقال صفات الآباء إلى الأبناء وراثته . ولكنهما استعملها بعد ذلك في دراسة الفروق بين الجنسين ، وفي تصنيف الناس في ثمانية تماذج كما سرى .

فقد تلقى هذان العالمان ٢٥٢٣ إضبارة فردية ، وبالمقارنة الكيفية والكمية بين هذه الإضبارات الفردية صفاتها في ثماني مجموعات تبعاً للأجوبة الواردة فيها

(١) تجد استجاب هيانس وفرزما ملحقاً بترجمتنا العربية لكتاب هيانس « سيكولوجية المرأة » . وقد أحققنا هذا البحث الترجمة العربية للاستجاب الذي وضعه جاستون برييه .

عن الأسئلة المتصلة بصفات طبيعية عدها هيانس وفرزما أساسية هي الانفعالية والفعالية والرجيع البعيد ، فلاحظا أن كل مجموعة من هذه المجموعات الثماني تتجانس فيما بينها بعض التجانس أى تشابه فى عدد من صفاتها تشابهاً كبيراً أو قليلاً

وقد حسب هذان العالمان النسبة المثوية من أفراد كل مجموعة من المجموعات الثمانية : أى كل طبع من الطباع الثمانية ، حسب النسبة المثوية من الأفراد الذين يتصفون بكل صفة من الصفات التى يشتمل عليها الاستجواب ، فلاحظا مثلاً أن ٨١,١٪ من المجموعة التى أطلقوا عليها اسم « الطبع الدموى » يتصفون بأنهم عمليون متكرون ( السؤال ٢٦ ، ا ) .

واعتبرا أن هذا التكرار يمكن أن يقيس درجة الترابط بين هذه الصفة وذلك الطبع فاصطلحا على القول بأن الطبع الدموى يتصف بأنه « عملى وبتكر » بدرجة ٨١٪ .

#### استقصاء السير

اختار هيانس ١١٠ شخصيات تاريخية ( ٩٦ رجلاً و ١٦ امرأة ) وهذه الشخصيات تنتمى إلى جنسيات مختلفة، ٤ هولانديين، ٣٠ ألمانياً ، ٣٥ فرنسيًا ٣٤ إنجليزيًا وأمريكيًا، ٧ من جنسيات أخرى، وكانت مهن هؤلاء الأشخاص والأسباب التى اشتهروا من أجلها متنوعة ، كان بينهم ٤٠ شاعراً وروائيًا وفنانًا ، و ١٢ فيلسوفًا ، و ١٥ عالمًا ، و ١٢ رجلاً من رجال الدولة والعقيدة والسياسة ، وقائدان ، و ١٨ مجرمًا ، و ٥ أشخاص آخرين اشتهروا لأسباب مختلفة . وقد عاش هؤلاء الأفراد فى عصور شتى عاش اثنان منهم فى القرن ١٥ ، واثنان فى القرن ١٦ ، وعشرة فى القرن ١٧ و ٤٧ فى القرن ١٨ و ٣٩ فى القرن ١٩

وقد طبق هيانس مسيج حساب الترابط على نتائج استقصاء السير هذا . ولكن قيمة هذه النتائج لا تقوم على الترابط بقدر ما تقوم على الوصف .

إن المعلومات التي حصل عليها هيانس وفرزما من هذين الاستقصاءين كانت هي نواة علم الطباع الفرنسي المعاصر ، ومنها انتهى هذان العالمان إلى تصنيف الطباع في ثمانية نماذج تبعاً لتزاوج مقومات الطبع التي عداها رئيسية ( الانفعالية ، الفعالية ، الترجيع ) ثلاث ثلاث .

يقول لوسين إن البحوث التي تناولت دراسة الفروق الطبيعية بين الأفراد ( يعنى بحوث هيانس وفرزما ) قد خلصت بوضوح إلى « مجموعة من النماذج الطبيعية ، لا يفهمها العقل فحسب ، بل تؤيدها التجربة أيضاً ، ويمكن أن تؤدي خدمات في جميع المسائل المتصلة بالعلاقات بين البشر . وهذه البحوث هي بحوث هيانس وفرزما . وجميع النتائج التي حصل عليها غيرها من علماء الطباع تدخل بسهولة في التصنيف الذي انتهى إليه . ويمكن أن يقال إن علم الطباع قد خرج من المرحلة التمهيدية حيث كان كل اختصاصي إذا أراد أن يدرس الطباع ، يظن أن عليه أن يبدأ الطريق من أولها ، وأن يأتي بقواعد للتوزيع جديدة : وأن يرسم وجوهاً لم يسبقه إلى رسمها أحد . فنحن إذا أنعمنا النظر في النماذج التي يرسمها أمثال هؤلاء الباحثين لم نجد أنها جديدة إلا في التسميات والمصطلحات ، ورأينا أنها تتوحد ، دون صعوبة ، مع بعض عناصر تصنيف هيانس وفرزما في علم طباعي واحد .

والحق أن لوسين عمل على أن يمتص تصنيف مدرسة جروننج جميع التصنيفات الأخرى ، فالنموذجان الانبساطي والانطوائي اللذان تحدث عنهما يونيو يتوحدان عنده مع العاطفي والدموي من تصنيف جروننج ، والنموذج المذكور بالفصامى الذي وصفه كرتشمير هو بعينه النموذج العاطفي في تصنيف جروننج إلخ . وسنعرض لعملية الامتصاص هذه فيما بعد ، وإنما يهنا أن نكرر الآن أن الوقائع التي خرج منها التصنيف الثماني إنما هي الوقائع التي جمعها الاستقصاء الإحصائي وكذلك الوقائع التي جمعها استقصاء السير . وقد وضع أصحاب المدرسة الفرنسية بعد ذلك استجوابات كثيرة كما ذكرنا وتصفحوا سير عدد كبير من رجال التاريخ ، من سياسيين وفنانين وكتاب وغيرهم .

وعملوا أيضاً إلى استعمال كثير من المناهج التي يستعملها علم النفس الحديث في دراسة الشخصية ، ولا سيما الاختبارات السيكوتكنيكية ، ولكنهم لم يقصدوا من استعمال هذه المناهج أن يستبدلوا بها مناهجهم وإنما أرادوا فقط إغناء تلك المناهج ، ذلك لأنهم رأوا أن علم الطباع الموضوعي قد نشأ وانتهى الأمر ، وليست مهمة البحوث الجديدة أن تحل محله بل أن تكمله وتوسعه وتوضحه . حتى إنهم يرون أن جميع المناهج التي يمكن أن تستعمل في دراسة الطباع لن تكون ذات فائدة ما لم تدخل نتائجها في إطار علم الطباع الذي تكون .

قال جاستون برجييه « إن الواقع ينبوع معارف لا حد له . والدراسة التي تتناول الواقع يمكن أن تعد علمية حقاً ، إذا اتصفت بالصفتين التاليتين

( ١ ) وجود نواة من المعارف الثابتة التي يمكن أن تنقل إلى الآخرين ويمكن التحقق من صدقها .

( ٢ ) إمكانية إغناء هذه المعارف الأساسية إلى غير نهاية بالاحتكاك بالتجربة ، سواء أكان ذلك بتوضيحها بمزيد من الإحكام ، أم باكتشاف خصائص لم تتوقع أو علاقات جديدة .

وعلم الطباع الذي أنشأته هذه المدرسة على أساس من الاستقصاء الإحصائي هو في رأيها تلك النواة من المعارف الثابتة التي يمكن أن تغني بمعلومات جديدة تؤدي إليها أساليب أخرى في البحث ، فتدخل هذه المعلومات الجديدة في الهيكل الدائم الثابت ، ولكنها بدونها لا تفهم ولا تُزيد على أن تكون ركاباً من المعلومات المتفرقة التي لا ينشأ منها علم .

يقول آندره لوجال : إن عدد وضخامة اختبارات الشخصية يزدادان يوماً بعد يوم . وكان يمكن أن نغبط أنفسنا على ذلك بلا تحفظ ، لو كانت هذه الاختبارات تلبي نية واضحة مقررة ، لو كانت تهدف إلى اتباع محور للبحث معين دقيق ، لو كانت الأسئلة التي تشتمل عليها تمضي إلى أبعد من السؤال ومن جوابه المباشر . ولكن الأمر ليس كذلك دائماً . فإذا نظرنا مثلاً إلى الاختبار

الأمريكي الذي وضعه برنرويتز وجدنا أنه يشتمل على استجاب غنى بالأمثلة .  
ولكننا إذا نظرنا في القواعد المقررة لفض المعلومات ، أو إذا نظرنا في الزمر التي  
يصنف فيها الأفراد ، وفي التسميات التي تسمى بها هذه الزمر ، أدركنا فوراً  
أن غنى الاستجاب لا يقابله يقين في القاعدة الطباعية « (لوجال ، « علم  
طباع الأطفال والمراهقين » ، ص ٩ ) .

يريد أن يقول آندره لوجال بذلك ، إن المعلومات التي نحصل عليها من  
الاختبارات لا يمكن أن تكون مفيدة خصبة إلا إذا دخلت في إطار تنظيم طباعي  
قائم على أساس وطيد . إن أصحاب المدرسة الفرنسية لا يرفضون استعمال أساليب  
البحث الأخرى ، ولكنهم يعدونها أساليب مساعدة .  
ويتضح لنا هذا من النظر في موقف أصحاب هذه المدرسة من المعلومات  
السيكوتكنيكية .

يقول آندره لوجال : إن علم الطباع لا يرفض أى ينبوع من ينابيع المعرفة .  
ولكن لا بد للمعلومات المتفرقة التي تستمد من ينابيع مختلفة أن تدخل في  
منظومة ، فتصبح بذلك معقولة . فعلم الطباع يستفيد من النتائج التي يسفر  
عنها تطبيق أساليب السيكوتكنيك ، إذ يدخلها في إطار الهيكل الثابت من  
المعرفة المنظمة التي انتهى إليها بمنهج الاستقصاء الإحصائي المشفوع بالحدس  
الطباعي .

ولكن للسيكوتكنيك وجهين مختلفين كل الاختلاف . فهي حين تدرس  
الميدان الحسي الحركي ، كالفصل بين حركات اليدين مثلا ، أو كحيلة البصر ،  
أو كزمن الاستجابة ، إنما تدرس مباشرة وتقيس مباشرة الحادثة النفسية  
التي تهدف إلى دراستها . . . وهي عندئذ لا مجال إلى الشك لا في مناهجها ولا في  
نتائجها . وهي ها هنا سيكومتري . ولكن السيكوتكنيك حين تحاول من مجرد  
اختبار شطب الأحرف مثلا ، أن تستنج شيئاً عن تساوى المزاج لدى الشخص  
أو عدم تساويه ، وعن صبره أو عدم صبره ، وعن اندفاعيته أو عدم اندفاعيته ،  
وعن ترويه أو عدم ترويه ، وحين تحاول باختبارات الألفاظ المتداعية ( يونج )

أن تفرق بين العقول التركيبية والعقول التحليلية ، وحين تحاول أن تكشف بواسطة اختبارات (تآت) عن وجود ومضمون العقول النفسية التي يتحدث عنها التحليل النفسي ، وحين تحاول باستخدام اختبار رورشاش أن تقطع برأى في شكل الذكاء ودقة الفكر ، والانطوائية والانبساطية ، إلخ ، فهي عندئذ علم طباع ولكن سيكوتكنيك هي عندئذ علم طباع ناقص ومضطرب ، في حالتها الراهنة ، إذ يعوزها الاطار التنظيمي الذي تدخل معلوماته فيه . ويستشهد آندره لوجان على ذلك بكلام بلجي بالمساد وهو أحد كبار المشتغلين في السيكوتكنيك إذ يقول « أما من ناحية الطبع ، فن الواضح أننا كمي فصل حقاً إلى تشخيص لا بد لنا من علم طباع . إن منبج دراسة السلوك ، في صورته الأولين على الأقل ( يعنى بذلك مختلف اختبارات السلوك واختبارات سلسلة زوريخ ) يقدم على أساس من علم النفس العامي . . . فالتعريفات التي يستعملها هي أحكام مباشرة يصدرها الناس بعضهم في حق بعض أثناء حياتهم ، ويمكن أن تعد من نتائج تفاعلهم . ولا كذلك علم الطباع المنظم فإنه يريد أن يصل إلى نتائج أعم هي تلك الأمور عيناها التي تحدد هذه التفاعلات » ( جى بالماذ السيكوتكنيك ، ص ٨٨ ، ذكرها آندره لوجال ، « علم طباع الأطفال والمراهقين » : ص ١٣ ) .

إن العاملين في السيكوتكنيك يتعجلون ويسرفون في التعجل . إن عالم الطباع الذي يملك ذلك الإطار المنظم قادر على أن يستفيد من المعلومات التي يمدده بها السيكوتكنيك . أما السيكوتكنيكي فإنه لا يستفيد من تلك المعلومات كبير فائدة . ومع ذلك فراه يركن ركوناً مطلقاً إلى النتائج التي يصل إليها حتى ليعتقد اعتقاداً جازماً بأن اختبار رورشاش مثلاً كاف لإعطاء صورة كاملة ومؤكدة عن شخصية من يختبر به . وتشتمل هذه الثقة على ثلاثة أخطاء يذكرها آندره لوجال فيما يلي :

(١) الاعتقاد بأن الشخص المختبر هو ، ساعة الاختبار ، في حالة لا تشتمل على أي نصيب من الأمور العارضة الطارئة ، لا تشتمل على أي حظ

من التأثير المهبط أو المنشط الذى يحمله الموضوع والاختبار إلى طبعه الأصيل .  
 (٢) الاعتقاد بأن التأويل نفسه لا يتمد شيئاً من شخصية المختبر، من ميوله وعقله وتقديراته . وإنما لا نستطيع أن ننسى أن رورشاش قد غير اختباره على ١١٧ شخصاً سويّاً وعلى ٢٨٨ شخصاً غير سوى ، وأنه قد حضر اختباره للكشف عن الحالات المرضية فى الدرجة الأولى . فتنطبق هذه الاختبارات على الأسوياء يقتضى إذن احتياطات إن كانوا يفترضونها دائماً فإنهم لا يحققونها دائماً .

(٣) الاعتقاد أن رورشاش ينفذ إلى صميم الطبع ويدرك عوامله الثابتة فلا حاجة إلى أن تخرج نتائجه بنتائج مناهج أخرى .  
 إن المعلومات التى يمدنا بها اختبار رورشاش معلومات غنية جداً ، فإذا دخلت هذه المعلومات فى إطار دراسة طباعية صحيحة ، وأجابت عن أسئلة برهن علم الطباع على قيمتها الثابتة ، وانطبقت على تحليل بيوجرافى أضاهه علم الطباع ، فإنها تستطيع عندئذ ، عندئذ فقط ، أن تقدم لنا فوائد خاصة عميقة إلى أبعد الحدود . فإذا كشف البحث الطباعى مثلاً عن اتجاه انطوائى ثابت لدى شخص من الأشخاص ثم جاء اختبار رورشاش فأيد ذلك ، كنا لزاء يقين عملى ، وفى وسع الاختبار عندئذ أن يزيدنا معرفة بألوان هذه الانطوائية لدى المختبر . أما إذا كشف اختبار رورشاش لدى شخص من الأشخاص عن إدراك مشاهد دامية وأدوات دامية ، مثلاً ، فادعى أن صاحب هذا الإدراك يحمل ميولاً عدوانية فإنه معرض للخطأ فى نصف الحالات على الأقل ، إذ يعزو إلى الميول العدوانية شيئاً يرجع فى كثير من الأحيان إلى حالة نفسية قلقه تمركرت لدى بعض السوداويين على الخوف من التزف . أما إذا عرفنا من تحليل طباعى سابق أن الشخص الذى نطبق عليه اختبار رورشاش ويدرك مشاهد دامية وأدوات دامية إنما يتسمى إلى النموذج الغضبى ، كان اختبار رورشاش يفيد التحليل الطباعى ويضيف إليه معلومات جديدة ويلون الصورة التى انتهى إليها التحليل الطباعى تلوينات تكملها وتزيدها وضوحاً .



ويرى آندره لوجال بصدد تطبيق الاختبارات السيكونيكية على الأطفال أن هذه الاختبارات يمكن أن تقدم للمعرفة الطباعية ثلاثة أنواع من الفوائد :

(١) أنها تستطيع أن تتيح للموجه أن يحصل على نظرة سريعة ومضمونة إلى درجة كافية عن الطفل ولا سيما - كما قال لاجاش - عن تلاؤمه مع الواقع ، عن تلاؤمه مع نفسه ، عن طرز نشاطه ، عن شكل ذكائه ، إلخ . على أن هذه النتائج يجب أن لا يؤخذ بها فوراً ، وإنما ينبغي أن تقابل بنتائج مستمدة من استقصاء بيوجرافى جدى

(٢) هناك اختبارات تكشف عن شكل ذكاء الطفل . ومن المحقق أن شكل الذكاء ليس مستقلاً عن خصائص الطبع . فنتطبيق هذه الاختبارات يساعد على تكميل الصورة الطباعية التى ينهى إليها التحليل الطباعى ويرسمها عن الشخص .

(٣) والاختبارات السيكونيكية تفيد خاصة حين تحمل إلى علم الطباع معلومات لا يمكن أن يحملها إليه أى مصدر من المصادر الأخرى : وهى المعلومات المتصلة بالحياة اللاشعورية . إن هناك اختبارات عدة تمدنا بهذه المعلومات . وليس اختبار رورشاش أحسن الاختبارات فى هذا المجال فلئن كان مُرضياً على وجه العموم من حيث أنه يعطينا رأياً فى شكل ذكاء الشخص (تركيبى ، تحليلى) ، وإذا كان مرضياً جداً من حيث أنه يكشف عن الدقة أو عدم الدقة فى فكر الشخص ، أو من حيث أنه يكشف عن الانطوائية أو الانبساطية ، فإن ما يكشف عنه من الأمور اللاشعورية أضال من أن يؤدي بنا إلى تحليل من نوع تعليقات التحليل النفسى . واختبار (تأت) أفضل منه من هذه الناحية . فحين يرفض أحد الأطفال أن يقص قصة بصدد إحدى الصور أو بصدد عدد من الصور تعرض عليه ، وحين تتغير لهجة القصة ، وحين يضطرب الإدراك أو تضطرب الذاكرة أو يختل انسجام الكلام ، فإننا نكشف عندئذ حقاً عن عقده ما كان يمكن أن تكشف عنها دراسة السلوك بمثل هذه السرعة وهذا الانسجام . هذا إلى أن تحليل القصص التى يرويها الشخص ، ومبول البطل

الذى، يتعممه ، والظروف التى يتخيلها حوله ، تتيح لنا أن نتصور فرضيات وطيدة عن محتوى هذه العقدة .

ولقد استعمل آندره لوجال اختبار رورشاش واختبارات(ت آت) ، وأدخل نتائجهما في إطار الدراسة الطباعية للأفراد الذين يستشهد بهم في كتابه ، كما طبق عدداً آخر من الاختبارات السيكوتكنيكية وكما عمد إلى ملاحظة الفعاليات الحرة لدى الأطفال واستمد من ذلك كله معلومات كثيرة ، ولكن هذه المعلومات الكثيرة ما كان لها في رأيه أن تفيد لولا إدخالها في إطار العلم الطباعى الذى تكون وانتهى الأمر ، بقصد مدرسة جروننج في علم الطباع

ويجب أن نضيف إلى ذلك أن أصحاب علم الطباع الفرنسى المعاصر لم يدعوا وسيلة من وسائل البحث الطباعى إلا عمدوا إليها واستعملوها على شرط الاستفادة منها في إغناء نتائجهم . فحتى مناهج الجرافولوجيا لم يوفروها ، كما سئرى ذلك حين الكلام على دراسات إميل كاي في الخطوط والطباع . أما المناهج التى يمكن أن تحل محل منهجهم الأساسى فإنهم أغفلوها إغفالا تاماً وأهمها منهج التحليل العاملى الذى لم يتعرضوا له إطلاقاً .

ويجب أن نذكر بهذا الصدد أن حساب الترابط الذى عمدت إليه هذه المدرسة لا يمت بصلة إلى منهج التحليل العاملى . ويكفى أن نذكر في بيان الفرق بين المنهجين أن العوامل الأساسية التى عدوها مقومات الطبع لم ينهوا إليها من تطبيق منهج الترابط ، وإنما اختاروها اختياراً قليلاً ان صح التعبير ، أو قل اختياراً تحكيمياً ، لذلك حين صنف جى بالماد المدارس الطباعية في كتابه : « علم الطباع » ، لم يحشر المدرسة الفرنسية المعاصرة في عداد المدارس التى تعتمد على منهج الترابط ( كدراسات شلدن ) ، بل تكلم عليها مع ما تكلم عليه من دراسات تقوم على أساس اختيار الخصائص ( راجع بالماد ، ص ٩٥ ) .

ونحن عارضون في الفصلين التالين للمقومات الأساسية وللمقومات التكميلية ، على نحو ما وصفها أصحاب هذه المدرسة

## الفصل الثالث

### المقومات الأساسية للطبع وتصنيف الطباع في ثمانية نماذج

١

#### الانفعالية<sup>(١)</sup>

( E )

أبلغ شخصين متفاوتين في درجة الانفعالية نأ غرق سفينة في عرض البحر . إنك ترى من استجابتهما الأولى أن أحدهما قد اضطرب اضطراباً شديداً ، في حين أن الثاني لم يتأثر إلا قليلاً . فالأول قد انقطع عن العمل ، وأخذ يصيح من فرط التأثر ، وجعل يرثي لحال الضحايا ويشاركها ما عاتته من عذاب ، وطفق يتوجع أو يستنكر تبعاً لظروف الحادث ، في حين أن الثاني كأنه لم يسمع شيئاً ، فهو يتابع ما كان يقوم به من عمل ، وهو يصرف اهتمامه إلى شئون أخرى ، فإذا حملته على الاهتمام بالنبا حملاً ، تكلم عن الحادث كلامه عن واقعة طبيعية ، وأخذ يشرح أسبابه بهدوء .

يقال عن أول هذين الشخصين إنه انفعالي ، ويقال عن الثاني إنه غير

انفعالي .

والواقع أن جميع الناس انفعاليون ، ولكنهم يتفاوتون في درجة الانفعالية . ونحن نستطيع على سبيل الاصطلاح أن نطلق اسم « الانفعالي » على من كان أشد انفعالية من وسطى الناس ، وأن نطلق اسم « اللانفعالي » على من كان أقل انفعالية من وسطى الناس . فإذا أعطينا الدرجة ٥ للشخص الوسطى

(١) لويس « علم الطباع » ص ٦٢ - ٧٦ ، « المصير الشخصي » ، ص ٤٣ - ٤٤ ،

مقدمة « سيكولوجية المرأة » ، ص ١٥ - ١٦ ، جاستون بروجيه « تحليل الطبع » ص ٢٢ - ٢٥ ،

« الطبع والشخصية » ، ص ١٣ ، آندره لوجال : « علم طباع الأطفال والمراهقين » ، ص ٣٦ - ٣٧

إميل كاي : « الطباع والحطوط » ، ص ٤ - ٥ ، روبرت ميتريو : « دراسة الطباع » ، ص ٨٢ -

٨٨ ، روبييه جايا : « التحليل الطباعي لتلاميذ فصل من قبل معلمهم » ، ص ٧٠ - ٧٨

الانفعالية ، كان غير الانفعالى هو ذلك يحصل فى الانفعالية على أقل من ٥ (أى ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١) ، وكان الانفعالى هو ذلك الذى يحصل فى الانفعالية على أكثر من ٥ (٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) .

ولا بد من سوق الملاحظتين التاليتين توضيحاً لما تقدم ودفعاً للالتباس أولاً إن الانفعالية صفة عامة سابقة على تخصصاتها . وانفعالية شخص من الأشخاص تتخصص بميوله أى باهتمامه فانفعالية الأم موصولة الأسباب بما يصيب أبناءها من خير وشر . ومن كان شرهاً أثاره طعام طيب أو طعام ردىء . والطامح إلى السلطة تهزه الأحداث التى تقربه منها أو تبعده عنها . وما ينبغى أن يدهشنا إذن أن نرى انفعالياً لا يهزه حدث لا يعنيه . فلا بد لتشخيص الانفعالية لدى فرد من معرفة اهتماماته .

ثانياً لا تظهر الانفعالية لدى جميع الانفعاليين سافرة ، بل قد يكظمها بعضهم بما تهيأ له من قوة الترجيع البعيد (التي ستحدث عنها بعد قليل) . وعالم الطبايع يعنى بالكشف عن الانفعالية حين لا تظهر للناس ، إما بالنقاط أعراض صغيرة ، كجعدة يسيرة فى الوجه أو تلون خفيف فى الصوت ، وإما بملاحظة الآثار غير المباشرة فيما بعد ، كراى يراه الشخص أو ذكرى يتذكرها .

ومن المفيد أن نصيف إلى الملاحظتين السابقتين أن الانفعالية لا ينظر إليها من ناحية الشدة فحسب ، بل من ناحيه الجهة أيضاً . والمقصود بالجهة هنا طريقة انطلاق الانفعالية . ذلك أن لانطلاق الانفعالية صوراً متعددة ، من ذلك أنها قد تنفجر انفجاراً وقد تنطلق على هون . . . قد يصل الانفعال إلى ذروته دفعة واحدة ليبيط بعد ذلك فهو «هابط» ، وقد يسير بطيء الخبطى ولا ينى يصعد فهو «صاعد» . وهذا كله تحدده عوامل معينة سيتضح تفاعلها حين الكلام على النماذج .

والانفعالية ، بعد ، هى الخاصة الأساسية الأولية فى حياة الإنسان ، فهى الطاقة التى بدونها لا يمكن أن تستمر الحياة ولا أن تتجلى . إن الحادث الذى يولد الاهتزاز فى الإنسان المؤلف من «جسم نفس» يفعل فيه فعلٌ مؤججٌ

يطلق ويحشد مقداراً من الطاقة كان مختزناً في الجسم . والانفعال ينفق من هذه الطاقة أكثر مما ينفق غير الانفعالي .

وهناك علامة مألوفة يعرف بها الانفعالي هي « عدم تناسب بين خطورة الحادث من الناحية الموضوعية وبين الاهتزاز العنيف الذي يولده ذلك الحادث في نفسه ، شاء أم أبى » (لوسين : « علم الطباع » ، ص ٦٩) . فإذا رأيت امرأة يبكي ويتألم لسبب تافه ، ويبالغ في تقدير هول حادث من الحوادث ، وبقيم وزناً كبيراً لأمر يسير ، ويستجيب استجابة عنيفة لكلمة لا قيمة لها أو لفعل لا شأن له ، ويسمى أموراً صغيرة بأسماء ضخمة قوية ، كان في وسعك أن تقدر أنه امرؤ انفعالي ، فإذا رأيت هذه المظاهر وغيرها تتكرر لديه ، كان في إمكانك أن تجزم بأنه كذلك : دون خوف من سوء التقدير أو من الوقوع في الخطأ .

وتتجلى الانفعالية في مظاهر أخرى كثيرة تشير إليها أسئلة الاستجابات التي وضع أطبا هيانس ، ووضع غيره من أصحاب علم الطباع القرنى المعاصر عدداً كبيراً منها . (راجع الأسئلة ١ ، ١١ ، ٢١ ، ٣١ ، ٤١ ، ٥١ ، ٦١ ، ٧١ ، ٨١ ، ٩١ من الاستجابات الذي وضعه جاستون برجييه ، والذي نلحق ترجمته العربية بهذا الكتاب) <sup>(١)</sup>

ويرمز إلى الانفعالية بالحرف E ، الحرف الأول من كلمة Emotivité

(١) سبق أن رأينا أن لوسين يعتبر الطبع وفقاً لحدود بين ما هو عضوي وما هو نفسى . ولم يحاول لوسين أن يربط مقومات الطبع بأسس فزيولوجية معينة . ولكن هذه المحاولة هي ما قام به آندره لوجال في كتابه ، « علم طباط الأطفال والمرحطين » ، فافترض لبعض عناصر الطبع أساساً فزيولوجية ، دون أن يطعم في مثل هذا التحليل الفزيولوجى لسائر العناصر . ونحن نسوق فيما يلي تعليقه الفزيولوجى للانفعالية (راجع لوجال ، ص ٤٥ وما بعدها) :

يظهر لنا الأصل الفزيولوجى للانفعالية متى رجعنا إلى ذلك التفريق (الذى أصبح الآن مقبولاً على وجه العموم) بين التكوين اسباتيكوتيفيك وبين التكوين الفاجوتيفيك . فإلى جانب الجملة العمية الإرادية التي بفضلها تتحكم بحركات أطرافنا ووجهنا ، هناك جملة عسية لا إرادية توجه حياتنا النباتية ، وظائف التنفس والقلب والهضم ، الخ . وهذه الجملة العسية الإرادية تتألف من العصب السباتى الأسمى الذى يتحكم بجهاز التنفس والأعضاء ومن ثلاث جمل مستقلة . ومن هذه الجمل المستقلة ثمينتا هنا الجملة الباراسباتية ، أو أيضاً جملة العصب للمهم الذى =

الفعالية<sup>(١)</sup>

(A)

التفاوت بين الناس في كثرة الفعل واضح ، وكلمتا النشاط و الكسول من أروج الكلمات جرياً على الألسن في وصف هذا أو ذلك من الأفراد .  
ولكن لا بد من التفريق بين نوعين من النشاط ، نوع يجب أن نطلق عليه اسم النشاط « الظاهر » ، ونوع يجب أن نسميه باسم النشاط « الطبيعي » . ذلك أن الإنسان يمكن أن يقوم بسلسلة من الأعمال لسببين مختلفين

هي سيطرتها . إن جملة المصعب المهجم هذه تعصب الأعضاء ، وتتحكم بوظائف يؤثر فيها المصعب السباتي هو الآخر فالسباتي يسرع القلب ، والمهجم يبطئه ، السباتي يمدد الماء المستقيم ، والمهجم يقبضه ، السباتي يوسع الحدقة ، والمهجم يضيقها فإذا تحقق توازن بين هذين التأثيرين المتعارضين جرى كل شيء على ما يرام : فالقلب مثلاً يدق ٧٢ مرة في الدقيقة لأن ما يمدده السباتي من تأثير تسيروني يفنيه ما يمدده المهجم من تأثير تبطلني حتى إذا حصل اختلال في التوازن بين هذين التأثيرين كنا أمام تكوين سباتيكوتوني ، في حالة سيطرة السباتي ، وإزاء تكوين فاجوتوني في حالة سيطرة المهجم .

فلماذا تفرض إحدى هاتين الجهتين سيطرتها ؟ يظهر أن التوازن أو عدم التوازن مرهون بالتالاموس ، وأكثر من ذلك أن التالاموس يؤثر تأثيره في هذا الاتجاه أو ذلك تبعاً للانفعالات التي يلقاها من حادثة عضوية عميقة هي الإفرازات الصماء . والواقع أن الفزيولوجيين يصفون طائفتين من الغدد الصماء توازيان التكوينين السباتيكوتونيك والفاجوتونيك وتملأهما الغدد المثيرة للسباتي ، الغدد المثيرة للسبم . ومن بين الطائفة الأولى ( النخاعية ، الدرقية ، لب الكظر ، الجنسية ) يظهر أن النخاعية هي التي تلعب الدور المحدد نسبياً . فإذا كانت مفرطة في النشاط ولدت إفراطاً في النشاط في جميع الغدد المثيرة للسباتي ، وهذا ما يميز المزاج الانفعالي بوجه عام . وإذا كان عملها بطيئاً رأينا الطائفة المثيرة للسبم ( اليحوس ، غدة بانده ، الغدة الشبيهة بالدرقية ، البانكراس ، لحاء الكظر ) هي التي تلعب تحريك المزاج الانفعالي الذي يتصف بالبطء والخمول والمحدود والمقارعة .

(١) لسبين ، « علم الطباع » ، ص ٧٦ - ٨٦ ، « المصير الشخصي » ، ص ٤٤ - ٤٦ ، مقدمة « سيكولوجية المرأة » ، ص ١٦ - ١٧ ، جاستون بروجيه ، « تحليل الطبع » ، ص ٢٥ - ٢٧ ، « الطبع والشخصية » ، ص ١٤ - ١٦ ، آندره لوساك ، « علم طباع الأطفال والمراهقين » ، ص ٣٧ - ٣٨ ، إميل كلبي « الطباع والخطوط » ، ص ٥ ، ووبر ميتريو ، « دراسة الطباع » ، ص ٨٩ - ٩٢ ، روجيه جاي ، « التحليل الطبلي لتلاميذ فصل من قبل معلمهم » ، ص ٧٨ - ٨٥ .

أولهما الانفعالية (بصرف النظر عن الفعلية الحقيقية) وثانيهما الفعلية ذاتها . والواقع أن الشخص لا يمكن أن بعد فعالاً ( نشيطاً ) إذا كان لا يحضه على القيام بأفعاله إلا محرض خارجي أو إذا كان انفعالياً . إن الشخص الذي « يلاحق بقطعة من الحديد الأحمر أو بعضاً مشتعلة يتراجع ويهرب ، سواء أكان نشيطاً أم لم يكن كذلك . ومن كان شديد الانفعالية وكان يتأثر تأثيراً قوياً بجميع الأحداث المتعاقبة فلا بد لسلسلة الانفعالات التي يشعر بها من أن تحمله على الاستجابة أى على الفعل بصورة متكررة . فهو يبدو عندئذ فعالاً مع أنه في حقيقة أمره انفعالي لا أكثر في حين أن شخصاً آخر قد يبدو لنا أميل إلى التأمل منه إلى النشاط لأنه بفضل تنظيم أفكاره يركز نشاطه على غاية بعيدة ، مع أنه فعال إلى أبعد الحدود ( لوسين « علم الطباع » ، ص ٧٧ ) .

فكلمة الفعلية ، بمعناها الطباعي ، لا تنطبق إذن إلا على ذلك الذي يعمل بتأثير استعداد للفعل قائم فيه . غير الفعال يفعل مغلوباً على أمره ، مكرهاً ، يعمل في مشقة وعناء ، وكثيراً ما يتأفف من عمله ويتملل ويتراجع . إنه يعمل لأن به خوفاً أو جوعاً . ولا كذلك الفعال ، فهو ذلك الذي لا بد له من الفعل ، لأن الفعل حاجة له ملحاحة لجوع . وما الأحداث الخارجية عنده إلا مناسبات وفرص لاندفاعه إلى الفعل ، فإذا لم توجد تلك الأحداث من تلقاء ذاتها ، بحث عنها وأوجدتها ، فهو يعيش لكي يعمل .

الفعال لا يشعر من فعله بتعب ، وإذا تعب فإن قليلاً من الراحة يكفي لاسترداده نشاطه واستئناف عمله . أما غير الفعال فإنه إذا اندفع بفرط الانفعال إلى فعل ، خارت قواه بعد قليل ، وشعر باعياء بل بانهايار واحتاج إلى راحة طويلة لاسترداد القدرة على استئناف الفعل غير الفعال قد تلهيه حماسة متأججة في عمل جبار يجارى فيه الفعالين إلى حين ، ولكنه ما يلبث أن يتحطم

ويضرب جاستون برجييه مثالا على ذلك بأدبيين كبيرين هما : الفرد دوفيني وفكتور هوجو . لقد ألف فيني كتابه « شاترتون » خلال سبع عشرة ليلة فقط .

ولكنه ما إن فرغ من تأليف كتابه حتى عاد إلى حياته المألوفة ، المليئة بالاندفاعات العاجزة ، والاعياء ، والحسرات ، والأحلام العقيمة . أما فكتور هوجو فكان يجلس إلى مكتبة كل يوم بلا انقطاع ، يراجع ما كتبه بالأمس ، ويتمه في غير كلال وكان قادراً على أن يعيش حيوات مختلفة في آن واحد ، فهو شاعر ، وكاتب مسرحي ، ومخرج ، وسياسي ، ومساجل . فهل كان يقوم بأعماله هذه كلها لأنه فرض على نفسه نظاماً قاسياً ، وأبعد عن حياته ما يعكر حياة غيره من الناس ؟ أبداً ، فلقد كان في حياته العاضية من الازدحام والفيض ما كان في حياته الفكرية من مثل ذلك له زوجة ، وأولاد يحبهم ، وعشيقه يمضي إليها كل يوم ويواصلها برسائل كثيرة ، وبغامرات عابرة في أثناء ذلك . ( جاستون برجيه ، « تحليل الطبع » ص ٢٦ - ٢٧ ) .

والخلاصة أن الفعال ليس هو ذلك الذي يعمل كثيراً فحسب ، بل هو ذلك الذي يعمل كثيراً وبسهولة .

وكذا أن للانفعالية علامة مألوفة تدل عليها هي عدم انتساب بين أهمية المؤثر وقوة الاهتزاز الذي يحدثه هذا المؤثر في النفس ، كذلك للفعالية علامة مألوفة تدل عليها هي أن « الفعال إذا ظهرت أمامه عقبة من العقبات اشتد من ذلك ما يبذل من جهد في الاتجاه الذي ظهرت فيه العقبة » أما غير الفعال فإن العقبة تشبط عزيمته . ( لوسين ، « علم الطباع » ، ص ٧٧ ) .

ومن العلامم المألوفة التي تعرف بها الفعالية أيضاً ما يشير إليه السؤال (٤) من استقصاء هيمانس وهو الانصراف إلى الأعمال المفروضة بدلا من إهمالها وإثارة أعمال أخرى عليها تدفع إليها العاطفة ، وكذلك ما يشير إليه السؤال (٦) وهو إنفاذ الأعمال الواجبة دون إبطاء ، بدلا من إرجاء تنفيذها إلى حين آخر .

وتتضح لنا سائر تجليات الفعالية من الأسئلة : ٢ ، ١٢ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ٩٢ ، من استجواب جاستون برجيه .

وعلى سبيل الاصطلاح نعد الشخص غير فعال إذا كان دون وسطي الناس



فعالية ، ونعده فعالا إذا كان فوق وسطى الناس في ذلك ويمكن أن نعين درجة الانفعالية برقم ، فالانفعال هو الذى يحصل في الفعالية على أقل من ٥ ( ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ) ، والفعال هو الذى يحصل على أكثر من ٥ ( ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ) ، كما رأينا ذلك بصدد الكلام على الانفعالية<sup>(١)</sup> .

---

( ١ ) لقد حاول آندره لوجال أن يفترض للفعالية تمليلاً فزيولوجياً ، فقال إن الفعالية ترجع إلى مقدار الطاقة المخزنة في الجسم ، وتساوى لماذا كانت خلايا بعض الأجزاء تخزن كثيراً من الطاقة في حين أن بعضها الآخر لا يخزن إلا قليلاً ؟ وأجاب عن هذا التساؤل بقوله يظهر أن علينا ، هنا أيضاً ، أن نمود إلى مجموعة المعصية الفدية ، ولو أن حالة العلم الآن لا تنتج لنا ذلك على نحو دقيق . إن المركز الرئيسى للاستقلاب (الميتابوليزم) أى المجمع الأكبر في الخلية المعصية كلها إنما هو الخيخ ومراكز استقلابية في المادة السجالية من الخلية . وشحنات الطاقة إنما تستقل إلى الخيخ وإلى البصلة بواسطة الخلية المعصية السجالية نفسها ، ومعنى هذا أن الاضالية يمكن أن ترجع إلى مصدرين اثنين : إما نقص في مخزونات الطاقة نتيجة لقصور وظيفة البصلة نفسها ، وإما قصور في الناقل السجالي . ولكن هذا التصريف أو الإفراط يجب أن يرتبط ، فيما يفترضون ، بعامل التدد الصباح ولو أن دور هذا العامل ليس واضحاً حقاً وضوحه في تحديد الانفعالية . ومهما يكن من أمر ، سواء أكان هناك نقص في طاقة أم ضياع الطاقة أثناء الطريق ، فإنه يمكن أن يقال إن الفعالية تمثل بالنسبة م/ط ، باعتبار مجموع المخزونات من الطاقة ، وباعتبار م مجموع المقاومات الناشئة عن التوائل المعصية والتقبضات العضلية ، إلخ . ومعنى ذلك على وجه العموم أن حادثة الفعالية تشبه بعض الشيء الحادثة الكهربائية التي تسمى بالشدّة .

الترجيع<sup>(١)</sup>

(5)

ليست فكرة الترجيع واضحة وضوح فكرتي الانفعالية والفعالية . إنها ، على حد تعبير جاستون بريجه ، لا تخاطب الخيال مباشرة . فإذا نعى بالترجيع ؟

إن عالم النفس الألماني ، أوتوجروس ، هو الذي لفت الانتباه عام ١٩٠٢ إلى فكرة « الترجيع » هذه<sup>(٢)</sup> ، فقال إن جميع الانطباعات التي نلقاها أو قل جميع التصورات التي نتصورها تؤثر فينا أثناء حضورها تأثيراً مباشراً هو « وظيفتها القريبة » ، حتى إذا غابت هذه التصورات عن ساحة الشعور الواضح ظلت « تترجع » في أنفسنا ، وظلت تؤثر في سلوكنا وفي تفكيرنا ، وهذه هي « وظيفتها البعيدة » . وقد اقتبس هيانس هذه الفكرة عن أوتوجروس ، واستفاد منها في تصنيفه ، ونحن نسوق الآن المثال التالي الذي ضربه لوسين لتوضيحها :

هذا أستاذ يجاضر ، وها هو ذا يلمح الساعة المعلقة بجدار القاعة ويرى عقربها مشيراً إلى وقت معين . إن إدراكه هذا يولد في جسمه وفي فكره طائفة أولى من التأثيرات طوال مدة بقاء الإدراك في شعوره : إنه يردد في ذهنه الوقت

(١) لوسين ، « علم الطباع » ، ص ٨٧ - ١٠٣ ، « المصير الشخصي » ، ص ٤٦ - ٤٨ ، مقسمة « سيكولوجية المرأة » ١٧ - ١٨ ، جاستون بريجه ، « تحليل الطبع » ، ص ٢٧ - ٢٨ ، « الطبع والشخصية » ، ص ١٦ - ١٨ ، آندره لوجال ، « علم طباع الأطفال والمراهقين » ، ص ٣٨ - ٣٩ ، إميل كاي ، « الطباع والمخطوط » ، ص ٥ - ٦ ، روبرت ميرو ، « دراسة الطباع » ، ص ٩٣ - ٩٦ ، روجيه جايا ، « التحليل الطباعي لتلايف . فصل من قبل معلمهم » ، ص ٨٦ - ٩٢

(٢) نجد في كتاب يوزج « المخازج النفسية » عرضاً مفصلاً لآراء أوتوجروس فيما يتعلق بالكشف عن وظيفة الترجيع للتربيع ووظيفة الترجيع البعيد ، ويتصنيف الناس في نموذجين على هذا الأساس . راجع أيضاً لوسين ، « علم الطباع » ، ص ٨٧ .

الذى يشير إليه عقرب الساعة ، ويفكر في المدة التي بقيت له ، بوضوح كثير أو قليل . إن هذه التأثيرات التي ولدها تصور الساعة أثناء احتلاله ساحة الشعور الواضح هي « الوظيفة القريبة » للتصور . ولكن هذه التأثيرات ليست التأثيرات الوحيدة التي يولدها الإدراك الأول . ذلك أن هذا الإدراك حين يخرج من الشعور الواضح ويسقط إلى ما تحت الشعور يظل يولد تأثيرات أخرى ربما خلال سنين . فالأستاذ الذي رأى عقرب الساعة قد يسرع في حديثه دون أن يقصد ذلك ، وقد يعمد في المستقبل إلى جعل محاضراته أقل اكتظاظاً ، وذلك بتأثير تلك التجربة التي ما تنفك توغل بعداً في الماضي ، فهذه الآثار التي يولدها تصور من التصورات بعد أن غاب عن ساحة الشعور هي « الوظيفة البعيدة » للتصور .

وكل تصور إنما يرجع في كل إنسان هذا الرجوع المزدوج أعني الرجوع الحاضر والرجوع المقبل . فما من إنسان لا يعنيه الحاضر ، وما من إنسان لا يواصل الماضي تأثيره فيه . ولكن وظيفة الرجوع القريب قد تغلب لدى أحد الناس ، في حين أن وظيفة الرجوع البعيد هي التي تغلب لدى آخر فإذا كانت آثار تصور حاضر في الشعور تكبت آثار تصور ماض كان الرجوع القريب هو الغالب ، وكان يمكن أن يعد الشخص ذا ترجيع قريب . وإذا كان تأثير التجارب الماضية يتفوق على تأثير الحاضر ويحجبه ويكبته ويخضعه لنفسه أو يشده إلى ركبته كان يمكن أن يعد الشخص ذا ترجيع بعيد .

وقد عمد لوسين إلى التشبيه التالي على سبيل التوضيح : هذا شريط من الكاوتشوك . إنه إذا مط يمكن أن يعود إلى طوله الأول تماماً أو إلى طوله الأول تقريباً ، كأنه لم يحتفظ بشيء من التغير الذي أصابه . كما يمكن أن يحتفظ من ذلك التغير باستطالة باقية لا تزول كذلك الإنسان ، يمكن أن يملك طبعاً يجعل الحوادث التي تطرأ عليه تستنفد على الفور تقريباً كل ترجعها فيه ، فهو عندئذ ذو ترجيع قريب ، كما يمكن أن يملك طبعاً يجعل كل حادث من الحوادث يخلف فيه أثراً باقياً ، فهو عندئذ ذو ترجيع بعيد .

إن الشخص الذي إذا أسىء إليه اضطرب بسرعة ثم لم يلبث أن عاد إلى حاله الأولى من الصفاء هو ذو ترجيع قريب . أما الشخص الذي إذا أسىء إليه اضطرب ببطء ، ثم ظلت الإساءة تفعل في نفسه مدة طويلة ولو أثناء غياب تصورها عن ساحة الشعور ، فهو ذو ترجيع بعيد .

وهكذا يمكن تصنيف الناس في طائفتين طائفة يولد الحادث في أفرادها الحد الأقصى من تأثيره مباشرة ، ولكنه في الوقت نفسه يستفد كل تأثيره فيهم فيعودون إلى حالهم الأولى ، وطائفة يؤثر الحادث في أفرادها تأثيراً بطيئاً ، ولكن نتائج هذا التأثير تنقش فيهم وتظل تلاحظ في سلوكهم مدة طويلة . أما الطائفة الأولى فالتجارب عندها تعاقب وتحل واحدة منها محل أخرى . وأما الطائفة الثانية فالتجارب عندها تتجمع وتتلاحم وتتحد سهل أن نكتب على الرمل ، ولكن محو ما نخطه على الرمل سهل أيضاً . وصعب أن نقش على الصخر ولكن اندراس ما نقشه على الصخر صعب أيضاً والمشم يشعل بسرعة وينطفئ بسرعة : أما النار التي لا توقد بسرعة فإنها لا تنطفئ بسرعة .

فا هي العلامة المألوفة التي تعرف بها غلبة الترجيع البعيد أو غلبة الترجيع القريب ؟ الحق أن هنالك علامات كثيرة يستخرجها لوسين من النتائج

الإحصائية في استقصاء هيمانس ويررها .  
فن كان مشدوداً إلى الحاضر ، ناسياً الماضي والمستقبل لا بد أن يتجلى  
تقلب تأثراته في تقلب استجاباته ، فإذا هو كثير الحركة ، اندفاعي الاستجابة ،  
سريع التزوي ، سهل المصالحة ، متقلب الحب والكره ، شغوف بالانطباعات  
الجديدة والأصدقاء الجدد ، سهل الإقناع ، محب للتغيير ، متقل بين المهن ،  
متطلع إلى النتائج المباشرة ، مقبل على لذات الطعام ، فوضوي الحياة الجنسية ،  
متلاف مضباع ، لا ينبغي أن يركن إلى صدق ما يقول ، ولا إلى دقة ما يبذل  
من مواعيد ، إلخ . . .

ولا كذلك ذو الترجيع البعيد ، فهو في جميع ما مر من صفات على

الطرف الآخر .

( راجع الأسئلة ٣ ، ١٣ ، ٢٣ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ٩٣ ،  
من استجواب جاستون برجييه ) .

ونستطيع على سبيل الاصطلاح أن نعتبر الترجيع بعداً نفسياً واحداً  
يتدرج على سلم عدد درجاته تسع فمن كان قليل الترجيع البعيد ( كثير الترجيع  
القريب ) كانت درجته أقل من ٥ ( حتى ١ ) ، ومن كان كثير الترجيع البعيد  
( قليل الترجيع القريب ) كانت درجته أكثر من ٥ ( حتى ٩ )<sup>(١)</sup> . ويرمز إلى  
الترجيع القريب والترجيع البعيد بالحرفين S, P  
تلك هي المقومات الأساسية الثلاث للطبع ومن تزوجها ثلاث  
ثلاث نحصل على النماذج الطباعية الثمانية التالية

- ١ - النموذج العصبي : وهو الانفعالي اللافعال ذو الترجيع القريب E n A P
- ٢ - النموذج العاطفي وهو الانفعالي اللافعال ذو الترجيع البعيد E n A S
- ٣ - النموذج الغضبي وهو الانفعالي الفعال ذو الترجيع القريب E A P

( ١ ) حاول آندره لوجال أن يعلل الترجيع تليلاً فزيولوجياً ، فلم يزد على أن كرر التعليل  
الفزيولوجي الذي جاء به أوتو جروس ، وقبله ديانس ، وهو أن التعارض بين الترجيع القريب والترجيع  
البعيد يرجع إلى سرعة أو بطء عودة الخلايا العصبية إلى حالتها الأولى بعد أن اهتزت باستجابة معينة .  
إن كل خلية عصبية تكون ، في حالة الراحة ، على قدر من التوتر الكهربائي فإذا هزها انطباع  
ما تآدى بها إلى إحداث أثرها النفسى ( الذى هو ذكوة أو عاطفة أو نية أو هذه الأمور كلها  
معاً ) أحدث هذا العمل هبوطاً في التوتر الكهربائي للخلية ، كما يحدث فتح المنبهر هبوطاً في مستوى  
ماء الخزان ، وكما يحدث تشغيل محرك كهربائي هبوطاً في التوتر الكهربائي . ثم تعود الخلية  
إلى حالتها الأولى بعد فترة من الوقت ، وهذه العودة تختلف باختلاف الأفراد سرعة وبطء ، لهم من  
تتحقق هذه العودة في خلاياهم العصبية فوراً ، وهؤلاء هم ذوو الترجيع القريب ، ومنهم من تظل  
خلاياهم في حالة من التأثير مدة طويلة ، وهؤلاء هم ذوو الترجيع البعيد . فالنتج العصبى لدى ذوى  
الترجيع القريب يصبح على الفور مهياً لتأثيرات جديدة ، في حين أن ذوى الترجيع البعيد لا يصبحون  
كذلك إلا بعد فترة طويلة ( آندره لوجال ، « علم طباع الأطفال والمراهقين » ، ص ٤٦ - ٤٧ ) .  
وبن الواضح أن هذا التعليل الذى أتى به أوتو جروس عام ١٩٠٢ بسيط سرف في البساطة ،  
ولا يبدو أن يكون فرضية ساذجة . لذلك قال جاستون برجييه متحفظاً قد لا تكون النظريات  
الفزيولوجية التى ذهب إليها أوتو جروس لتعليل آلية الترجيع صحيحة ، ولكن واقعية الفهميين ، ذى  
الترجيع القريب ، وذى الترجيع البعيد ، واضحة من الناحية النفسية ( جاستون برجييه ، « تحليل  
الطبع » ، ص ٢٧ ) .

- ٤ - النموذج الجموح : وهو الانفعال الفعالي ذو الترجيع البعيد E A S
- ٥ - النموذج الدموي وهو الانفعال الفعالي ذو الترجيع القريب nE A P
- ٦ - النموذج المتناوى : وهو الانفعال الفعالي ذو الترجيع البعيد nE A S
- ٧ - النموذج الحلامي : وهو الانفعال الالفعال ذو الترجيع القريب nE nA P
- ٨ - النموذج الحامل : وهو الانفعال الالفعال ذو الترجيع البعيد nE nA S .
- وسنعرض لكل نموذج من هذه النماذج الثمانية في فصل خاص ( من الفصل ٥ إلى الفصل ١٢ )

## الفصل الرابع

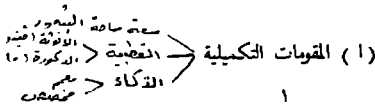
### المقومات التكميلية وعوامل الميل

رأينا أن تزاوج المقومات الأساسية ثلاث ثلاث يعطينا ثمانية نماذج طبيعية . ولكن المقومات الأساسية ليست كل شيء في الطبع ، وإنما هي هيكله العظمى إن صح التعبير . نكما أن معرفتنا بالهيكل العظمى لفرد من الأفراد ، لا يعطينا صورة كاملة عن جسم هذا الفرد ، إذ تنقصنا عندئذ معرفة سمته أو نحوه ، وزرقة عينيه أو سوادهما ، ورقة بشرته أو خشونتها ، إلخ ، كذلك معرفتنا بانتهاء فرد من الأفراد إلى أحد النماذج الثمانية لا يعطينا صورة كاملة عن طبعه ، لأن هناك عوامل تكميلية تدخل في تحديد هذا الطبع وتلونه .

وقد ترك لوسين باب الكشف عن هذه المقومات التكميلية مفتوحاً ، بعد أن أشار هو إلى بعضها مثل : سعة ساحة الشعور ، الذكاء التحليلي ، التمركز على الذات أو التمركز على الغير .

وجاء جاستون برجييه ففرق بين نوعين من هذه العوامل التكميلية ، أسمى النوع الأول باسم العوامل التكميلية ، وأسماى النوع الثاني باسم عوامل الميل .

ونحن عارضون فيما يلي لهذه العوامل في صورتها التي انتهت إليها هذه المدرسة ، مع التذكير بأن باب الكشف عن عوامل أخرى ما يزال مفتوحاً أمام الباحثين .



سعة ساحة الشعور

(L)

يعرف كل منا بتجربته أن سعة شعوره تتبدل من حين إلى حين . فتارة يكون الشعور رجباً يشتمل على طائفة غنية من التصورات يطوف بينها الانتباه ، وذلك حين نتأمل منظراً من مناظر الطبيعة دون أن نقصد إلى ملاحظة شيء بعينه ، أو حين نطلق لخيالنا العنان دون أن نفكر في أمر بالذات وتارة يضيق الشعور ويتركز الانتباه على شيء معين لا يكاد يبرحه إلى غيره ، ولا يكاد ينظر فيما عداه ، وذلك حين نستغرق في ملاحظة شيء من الأشياء أو حل مسألة من المسائل . ففي الحالة الأولى يقال عن الشعور إنه واسع ، وفي الحالة الثانية يقال عنه إنه ضيق .

والناس يختلفون في سعة ساحة الشعور لديهم في الأحوال العادية . فإن كان الانفعال لدى جميع الناس يركز الانتباه على عدد صغير من الصور والمعاني والإحساسات إذ يدفع ما عداها إلى ما تحت الشعور أو يزيلها إزالة تامة ، فإن بعض الناس يتركز شعورهم ، عادة ، وبغض النظر عن الانفعال ، على عدد صغير من التصورات ، في حين أن بعضهم الآخر يحتوى شعورهم ، عادة ، وبغض النظر عن الانفعال ، على عدد كبير من التصورات . هناك أشخاص تكون أنفسهم

- (١) لويسين ، علم الطباع ، ص ١٠٤ - ١١٤ ، « المصير الشخصي » ، ص ٥٠ - ٥٣  
جاستون بروجيه ، تحليل الطبع ، ص ٥٤ - ٦٠ ، « الطبع والشخصية » ، ص ٣١ - ٣٤ ،  
إميل كاي ، « الطباع والخطوط » ، ص ٦ - ٧ ، روبرت ميترود ، « دراسة الطباع » ، ص ٦٣ -  
٨١ ، روجيه جايا ، « التحليل الطباعي لتلاميذ فصل من قبل معلمهم » ، ص ٩٣ - ١٠١  
آندره لوجال ، « علم طباع الأطفال والمراهقين » ، ص ٣٩ - ٤١



في حالة تركيز دائم ، في حين أن هنالك آخرين يظل شعورهم ، حتى حين يتركز على شيء بعينه بسبب حادث من الحوادث ، محاطاً بهالة واسعة تشمل على أمور غير ما يشغل مركز الفكر إن الأولين ذوو شعور ضيق ، وإن الآخرين ذوو شعور واسع ؟

فما هي مظاهر سعة الشعور وضيق الشعور ؟

إن التعارض بين ضيق الشعور وسعة الشعور يقابل التعارض بين « الصلابة والرونة » . هذان شخصان نفرض أنهما على طرفي هذا التعارض بين الضيق والسعة في ساحة الشعور . إنهما يريدان أن يجتازا شارعاً تمر به السيارات . إن الأول يشد بصره إلى نقطة معينة من الرصيف الثاني يسرع إليها دون أن يرى كل ما في الشارع من احتمالات يجب أن يتلاءم معها ، فإذا به وهو يجتاز الشارع يفاجأ في كل لحظة بمجديد يجب أن يستجيب له ، وإذا به يسير على خط يتكسر في كل لحظة تبعاً للظروف الجديدة ، فلا يكون في خطاه مرونة ولا رشاقة . أما الثاني فإنه يسير على خط متموج متئن ، يغطي بطيئة ولكنها مرنة ، تتلاءم مع جميع احتمالات الموقف ، دون مباغيات تغير السلوك على حين غرة ، وتكسر خط السير ، لأن شعوره الواسع يتيح له أن يتوعب جميع الاحتمالات بنظرة شاملة . إن الأول ، لتركز شعوره على شيء معين هو النقطة التي يريد أن يصل إليها من الرصيف الثاني ، يذهل عن كل ما عدا ذلك ، أما الثاني فيظل انتباهه متدأ على غير ما يهدف إليه من غاية محدودة .

« فالحرقاة والرشاقة مظهران لضيق ساحة الشعور وسعة ساحة الشعور . فالأحرق هو ذلك الذي إذا قام لغرض من الأغراض اصطدم بطرف المنضدة أو قلب آنية الأزهار لأنه مشدود الانتباه إلى غايته ، « ذاهل » عن كل ما عداها . أما الرشيق فهو الذي يتحرك حركة مرنة رشيقة لأن انتباهه رغم انصرافه إلى غاية بعينها لا يذهل عن الأمور الأخرى .

على أن ضيق ساحة الشعور وسعته يتجلبان خاصة في الحياة العقلية ، « فلا عجب أن نرى هذا العامل يؤثر في أسلوب الفكر أو الإبداع الفني أكثر

ما يؤثر في طرز الحياة العملية « (جاستون برجييه ، «تحليل الطبع» ، ص ٥٥) .

إن ضيق ساحة الشعور يركز الفكر على شيء بعينه مستقل عن غيره . ولاشك أن هذا يسهل ملاحظة الشيء بدقة ، ويسهل تحليله واستفاد عناصره . ولكن من شأنه أيضاً أن يبعد عن بؤرة الشعور كل ما عدا ذلك الشيء الذي يستأثر بها ، أما سعة ساحة الشعور فهي تتيح للفكر أن يطوف ويحوم ، فما يسيطر على الذهن تصور بعينه يحتكر ساحة الشعور ، بل يعانق الانتباه أحياناً من التصورات يضيئها كلها بنوره ، ويصهرها في بوتقته ، وتترقق في الفكر موجات من التأثيرات ليس بينها انقطاع ولا حدود .

إن ضيق ساحة الشعور يجعل الفكر ينتقل من تصور إلى تصور على التالى فهو يحلل ، ثم يجمع التصورين في مرحلة تالية ويربط بينهما فهو يركب ، فالفكر لدى من ضاقت ساحة شعوره فكر استدلالى . أما سعة ساحة الشعور فهي تتيح للفكر أن ينفذ إلى الأمور بنظرة شاملة وأن يدرك العلاقات بينها على صورة متحركة ، فالفكر لدى من اتسعت ساحة شعوره فكر حدسى

وإنما يرجع الاختلاف بين فيلسوفين مثل ديكارت وبرجسون في المنهج الفلسفى وفى المذهب الفلسفى إلى أن الأول ضيق ساحة الشعور ، فى حين أن الثانى واسعها . إن فلسفة الفيلسوف مستمدة من مقومات طبعه . وهذا ما ألتح عليه جاستون برجييه فيما يتعلق بساحة الشعور على وجه الخصوص . فهو يرى أن من الطبيعى أن يدعو ديكارت إلى التحليل والتركيب مهجاً فلسفياً لأنه ضيق ساحة الشعور ، ومن الطبيعى أن يرفض برجسون ذلك المنهج وأن يدعو إلى الإدراك الحدسى فى النظر إلى الأمور لأنه واسع ساحة الشعورم إن ما يتبته إليه ديكارت هو المكان الذى يمكن أن تدرك أجزاؤه مستقلة ، واحدة بعد أخرى ، وما يتبته إليه برجسون هو الزمان الذى ينساب متصلاً غير منقطع ولا سبيل إلى إدراك حركته إلا بجدس . وما أشبه الفرق بين الفيلسوفين بالفرق بين الرسام أو النحات الذى يعمل فى المكان ، وبين للموسيقى الذى يعمل فى الزمان .

ويذهب جاستون برجييه إلى أبعد من ذلك فيرى أن الاختلاف في سعة ساحة الشعور لدى شاعرين مثل بودلير وفرلين هو الذى يطبع قريض كل منهما بطابعه الخاص ، ويفرض عليه روحه الخاصة . فبودلير ، الضيق الشعور ، يميل إلى ما هو محدد القسمات واضح الملامح ثابت لا يتحرك (إنه كالرسم) ، أما فرلين ، الواسع الشعور ، فينفر من ذلك كله ، ويفرق في الحركة والغموض والإيهام . ويستشهد برجييه على ذلك بقصيدة لفرلين تعلن عن هذا الميل وتدعو إلى هذا الاتجاه إذ تنفى بموسيقى غائمة تنحل في النسيم ، بغناء أصعب ينضم فيه اللامحدود إلى المحدود ، بالأعين الجميلة تترأى من وراء حجب ، بزرقه ضياء النجوم في سماء الحريف الرطب . إن فرلين يؤثر اللوين على اللون (جاستون برجييه ، « تحليل الطبع » ، ص ٥٦ - ٥٧) .

وقد حاول جاستون برجييه أن يعلل بالفرق في سعة ساحة الشعور بين الرسامين أنفسهم ما يلاحظ من اختلاف بينهم في الاتجاهات الفنية فوضوح الحواشى مثلا إنما يلاحظ لدى ضيق الشعور من الرسامين (أمثال فان جوخ وبيكاسو) وغموضها يلاحظ لدى واسعى الشعور منهم (أمثال رونوار) . إن من الرسم ما هو أشبه بالموسيقى إنسياباً وتداخلاً وإبهاماً (المصدر السابق ، ص ٥٨) .

وإن تأثير سعة الشعور في الفكر لا يتجلى على صعيد المنهج الفلسفى أو الإبداع الفنى فحسب ، بل يتجلى كذلك في الحياة اليومية . ألم يدهشك في بعض الأحيان أن شخصاً تعرف قوة ذكائه وسعة ثقافته ، يصير على رأى رآه في نقاش معك رغم جميع ما تورد من حجج تبطل هذا الرأى وتظهر فساده المفضوح؟ إن المسألة هي أن صاحبك قد بلغ من تركيز الانتباه على حججه أنه لا يستطيع أن « يرى » ما تعرض أنت من حجج . إن شعوره الضيق قد أوصد ذهنه على فكرته دون كل ما عداها (راجع الأسئلة ٤ ، ١٤ ، ٢٤ ، ٣٤ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ٦٤ ، ٧٤ ، ٨٤ ، ٩٤ من استجواب جاستون برجييه) .

## القطبية

( الأنوثة والذكورة<sup>(١)</sup> )

(V,Ms)

لكل واحد من الناس طريقته في معاملة الآخرين ، فهو إما أن يسير إلى تحقيق أهدافه بمصارعتهم ، وإما أن يسلك إلى ذلك سبيل إغرائهم . أما الطريقة الأولى فهي التي تسند إلى الرجل ، وأما الطريقة الثانية فهي التي تعزى إلى المرأة . والحق أن جميع الناس ، رجالا ونساء ، يغلب على بعضهم الطابع الأول ، ويغلب على بعضهم الآخر الطابع الثاني . لذلك يمكن تصنيفهم في نموذجين ، نموذج يطلق عليه جاستون بروجيه اسم « النموذج مارس » ( إله الحرب في الأساطير ) ، ونموذج يطلق عليه اسم « النموذج فينوس » ( إلهة الاغراء في الأساطير )

إن النموذج مارس يبحث عن الصراع والتنافس والخصومة . فإذا كان من المشتغلين في الأمور العقلية مثلا رأيناه لا يكمل من المجادلة ، ولا يبني يبحث عن خصم يناقشه / إنه لا يبحث عن النقاط التي يمكن أن يتخذ حولها اتفاق ، بل عن النقاط التي يمكن أن يحدث حولها الصراع . وليس أبغض الخصوم إلى

(١) هذا العامل التكميل قد كشف عنه جاستون بروجيه وأوضحه في كتابه « تحليل الطبع » (راجع ص ٦٠ - ٧٠ من هذا الكتاب ، وراجع أيضاً كتاب بروجيه « الطبع والشخصية » ص ٣٤ - ٣٧ ) ، ولم يشر لوسين إلى هذا العامل في « علم الطبع » ولكنه ذكره في كتابه « المصير الشخصي » الذي صدر بعد ذلك عام ١٩٥١ ، محاولاً إلقاء بهاميل « التمرکز على الذات والتمرکز على الغير » الذي سبق أن أشار إليه في « علم الطبع » (راجع « المصير الشخصي » ، ص ٥٣ - ٥٦) . ويقول بروجيه « إن الدراسة المباشرة للأفراد الأحياء هي التي أوحت إلينا بهذا العامل ثم جاء تطبيقه على عدد من سير رجال التاريخ مؤيداً لتطوره : كما أن الإحصاء مصداق لواقعته (برجيه ، « تحليل الطبع » ، ص ٦٠) .

نفسه ذلك الذي يجابه بل ذلك الذي يتحاشى المناقشة ، ويرفض الدخول في وطيسها . حتى أنه لا يكره خصومه بل يشعر نحوهم بالاحترام والحب . وإذا كان فيلوسوفاً رأيت تفكيره يجرى على أساس التعارضات التي لا سبيل إلى المصالحة بينها . إنه ينفر من التوفيقات والتسويات المصطنعة . « إما . . . وإما » هكذا كان عنوان أحد كتب كبير كعجود الذي ينتمى إلى النموذج مارس .

ويمتاز أفراد النموذج مارس بالنبل : فهم يحبون الرفعة والعظمة ، ولا ينحدرون إلى أعمال دنيسة قد بتورط فيها أفراد النموذج فينوس .

أما أفراد النموذج فينوس فهم يكرهون الصراع ، ولو أوتوا أسباب النصر فيه . وهم لذلك يكرهون من يحملهم على القتال حملاً ، فلا يرحمونه إذا جروا أخيراً إلى منازلته . لئلا يسهل عليهم .

ويرى جاستون بريجه ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، أن كلا النموذجين ، مارس وفينوس ، يلاحظان في الجنسين كليهما . وهذه « حالة » يسوقها للاستشهاد على وجود النموذج مارس بين النساء<sup>(١)</sup> :

« الآتية ن د . . . عمرها ٤٠ سنة صيغتها الطباعية ٤٨٢<sup>(٢)</sup> . . . تنتمي إلى النموذج مارس على نحو واضح . ليس فيها شيء من غندرة . لباس بسيط ، وأحياناً مهممل . تفضل ارتداء التايور ، وتحب أن تضع يديها في جيبية . تكره الترتين بالحلى . تلدخن كثيراً ، وتحب الشراب ولكنها لم تسكر ولم يطش ضواها يوماً . تسعى إلى مصاحبة الرجال وتعاملهم معاملة الرفاق . تحب المناقشات الفكرية . تكره النفاق وتؤثر القسوة على الممالة . وهي في حاجة مطلقة إلى الاستقلال . لا تستطيع أن تتحمل أى ضغط ، وتبرد رداً عنيفاً على كل أنواع الضغط التي تكون بحكم الظروف طبيعية جداً . تحب رياضة السكى ، وتميل إلى القيام بجولات بالسيارة وحدها ، وتتمنى لو تركب الموتوسكل لأن ذلك يشع

(١) جاستون بريجه ، « تحليل الطبع » ، ص ٦٥

(٢) المقصود بهذا طبعاً أنها على سلم المقويات المدرج من ١ إلى ٩ تحتل في الانفعالية الدرجة ٤ ، وفي الضمالية الدرجة ٨ وفي الترجيع الدرجة ٢

رغبها في التمارين العنيفة وحاجتها إلى الاستقلال عن كل إنسان . لا تتردد عن التعرض لأخطار كبيرة . . . لا تحاول أن تحظى برضى الآخرين ، وتحتر الظفر باعجاب الناس . ولكنها تقيم وزناً كبيراً لاحترام عدد من الأشخاص النادرين . حياتها الجنسية طبيعية تماماً ( وهنا يشير جاستون برجييه إلى أن النساء اللواتي يتتمين إلى النموذج مارس والرجال الذين يتتمون إلى النموذج فينوس ليس بهم ميل خاص إلى الجنسية المثلية ) . لقد أحببت مرة حباً كبيراً ، ولكنها عرفت عدداً من المغامرات اشتركت فيها حواسها دون القلب .

ويرى برجييه أن هذا العامل ربما كان أهم عامل في العلاقات بين الأفراد ، ولا سيما في العلاقات بين الرجال والنساء . فالشيء الذي أضفى على العلاقة بين نابليون وجوزيفين مثلاً طابعها الخاص هو أن نابليون يتسمى إلى النموذج مارس وأن جوزيفين تنتمي إلى النموذج فينوس . ولا كذلك موسىه وجورج صاند ، فلقد كانت المرأة في هذه العلاقة هي التي تنتمي إلى النموذج مارس وكان الرجل هو الذي يتسمى إلى النموذج فينوس . وحين يكون كلا الرجل والمرأة من النموذج فينوس نلاحظ الحياة المتبادلة ، وحين يكونان كلاهما من النموذج مارس نلاحظ الحب الذي يتغذى من الخصومة ويعيش بها .

وقد رد جاستون برجييه على سؤال يخطر بالبال ، وهو : ألا يمكن أن يرجع عامل القطبية هذا إلى تزاوج العوامل الأساسية الثلاثة ( الانفعالية ، الفعلية ، الرجوع ) ؟ أليست الرغبة ومحبة القتال من خصائص الجموح ؟ لقد اعتمد برجييه على الاحصاء ليقول : إن النموذجين مارس وفينوس شائعان في النماذج كلها على حد سواء . وإن إدخال هذا العامل عند التشخيص يمنع من الالتباس ومن الوقوع في الخطأ ، فإن نشه مثلاً يمكن أن يعد جموحاً حين النظر إلى هجوميته ، مع أنه في الواقع عاطفي من النموذج مارس . والجموح قد يكون من النموذج مارس كتابوليون ، وقد يكون من النموذج فينوس ، فإذا هو يقود الناس دون أن يشعر أحد بأنه يقودهم ، لأنه لا يعتمد إلى الاكراه ، بل إلى الاغراء .

(راجع الأسئلة ٥ ، ١٥ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٨٥ ،

٩٥ من استجواب جاستون برجييه)

## ٣

## الذكاء

( I )

« ما من كلمة كالذكاء أقبل لكثير من المعاني . وما من شيء أهم للإنسان من أن يكون موهوباً ذكاءً أو غير موهوب ذكاءً ، أو قل أن يكون ذكياً كثيراً أو قليلاً . فيجب إذن أن ندخل الذكاء في جملة الصفات الطباعية ، على أن نحدد ما نقصده من هذه الكلمة » . ( لوسين ، « علم الطباع » ، ص ١١٤ ) .

ويحدد لوسين ما يقصده من كلمة الذكاء فيقول : إنه « القدرة على التحليل » هذه القدرة التي تمكن الإنسان من أن يستخرج من التجربة العناصر العقلية والمبادئ والعلاقات .

فيجب أن نفرق إذن بين الذكاء من حيث هو « قدرة على التحليل » ، وبين الذكاء من حيث استعمال هذه القدرة . أما الذكاء من حيث هو قدرة على التحليل فهو مستقل عن عناصر الطبع الأخرى ، مرهون بشروط عضوية خاصة به . وأما الذكاء من حيث هو استعمال هذه القدرة ، فهو مرهون بعناصر الطبع الأخرى . هناك الذكاء العارى ( على حد تعبير جريجيه ) ، وهناك الذكاء الموظف ( على حد تعبير جريجيه أيضاً ) . وعناصر الطبع المختلفة هي التي توظف الذكاء في استعمالات مختلفة ، تبعاً لما تحدده من اهتمامات ، وهي التي تعين مردوده تبعاً لقوتها أو ضعفها .

( ١ ) لوسين ، « علم الطباع » ، ص ١١٤ - ١١٨ ، « المسير الشخصي » ، ص ٥٦ - ٥٧

تقديم كتاب بول جريجيه « الاكاء والتربية العقلية » ، ص ٧ - ١٢

وسوف نرى كيف أن الهوى العقلى هو الذى إذا توافر للشخص وظف ذكائه للفهم ، وكيف أن الميل إلى الاستيلاء هو الذى يوظف الذكاء للعمل ، فهذا ما ذهب إليه جاستون برجييه (راجع فيما بعد ، ص ٧٥) .

والعقريّة العقلية إنما هي ثمرة تعاون الذكاء من حيث هو قدرة على التحليل مع عناصر الطبع الأخرى التي تمكن من استعمال الذكاء إلى أبعد الحدود ، وتمكن من استخراج كل خيراته : كالتفعية اللازمة للمبادأة والبحث والمتابعة ، وكالاتفعية اللازمة لتغذية الاهتمامات بحيث تبقى على مواصلة البحث ، وكالترجيع البعيد الذى يسلح الذكاء بذكريات بعيدة ، وكالهوى العقلى الذى يصرّف الاهتمام إلى الفهم .

وقد رأينا كيف أن ضيق ساحة الشعور أو سعتها يضيفان على الذكاء طابعاً خاصاً .

إن الناس يتفاوتون في مقدار ما يملكون من ذكاء ، من حيث هو « قدرة على التحليل » ، وفي مقدار ما يملكون من قوى تخصب هذا الذكاء ، وتعين مجالات نشاطه ، وتطبعه بطابع خاص<sup>(١)</sup> .

والذكاء الضرف ينبغى إذن أن يدخل مقومة من المقومات التكميلية للطبع ، وأن يعين مقداره بدرجة دون ٥ أو فوق ٥ ، فيعد الشخص ذكياً إذا كانت درجته فوق ٥ ، ويقال عنه إنه لا ذكى إذا كانت درجته دون ٥ ، ويرمز إلى ذلك بـ ( I ) و ( nI ) .

(١) راجع الأثلة من ١ إلى ٢٣ من استجواب ميتريو ، وكذلك الأثلة من ٣٥ إلى ٧٥ من استجواب بول جريجه .



### الذكاء المعمّم والذكاء المفرد<sup>(١)</sup>

ذهب ميتريو إلى أن الذكاء ، من حيث هو ذكاء ، وبغض النظر عن عوامل الطبع الأخرى ، يغلب عليه تارة أن يكون معمّمًا ، فيميل الشخص إلى إثارة القوانين والمبادئ والقواعد والعقل والنظريات ( وهذا ما يأخذه الإنجليز على الفرنسيين ، راجع لوسين ، « المصير الشخصي » ، ص ٥٦ ) ، ويقب عليه تارة أخرى أن يكون مفردًا فيميل الشخص إلى إثارة الوقائع والتفاصيل والمعلومات التجريبية ( وهذا ما يأخذه الفرنسيون على الإنجليز ) .

لذلك قسم ميتريو الناس ، من ناحية الذكاء ، إلى معممين ومفردين ، تبعاً لغلبة الميل إلى التعميم أو الميل إلى التفريد .  
ومعنى ذلك أن اتصاف المرء بأحد هذين الميلين يجب أن يعد إحدى المقومات التكميلية من طبعه .

والحق أن تقسيم ميتريو هذا قد استلهم إشارات أوردها لوسين في كتابه « علم الطباع » ، وفيها حدثنا عن ميلين في الذكاء : أولاً الميل إلى البحث عن الوحدة ، والثاني الميل إلى ملاحظة الكثرة ، وقال إن أحدهما يغلب لدى بعض الناس ، في حين أن الثاني يغلب لدى بعضهم الآخر<sup>(٢)</sup> .

(١) ميتريو ، « دراسة الطباع » ، ص ٥٨ - ٦٢ ، لوسين ، « علم الطباع » ، ص

١١٧ - ١١٨ ، « المصير الشخصي » ص ٥٦ - ٥٧

(٢) راجع الأشلة من ١ إلى ٢٣ من استجواب ميتريو ، وكذلك الأشلة من ٥٢ إلى ٧٥

من استجواب بول جريجه .

## ٢ - عوامل الميل

الإستيعاب  
الإحتمالات الحسية  
المرددة  
المرددة المتناسقة

### الاستيعاب<sup>(١)</sup>

(Av)

المقصود بعامل الاستيعاب هو « هذه الحاجة ، التي يشعر بها الإنسان ، إلى إدخال العالم الخارجي في ذاته ، وإلى إحاطة شيئاً من مادته<sup>(٢)</sup> » .

ورغبة الإنسان في إدخال الأشياء إلى ذاته ذات وجهين ، أولهما الأخذ وثانيهما الاحتفاظ أما الوجه الأول فهو استيعاب الفعلين ، وأما الوجه الثاني فهو استيعاب ذوى الرجوع البعيد فإذا كان الشخص فعالاً<sup>(٣)</sup> ذا ترجيع بعيد

(١) يقول جاستون بريجه : « حين نخضع للاستجابات عدداً كبيراً من الأشخاص ، فرعان ما نلاحظ أن اتجاه الميول مستقل بعض الاستقلال عن بنية الصنع كما تعدد للعوامل الأساسية الثلاثة» أي الانفعالية والفعالية والترجيع ( بريجه ، « تحليل الطبع » ، ص ٧١ ) وذلك لأن العوامل التكوينية هي التي تحدد اتجاه الميول . لذلك ترك لوسين باب استخراج العوامل التكوينية مفتوحاً بعد أن أشار هو إلى بعض هذه العوامل ، مثل « عامل التمرکز على الذات والتمرکز على الغير » ( لوسين ، « علم الطبع » ص ١١٨ وما بعدها ) .

وقد توفّر جاستون بريجه على الاهتمام باستخراج العوامل التكوينية ، فأنهى أولاً إلى الكشف عن عامل القطبية الذي سبق الحديث عنه ، وأنهى أيضاً إلى اعتبار « عامل التمرکز على الذات والتمرکز على الغير » الذي أشار إليه لوسين عاملين اثنين .

وذلك لأن « التمرکز على الذات » و « التمرکز على الغير » يمكن أن يوجد سماً في شخص واحد بدرجتين اثنتين يمكن تمييزهما وقد بدل بريجه اسم هذين العاملين فأطلق عن الأول اسم Avidité أي « التهم » ، وأطلق على الثاني اسم Tendresse أي « المودة » وأنهى أيضاً إلى استخراج عاملين آخرين هما « الاهتمامات الحسية » و « المهوى العقل » . وقد أثبتنا أن تعبر عن عامل النهي العربية بكلمة الاستيعاب ، لأنها أدل على مضمون هذا العامل ، واحتفظنا لكلمة Tendresse بكلمة المودة .

راجع جاستون بريجه ، « تحليل الطبع » ص ٧١ - ٨٣ ، « الطبع والشخصية » ، ص ٣٧ -

.. ٤٠

(٢) جاستون بريجه ، « تحليل الطبع » ، ص ٧٤

تجلى استيلاؤه في الأخذ والاحتفاظ معا ( نابوليون ) ، وإذا كان فعالاً ذا ترجيح قريب تجلى استيلاؤه في الأخذ دون الحرص على الاحتفاظ ( جوته ) ، وإذا كان غير فعال ذا ترجيح بعيد تجلى استيلاؤه في الاحتفاظ دون الأخذ وهذا هو البخل .

وكل وجه من وجهى الاستيلاء هذين يقو أصحابه في حكمهم على أصحاب الوجه الآخر ، نلاحظ ذلك ، على صعيد سيكولوجية الشعوب مثلا ، فيما يراه كل من الشعب الأمريكى والشعب الفرنسى من رأى في الآخر فالأمريكيون فعالون على وجه العموم ، يتجلى ميلهم إلى الاستيلاء في البحث عن الربح ، والفرنسيون عاطفيون على وجه العموم يتجلى ميلهم إلى الاستيلاء في الحرص على الاحتفاظ وكلا هؤلاء وأولئك يروى بعضهم بعضاً بالنعبة فالأمريكيون يظهرون للفرنسيين نفعين لتهاكهم على الكسب ، والفرنسيون يظهرون للأمريكيين نفعين لتقتيرهم في إنفاق ما يملكون .

وتختلف الصور التى يتجلى فيها الاستيلاء باختلاف العوامل التكميلية الأخرى التى يتحد بها ويتفاعل معها ، وباختلاف ذكاء الفرد وقابلياته ، وباختلاف ما تهدف اليه « حريته » أيضاً فالاستيلاء لدى الشخص الذى تسيطر عليه الاهتمامات الحسية<sup>(١)</sup> والذى لم يؤت إلا ذكاء ضعيفاً ، يتجلى في الشراهة والتهاك على الربح وحب الجمع ، إلخ ، وهناك نوع من حب المعرفة لا شأن له بالهوى العقلى الذى ستحدث عنه فيما بعد ، وإنما هو الميل إلى الاستيلاء وقد تصعد ، وهو يتجلى في الرغبة في جمع المعلومات وفي حشد الذاكرة بأكبر مقدار من المعرفة ، ولو تمثلها صاحبها ونظمها ، لأن معرفته وسيلة لغاية يدفعه إليها الميل إلى الاستيلاء ، فهى تزيد قوته وتوسع سلطانه .

وإذا كان صاحب الميل إلى الاستيلاء ينتمى إلى النموذج مارس أخضع الآخرين بالقسوة والضغط المباشر ، وإذا كان من النموذج فينوس عمد إلى الإغراء ، فسخر الآخرين لمآربه دون أن يطلب إليهم في ظاهر الأمر شيئاً .

والاستيلاء والمودة قد يجتمعان في نفس واحدة فيتصارعان . وأجمل مثال على هذا التصارع نشه فلئن أجاد نشه في وصف إرادة القوة فلأنه عرف نداءها بتجربة حية في ذات نفسه ، ولكنه كان إلى ذلك رقيق القلب مفعماً بروح الشفقة ، فكان إذ يجارب الشفقة إنما يحزب نفسه . لقد نعى على المسيحية أنها مضت بالشفقة إلى المطلق ، ولكنه كان في الوقت ذاته يوحد في هذياناته بين نفسه وبين يسوع المصلوب . إن زرادشت هو أسمى الحكماء قلباً وأرقهم قلباً في آن واحد . ويتأزم الصراع في نفس نشه ثم يتأزم ، دون أن يجد مخرجاً ، فإذا الشخصية كلها تفرقع ، وإذا الرجل الذي يدعو إلى قسوة لا ترحم يتهاوى في نوبة حادة على عنق حصان يضربه صاحبه .

ولا بد من الإشارة إلى أن الاستيلاء الذي نتحدث عنه ميل طبيعي يكون قوياً ويكون ضعيفاً ، ولكن لا شأن له بالأخلاق . فلئن أمكن أن يتجلى في تلك الرغبة التافهة في جمع الأشياء ، ولئن أمكن أن يكون هو الأصل في ذلك الحرص اللذيم على إخضاع الآخرين ، فإنه قد يلهم صاحبه تلك الرغبة النبيلة الرفيعة في الاستزادة من أسباب الكمال إلى غير نهاية ، كما أنه مصدر تلك الفضيلة التي يقدرها الأخلاقيون حتى قدرها ، أعنى احترام الكرامة الشخصية . فن كرمت نفسه عليه لرغبة في الحصول على اعتبار الناس ترفع عن الدنيا ولم يسف .

(راجع الأسئلة ٦ ، ١٦ ، ٢٦ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٧٦ ،

٨٦ ، ٩٦ من استجاب جاستون برجييه) .

الاهتمامات الحسية<sup>(١)</sup>

(IS)

الإحساس في الأصل هو ما يستهديه الكائن الحي في معرفة ما يضره وما ينفعه . ولكن اللذة الحسية يمكن أن تستقل لدى الإنسان عن الفائدة الحيوية ، فإذا هي غاية بعد أن كانت إشارة .

وهذا الاستقلال لا يكون بدرجة واحدة من القوة لدى جميع الناس ، ويستطيع علم الطبايع أن يفرق بين الأفراد على هذا الأساس فالإحساس لدى بعض الأشخاص لا يعدو أن يكون إشارة ومعرفة ، فما حمرة الفاكهة عنده إلا إشارة إلى نضجها وإلى مالها من قيمة غذائية ، وما اصطفاق الأمواه الرائحة إلا إشارة إلى أنه يستطيع أن يروى ظمأه أو أن يستحم ولا كذلك أشخاص آخرون ، فللاحساس لديهم قيمة مستقلة عن الفائدة الحيوية ، يستلمون له ، ويفرقون فيه ، ويدوقون منه متعة لا شأن لها بالمنفعة البتة وهذا الإحساس الصرف هو أساس الفن .

ولئن كان لا يكفي أن يملك المرء هذه الاهتمامات الحسية حتى يكون فناناً ، ولئن كان لا بد له من قدر كاف من النشاط كى ينتج أثراً فنياً بدلا من الاستسلام للأحلام ، ولئن كان لا بد له من قدر كاف من القابليات والمواهب كى يستطيع التعبير عما يحسه تعبيراً موفقاً ، فإنه لا يمكن لامرء أن يبدع أثراً فنياً تصويرياً إذا كانت اهتماماته الحسية ضعيفة مسرفة في الضعف

(١) جاستون برييه ، « تحليل الطبع » ، ص ٨٣ - ٩٠ ، « الطبع والشخصية » ، ص ٤٠ - ٤٢ ؛ راجع أيضاً لوسين ، « علم الطبايع » ، ص ١١٨ - ١٢٢ ، « المسير الشخصي » ص ٥٣ - ٥٦ ، وذلك للتقريب بين العامل الذى يسميه « المتمركز على الذات » وبين العامل الذى يصفه جاستون برييه تحت اسم « الاستيلاء »

وإذا انضافت الاهتمامات الحسية القوية إلى نسر كاف من الهوى العقلي رأينا الشخص يعنى بالمشكلات الفنية ويفكر فيها ، حتى إذا كان الهوى العقلي غالباً رأينا حب الفهم ينتصر على الرغبة في الإحساس ، فإذا توافرت القابليات اللازمة رأينا الشخص يتجه إلى التقدر لا إلى الخلق .

وإذا اجتمعت الاهتمامات الحسية إلى مودة كبيرة خرج من ذلك الحب السوى الذى يتحد فيه القلب والحواس في تناوؤ منسجم وإذا أضيفت الاهتمامات الحسية إلى رغبة قوية في الاستيلاء وإلى ضعف في الذكاء أدت إلى النهم والترف العامى ، حتى إذا أحس الاستيلاء في هذا التراوح بأنه محروم فأوجد عقدة نقص يجعلها مارس عدوانية ، انزلت الفرد إلى القسوة وإلى السادية ، أما إذا كانت الاهتمامات الحسية ميطرة سيطرة قوية تجلت على وجه العموم في الترجسية التى تنقل العناية بالذات من الباطن إلى الظاهر

( راجع الأسئلة ٧ ، ١٧ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٧٧ ،

٨٧ ، ٩٧ من استجاب جاستون برجييه ) .

### ٣

#### المودة<sup>(١)</sup>

(T)

أول مظاهر المودة في الرجل ميله إلى النساء : حتى ولو كان لا يطمع منهن في إرواء الشهوات (مارسيل بروسى) ، أو كان يحيطهن بأجل مشاعر الاحترام (لامارتين) أو كان يتخذهن صديقات مثاليات لا أكثر (أميل) .

(١) جاستون برجييه ، « تحليل الطبع » ، ص ٩٠ - ١٠٠ ، « الطبع والشخصية » ، ص ٤٢ - ٤٥ . راجع أيضاً لويسين ، « علم الطباع » ص ١١٨ - ١٢٢ ، « المصير الشخصى » ، ص ٥٣ - ٥٦ ، « نذلك للتقريب بين العامل الذى يسيه « المركز على الغير » وبين العامل الذى يصفه برجييه تحت اسم « المودة » .

فالرجل الودود يعنى بالنساء مهما تكن قطبته ومهما تكن العواطف الأخرى التى تضاف إلى مودته . قال آميل « أحب جميع النساء » ، وقال أيضاً « الشيء الوحيد الذى يعينى هو عواطف الحب ، هو النساء » ومثل ذلك قال ستاندال المتحلل « كان الحب أهم قضية فى حياتى ، بل كان القضية الوحيدة . »

ولا كذلك الرجل الذى لا مودة له ، مثل لويس الحادى عشر ، فالنساء لا يجتذبه كثيراً .

ومعنى ذلك أن المودة مرتبطة بالدافع الجنىسى ولكن ليس معناه أن عمق المودة متناسب مع قوة الطاقة الجنىسية . فهناك أناس لا يملكون المودة مع أنهم يملكون قوة جنسية كبيرة ( لافونتين ، فولتير ) . يقول جاستون برجييه إنه لمن الشائق أن نستطيع معرفة قوة الطاقة الجنىسية لدى فرد من الأفراد ، ولكننا لا نملك إلى الآن أية وسيلة تفيدنا فى هذا والتحليل النفسى لا يعفنا هنا ، ذلك لأن شدة القلق الذى يتأب المريض لا يتناسب مع شدة طاقته الجنىسية ، وشذوذ السلوك اعصابى ليس إشارة إلى قوة النشاط الجنىسى . وكل ما نستطيع الاستقصاءات أن نطلعنا عليه فى هذا الصدد هو أن قوة المودة لا تصحب بعدم مبالاة بالجنس الآخر .

ويضيف برجييه إلى ذلك قوله إذا شئنا أن نقدر الطاقة الجنىسية الكلية فربما كنا نستطيع أن نقرب من هذا التقدير إذا عبرنا عنها برقم تلخل فى حسابه الفعالية وكل ميل من الميول الأربعة بأمثال مناسبة فنحصل على معادلة كالمعادلة التالية

$$Sex. = \frac{2A + Av + 2Is + 4T + Pi}{10}$$

باعتبار A الفعالية ، Av الاستيلاء ، Is الاهتمامات الحسية ، T المودة ، Pi الهوى العقى<sup>(١)</sup> .

(١) يذكر جاستون برجييه أن هذه للمعادلة لا تزيد على أن تكون فرضية ينبغى أن تتحقق لتجربة من صدقها وأن تزيد دقة ، وإنما أوسى بها إليه ما لاحظته من أن الطاقة الجنىسية تصادف

ومن آيات المودة في الشخص ميله إلى الصداقة ، لا الصداقة التي هي تبادل منافع وممتعة حديث فكري ، بل اتحاد روحيين وهبت كل منها نفسها للآخرى فإذا الصديق يحب صديقه ناسياً نفسه ويعني بأفراحه وشجونه أكثر مما يعنى بما له من مثل ذلك « بدون أصدقاء ، كيف تمكن الحياة ؟ » هكذا تهد آميل هانفأ

ومن آيات هذه المودة أيضاً حب الأطفال . فحين لا يكون اهتمام الرجل بالنساء مشغولاً بميله إلى الأطفال ، يكون راجعاً إلى اللذة الشهوانية لا إلى المودة . هكذا كان لافونتين : يحب النساء ولا يحب الأطفال ، لأن قلبه خلو من المودة . والطيبة من آيات المودة أيضاً ونعني بالطيبة تلك القدرة الطبيعية على مشاركة الآخرين انفعالهم . وهي تختلف عن المبادرة إلى معونة الآخرين ، فرب فعال يساعد الناس دون مودة في القلب بل بدافع ما يعتقد أنه الحق ورب ودود يعوزه النشاط فلا يعبر عن تعاطفه القلبي بأفعال إيجابية ، حتى لقد تؤدي المودة إلى شعور بالتمرد يؤدي إلى القسوة والظلم ، فالانفعال الالفعال ، الشاعر بضعفه دائماً ، يزداد تأذيه على قدر ازدياد مودته ، فهو لا يريد أن يكون رهناً بكل ما يقع للآخرين ، فإذا كان إلى ذلك مجباً للاستيلاء فزهواً ، وكان من النموذج مارس ، كافح ما يحسه في نفسه من شفقة كفافاً لا هوادة فيه ولا أمل منه (نشته) ، وقد يدفعه هذا كله إلى اقرار أعمال من القسوة والظلم ، فالجث ليس نقيض الطيبة ، وإنما نقيضها اللامبالاة .

ويذكر جاستون برجييه أن المودة لا ترجع إلى الانفعالية ، فما ينبغي أن نخلط بين الأمرين كما قد يعرض لنا أن نفع في هذا الخطأ . فهناك انفعاليون من غير مودة ، قد يجرح كبرياءهم أيسر الأمور إذا كانوا من الميالين إلى الاستيلاء ، وقد يهزم مشهد مسرحية إلى-أبعد الحدود إذا كانت لهم اهتمامات

---

أقوى ما تكون لدى الفعاليين ذوى المودة والاهتمامات الحسية . ويجب أن نذكر ، من جهتنا ، أن لوسين قد أشار غير مرة إلى أن القوة الجنسية مستقلة عن مقومات الطبع ، كما سير بنا ذلك ، خلافاً لما يوصى به جاستون برجييه .



حسية قوية وهوى عقلى كاف ، ثم هم لا يبالون الآخرين . ورب شخص بارد العاطفة ثم هو على جانب من المودة والاهتمام بالآخرين .

فيجب أن نفرق إذن بين المودة والانفعالية . ومن إغفال العوامل التكميلية قد يخطئ أحدنا فيحشر أحد الأفراد في نموذج غير النموذج الذى ينتمى اليه . فكذاك أخطأ لوسين ، فيما يرى برجيه ، حين عد فولتير دمويًا ، وما هو كذلك . فلقد كان فولتير ، في رأى جاستون برجيه ، انفعاليًا ، ولكن بلا مودة . كان يهزه أسر الأمور هزاً قوياً ، وكان يضطرب لأنفه الحوادث ، فهو غضبي لا دموي<sup>(١)</sup> .

وقد حاول جاستون برجيه أن يبين فى الجدول التالى كيف تنشأ أنواع الحب المختلفة من تزاوجات بين مختلف العوامل شئى

|               |   |                                     |   |                  |
|---------------|---|-------------------------------------|---|------------------|
| انفعالية      | + | اهتمامات حسية + مودة                | = | هيام             |
| مودة          | + | عدم اهتمامات حسية + عدم امتيلاء     | = | حب مجنح          |
| مودة          | + | استيلاء                             | = | حب تملك واستبداد |
| انفعالية      | + | فعالية + مودة + مارس (لدى الاثنتين) | = | حب خصام          |
| اهتمامات حسية | + | ترجيح قريب + عدم مودة               | = | حب نزوات         |
| عدم مودة      | + | فينوس                               | = | غنج              |
| عدم امتيلاء   | + | عدم اهتمامات حسية + مودة + هوى عقلى | = | حب فلسفى         |
| عدم مودة      | + | اهتمامات حسية + هوى عقلى            | = | حب ذوق           |
| عدم انفعالية  | + | مارس + عدم اهتمامات حسية            | = | حب تقدير         |

(راجع الأسئلة ٨ ، ١٨ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٨ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٧٨ ، ٨٨ ، ٩٨ ، من استجابات جاستون برجيه ) .

المهوى العقلي<sup>(١)</sup>

(Pi)

كما تحقق الاهتمامات الحسية نوعاً من الانفصال عن المنفعة ، كذلك يحقق المهوى العقلي نوعاً من الانفصال عن الفائدة العملية .

ليس المهوى العقلي رغبة في جمع المعلومات ( فهذه الرغبة إنما ترجع إلى حب الاستيلاء لا إلى المهوى العقلي ) ، وإنما هو رغبة في الفهم إن الميل إلى الاستيلاء يحمل على العناية بالوقائع والأسباب ، أما المهوى العقلي فيحمل على العناية بالقوانين والعلل . معرفة السبب تتيح العمل ، ومعرفة العلة لا تزيد على أن تفسر . لقد كان ليوناردافنشى شديد حب الإطلاع ، ولكن حب الإطلاع عنده إنما يرجع إلى الرغبة في الاستيلاء لا إلى المهوى العقلي ، فهو ينشد المعرفة لتطبيقاتها العملية قبل كل شيء . لم يكن يريد أن يعرف وإنما كان يريد أن يعرف كيف يصنع كيف يصنع لوحات ، أو آلات حربية ، أو جسوراً ، أو كنائس . لقد كان مهتماً . وإذا نظرنا إلى حب الإطلاع لدى مونتيي لاحظنا أيضاً أنه لا يرجع إلى حب الفهم ، فليس يشتمل على تلك الرغبة القوية في تحليل الأشياء . ولئن استطاع مونتيي أن يفهم ، فإن ذلك يرجع إلى ما يملك من قدرة كبيرة على الفهم لا إلى رغبة عميقة في الفهم .

فيجب أن نفرق بين المهوى العقلي الذي هو رغبة في الفهم وبين الذكاء الذي هو قدرة على الفهم . إن مونتيي لا يملك المهوى العقلي إلى درجة كبيرة ، ولكنه يملك من الذكاء قدراً عظيماً ، وقد استطاع أن يفهم دون أن يجهد في سبيل ذلك . إن بعض العلماء أغبياء . أما مونتيي فقد كان كسولاً ذا عبقرية .

(٢) جاستون بيرييه ، « تحليل الطبع » ، ص ١٠٠ - ١٠٤ ، « الطبع والشخصية » ،

وإذا نظرنا إلى حب الاطلاع لدى جوته انفتح لنا الفرق بين حب المعرفة الذى ينبع من الرغبة فى الاستيلاء وبين حب المعرفة الذى ينبع من الهوى العقلى . فلقد كانت المعرفة لدى جوته سبيلا إلى الكمال الشخصى ، وكان انفتاحه للعالم يهدف إلى تمثل العالم ، والازدياد به ، لا إلى التمتع بفهمه من أجل الفهم ذاته . وهذا ما أدركه فيه أحد نقاده إذ قال عنه « إن جوته لا يدرس من أجل أن يتعلم ، ولا من أجل أن يعرف ، بل من أجل أن يكون فالمعرفة ليست غرضه الحقيقى ، وإنما الحياة كل شىء عنده » ( آندره سوارس ، ذكره برجييه فى « تحليل الضع » ، ص ١٠٢ ) .

فالهوى العقلى عامل أصيل مستقل ، وبما يدل على ذلك أننا نلاحظه فى

### جميع نماذج الطبع

ويستشهد جاستون برجييه على أصالة هذا العامل بنص لالدوس هكسلى يقول فيه « قد يغتر المرء أن يظن قليلاً أن الميول العملية تصاحب الانبساطية ، وأن الميل إلى التأمل بصاحب الانطوائية . ولكنى أشك فى أن يكون مثل هذا الرباط مطرداً فأنا مثلاً ممن يسيطر عليهم الفكر الانبساطى ولكنى مع ذلك أنفر من النشاط العملى نفرة عميقة . إننى أعنى بالعالم الخارجى ، ولكن عنائى به عناية عقلية لا عملية فإأطمح إليه وما أتلذذ به إنما هو الفهم لا الفعل . وحين يكون لا بدلى من الفعل، ترائى أنحسر أسفا على الوقت الذى يجب أن أقفه على القيام بأمر معينة فى عالم لا أحب إلا أن أفهمه عقلياً . » ( هكسلى ، « الحيوان الأشد حماقة » ، ص ٥٩ ، ذكره جاستون برجييه فى « الطبع والشخصية » ، ص ٤٦ ) .

( راجع الأسئلة ٩ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣٩ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٩ ، ٧٩ ،

٨٩ ، ٩٩ من استجواب جاستون برجييه ) .

بذلك انتبيننا من الكلام على مقومات الطبع الأساسية والتكميلية ، وننتقل الآن إلى الكلام على النماذج الطبيعية الثمانية التى تنشأ عن تزاوج المقومات

الأساسية ثلاث ثلاث ، وهذا هو موضوع علم الطباع الخاص . ويجب أن نذكر ، في هذه المناسبة ، أن مقومات الطبع ، أساسية كانت أم تكميلية ، لا تظهر نتائجها حية إلا وهي متحالفة متفاعلة ، أى فى النماذج .

## الفصل الخامس

### العصبي<sup>(١)</sup>

#### ١ - الصيغة الطباعية

العصبي هو الانفعال اللافعال ذو الترجيع القريب EnAP

#### ٢ - عصبيون من التاريخ

أبو نواس ، بيرون إدجار بو ، بودلير ، جوجان ، دانتريو ،  
دستوفسكي ، رامبو ، ستاندال ، جولدميث ، شاتوبريان ، شوبان ،  
فرلين ، جول لافورج ، لافونتين ، بيير لوتي ، موزار ، موسيه ، هايبي ،  
هوفمان ، أوسكار وايلد .

---

(١) لويسين ، « علم الطباع » ، ص ١٣٤ - ٢٠٨ ، « المصير الشخصي » ، ص ٥٨ - ٦١ ،  
« الكلب والطبع » ، ص ٤٣ - ٤٨ ، ١١٥ - ١٩٠ ؛ جاستون بريجه ، « تحليل الطبع » ،  
ص ٣٩ - ٤١ ، « الطبع والشخصية » ، ص ٢٣ - ٢٤ ؛ آندره لوجال ، « علم طباع الأطفال  
والمراهقين » ، ص ٥٢ - ١٤١ ؛ اميل كاي ، « الطباع والخطوط » ، ص ٤١ - ٨٣ ؛  
روبير ميتريو ، « دراسة الطباع » ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ؛ مينار ، « التربية والطبع » ،  
ص ٩ - ٢٦ ، بول جريجيه ، « الذكاء والتربية العقلية » ، ص ١٢٨ - ١٣٣

## ٣ - نتائج إحصائية

| الوسيط | المعنى              | الصفات                     |
|--------|---------------------|----------------------------|
| ٤٠,٦   |                     | ١ - سيطرة اللحظة الحاضرة   |
| ٢٩,١   | الحد الأقصى         | كثير الحركة « منشغل »      |
| ٤٣,٦   | »                   | يعمل من حين إلى حين        |
| ٢٢,٨   | الحد الأدنى         | اندفاعي                    |
| ٢٥,٧   | الحد الأقصى         | متساوي المزاج              |
| ٤٨,٢   | »                   | متقلب الحب والكراهة        |
| ٢٠,٢   | الحد الأقصى         | سريع التعزى                |
| ٩,٨    | قريب من الحد الأدنى | ذكريات من القراءة مضطربة   |
|        |                     | تكرر تغيير الاتجاه والمهنة |
|        |                     | ٢ - خلة العاطفية           |
| ٤٥,٧   | الحد الأقصى         | خفيف                       |
| ٥٢,١   | »                   | ثقيل (نفور)                |
| ٨,٢    |                     | قوي الكلام صارخ            |
| ٤٠,٦   |                     | كثير الضحك                 |
|        |                     | ٣ - الحاجة إلى الانفعالات  |
| ٣٥,٦   |                     | تنسى إلى تأثيرات جديدة     |
| ٤٣,١   | قريب من الحد الأقصى | الريضة في التعبير          |
| ٣٩,٥   | الحد الأقصى         | الاهتمام بالنتائج المباشرة |
| ٣٩,١   | »                   | الحاجة إلى التليبات        |
| ٥٥,٢   | الحد الأدنى         | حب البقاء في البيت         |
| ١٠,٤   | »                   | روح العزلة                 |
|        |                     | ٤ - انعدام الموضوعية       |
| ١٩,٢   | الحد الأقصى         | تناقض بين الفكر والحياة    |
| ٥٧,٣   | الحد الأدنى         | جدير بالتصديق كل الجدارة   |
| ٥,٤    | الحد الأقصى         | كاذب                       |
| ٧٧,٣   | قريب من الحد الأدنى | مستقيم كل الاستقامة        |
| ١,١    | الحد الأقصى         | غير مستقيم                 |

## تابع (٣ - نتائج إحصائية)

| الوسطى |                     | المصري | الصفات                  |
|--------|---------------------|--------|-------------------------|
| ٤٢,٨   | الحد الأدنى         | ٢٧,٦   | يتحدث عن أشياء          |
| ١٥,٢   | الحد الأقصى         | ٢٩,٩   | يتحدث عن نفسه           |
| ٥٧,٢   | الحد الأدنى         | ٣١,٠   | فريق أزميد              |
| ٢٥,٤   | "                   | ٧,٥    | موسيقى                  |
|        |                     |        | ٥ - انعدام روح المثابرة |
| ٥٦,٤   | "                   | ٧,٥    | يعمل ذنباً              |
| ١٩,٣   | الحد الأقصى         | ٤١,٤   | يحمل زعمال المفروضة     |
| ٤٦,٦   |                     | ٨١,١   | ميال لإذ التآجيل        |
| ٣٠,٨   |                     | ٥٢,٩   | تشيط عزيمته بسهولة      |
| ٤٤,٠   |                     | ٦٠,٩   | خفيف                    |
| ١٨,٥   |                     | ٤١,٤   | ذو شريع ضخمة لا يتابعها |
| ١٧,٧   |                     | ٤٠,٨   | سهل الإنقاع             |
| ٤٠,٩   |                     | ٢٣,٦   | مواظب (مشابر)           |
|        |                     |        | ٦ - انعدام الانضباط     |
| ٨,٢    | الحد الأقصى         | ١٦,١   | فوضى لحياة الجنسية      |
| ٤٥,٢   |                     | ٥٩,٢   | متلاف مبذر              |
| ٢٤,٤   |                     | ٤٠,٢   | فقاد نصبر أثناء المرض   |
|        |                     |        | ٧ - الشعور بالذات       |
| ٣٩,٧   | الحد الأقصى         | ٥٢,٩   | راض عن نفسه             |
| ٢٧,٤   | "                   | ٥٤     | محب لظهور               |
| ٣٦,٨   | قريب من الحد الأقصى | ٤٧,٧   | راغب في الأجداد         |
| ١٠,٢   | الحد الأقصى         | ٣١,٢   | متصنع                   |
| ٧,٢    | "                   | ١٢,٦   | يفضحك لمزجاته هو        |
| ١٥,٤   | "                   | ٢٧,٠   | يزين ما يقول            |
| ١٠,٢   | "                   | ١٩,٠   | مجامل                   |

## ٤ - الصورة النفسية

من اتصاف العصبي بالصفات الطبيعية الأساسية الثلاث تنحدر مجموعة من الملامح النفسية نعرضها فيما يلي

تقلب العاطفة والشاعرية كل منا عرف تقلب العاطفة بتجربته الشخصية ، فقي استبد الضجر بالمرء شعر بالحاجة إلى تجديد تأثراته ، وكلما كانت هذه التأثيرات نضرة لم يذبلها التعود كانت أجمل وأقن . وهذا الذي يصدق على كل إنسان ، يصدق خاصة على العصيين الذين يتصفون بأنهم انفعاليون لا فعالون ذوو ترجيع قريب فلا الفعالية لدى هؤلاء تحل تأثير الذات في الموضوع محل تأثير الموضوع في الذات ، ولا الترجيع البعيد الذي يلعب في حياتنا دور المعدل يرد النفس إلى حالتها حين تهتز ، فلا بد إذن أن يكون تقلب العاطفة لدى العصيين في حده الأقصى ولا عجب والحالة هذه أن نرى أن تقلب العاطفة هو السمة التي تميز أولئك الكتاب الذين دلت آثارهم وسيرهم على أنهم ينتمون إلى النموذج العصبي أبو نواس ، رامبو ، بيرون ، موسى ، دستوفسكي ، هايني ، إلخ . هؤلاء جميعاً قد شعروا بتعاقب العواطف سريعة ، وأحبوا هذا التعاقب ، لأنه ينقذهم مما يهددهم من ضجر ، ويجدد شغفهم بالحياة . وتتفق المعلومات المستمدة من سير الناس والمعلومات المستمدة من الأمراض النفسية (دراسات كرتشمير خاصة) على أن تقلب العاطفة يكون من ناحية النوع ويكون من ناحية التوه أما التقلب في نوع العاطفة فيكون بالانتقال من انفعال إلى انفعال ، من الفرح إلى الحزن ، من الثقة إلى الشك ، من الانقباض إلى الانشراح : إلخ . وأما التقلب في قوة العاطفة فيكون بالانتقال من درجة إلى درجة ، من المبهوط إلى التوتر ، ومن التوتر إلى المبهوط . والحقي أن هذين النوعين من التأثير تتداخل موجهاتهما عادة ، فإذا بعاطفة الشخص تنغير نوعاً وقوة .



ومن شأن هذا كله أن يرهف في الشخص إحساسه الشعري ، لذلك كان النموذج العصبي يضم أكبر عدد من الشعراء بالنسبة إلى النماذج الأخرى . صحيح أن بين العاطفيين شعراء أيضاً ، ولكن هؤلاء يميلون بالشعر إلى الفلسفة ( فيني ، المري ) ، وصحيح أن بين الغضبيين شعراء كذلك ، ولكن هؤلاء يميلون بالشعر إلى الخطابة . ( هوجو ، المتنبى ) أما العصبي فهو الطبع الذي هيء للشعر الصراف ، لأن الخيال الذي يقتضيه الشعر هو التعبير الصراف عن سيطرة الانفعالية .

وما كل عصبي بشاعر ، لأن الشعر لا يقتضى هذه المقومات الطبيعية فحسب ، بل يقتضى إلى جانب ذلك مواهب تكتيكية ترجع إلى شروط عضوية أخرى خاصة ، كالإحساس بالأوزان ، والربط بين الألفاظ بالقوافي ، والأصالة والرهافة في إدراك المشابهات . ولكن العصبي إن لم يكن ممن يقرضون الشعر فهو ممن يقرأونه ويدوقونه .

وإذا كان الأسلوب هو الشخص ، فما هو الأسلوب الذي يتميز به

العصبي (١) ؟

من أبرز خصائص لغة العصبي أنه يستعمل في جميع الأحوال أو في بعض الأحوال ألفاظاً قوية ، فإذا سر من شيء قال : إنه رائع ، فاتن ، ساحر ، أخاذ ، وإذا استاء من شيء قال : إنه فظيع ، كرهه ، إلخ . إنه يستجيب للأمور العادية استجابة عنيفة . ويمتاز أسلوب العصبي - لأن العصبي

(١) يشير لويسين إلى أن دراسة الأسلوب من ناحية علم الطباع لم تبدأ بعد ، وهو يرى أن الطبع ، إلى جانب المؤثرات الاجتماعية والظروف التاريخية ، يؤثر تأثيراً كبيراً في أسلوب الفرد وطريقة تعبيره ، بل يحدد هذا الأسلوب ، فيما يتعلق بتكوين العبارة وباستعمال المفردات ، ويؤثر بعض الأشكال النحوية على بعضها الآخر ، وباتصال الجمل أو انقطاعها ، إلخ ( لويسين ، « علم الطباع » ، ص ١٥٤ ) . ولا يتأثر الأسلوب بالمقومات الطبيعية الأساسية فحسب ، بل يتأثر كذلك بالمقومات التكوينية ، وهذا ما عنى جاستون بروجيه بإظهاره فيما يتعلق بساحة الشعور ، فبين مثلا أن مرونة الأسلوب مظهر من مظاهر ساحة الشعور ، ويستشهد على ذلك بأسلوب بروجون ( بروجيه ، « تحليل الطبع » ، ص ٥٧ ) . وحين يتحدث لويسين عن أسلوب ستاندال يبين أن الدقة في أسلوبه راجع إلى أنه ضيق ساحة الشعور ( لويسين ، « علم الطباع » ، ص ١٥٦ ) .

ذو ترجيع قريب - بأن صورته غضة نضرة ، ذلك لأنه ما إن يشعر بالعاطفة حتى ينفذها بالتعبير على الفور ، لا يلجئه الترجيع البعيد عن ذلك . إن أسلوبه يتوهج توهج المعدن حين يصقل ولا كذلك أسلوب العاطفي ، فإن الترجيع البعيد يتدخل لديه بين الشعور والتعبير ، فإذا بالذكريات الكثيرة التي يحملها إلى التعبير تذهب ألوان التعبير ، وتفقد جده ونخضرته ، وتحيله بالتعميم شيئاً مبدولاً ، معاني مجردة وهذا ما نتحقق منه حين نقارن بين الصور في شعر الشعراء العصيين وبين الصور في شعر الشعراء العاطفيين قال لوسين « إن الشاعر الذي يملك الترجيع البعيد لا يجد أبداً جدة الصور إلا بعمل طويل محل المهنة محل الإلهام » ( لوسين ، « علم الطباع » ، ص ١٥٨ ) . ولعل وصف العرب للشاعر بأنه يقد من صخر أو يغرف من بحر أن يعبر عن هذا التعارض بين تدفق الإلهام وجهد الصنعة ويكفي أن نقارن بين التدفق الهين في شعر شاعر عصبي كأبي نواس ، وبين النحت الجاهد في شعر شاعر عاطفي كالمعري حتى يتضح لنا هذا التعارض بين نضارة الصور التي يتيحها الترجيع القريب ، وبين جفاف المعاني المجردة التي يؤدي إليها الترجيع البعيد ولا شك أن الرواء الذي يصل إليه المعري في قصيدته الدالية بالجهد والصنعة غير النضارة التي نلاحظها في هذه الأبيات التي قالها أبو نواس في أول عهده بالشعر

|                |               |
|----------------|---------------|
| حامل الهوى تعب | يتخفه الطرب   |
| إن بكى يحق له  | ليس ما به لعب |
| تضحكين لاهية   | والمحب يتحب   |
| تعجبين من سقى  | صحى هي العجب  |

الحاجة إلى الانفعالات العصبية لا يعاني كثيراً من الانفعالات العنيفة

فحسب ، بل هو يبحث عن هذه الانفعالات . إنه لا يني يسعى إلى تجديد انفعالاته . وهذا ما نتحقق منه حين ننظر في سير العصيين وفي آثار الأدباء منهم . حتى لكأن قول الشاعر العربي :

« العين لا تنفك في نظر والقلب ما ينفك في وطر »

هو لسان حال كل منهم وهذا رامبو يهتف قائلاً « على الشاعر أن يبحث عن جميع صور الحب والعذاب والجنون » .

ويجب أن لا نخلط بين الحاجة إلى الانفعال والحاجة إلى الفعل ، فلئن كان الانفعال يبعث هو الآخر عن الحياة المتجددة المنتعرة ، فإنه ينشد في ذلك أسباباً للشروع في عمل . انه يريد الصيد والأرنب كليهما . أما العصبي فهو ينشد الانفعال لذاته ، حتى ليترك الفعل من أجل الانفعال . على أن العصبي يبحث الانفعال أيضاً للفعل ، ذلك لأنه بحكم قلة نشاطه لا ينطلق إلى الفعل من تلقاء ذاته ، فلا بد له من حشد قوى الانفعال متى أراد أن يعمل استجابة لظروف الحياة أو تحقيقاً لهدف من الأهداف فقلة الفعالية تزيد من هذه الناحية شدة الحاجة إلى الانفعال .

وهناك أمور يعبر بها العصبي عن حاجته إلى الانفعال من ذلك أولاً ميل العصبي إلى الموضة فما الموضة في جوهرها إلا إرواء للحاجة إلى التغيير فالانفعال إن الموضة التي تتجدد يوماً بعد يوم أشبه بحركات الظلال والأضواء في السحب أو في الغابات ، توقظ الانتباه وتجدد الاهتمام بالحياة وهذه الحاجة يستشعرها كل إنسان على تفاوت في الدرجة ، والموضة لذلك تؤثر في حياة جميع الناس بلا استثناء ، والتاريخ يبين تأثيرها هذا حتى في العلم والفلسفة . ولكنها في هذا الميدان لا تسمى بهذا الاسم بل تسمى مدارس واتجاهات حديثة ، وإنما هي تسمى باسم الموضة في شئون خاصة ، كقصص الشعر ، وترك اللحى أو حلقها ، والأزياء ، والأثاث ، وما إلى ذلك . وتدلنا حياة العصبيين على أنهم أكثر الناس تعلقاً بالجدديد في كل الشئون وحتى اتجاهاتهم الثورية قد لا تكون إلا ضرباً من الموضة .

ومن ذلك ثانياً ميل العصبي إلى الملامح ، وأهمها المسرح والسينما في أيامنا هذه فالعصبيون أكثر الناس ارتياداً للمسرح والسينما ، فيهما يلبون حاجتهم إلى مشاهدة أحداث فذة ذات قدرة خاصة على إثارة الانفعال . ولأنهم ليلتقون هنالك مع أصدقائهم المفاويين . هؤلاء من فراغ نفوسهم من الانفعال يبحثون

عما يمكن أن يشيرون ولو قليلاً ، وأولئك من نهمهم إلى الانفعال لا يكادون يشعرون . وهذا اللقاء بين التقيضين يتم أيضاً في حلقات الرهان .

ومن ذلك ثالثاً الميل العصبي إلى المقامرة ، فالمقامرة وسيلة من وسائل تأجيج الانفعال . وما يشجع العصبي على المقامرة أيضاً أنها تعدّه بما يحقّق له رغباته من مال ، دون أن يجهد للحصول عليه بالعمل الدائب الذي لا يقدر عليه ، لقلة نشاطه .

ومن ذلك رابعاً انغماس العصبي في تعاطي المسكرات والمخدرات يقبل عليها في أول الأمر نشداناً لإحساسات جديدة ، فتبعث في الجسم هزة ترفع الشدة النفسية ولو في أول الأمر على أقل تقدير ، فيقبل عليها بعد ذلك لهذا الغرض ، مرة بعد مرة : فإذا هي تصبح آخر الأمر إدماناً يستبد بالعصبي فكذلك كان أبو نواس وبودليز ورامبو وغيرهم .

ومن ذلك خامساً حاجة العصبي إلى الإدهاش ، وهو خطوة نحو « الجرصة » التي نلاحظ قوة تأثيرها في حياة العصبيين . إن في حياة أبي نواس ، وبيرون ، وبودليز ، ما نشاء من أمثلة على هذا الميل إلى الإدهاش والجرصة . كان بيرون ، وهو طالب في المدرسة الثانوية ، يجلس على قبر بمقبرة هارو ليستلم لأحلامه ، حتى إذا صار طالباً في كامبردج رآه الناس يرنى دباً ، ورأوه بعد ذلك يشرب بطامة صنعت من جمجمة راهب . وإن جميع من تحدثوا عن بودليز أشاروا إلى رغبته الدائمة في الإدهاش قال أحد أصحابه يوماً « أراهن أن بودليز سينام الليلة تحت السرير . . . ليدهشه » . وقد بلغت هذه الحاجة إلى الإدهاش عند أبي نواس حد الجرصة ، وهذا ما يفسر لنا كثيراً من سلوكه ، كحرصه مثلاً على دخول الجامع وهو سكران ، وكإصراره على التشهير بنفسه وما نداؤه المعروف

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر

إلا تعبير عن هذه الحاجة إلى الجرصة التي يعبر عنها تعبيراً أصرح بقوله

## أطيب اللذات ما كان جهازاً بافتضاح

كل تلك الميول إنما تعبر عن حاجة العصبى إلى الانفعال وطبيعى أن تجد هذه الميول ارتواءها وسموها ويجدها فى الفن لذلك كان الفن هو الملاذ الذى يضمن للعصبى السلامة . ولئن كنا نرى فنانيين كباراً فى نماذج أخرى ، وإذا كنا قد نفضل هؤلاء على الثنائين من العصبين فلإننا نرى متى نظرنا إلى الأمر عن كلب أن الفنانين من غير العصبين إنما كانوا فنانيين بمقدار ما يبهم وبين العصبين من شبه فى بنية الطبع ، فالدمويون يشبهونهم بالترجيع القريب ، والغضبيون بالانفعالية ذات الترجيع القريب ، والعاطفيون بالانفعالية . ويستشهد لوسين على ذلك بالبحث الذى قام به باننورج عن المهوبة الموسيقية ، إذ لقد تبين لهذا الباحث أن الموسيقين يتصفون بالصفات التى انتهى مسج علم الطباع إلى اعتبارها من خصائص العصبين ( لوسين ، « علم الطباع » ، ص ١٦٣ ) ولكن لوسين يضيف إلى ذلك هذه القاعدة « كلما كانت المقاومات التى يشتمل عليها فن من الفنون بحكم مادته أو بحكم مقتضيات التنظيم فيه أصغر ، كان حظه من وصول العصبين إليه وإلتفهم له أكبر . فالشعر مثلاً أسهل على العصبى من المسرح ، والموسيقى الميلودية أسهل من السمفونية ، والتصوير الانطباعى أسهل من الرسم والتصوير المركب ، والوصف الأدبى أسهل من النحت أو فن العمارة » ( لوسين ، « علم الطباع » ، ص ١٦٤ ) .

التشرد النفسى العصبى تشرد النفس ، وليس تشرده من مكان إلى مكان إلا مظهراً من مظاهر ذلك التشرد النفسى الذى يتميز به ، فالعصبى يتشرد من مكان إلى مكان ، لأنه يتشرد من إحساس إلى إحساس ، من عاطفة إلى عاطفة ، من ميل إلى ميل ، من صداقة إلى صداقة ، من حب إلى حب . فلنتظر فى هذه الألوان من التشرد لدى العصبى

هنالك أولاً التشرد المكافى . إن السفر والانتقال من مسكن إلى مسكن ، والهروب إلى بلاد بعيدة غريبة ، كل ذلك هو من الأمور الشائعة فى حياة

العصيين فرامبو وفان جوخ وجوجان وبودلير ودوستوفسكى ، كل هؤلاء العصيين كانوا متشردين ولقد كان أبو نواس من أكثر الناس تشرداً في المكان عاش شطراً من حياته بالبصرة ، ثم انتقل منها إلى الكوفة ، ثم مضى إلى البادية يعيش مع الأعراب مترحلاً ثم عاد إلى البصرة ، ثم شد الرحال إلى مكة ، ثم قفل راجعاً إلى البصرة ، ثم غادرها إلى الكوفة فإلى بغداد ، ثم ولى وجهه شطر مصر ، ثم عاد إلى بغداد ولعل تغيير المسكن هو مما يميز العصيين أكثر مما تميزهم الأسفار وهذه الحاجة إلى التشرد في المكان هي التي تحدد بعض العصيين إلى أن يختاروا من المهن تلك التي تروى ظمأهم إلى تغيير البيئة والمكان ، كهنة البحار مثلاً ، وكذلك فعل بيير لوتى ، فوفق في إطار هذه المهنة بين مزاجه المتشرد وميوله الأدبية

ويستشهد لوسين بدراسة قام بها باننبرج ، يستدل على أن الطبع العصبي يؤهل صاحبه للتشرد ، فقد كشف هذا الباحث لدى المتشردين عن قوة الانفعالية وانعدام القعالية وضعف الرجوع البعيد (لوسين ، « علم الطباع » ، ص ١٦٦).

وهناك ثانياً التشرد في المهنة ، أى التنقل بين أنواع المهن وربما كان رامبو خير مثال يستشهد به على هذا النوع من التشرد . إن هذا الشاعر ، بعد أن انقطع عن قرص الشعر ، عمل شياً بمرفأ مرسيليا ، ثم داعية من دعاة شارل العاشر ، فسمار تجنيد بألمانيا ، فجندياً هولاندياً في جاوة ، ثم هرب من الجندية ، وعمل موظف سيرك بالسويد ، فراقباً بقبرص . إن العصبي يذوق جدة التجربة في كل مهنة جديدة يزاولها ، ولكنه سرعان ما يهجرها إلى غيرها متى قتلت العادة طرفها ، أو متى كان الاستمرار عليها يقتضى جهداً .

وهناك التشرد في الصداقة وفي الحب . وقد عبر أبو نواس عن هذا التشرد

حين قال يخاطب أحبة له بالبصرة

أيا من كنت في البصرة أصنى لهم الودا

شربنا ماء بغداد فأنساناكم جداً

جدوا منا كما أنا وجدنا منكم بدا

وإذا نحن أحصينا أسماء النساء والعلماء التي وردت في شعر أبي نواس في معرض الغزل لوجدناها تربو على المئات ومن أبرز ما عرف عن أبي نواس أنه كان يمدح فلاناً من الناس ، ثم ما يلبث أن يهجو .

فالعصبي يحب بسرعة وحرارة ، ولكنه ما يلبث أن يهجر من أحب ، وقد يدعى أن الآخر هو الذي خانته وغدر به ، يدفعه إلى ذلك إما أنه تقوّر أذى ، وإما أنه بطبيعته لا يستقر على حال ، وإما الأمران كلاهما في أكثر الأحيان . هذا صديق مخلص يلقاه ، أو هذه امرأة سمحة تصادقه . إهما يجانه ، لأن فيه فتنة وإغراء ، ولأنه صادق في حبه على أنه حبيب موقت (أيا من كنت في البصرة أصنى لهم الودا) ، ويدوم حبهما ويستمر ، لأهما ما يلبثان أن يرثيا لحاله ، إذ يشعران أنه ليس آتماً بإرادته ، وإنما هو ضحية طبعه . ولكنه ، هو ، لا يستطيع أن يكون وفياً للحب ، إذ يعوزه الرجوع البعيد الذي يهب للنفس ميزة الاستمرار وهو في حاجة إلى الآخرين ، وهو قوي الرغبات ، لذلك سرعان ما يهبط إلى مستوى الخليل أو الخليفة اللذين يمكن أن يقال عنهما إن قلبهما خير من أخلاقهما . فكذلك كان بودلير وفرلين وأبو نواس .

ويجب أن نضيف إلى هذا أن العصبي يشبه سائر الانفعاليين اللافعاليين ، من حيث هو مستبد بمن يحبونه ، عبد لمن يقاومونه إن الحب الوحيد الذي استدل أبا نواس ، واستبد به ، ولازمه مدة غير قصيرة إنما هو حبه بلخان التي لم تستجب له ، ولا حفلت به ، بل تمتعت عليه

قوة الفتنة والإغراء يتصف العصبيون بخاصة أساسية هي قدرتهم على الفتنة والإغراء ، كما أشرنا إلى ذلك منذ قليل . فمن الانفعالية ذات الرجوع القريب تنبع حدة النظرة ، وتوهج الفكر ، وعدوى العاطفة . فإذا كان العصبي من ذوى الشعور الضيق كان في تعبيره عن انفعالاته وأخيلته قوة فذة ، وإذا كان من ذوى الشعور الواسع كان له من الفتنة ما للنفس التي لا يجففها الفكر الجرد ولا يذهب بروائها ومائها . وهو في الحالتين ترين على نفسه كآبة ، ويلهم غيره مشاعر الحزن ، فترق له القلوب . ومن شأن هذا كله أن يجعل له قدرة

كبيرة على التأثير في عواطف الآخرين ، فيغفر له هؤلاء نقائصه وعيوبه ،  
لشعورهم بأنه أول ضحاياها وأنها ثمن ما ينعم به من أصالة .

الاندفاعية إن العصبى يقع من هذه الصفة ، صفة الاندفاعية ، في  
حدها الأقصى على ما تبين نتائج الاستقصاء (٧٨،٢٪)

ودفعاً للالتباس يميز لوسين بين نوعين من الاندفاعية يطلق على الأولى  
اسم الاندفاعية الاستجابية ، ويطلق على الثانية اسم الاندفاعية الانفجارية  
أما الأولى فهي من خصائص العصبيين ، وأما الثانية فهي من خصائص العاطفيين .  
إن الأولى هي جواب مباشر على منه خارجي هذا رجل يصلم آخر ، فإذا  
بالآخر يستجيب للصدمة بأن يرفع يده ويهوى بها على صاحبه . إن جوابه سريع  
وبسيط ، حتى لكأنه منعكس . ولا كذلك الاندفاعية الانفجارية . إنها ليست  
جواباً مباشراً على منه خارجي ، وإنما هي جواب على تراكم كثير من المنبهات  
السابقة في نفس الشخص لم يستجب لها في حينها ، بل بلغم الرد عليها بما يملك  
من ترجيع بعيد ، فلما جاء المنبه الجديد كان أشبه بالقطرة التي يطفح بها  
الكيل ، فإذا الشخص يستجيب استجابة قوية لا يستحقها المنبه الحاضر ،  
فهو لذلك لا تنتظر ولا تتوقع ، وقد تستغرب . هذه هي الاندفاعية الانفجارية  
التي تلاحظ لدى العاطفيين وتختلف الاندفاعيتان إذن في أن الأولى بنت  
الحاضر وأن الثانية بنت الماضي

على أن الترجيع القريب لا يعمل وحده في جعل الاندفاعية لدى العصبى  
استجابية ، بل تساهم في ذلك اللافعالية أيضاً ، إذ تجعل الشخص عاجزاً عن  
السيطرة على اندفاعه

التناقض بين الفكر والحياة ما كان حياة تتجاوزها الاندفاعات المتعاقبة ،  
وتسيطر عليها اللحظة الحاضرة أن تكون مثلاً<sup>١</sup> للانسجام بين الفكر والعمل ،  
وإن تخضع سلوكها لقاعدة لا تختلف . وإذا كانت هذه النقيصة تنطبق على  
كل ذى ترجيع قريب ، وتنطبق انطباعاً أكل على كل انفعالي ذى ترجيع  
قريب ، فلا بد أن يكون العصبى في اللروة القصوى من الانصاف بها ، وهذا



ما تدل عليه أرقام الاستقصاء . ومن آيات صدق هذه النتيجة أن يكون المفادى ، وهو نقيض العصبي في الصيغة الطباعية ، هو الشخص الذى تجمع الملاحظات على أنه أكثر الناس تحقياً للانسجام بين الفكر والسلوك . فإما هو مظاهر هذا الانسجام ؟

هنالك أولاً الصدق فالشخص الذى يحرص على التوفيق بين ما يرى وما يقول وما يعمل ينبغي له أن يحتجب الكذب قبل كل شيء . وهذا ما نلاحظه لدى المفاديين الذين تبلغ نسبة من عدوا صادقين منهم ٨٥ ٪ وهو الحد الأقصى . فى حين أن نسبة من يعدون صادقين بين العصبيين هي ٣٢ ٪ ، وهى الحد الأدنى .

قبل إن الرشيد قال ذات يوم لأبى نواس حدثنا يا أبا نواس ، ففان لا يحضرنى شيء ، فقال الخليفة : بجائى إلا ما قلت شيئاً ، قال : كان الكذب عملى واليوم هجرته يا أمير المؤمنين ( ذكرها عبد الرحمن صدق فى كتابه « أبو نواس » ، ص ١٢٨ ) . ولا شك أن تلك كانت كذبة جديدة ، فلقد ظل أبو نواس يكذب ويفترى إلى مماته .

وإنما يرجع الصدق لدى المفاديين والكذب لدى العصبيين إلى البنية الطباعية لكل من النموذجين ولقد بين لوسين فى كتابه « الكذب والطبع » أن العوامل التى تشجع على الصدق هي بالترتيب على حسب الأهمية : الترجيع البعيد : قلة الانفعالية ، شدة الفعالية . فلا عجب والحالة هذه أن يكون العصبي

أكذب الناس طراً ويصف لوسين كذب العصبي بأنه كذب الترزين فالعصبي يجب بالكذب أن يجعل الواقع أجمل وأملاً بالمعنى مما يبدو للعتل الموضوعى وإذا كذب الدعوى فكذبه عقلى قائم على الحساب ، وهو إذن أولى بالملاحظة من كذب العصبي وأفضل الكذب بالإثم كذب ذلك الذى يكذب رغم برودته ونشاطه و الترجيع البعيد ، فكذبه يشتمل على نية مخالفة الحقيقة .

وهناك ثانياً دقة المواعيد والعصبي أقل الناس دقة مواعيد . ذلك لأن

دقة المواعيد تقتضى ترتيب الأفعال والحوادث على زمان كمي : وهذا ما لا يمكن أن نتظره من شخص يعيش الزمان النفسى ملوناً بالانفعالات لحظة لحظة : إن من المشكوك فيه أن يستطيع رجل يستوفقه جميع ما يرى في الطريق أن يصل إلى موعد في اللحظة المضروبة له . أو أن تستطيع امرأة انفعالية تسهوها جميع تفاصيل زينها أن تصل إلى المسرح غير متأخرة .

وهناك ثالثاً الموضوعية لئن كان الصدق والتقيّد بدقة المواعيد فضيلتين أخلاقيتين ، فإن الموضوعية فضيلة عقلية والمقصود بالموضوعية هنا ما تعبر عنه الكلمة الألمانية Sachlich التي وردت في السؤال ٨٦ من استجواب هيمنس والتي تعني اشتغال حديث المرء على أشياء ووقائع ومعلومات أكثر من اشتغاله على انطباعات وفرضيات وعواطف ، فهو إلى تقرير شركة صناعية أو مالية أقرب منه إلى خطاب حماسى يلقي في جمهور شعبي . ولقد بين الاستقصاء أن ٧,٥٪ فقط من العصبيين موضوعيون بهذا المعنى ( الحد الأدنى ) ، وأن ٥١,٩٪ من اللمفاويين هم كذلك ( الحد الأقصى ) ولا غرابة في هذه النتيجة ، فإن العصبى الذى يؤهله طبعه للشعر (روحاً إن لم يكن صناعة) لا يمكن أن يميل إلى التعبير عن الواقع تعبيراً عقلياً جافاً ، وإنما يحاول أن يعكسه من خلال نفسه .

ومما يتفق مع هذا نتائج السؤال ٧٢ من استقصاء هيمنس وهو الذى يتناول طبيعة الاهتمامات العقلية التى يظهرها الفرد في أحاديثه : هل هو يتكلم عن أشياء ؟ عن أشخاص ؟ عن نفسه ؟ إن العصبيين دون سائر النماذج في الكلام عن أشياء ، وفوقهم جميعاً في الكلام عن أنفسهم . واللمفاويون تقيضهم في ذلك تماماً فنستطيع أن نقول عن العصبى إنه ذاتى ، وعن اللمفاوى إنه موضوعى .

وقد عاد لوسين إلى بيان تأثير طبع الفرد في فلسفته إن كان فيلسوفاً ، وضرب على ذلك مثالاً بنظرة الفيلسوف إلى الإنسان . إن هناك موقفين يمكن أن يقفهما الفيلسوف من الإنسان ، أولهما موضوعى تماماً يرد الإنسان إلى الأشياء أى إلى الطبيعة ، إلى المبادئ والقوانين التى يحاول الفيلسوف أن يفسر بها الطبيعة ،

والثاني ذاتي ، يحترم ذاتية الإنسان ، بل يبالح في ذلك ، ويفرق تفريقاً عنيماً بين الإنسان (ولو على أساس الألم) وبين القوانين والأشياء أما الموقف الأول فينشأ عن غلبة الترجيع البعيد والفعالية على الانفعالية ، وأما الموقف الثاني فينشأ عن غلبة الانفعالية على العاملين الآخرين

ويجب أن نذكر أن لوسين يتحفظ هنا بعض التحفظ ، ويتظر من علم الطباع مزيداً من التعمق في دراسة هذه الناحية .

الكل من حرمان العصبي من الفعالية ينشأ أنه عاجز عن العمل ، كأنه مشدود إلى الأرض بقيد ثقيل . ولئن كانت الانفعالية تثير حماسه من حين إلى حين ، فيقبل على عمل يحبه إقبالاً حاراً عنيماً ، فإنه سرعان ما يتسبط عزيمته وتخور قواه متى ظهرت مقاومة من المقاومات ، أو متى تحول انتباهه إلى موضوع آخر لذلك كان في الحد الأقصى بين الناس الذين « يعملون من حين إلى حين » ، ولذلك أيضاً كان « ذا مشاريع ضخمة » ما تكاد تولد حتى تموت ، بل إنها لتجهض من قبل أن تولد ، ولذلك أيضاً كان « يهمل الأعمال المفروضة » ، لأنها لا تسهويه ولا تجتذبه ولا تثير حسده ، وكان « برجياً » تنفيذ ما يقع على عاتقه من أعباء » ، كما تدل على ذلك كله نتائج الاستقصاء . وهذه الصفات تظهر فيه مبكرة ، وهو لا يزال على مفاعد الدرس . من ذكريات أبي نواس عن طفولته أن المعلم كان يأمر بجلده لأنه يجيد عن الدرس ، ولا يقدر على المواظبة فيه

قال حفص اجلدوه إنه عندي بليد

لم يزل مذ كان في الدر س عن الدرس يمين

فالعصبي موظف سيء ، ورئيس أسوأ ، ما يلبث أن يطرد من الخليفة أو يفشل ، فإذا لم تتدخل ظروف خاصة ، لم يستطع أن يتحاشى التشرذم الذي يؤهله له طبعه ، بل مضى إليه متعزياً عن إخفاقه بما تهيئه له الانفعالية من شعور بالوجود ملون .

فوضى الحياة الجنسية إن الرغبة الجنسية مرهونة بشروط عضوية خاصة

لا شأن لها بمقومات الطبع قوة وضعفاً ، فهي تلاحظ في جميع نماذج الطبع بدرجاتها المختلفة لكن للطبع تأثيراً في الحياة الجنسية من حيث إنه يضمن عليها طابعاً خاصاً . والمقومات الطبيعية لدى العصبي تتعاون فتجعله أقل الناس تحفظاً وعفة في الحياة الجنسية . إن كل مثير هو عنده إغراء يستجيب له بالاندفاع (E) ، واللافعالية (A) ، من جهتها ، تسلمه للفراغ ولا تدفعه إلى مشاريع أخرى غير إرواء رغباته المتجددة ، وهو لذلك كله مهياً لإثارة المغامرات المتعاقبة على الوفاء لحب عميق . وربما كانت حياة أبي نواس خير مثال يضرب على فوضى الحياة الجنسية ، بما فيها من فسوق وفجور وفحش .

التبذير العصبي مبذر متلاف وما قيمة قطعة من معدن أو ورق لإزاء شيء مشتهى يضمن عليه الخيال ألف لون جميل مما توحى به الانفعالية ، ويمكن أن يشتري بالمال . إن الترجيع البعيد هو الذي يمكن أن يبصر المرء بما للمال من قيمة في تحقيق حاجات حيوية أساسية . والترجيع البعيد يعوز العصبي لذلك كان العصبي متلافاً مضياً ، فإذا كان قد أوتى الغنى العريض عن وراثته لم يلبث أن يضع ثروته . وهذا أبو نواس يصف لنا فرط تبذيره

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| طربت إلى قطربل فأتيها      | بألف من البيض الصحاح وعين  |
| ثمانين ديناراً جيداً أعدها | فأتلّفها حتى شربت بدين     |
| رهنت قميصاً سابريا وجبة    | وبعت إزاراً معلم الطرفين   |
| وقد كنت في قطربل إذ أتيتها | أرى أنني من أيسر الثقلين   |
| فروحت عنها معسراً غير موسر | أقرطس في الإفلاس من مائتين |

التمرد وحج الظهور إن اللافعالية تصرف الانفعالية عن التأثير في الأشياء إلى الشعور بالذات . فإذا كان الانفعالي اللافعال ذا ترجيع قريب (أى عصبياً) شعر بذاته على أنه ذات أصيلة . وهذا يولد صفتين من صفات الطبع متعارضتين ولكنهما مترابطتان ، تبعاً لكون الشعور بالذات مضطهداً أو مستصراً ، وهاتان الصفتان هما التمرد وحج الظهور .

إن العصبي يتأذى من كل ما يسيء إلى فرديته وأصالته فيتمرد . ويظهر

هذا التمرد لدى العصبيين منذ الطفولة ، فذلك شكل من أشكال تمرد الآباء على الأبناء ( حين يكون الابن عصياً ، والأب غير ذلك ) ، كما يظهر في سن الرشد ، وهو ما يلاحظ في العصبيين عامة ، فهم يتمردون على التقاليد والعادات ، حتى لقد يأخذ تمردهم هذا صورة دعوة إلى القوضرية

يا أحمد المرتجى في كل نائبة قم سيدى نعص جبار السموات  
وما هو في حقيقته إلا تعبير عن الحاجة إلى توكيد الذات تجاه ما يتعرض  
له شعورها بأصالتها وفرديتها وفي البيتين التاليين تتضح لنا الصورة المذهبية  
لهذا النوع من التمرد

وملحة بالعدل ذات نصيحة ترجو إنابة ذى مجون مارق  
بكرت تبصر في الرشاد وهمى غير الرشاد ومذهبي وخلالتي  
هذا النوع من التمرد الناشئ عن الحاجة إلى توكيد الذات لا يتنافى مع  
حب الظهور الذى يشتمل على مذلة البحث في نظرات الآخرين وفي مواقفهم  
وفي كلامهم عما يدل على الاعتبار والإعجاب ، وقد لا يكون ذلك التمرد إلا  
سيلاً إلى الحصول على بعد الصيت فحين نصح أبو اعتاهية لأبي نواس  
أن يرعوى عن شذوذه ، أجابه هذا قائلاً

أترانى يا عتاهى تاركاً تلك الملاهى  
أترانى مفسداً بالنسك بين الناس جاهى

فإذا انتصر العصبى في الحصول على إعجاب الناس به زها بنفسه  
وقد زادنى تهاً على الناس أننى أراى أغناهم وإن كنت ذا عسر  
وإذا لم يستقم له اليقين من ذلك أوغل في الادعاء حباً بالظهور . وادعاء  
أبي نواس أمر معروف ، فقد كان يتعالى على الشعراء ، ويأبى أن يقاس بهم  
ومن امتزاج التمرد بالزهو والادعاء تنشأ الوقاحة ، التى يعرف بها العصبيون ،  
والتي أوردت أبا نواس موارد الهلاك في بعض الأحيان .

الكأبة والغيرة إن اجتماع الالفاعلية إلى الانفعالية يولد مزاجاً حزيناً  
كثيراً فالالفاعلون إذا لم يكونوا انفعاليين لم تنعكس لافعالياتهم في نفوسهم

عواطف . والانفعاليون إذا كانوا فعالين لم تكن انفعالياتهم إلا الطاقة الضرورية للفعل تضخمه على قدر ما تملك من قوة . أما الانفعاليون اللافعالون ( E nA ) أعنى العصبيين والعاطفين ، فهم الذين يشعرون عجزهم عن الفعل حزناً في قلوبهم أليماً ولكن لا بد من التفريق بين العصبيين والعاطفين في هذا فالعاطفيون هم الذين يجب أن يوصفوا حقاً بالكآبة ، لأن الكآبة مقيمة في نفوسهم لا تبرحها ، كما سئرى ذلك عند الكلام على العاطفين ( راجع ص ١١٦ ) ، أما العصبيون فكآبتهم تجيء وتذهب على أن هذا لا يمنع أن مشاعرهم يغلب عليها الحزن .

ويفرق لوسين بين العصبيين أنفسهم في هذا المضمار ، على أساس اختلافهم في ساحة الشعور سعة وضيقة فمن كان ضيق ساحة الشعور من العصبيين كان حزنه أقرب إلى الانزعاج منه إلى الكآبة ، فهو مفاجئ وهو قصير ، وسرعان ما يدوب في كلمة تعبر عن التوجع فكآبتها تطهر من الحزن . وأما من كان واسع ساحة الشعور من العصبيين فلا يندفع هذا الاندفاع السريع ، ولكنه في الوقت نفسه لا يتحرر من ألمه ذلك التحرر السريع أيضاً ، لأن السبب الذي ولد الألم قد انتشر في النفس كلها ، وأشاع فيها المرارة : فلا سبيل لها إلى عزاء سهل .

ومهما يكن أمر هذه الكآبة فإنها ليست ككآبة العاطفي ، فإن سعة الشعور تقنّع الترجيع القريب ولكنها لا تزيله . ولئن كانت كآبة العصبي ذى الشعور الواسع تبقى وتستمر ، فإنها تظل في صعيد العاطفة ، يحسها صاحبها بشعوره ولكنه لا يفكر فيها بعقله ولا كذلك العاطفي ، فإنه يتقل كآبته من صعيد العاطفة إلى أفق الفلسفة أو العقيدة فإذا هي تشاؤم مذهبي بعد أن كانت حزناً معيشاً . وهذه الأمور تصدق على صور أخرى من المشاعر السلبية : كالغيرة مثلاً . إن الغيرة غيرتان واحدة تنفجر شكوكاً وملامات مفاجئة عنيفة ما تلبث أن تزول ، وهذه غيرة أصحاب الترجيع القريب ، وأخرى تلازم الضمير ، وتجترها النفس ، فتسم الحياة شيئاً فشيئاً ، وهذه غيرة أصحاب الترجيع البعيد . وبين

هاتين الغيرتين تقع غيرة العصبي ذى الشعور الواسع التي هي مزيج من شك صادق وعلامات تشبه أن تكون لعباً حتى لكأن صاحبها غير واثق من صدقها وكثيراً ما نرى لدى العصبيين غيرة غير صادقة ، غيرة متكلفة مصنعة ، لا يؤمن صاحبها ، ولو من قبيل الفرور ، بما يتهم به صاحبه أو صاحبه من شر ، ولكن يسعه أن يملكها ليقم النكير على من يتهم أو يتهمها وهذه الحالة تدخل في حالة أعم منها ، تلاحظ كثيراً في سلوك الانفعاليين الالفاعلين ، وهي أنهم إذا كان يخضعون لمن يخفونهم ، فإنهم يثأرون لأنفسهم من ذوبهم وأصدقائهم ثأراً قاسياً ظالماً ، فيتهمهم على غير حق ، ويسومهم سوء العذاب ، لأن ما يحمله لم هؤلاء ن حب يمنعهم من الدفاع عن أنفسهم .

أخلاقية العصبي من ينظر فيما تقدم ذكره من صفات العصبي لا يتردد في الحكم على العصبي بضعف العواطف الأخلاقية .

إن إسناد الأخلاقية أو اللا أخلاقية إلى فرد من الأفراد ليس من شأن علم الطباع ، وإنما هو من شأن الأخلاق فإذا أردنا الآن أن نتجرد من مسح العالم وأن نلبس مسح الأخلاق ، كان علينا أن نفرق بين نوعين من الأخلاقية ، كما فعل لوسين الأخلاقية العضوية الحياتية الناشئة عن الطبع ، والأخلاقية التي هي رد الذات على العضوية الحياتية هذا إنسان أوثق من طبعه استعدادات معينة إننا نستطيع أن نحكم عليها بأنها سيئة أو حسنة ، كما يحكم الزارع بالحسن على الأرض التي تناسب ما يريد زرعه ، وبالسوء على الأرض التي لا تناسبه ولكن هذا الحكم لا يشمل على معنى أخلاقى حقيقى . والشخص الذى يستحق أن يحكم عليه بأنه أخلاقى إنما هو ذلك الذى يعرف بفضيلة ذاته كيف يستخرج من الطبع الذى أوتيته النتائج الحسنة التى يمكن أن تنتظر منه ، وأن يزيل نتائجه السيئة أو أن يمتنعها فالعصبي لا أخلاقى بالمعنى الأول للأخلاقية ، ولا شك أن كثيراً من مظاهر سلوكه تسيء إلى غيره ، ولكن الحكم على عصبي من العصبيين بأنه أخلاقى أو لا أخلاقى بالمعنى الثانى إنما يتوقف على موقفه من طبعه ، على استجابة ذاته الحرة ، المسئولة ، تجاه هذا الطبع ،

على ما يبذل من جهد للتغلب على سيئات طبعه .

رُتمة ملاحظتان إن الأحكام التي يطلقها الناس على غيرهم متأثرة بطبعهم إن الذين بضيقون ذرعاً بما في حياة العصبي من فوضى ويرمونه باللا أخلاقية هم أولئك الذين أوتوا قدراً كبيراً من الرجوع البعيد . وهؤلاء كثيراً ما يغفرون أنواعاً من القسوة والوحشية تحددها قوة الرجوع البعيد هذه ، والقاضي هو الذي يجب أن يقاضى هنا . لقد غفر الإنجيل لمريم المجدلية ، وغفر للزانية ، فكان أقل قسوة على العصيين الذين تزل بهم القدم منه على الفريسيين الذين كانوا ينجحون في أعمالهم كل النجاح .

والملاحظة الثانية هي أن لكل مجن ظهراً فالحياة التي تشتمل على جانب من خطيئة تشتمل هي عنها على جانب من تضحية . إن تاريخ الآداب والفنون هو تاريخ شهداء من العصيين دفعوا اضطراب حياتهم ثمناً لما حققوا من رسالة أدبية أو فنية إن الفضائل التي يعتبرها الإنسان الوسطى قوام الأخلاق : هي إلقاء هذه الحساسية القوية المرهفة التي ينعم بها العصبي ولا ينعم بمثلها المتوسطين من الناس .

ثم إن العصبي يشعر ، من قلة فعاليته ، بأنه دون غيره ، وهو لهذا يستحق أن يرى له أكثر مما يستحق أن يؤاخذ .

### د - سيكوديالتيك العصبي

ما تقدم كان مخططاً للمورفولوجيا الطباعية للعصبي النموذجي ، وقد نُظر فيه إلى الطبع وفقاً للتعريفات التي سبق وضعها (راجع ص ٢١) على أنه طبيعة تؤلف الوضع الدائم الداخلي للأنا ولكن تحليل النشاط الفردي لا يمكن أن يقتصر على هذه المورفولوجيا - فالارتباط بين الطبع والأنا أوثق من أن نستطيع الفصل بينهما . إن كل طبع يدعو الأنا التي يحددها إلى أن ترد عليه وأن توجهه وأن تخصصه فلا بد إذن من إكمال مورفولوجيا الطبع بدراسة الديالكتيك



القصدى ، بإقامة السيكوديالكتيك التي ترد بها الأنا على ما يفرضه عليها الطبع من موقف

وبذلك تكون السيكوديالكتيك قريبة من « علم النفس الفردي » الذي أقامه آدلر ، ولكنها تختلف عنه في أمرين الأول أنها لا تجعل لطائفة من الحركات أفضلية على غيرها ، كما فعل ذلك آدلر إذ جعل « الطموح » وحده أساس دراسته بل هي مستعدة للدراسة جميع الحركات ، فهي علم لا مذهب والأمر الثاني هو أنها تبحث عن معقولة هذه الحركات ، السلبية أو الإيجابية فالسيكوديالكتيك هي صلة الوصل بين علم الطباع بالمعنى الضيق (راجع ص ٢٤) الذي لا ينظر إلا إلى الضع وبين علم الطباع بالمعنى الواسع الذي يدرس مصير الإنسان . ومحورها « العلاقة بين الإنسان الولادى وبين الأنا القردة التي تمتاز بالحرية (لوسين « علم الطباع » . ص ١٩٣) »

وقوام الديالكتيك النفسى لا بد أن يكون إما التعويض عما نكتشفه الأنا في ذاتها عند الاحتكاك بالبيئة أو بالآخرين ، من ضروب العجز ، وهذا ما لاحظته آدلر ، وإما أن تعدل أو تلين القدرات التي عرفت قوتها وعرفت في بعض الأحيان خطرها ، وهذا ما لم يتناوله آدلر بالدرس .

ويمكن القول بوجه عام إن آفة الانفعاليين الالفعالين هي التفريط ، وأن آفة الصعالين الانفعاليين هي الإفراط  
فما هو النقص الذي يحم العصبي في ذاته

الحق أن السبب الرئيسي فيما تشتمل عليه حياة العصبي من صعوبات ليس هو الانفعالية ، لأن الانفعالية قوة على كل حال ، طاقة للعمل تعيش الحياة ، أو موضوع للتأمل يبهجها لا ولا هو الترجيع القريب فلئن كان الترجيع القريب يقلل الانسجام في نشاط الإنسان ، فليس هذا الانسجام ميزة في جميع الأحوال ، من ناحية مصلحة الفرد في أقل تقدير ، ورب مرونة خير في الحياة من صلابة لا ولا هو الانفعالية والترجيع القريب مجتمعين ، فإن اجتماعهما هذا يساهم في جعل الغضبيين أسعد الناس بالحياة وإنما

هو اللافعالية فعلى العصبى أن يناضل ضد هذه اللافعالية قبل كل شىء  
آخر

فاللافعالية سرعان ما تبدو للعصبى ، ولو بدون أن يعبر عن ذلك لنفسه ،  
سبباً مزدوجاً من أسباب الشر فهى سبب من حيث إنها تسلم العصبى لنتائج  
اندفاعيته فهوى كثير من الأحيان لا يستطيع أن يمنع فورات انفعاليته ولا  
أن يعقلها ويكفها

وهذه الآفة يضاعفها ما تفرضه اللافعالية على العصبى من عجز عن  
إصلاحها ، لا سبباً وأنه محروم من الترجيع البعيد الذى يمكن العاطفى من لحلم  
الانفعالية الطائشة ، ومن تنظم حياته بحيث يستطيع أن يستغل القليل من نشاطه  
فى عمل مشرر وهكذا سرعان ما يدرك العصبى أنه عاجز عن « الإرادة » ، عن  
بذل الجهد وعن مقاومة المغريات ويشعر أن المسافة بين ما هو عليه فى  
الواقع وبين ما يجب أن يكون عليه ، مسافة لا سبيل إلى اجتيازها . حتى إن  
كثيراً من العصبيين قد شكوا من ذلك شكوى فاجعة

ومن هذا كله ينشأ أن العصبى مشغول دائماً بإزاحة هذه اللافعالية التى  
لا تنى تسد عليه أبواب النشاط متى هم أن ينشط . فكيف يستطيع أن يتأدى  
بنفسه إلى القيام بالأعمال التى يجب عليه أن يقوم بها ؟ كيف يلزم نفسه بأن  
لا يؤجل الأعمال الملحة ؟ كيف يواظب على الفعل ولا يهجر مشاريعه الكبيرة  
منى اصطدم بأول عقبة ؟

على أى شىء يعتمد فى هذا الجهد الذى يبذله للتغلب على عطائه ؟ إن  
التغلب على المقاومة يكون باستعمال قوة ، فما هى القوة التى سيعتملها العصبى  
ليس ثمة إلا قوة واحدة يمكن أن يلبجأ إليها ، فيستمد منها الطاقة اللازمة لإزالة  
اللافعالية ، أو قل للنهوض بها ، ولإكراهها على العمل من حين إلى حين  
(إنه امرؤ تعوزه الإرادة) وسوف يعمل إذن بتأثير العاطفة .

هنا تعرضنا هذه المشكلة إن العاطفة لا تساق بالعصا ، وما من أحد  
يستطيع ، بقرار ، أن يأمل وأن يرغب وأن يغضب وأن يحزن وأن يجب وأن

يغض ، مباشرة ، فهذه العواطف مرهونة بشروط أخرى غير الحملة العصبية المركزية ، كالأفرازات الداخلية للعصب السمبائي والعصب الشبه السمبائي فلا بد للعصي إذن أن يعمد إلى طريق غير مباشر ، هو أن يثير في نفسه تصورات من شأنها أن تبث فيه اندفاعة تعدل كسله مؤقتاً ، وتحفزه إلى العمل ثم تحفزه إليه ، من حين إلى حين .

فما عسى أن تكون هذه التصورات ؟ إن تصورات الشر هي التي تحرك وتدفع أكبر من تصورات الخير ، وذلك بما تثير من خوف فلا بد إذن أن يكون تصور بعض الشرور هو الذي يث في العصبي حركة لا يستطيع أن يتلقاها إلا منها « إن الذعر ، والخوف ، والقرف ، وجميع المشاعر السلبية وجميع طرز العذاب تصبح هكذا بنوع من الانقلاب الشيطاني ، هي التواضع التي توجد حركة تعوض عن الفعالية شبه الغائبة » ( لوسين ، « علم الطباع » ، ص ١٩٦ ) هذه هي الإرادة الصغيرة التي تبقى للأفعال إنه يستعمل « قوة السلب » للاندفاع إلى الفعل . وليست البادية والمأزوية إلا بعض صور هذه القوة .

فإذا اكتشف العصبي هذه الطريقة فكررها فأيقن من جلدواها ونجمها ، أصبحت عادة ، وانضافت إلى بنيتها الولادية عنصراً مكسباً من عناصر الطبع وهذا ما أطلق عليه عصبي من أشهر العصبيين هو إدجار بو اسم « شيطان الشذوذ » إن كل ما يصدم الشعور ويفسده ويحمله وحشياً ويعد به عما تقتضيه أعماق الضمير من إيجابية وخير وجمال وانسجام يصبح سبباً لحركة تنجيه في الأصل نحو الشر ، ولكنها أصبحت ذات غاية جديدة هي أن تتيح للعصبي الظفر على كسله فبذلك يستطيع العصبي أن يحفز همة وأن يحرض نفسه وعلى قدر ما به من كسل تكون حاجته إلى ذلك ، وعلى قدر ما به من انفعالية يكون نجاحه فيه .

فما هي الأغواب التي يمكن أن يرتديها شيطان الشذوذ هذا ؟ إن في التجربة التي يعانها العصبيون أو يعرضونها لنا أمثلة على ذلك لا نهاية لها . ويسوق لوسين

بعض أشكالها على سبيل امثال لا الحصر

١ - الميل إلى ما هو مربع وقد تجسد هذا الميل في إدجار بو على أقوى صورة ، وهو الذي يختبئ إلى السيام المرعبة زبائنها من العصيين

٢ - الميل إلى ما هو قاس وهو يمتد إلى الميل السابق بسبب ؛ لكنه يضيف إليه التلذذ بالإحساس بعذاب الآخرين ، وقد يمازجه عندئذ شعور بالتفوق عليهم .

٣ - الميل إلى ما هو مريض ودميم فالعصبي مستعد لتفضيل الدميم على الجميل ، لأن الدميم يهزه ، وهو يبحث عن الحياة لا في العافية والانسجام والفرح ، بل في الاستياء والذعر والتمزق والقلق ( أبطال دوستوفسكى ) .

٤ - الميل إلى ما هو محرم وهو ينضاف إلى التلذذ بالحرصمة والتمرد على المبادئ والشعور بالتفوق على الأخلاق والانصراف على القانون ، فيولد نوعاً من الفوضوية ( راسكولنيكوف بطل دوستوفسكى في « الجريمة والعقاب » ) يجب التفريق بينه وبين أنواع أخرى من الفوضوية ، فليس هو فوضوية اللبثاوين الذين يستمدونها من نظرية عقلية ، ولا هو فوضوية العاطفين التي يفرعون إليها فرعهم إلى الوحدة في أحضان الطبيعة ، وإنما هو فوضوية فنية إن صح التعبير ليس فيها شيء من السياسة بمعنى السياسة .

٥ - الميل إلى ما هو فظ فاسد بذيء فالعصبي يستمد من ذلك شعوراً بتفوقه إنه باللغة البذيئة تنقص من قيمة الأشياء والناس فيعلو بشعوره عليها ويسترد اعتباره لنفسه ، وهذا هو بنوع الغيبة والتنمية والقول الماخر ( أبو نواس ) .

٦ - الميل ، على صعيد الفكر ، إلى ما هو خطأ ومستحيل وعدم فالفيلسوف من العصبيين ينشد تجريرى ذاته فيما يكذب النظام والوحدة والصدق والوجود ، فينته إلى ما هو متناقض ومستحيل وسلبى وعدم .

ولا سبيل إلى حصر كل ما يتعلق به العصبي من قيم سلبية ، من أشباح وعبادات وشياطين وشذوذ وموت .

ولكننا نستطيع أن نتساءل هل شيطان الشذوذ هذا وقف على العصبيين

لا بتعدادهم إلى غيرهم ؟ يجب لوسين على هذا بأن العصيين هم كذلك بحكم طبعهم ، فهم نبعه ومهم يخرج . وقد يسرى إلى غيرهم ولكنهم أمتته ومركز انتشاره .

### ٦ - فئات العصيين

بعد أن عرفنا الطبع العصبي النموذجي يجب علينا أن نميز بين فئات العصيين . ذلك أن العصيين يتفاوتون فيما بينهم في درجة كل مقومة من مقومات الطبع الأساسية ، فاللا انفعالية مثلاً يمكن أن تكون كثيرة ويمكن أن تكون قليلة ، وللانفعالية درجات من الشدة مختلفة وكذلك الترجيع والتزواج بين درجات مختلفة من هذه المقومات الأساسية يولد اختلافاً بين العصيين لا يتجلى في الكم فحسب ، بل في الكيف أيضاً ، فإذا العصيون يختلفون في صفات فرعية من صفاتهم .

وإذا أضفنا إلى ذلك أن المقومات التكميلية تخصص الطبع بانضافها إلى المقومات الأساسية فهنا أن العصيين لا بد أن يكونوا فئات كثيرة يجب أن نفرق بينها .

من ذلك مثلاً أن نفرق بين العصيين على أساس سعة ساحة الشعور ، فنكون أمام نماذج من نماذج العصيين ذوي الشعور الضيق ، ذوي الشعور الواسع

### الواسع

العصبي الضيق والعصبي الواسع العصبي الضيق مركز ويريد التركيز إنه يجب ما هو واضح ، وينشد ذلك حتى في مظهره ، فهو يعنى بتهدامه وزينته ، بل إنه أنيق إن ضيق ساحة الشعور يشجع على الدقة في العناية بالمليس لدى جميع نماذج الطبع ، وربما كان يمكن القول إن العصبي الضيق يتميز عن العصبي الواسع بأن الأول مزرر الملابس وأن الثاني مفكوك أزرارها ومثل هذا التعارض يلاحظ في تصفيف الشعر ، فالعصبي الضيق أميل إلى قصة الشعر المحكمة المسكرية ، في حين أن العصبي الواسع يجب الشعور الطويلة

الطليقة . الأول يسعى إلى التفرق في الموضة ، والثاني أميل إلى الإهمال قليلاً  
والضيق متعال يحقر الناس ويسير في الأرض مرحباً وهو إنما يسعى  
إلى الناس ليعرض نفسه ويژهو بها إن في علاقته بالآخرين مباراة لا تهدأ  
إن كان رجلاً كان في حاجة ملحة إلى النساء ، ولكنه يتصنع احتشامهن وقد  
يغلظ لهن القول والمعاملة وإذا كان امرأة رأيتها تسعى إلى الانتصار على غيرها  
من النساء ، وتغذ الخطي إلى احتلال المكان الأول إن بالعصي الضيق كثيراً  
من الوقاحة . ولا كذلك العصي الواسع فهو يستطيع أن يصطنع التواضع قولاً  
وعملاً ، وهو لهذا يحب إن القلب ، باش باسم . والانتقال من لحظة إلى أخرى  
لدى الضيق متقطع وهذا ما يسبغ عليه مظهراً متكرراً لا مرونة فيه أما  
العصي الواسع فانتقاله ذلك متصل لين سيال ، فالتجارب والأفكار يستحيل  
بعضها إلى بعض في غير عنف حتى لكأنها الحلم المسترخى والإرادة  
لا شأن لها في حياته ، فالشعور يجري على هون من تلقاء ذاته . إن جو فكره  
لا يشبه الضوء الساطع الذي يبرز الأشياء واضحة المعالم . بل هو الغمام والظل ،  
فلا حواشي مقطوعة منقوشة ، ولا أشواك

ويتجلى هذا الفرق في سلوك الفئتين من العصيين ، وإن تشابه ظاهره  
من ذلك أن هذين العصيين كليهما متلافان ، يسرفان في بذل المال بسهولة ،  
ولكن الضيق يفعل ذلك حباً بترف يژهو به على غيره ، أما العصي الواسع فيفعله  
انسياقاً مع لذات سهلة تارة ، وإهمالا تارة أخرى ، وكرماً أريجياً في كثير من  
الأحيان ( إن سعة الشعور هي النفس للتعاطف )

والعصيون الضيقون يجنون الاختلاف إلى المجتمعات والمصالوات أما  
الواسعون فيكروهون ما تقتضيه هذه المجتمعات من التزامات تكبل الحرية  
ويؤثرون عليها الرفاق لا كلفة بيهم ولا قيود تقيد ما بيهم من علاقة وما أشبه  
هذا بحبهم للحيوانات والطبيعة . إنه ليتعجبهم أن يريدوا . العمل بفهمهم ،  
ولا بد أن يغيرهم موضوعه حتى يقبلوا عليه . وما أحلى الانسياق مع الأحلام ،  
يتخللها لمح عصفور وقطف زهرة

وقد وصف لوسين أربع فئات من العصبيين ، على أساس التفريق بين درجات الالفاعلية وسعة الشعور وضيقة ، وأطلق على كل فئة من هذه الفئات اسماً ، فهناك

أولاً : عصبيون طائشون (ضيقون جداً لا فعالون جداً) إدجار بو ،

ويودليز

وهؤلاء يظهر فرط الالفاعلية عندهم في لجوئهم إلى أعنف وسائل التحريض الخمر والمخدرات وشيطان الشذوذ إنهم عاجزون عن تنظيم حياتهم تنظيماً مفيداً وإن رؤاهم الفنية متبلورة صارمة الخواشي ، فصورهم مقطوعة قطعاً ، وأشعارهم مصكوكة صكاً ، ينضاف بعضها إلى بعض ، لا ينصر بعضها في بعض وهم في حالة تمرد على البيئة دائم وحياتهم من ذلك صعبة في غاية الصعوبة ، وفي آثارهم من المرارة مثل ما فيها من التطلع إلى غيب مظلم ثانياً عصبيون متعالون (ضيقون ، لا فعالون قليلاً) بيرون ، موسيه ،

ستاندال ، إلخ .

نلاحظ في هؤلاء دقة التعبير وهم خير من الأولين توفيقاً بين تقلبات العاطفة ومصالح الحياة العملية ، ولكن لذا التوفيق حدوداً وهم على وجه الخصوص متلافون مضياعون من فرط رغبتهم في الملذات ، فما أكثر ما تراكم من ذلك ديومهم يشدون أن تكون اللحظات المتعاقبة من حياتهم عنيفة ، ويحرصون حرصاً خاصاً على أن يجدوا فيها ما يشبع جهم للظهور وهم يزهون بملبهم وتبدو عليهم أمائر الزهو واحتقار سواد الناس . وهم شغوفون بالجمال . ومن اجتماع ذلك التعالي إلى هذه العناية الفنية يصلون إلى تعبيرات عن الحياة أخلاقية ، في صورة البطولة مثلاً ، فهم قادرين على الشجاعة العسكرية ، ولكن تجردهم مشكوك في أمره .

ثالثاً عصبيون منحلون (واسعون لافعالون جداً) لا فونتين ، فرلين ...

إن هؤلاء منحلون بالمعنيين كليهما ، بمعنى الانحلال الذي يجعل الحياة غير ذات تماسك ولا نظام ، وبمعنى الانحلال الذي يتجلى فسقاً ونزوات جنس .

ذلك أن اجتماع الإفراط في اللافعالية إلى الإفراط في سعة ساحة الشعور لا يساعد على تنظيم الحياة تنظيماً عقلياً، فحياتهم فوضى ، كريحشة في مهب الريح . وما أغنى نفوسهم بالإحساس الشعري وهم في هذا لا ينشدون رسم الخطوط الواضحة بل يوحون إيماء ، ويوشون إيماء ولم شهوات حية قوية ، ولكنهم ليسوا قساة في اختيار النساء لإرضاء شهواتهم . إنهم شعراء كبار . ولكنهم يظلون أطفالاً إلى الأبد ، لأنهم في حاجة دائمة إلى من يحبهم ويحموهم .

رابعاً عصبيون مكثبون (لافعالون قليلاً واسعون) لوتى شوبان ، دوديه .

إن تنقص هؤلاء للأشياء لا يشتمل على شيء من عداوة ، وإنما هو تنقص حزين مشفق إن لوتى يندب الحضارات الصائرة إلى انحلال ، وإن شوبان ليصنع موسيقى الكتابة . وقد كتب دوديه صفحات في الناس والأشياء ، لاتصارعها في حزنها صفحات . إن هؤلاء هم في نثرهم شعراء .



## الفصل السادس

### العاطفي<sup>(١)</sup>

#### ١ - الصيغة الطباعية

العاطفي هو الانفعال اللافعال ذو الترجيع البعيد (E nA S)

#### ٢ - عاطفيون من التاريخ

أبو العلاء المعري ، مدام آكرمان ، آميل ، فون بادر ، سوللي برودوم ،  
ثاكري ، تورو لوكونت دوليل ألفرد دوفيني ، روبسيير - روسو ،  
فوفنارج ، كركجود ، إلخ

---

(١) لوين ، « علم الطباع » ، ص ٢٠٩ - ٢٩١ ، « المصير الشخصي » ، ص ٦١ - ٦٤ ،  
جاستون بروجيه ، « تحليل الطبع » ، ص ٤٢ - ٤٥ ، « الطبع والشخصية » ، ص ٢٠ - ٢٢ ،  
آندره لوجال ، « علم طبع الأطفال والمراهقين » ، ص ١٤٢ - ١٨٢ ، إميل كاي ، « الطبع  
وانحطوط » ، ص ٨٤ - ١٣٢ ، روبير ميريور ، « دراسة الطباع » ، ص ١٠٧ - ١٠٩ ،  
بول جريجيه ، « الذكاء والتربية العقلية » ، ص ١١٩ - ١٢٨ ، مينار ، « التربية والطبع » ،

## ٣ - نتائج إحصائية

| الوسطى | النسبة المئوية | الصفات                   |
|--------|----------------|--------------------------|
| ٤٥,٧   | ٦١,٩           | عنيف                     |
| ٥٢,١   | ٦٥,٥           | سريع الاحتياج            |
| ٣٦,٧   | ٦٤,٦           | متقلب المزاج             |
| ٤٣,٦   | ٤٥,١           | انفداسى                  |
| ١٠,٤   | ١٥,٩           | يحب الوحدة               |
| ٣٠,٧   | ٥٤,٩           | مهموم                    |
| ٣٥,٥   | ٣٨,٩           | مخلق                     |
| ٣٦,٨   | ٤٧,٨           | حرون                     |
| ١٦,٣   | ٢٤,٨           | يبحث أفكاراً واحدة       |
| ٣٦,٥   | ٥٣,١           | متردد                    |
| ٤٣,٩   | ٢٨,٣           | شجاع                     |
| ٣٤,٥   | ٤٦,٩           | عجول                     |
| ٣٠,٨   | ٥٢,٢           | تشيط عزيمته بسهولة       |
| ٤٦,٨   | ٧٧,٠           | يحب الذكريات القديمة     |
| ٣٨,١   | ٦٦,٤           | متعلق بالمعادن           |
| ٤٣,١   | ١٥,١           | يحب للتفكير              |
| ٥,٢    | ٩,٧            | مكتسب قائم               |
| ٣٢,٤   | ٥١,٣           | غير راض عن نفسه          |
| ٤٧,٦   | ٥٤,٩           | قليل المتابعة بتدائه     |
| ٥٧,٠   | ٦٨,١           | اتفاق بين أقواله وأعماله |
| ٦٦,٩   | ٧٣,٥           | سلوك شريف                |
| ٥٧,٣   | ٦١,١           | صادق                     |
| ٧٧,٣   | ٨٧,٦           | أمين في شؤون المال       |
| ٧٧,٧   | ٨٣,٢           | طيب مع من هم دونه        |

## ٤ - الصورة النفسية

( شدة التأذى العاطفي ، كالعصبي ، يهتر لجميع الحوادث التي تمس اهتماماته ، ولو كانت حوادث يسيرة . ولكن الحادثة تتسع من العصبي استجابة اندفاعية ، أما لدى العاطفي فإن الترجيع البعيد يتدخل فيكبت الميل إلى الاستجابة المياغنة الطائشة ، فينشأ عن ذلك أن السبب المولد للانفعال ، بدلا من أن يفرغ من أحداث تأثيره وهو على سطح النفس إن صح التعبير ويدلا من أن يتجه إلى الخارج : ينفذ إلى قرارة النفس ويؤثر في أعماقها ، فإذا الذي يخز العصبي وخزاً ولو حاداً يولد في قلب العاطفي جرحاً قد يكون كبيراً وقد يكون صغيراً لكنه لا يتدمل بسرعة ، فالعاطفي يتألم مما يؤذيه ألماً عميقاً لا يتجلى في حركة اندفاعية ، لكنه ألم كظيم .

دخل الوزير المشهور بالمنازي على أبي العلاء فأله ما هذا الذي يرويه الناس عنك ، قال قوم حدودني فكذبوا على ، فأجاب المنازي : وعلام حدودك وقد تركت لم الدنيا والآخرة ( يريد بذلك أن يؤذيه ) قال المنازي قال أبو العلاء والآخرة ؟ ثم أطرق ولم يكلمني حتى قمت عنه وزاره أحد القضاة فقال له أبو العلاء ، لم أهج أحداً ، قال صدقت ، إلا الأنبياء ( يريد أن يؤذيه أيضاً ) ، قال فتغير لونه

تخصص الانفعالية إن الترجيع البعيد يمكن العاطفي من وقف الاستجابة ، ويتيح له أن يفكر في الأمور التي هزت نفسه وولدت انفعاله فيحكم على بعضها بأنه تافه لا يستحق أن يثور له ، فيهدأ الانفعال الذي اضطربت به نفسه ثم يزول ، ويحكم على بعضها الآخر ، خطأ أو صواباً ، بأنه يستحق أن يهز النفس فيشد بذلك انفعاله ويقوى وينشأ عن هذا أن تنقسم انفعالية العاطفي إلى قطاعين قطاع هادئ لا يهتر ، وقطاع متحفز يوشك أن يهتر في كل لحظة . وهذا ما نطلق عليه اسم تخصص الانفعالية فكان الشخص أصبح حساساً

إلى أبعد الحدود بالنسبة إلى بعض الحوادث ، وهادئاً إلى أبعد الحدود بالنسبة  
إلى حوادث أخرى قد تكون أخطر شأنًا من الأولى موضوعياً » (لوسين ، « علم

الطباع » ، ص ، ٢٢ )

وبما يسهل تخصص الانفعالية هذا ويفاقمه لدى العاطفي أن تكون ساحة  
شعوره ضيقة جداً ذلك أن ضيق ساحة الشعور من شأنه أن يزيل أو يقلل  
بعض التنبهات ، وأن يزيد تأثير بعضها الآخر بتركيز الانتباه عليه وهذا  
ما يؤدي إلى ما يمكن أن يسمى انقسام الشعور ، فإذا الشخص يبدو للناس  
من بعض النواحي شبيهاً بهم ، لا يختلف عنهم ، ثم هو يبدو لهم من بعض  
النواحي الأخرى غريباً عنهم يستعصى فهمه عليهم وفي آخر مراحل هذا  
الاتجاه نلتقي بالعاطفي الذي يمكن أن ينعث بالتصلب فثمة الترجيع البعيد  
وشدة ضيق ساحة الشعور هما ما يولد الجمود أو التصلب المذهبي لدى شخص  
مثل روببير . ولكن العقل لدى روببير لم يصبح ميكانيكياً وإن تصلب .  
أما إذا تفاقم هذا الاتجاه فإننا نصل إلى البخلاء الذين يمدنا انشولون الأغنياء  
بنموذجهم الأقصى فالانفعالية لدى هؤلاء قوية في أكثر الأحيان ، لكنها  
تجمدت على صورة شك مركز على موضوع بعينه هو خوفهم من أن يسرقوا  
مثلاً وفي مقابل هذه الحساسية المفرطة في هذا الموضوع نراهم قد فقدوا كل  
حساسية إزاء أنفسهم وإزاء الآخرين فيما لا يتصل بهذا الهوى الوحيد .

العلاقة بالطبيعة البشر هم الذين يصنعون الطبيعة ، وكل إنسان يصنعها

وفقاً لطبعه أما بالنسبة إلى العصبي فالطبيعة منظر متعدد الأشكال والألوان  
مؤثر وأما بالنسبة إلى الشخص الفعال فقد تكون حقلًا يمكن استغلاله ،  
أو ميدان قتال ولقد كانت الطبيعة بالنسبة إلى بركلي المتدين حديث الله .  
وهي بالنسبة إلى انبساطي يارد العاطفة قوانين يجب اكتشافها واستعمالها . وهي  
بالنسبة إلى لمقاربي موضوعي نظام . فما عسى أن تكون الطبيعة في نظر عاطفي ؟

إن الاتحاد بين الطبيعة وبين العصبي يكون خاصة بصفات بصرية وسمعية .  
فما يستقبله العصبي من الطبيعة إنما هو الألوان والأصوات ، فرحة أو حزينة .

وهذه التأثيرات لا بد أن تجزئ الطبيعة في نظره وأن تعبرها أما العاطفي ،  
فكما يشعر بذاته على أنها وحدة ثابتة ، كذلك يعنى بالطبيعة على أنها كل

(لوسين ، « علم الطباع » ص ٢٢٥) فإذا لم يكن الرجوع البعيد لديه  
مسرّفاً في القوة ، وكان واسع ساحة الشعور ، شديد الانفعالية : أى إذا كان  
حالمًا مثل روسو كانت الطبيعة هي الملاذ التي يفرغ إليه منتهز منزله ، يشعر  
بانسجامه معها على قدر شعوره بعدم الانسجام مع البشر أما إذا كان قوى  
الرجوع البعيد ، ضيق ساحة الشعور ، غلب الشاؤم عنده الحماسة : فكانت  
الطبيعة في نظره شيئاً عديم الإحساس . عدواً للعاطفة الإنسانية

٢٠ الشغف بالتأمل يعنى التأمل : تارة ① استسلام الشخص للأحلام على  
طريق يتنزه فيه وحيداً ، ويعنى ، تارة أخرى ② استغراق الشخص ، تبعاً للظروف ،  
وعلى غير سابق مسّوج وتنظيم ، في تأملات أخلاقية عن الإنسان ومركزه في العالم  
وسلوكه وكيف ينبغي أن يكون ، ويعنى تارة ثالثة ③ أكرية والغيرة واختلاق الأفكار  
الوهية وإسناد سوء النية إلى الناس بغير حق ، الخ وهذا كله يلاحظ لدى  
العاطفين وإذا رجعنا إلى آثار الشعراء والأدباء مهم رأيها حافلة بالتعبير  
عن كل ذلك (المعري ، فيني ، آسبيل) ولعل ما كتبه المعري إلى خاله  
أبي القاسم عن احتفال أهل بغداد به حين هم أن يعود إلى المعرة ، وحزهم لفراقه ،  
أن يكون أصدق تعبير عن سوء الظن إذ قال أكان مصدر هذا النفاق  
أم الاخلاص ؟ ولقد كان أكثر شعر أبي العلاء تأملات في الإنسان ومصيره  
وحياته وقدره وأخلاقه

نزول كما زال آباؤنا ويسقى الزمان على ما ترى  
هار يمر ولسل يكر ونجم يغور ونجم يبرى

• • •

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحتى لكان البسطة أن يكسوا  
٢١ الانطوائى الانطوائى هو ذلك الذى يدبر ظهره للطبيعة للإدراك ،  
وينطوي على نفسه ولا يعنى إلا بما يجرى في داخله والانبساطى هو الذى

« يتشر في الخارج » ويفغل عن حساسيته الخاصة بالانصراف إلى رؤية الأشياء .

ولا بد أن يكون العاطفي هو الانطوائى ، وأن يكون نقيضه . الدموى . هو الانبساطى تبعاً للصفة الطباعية لكل منهما .

١ - إن العاطفي انفعالى ، ولكنه غير فعال ، فما تنقلب تأثراته الانفعالية إلى استجابات عملية . ثم إن الترجيع البعيد الذى يكبت الاستجابة يفاقم ما تحققه اللافعالية من ألحاح عن الفعل . واللافعالية والترجيع البعيد يساهمان أثناء ذلك فى إطالة انفعالاته التى تتصف غالباً بأنها أئمة فكيف والحالة هذه ، لا ينصرف إلى تأمل ذاته ؟ إنه لو كان ذا ترجيع قريب ، كالعصبي ، لكان من الممكن أن يستجيب على الفور ، ولكان يستقل من تأثير إلى تأثير تبعاً لتقلب الحوادث ، ولو كان فعالاً ذا ترجيع قريب كالعنفي لكان الفعل الذى تضيخه طاقة الانفعالية يصره إلى العالم الخارجى ليؤثر فيه . ولو كان غير انفعالى وفعالاً وذا ترجيع قريب ، كالدموى ، لما كان فى حياته الداخلة المنغبرة ما يدعوه إلى تأمل ذاته أئمة . والجموح الذى يشترك معه فى الانفعالية والترجيع البعيد إن كان يعرف غنى الحياة الداخلة أكثر من غيره فإنه يحكم فعالته التى تغذى طموحه مسوق إلى العمل الاجتماعى والمفاوى هو من الجموح بمنزلة الدموى من العنفي

من هذه المقارنات كلها نفتتح بأن شعور المرء بالذاتية ، بأنه ذات إنسانية فردية تفرح وتأمل ، وتغرق فى أفراسها فى آلامها خاصة ، إنما هو ميزة العاطفين وحملهم الذى به ينوون .

٢ - هذا كله يتفق مع كتابات كبار العاطفين ومع حياتهم وما أحدثوا من تأثير . إن « اعترافات » جان جاك روسو تعبر عن قلب حياة روسو ، الذى لا يشعر بالسعادة إلا حين يزدوج شخصيتين إحداهما متألمة والثانية موضوع التأمل . وأميل يبلغ ذروة قوته وهو يتأمل عجزه وكر كجود يستمد من كآبته الشعور بشقائه وصبوته إلى الإيمان . وكان أبو العلاء « شديد الاعتراف بنفسه ،

كثير التذكير فيها « ( طه حسين ، « تجديد ذكرى أبي العلاء » ، ص ٢٠١ ) .  
وهؤلاء جميعاً يدعون العلم لغيرهم وحتى جمال الطبيعة لا يعينهم كما  
تعينهم قدرة الطبيعة على إثارتهم . والذي يعينهم حقاً إنما هو الإنسان ، لا الإنسان  
كما يرى من خارج ، لا الإنسان في الآخرين ، بل الإنسان ذاتاً تدركه التحليل  
الداخلي .

٣ - وهل عجب بعد هذا أن يكتب العاطفيون « يوميات شخصية »  
ودفعاً للالتباس يجب أن نوضح على وجه الدقة ما نعنيه بقولنا « يوميات شخصية » .  
ليس يكفي أن يكتب أحد الناس كل يوم شيئاً لنفسه حتى نعد ما يكتبه  
« يوميات شخصية » . رب شخص لا يزيد على أن يسجل في دفتر له بعض  
الملاحظات والآراء والنصوص ، ورب آخر لا تزيد يومياته على أن تكون كتاباً  
في التاريخ يسجل الأحداث التي تقع . ورب رجل من رجال السياسة يقبع في  
سجن أو يعتزل العمل السياسي ، فيسجل ذكريات الأيام التي خلت مدافعاً  
عن نفسه مبرراً أعماله ، إلخ وهذا كله لا شأن له باليوميات الشخصية التي  
نحن بصدها . إن كتابة اليوميات الشخصية أدنى إلى الذاتية العميقة من ذلك .  
فكتاب اليوميات الشخصية لا يتميز بأنه يكتب لنفسه ، وإنما يتميز بأن ما يعنيه  
فيما يكتبه ليس هو الحوادث الموضوعية بل تأثير هذه الحوادث في نفسه إنه  
لا يحلل الحوادث ، بل يحلل نفسه في الحوادث .

وعلى هذا الأساس تبدو اليوميات الشخصية تعبيراً ضرورياً عن اجتماع  
الخصائص الأساسية الثلاث التي يتألف منها طبع العاطفي الصرف فلو كان  
بلا اتفالية لأعوزته مادة اليوميات الشخصية ، ولو كان فعالاً لانطلق توتره  
الداخلي عملاً في الخارج ، ولو كان ذا ترجيع قريب لما تراكت وتخزنت في  
نفسه آثار الأحداث لترجع فيها مدة طويلة . إنه من اجتماع خصائصه الأساسية  
الثلاث يُشحن بطاقة يؤله توترها ، ولا بد لها من منفذ تخرج منه . فإذا  
هي تتساقط على الورق مقالات يكتبها كل يوم وإنه ليرتاح لهذا العمل  
يحل به متناقضاته الحبيثة ، ويرهن لنفسه على ما يملك من قوة داخلية ورهافة

في الشعور ، ويمجد في ذلك سيلاً إلى أن يصبح اثنين مع بقائه واحداً وإذا شرع المرء في عمل استمر عليه متى التى فيه ارتواء معظم استبداداته الطبيعية ، لذلك يستمر العاطفي على كتابة اليوميات الشخصية ولا يتقطع عنها ، لأنها تسبح حبه للوحدة ، وحاجته إلى التأمل الأخلاقي ، وتعلقه بماضيه ، وحزيره . وإهمامه بمثل الأعلى ، إلخ .

إن جميع العاطفين من الكتاب قد تركوا يوميات شخصية أو ما يشبه ذلك . وإذا لم يكن بين أبدنا شيء من هذا للمعري ، فإن آثار المعري لم تصل كلها إلينا . ونستطيع على كل حال أن نعتبر شعر المعري نفسه تسجيلاً لتأثيراته إزاء الأحداث ، وإفصاحاً عما يعانى من قلق وحيرة

أصبحت في يومئذ أسائل عن غدى متخبراً عن حاله متدسا  
أما اليقين فلا يقين وإنما أقصى اجتهادى أن أظن وأحدسا

حب الوحدة : الوحدة خير جو للانطوائية . ولكن شتان بين وحدة ووحدة

لقد كان ديكارت ( وهو جموح شبه لفاوى ) ينشد الوحدة هو أيضاً ، سواء في باريز حين كان يهرب من أصدقائه ، أو بين الناس في مدينة كبيرة بالخارج ، ولكنه كان ينشدها ليستطيع الانصراف إلى التفكير والعمل . أما المعري وروسو وفييني فقد كانوا ينشدون الوحدة ليجدوا ذواتهم فيها تجرحهم الأشياء أو يجرحهم الناس فيفزعون إلى القرية والجبال والغابات ليستغرقوا في معاناة تجربتهم الداخلية ، وليتصلوا بمنابع قوتهم الشخصية .

ولكن العاطفي يتقلب بين محبة الوحدة ونشدان المجتمع ( المعري : روسو أميل ، مين دويران ) . إنه يهرب من المجتمع بعد أن يجرح ، ويشعر في أول الأمر بلذة عظيمة في الوحدة . ولكن الضجر ما يلبث أن يأخذ بمخاقه . فيتمنى أن يعود إلى المجتمع ، ويشجعه على هذا أن مطامحه تكون قد اختمرت أثناء ذلك ، فيعود إلى الناس وهو ينوى أن يصلح المجتمع ، وأن يجيد الآخرين ، فما أن يعد حتى يجد في صلابة التقاليد وبرودة غيره حياله ما يجرح عاطفته فيتألم من أن الناس لا يقرونه حتى قدره ، ولا يعرفون بفضله ، فيؤذبه كلامهم ، ويظن



فيهم العداوة مع أنهم قد لا يكونون كذلك ، ثم إذا هو بعد هذا كله يرتد إلى الوحدة مرة أخرى ، ليخرج منها ثانية ، وهكذا دواليك كذلك كان شأن المعري حين مضى إلى بغداد ، واختلط فيها بالناس ، ونبه شأنه بينهم ، ثم لم يلبث أن قرر العودة إلى المعرة ، وهو يعزم على أن يجس نفسه في بيته لا يقابل أحداً ، حتى لقد حذر أهل المعرة من الخروج للقائه عند عودته ، في رسالة بعث بها إليهم . وحقق لنفسه هذه العزلة التامة فعلاً خلال مدة من الوقت ؛ لكنه لم يلبث أن عاد إلى استقبال الناس ، وتعليم الطلاب ، وهو يشعر في الوقت نفسه بميل إلى الوحدة شديد ، ويردد قوله

وفي وحدة المرء سر له فكن مثل سيفك حلف الريد  
أو قوله : فانفرد ما استطعت فالقاتل الصادق يضحى ثقلاً على الجلاء ،

استرجاع الماضي الذاكرة تمد الإنسان بما يرغب فيه طبعه . فالانبساطي تمده الذاكرة بعناصير التذكير المحرد ، والشخص الفعال تمده ذاكرته بالمعلومات اللازمة للشروع في عمل ، والعاطفي تمده ذاكرته بما هو في حاجة إليه لتغذية حياته الداخلية .

وأول ما يلاحظ لدى العاطفي في هذا أنه يؤثر تذكر حادث من الحوادث على الحادث نفسه . ذلك لأن الحادث يفجأه ويقتضي منه قراراً وفعلاً ، فضلاً عن أنه لا يفيد غذاء على الفور ، وفضلاً عن أنه مثقل بأمور تافهة وتفاصيل مربكة ، حتى إذا أصبح الحادث من الماضي ، تحرر من خارجيته ، وأمكن أن يكون موضوع تأمل . ومن هذا ينشأ الحنين الشديد إلى الماضي حين كان

المعري بالمعرة كان ضيق الذرع بها ، فلما ذهب إلى بغداد أخذ يمن إلى المعرة  
فيا بريق ليس الكرخ دارى وإنما رماني إليه الدهر منذ ليال  
فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسال  
فلما عاد إلى المعرة ، كان يذكر أيام بغداد في كثير من الحنين والشوق  
والأسف ، ويقول

يا لطف نفسى على أتى رجعت إلى هذى البلاد ولم أهلك ببغدادا

ولاسترجاع الماضي مظاهر كثيرة . إن ما أصبح يطلق عليه بعد روسو اسم « التفكير على السلم » ينشأ عن أن العاطفي لم يكن يملك كل ذهنه للتفكير وأن نفسه كانت مشحونة بالانفعال : حتى إذا انقضى بعض الوقت استرد هدوءه ، وعرف ما كان ينبغي له أن يجيب به ، وأعاد تصور الحادث على نحو ما لعله وقع . كان روسو يعرف ، وهو هابط على السلم : ما كان ينبغي له أن يقوله وهو في الصالون وقد دخل على المعرى ذات يوم رجل من قراء المعرة يعرف بأبي القاسم ، فطلب منه بعض الناس أن يقرأ شيئاً من القرآن ، فتلا قوله تعالى « ومن كان في هذه أعمى : فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً » : وإنما يريد إيذاء أبي العلاء ، فاضطرب أبو العلاء ولم يعرف ماذا يقول : ولكنه هجا أبا القاسم بعد ذلك .

ومن مظاهر استرجاع الماضي التي لا تخلو من غرابة ، ما يطلق عليه اسم « العواطف الرجعية » ، وهي تنشأ عن الانفعالية ذات الترجيع البعيد وعن الانفعالية بوجه خاص . وتنطبق هذه الكلمة على جميع الحالات التي نلاحظ فيها فاصلاً زمنياً بين إدراك الحادث وإدراك المعنى الذي يجعله مثيراً للانفعال . فكأن الماضي ينفجر في نفس من يتأمله انفجار قنبلة موقوتة يسمع الشخص كلمة ، فلا يدرك أنها مهينة إلا بعد فترة من الوقت ، ولا يثور لها في كثير من الأحيان إلا في غياب قائلها ، أو يبلغه نبأ حادث من الحوادث ، فلا يبالي ، إلى أن يرى على حين فجأة علاقة بين الحادث وبين شيء يعنيه ، فإذا هو يفرح أو يتألم

ويمكننا أن نعد السواس الأخلاقي من نتائج استرجاع الماضي ولحق أن جميع ما للعاطفي من فضائل وعيوب يهينه للسواس . فالعاطفي ، كما سنرى ، ذو مشاعر أخلاقية قوية ، شكلية بسبب الترجيع البعيد ، وعاطفية بسبب الانفعالية . ولكن قوة استرجاع الماضي تجعل هذه العواطف تنصب على ما وقع أكثر مما تنصب على ما يجب أن يكون . وهكذا تنشأ في ضمير العاطفي ندامة ، نصير يتركها على حادث وقع ، إلى سواس . وقد يتبادى هذا السواس فيصبح

مرضياً . وإذا نحن قرأنا من يصفهم بغير جانيه من المرضى بالوسواس لاحظنا أنهم يتمنون إلى الخروج العاطفي .

ومن الوسواس آهام الإنسان نفسه . إنه لمن الشائق أن ندرس كيف تستجيب الطباع المختلفة للإخفاق . إن الفعال ذا الترجيع القريب سرعان ما ينسى الإخفاق ، حتى لا يبتى منه فيه أثر . واللحفاوى يحاول أن يرده إلى أسبابه الموضوعية وأن يبدل الأسباب التي أدت إليه . أما العاطفي فإنه بشخص هذا الإخفاق ، ويسنده إلى ذات هي ذاته الآتية ، فإذا هو يلوم نفسه ويقرعهما وتتهمها بما قد تكون بريئة منه كل البراءة ، كما في قول المعرى

وقد غلب الأحياء في كل وجهة  
كلاب تعامت أو تنادت بلحيفة  
أو كما في قوله

إن مازت الناس أخلاق يقاس بها  
أو كان كل بنى حواء يشبهى  
فإنهم عند سوء الطبع أسوأ  
فبئس ما ولدت للناس حواء

الكآبة بيننا في الفصل السابق أن الكآبة شيء مشترك بين جميع

الانفعاليين اللافعالين . ولكن كآبة العصبى لمحات عنيفة تذهب وتجيء وترتبط بالحوادث أكثر من ارتباطها بالذات : فهي قطرات من السواد إن صح التعبير . أما كآبة العاطفي فهي ترين على نفسه . كلها وتصبغها باللون القائم إلى الأعماق . وكآبة العاطفي ليست غضباً وسخطاً : فالعاطفي لا يتوجع من نصيره ، بل يشكو حظ الإنسانية وليس فيها من الإسفاف ما قد يلاحظ في كآبة العصبى . إنها حداد ميتافيزيقي . ولعل دالية المعرى خير ما يشهد به على هذا النوع من الحداد الميتافيزيقي الذى يرى حال الإنسانية

غير مجد في ملتى واعتقادى  
شبيه صوت النعى إذا قيس  
نوح باك ولا ترنم شاد  
بصوت البشير في كل ناد  
صاح هذى قبورنا تملأ الأرض  
فأين القبور من عهد عاد  
رب لحد قد صار لحنا مرارا  
ضاحك من تزاحم الأصداد

! خفف المطء ما أظن أديم الأرض  
 سر إن اسطعت في اهواء رويدا  
 إلا من هذه الأجساد  
 لا اختيالا على رفات العباد  
 الخ

لقد حاول بعض الدارسين أن يردوا كتابة المعري إلى آفته وإلى حوادث وقعت له في حياته كحوت أبيه عنه ، بل إن في كلام المعري نفسه ما يرد كتابته إلى مثل ذلك ، كقوله إنه رهين المحبين والحق أن كتابة المعري إنما تنبع من طبعه العاطفي هذا بشار ، ألم يكن أعشى ؟ ومع ذلك فقد عرف بشار بالمرح والإقبال على الحياة . إن التعليل الموضوعي الذي يصطنعه إنسان لتبرير ما يعانى من آلام ليس إلا تأويلاً عقلياً لحالة من الكتابة تنوَّى في أعماق طبعه ليس السبب الذي يذكره الإنسان لتعليل كتابته هو الذي يعلل هذه الكتابة بل الكتابة هي التي تعلل ما يصطنع من تلك الأسباب . لقد حاول كيركجرد أن يرد كتابته إلى حوادث وقعت له في حياته ولكن الواقع أن كتابة كيركجرد ترجع إلى أنه عاضى ، شديد الالفاعلية ، شديد الترجيع البعيد ، كثير التحليل العقلى . آفته هي الالفاعلية ، تزعجه في كل لحظة ، وتمنعه من كل حمية ، وتقفه في منتصف الطريق الصاعد إلى الإيمان ، دون أن تصل به إلى الثقة المطمئنة الهادئة ، إلى ثقة « فارس الإيمان » الذي يتحدث عنه في كتابه « الخوف والارتعاش » ، وعقله الذي تلهبه الالفاعلية من جهة أخرى ما ينفك يعمل ، فلما لم يصل إلى العقيدة المشرقة أنشأ فلسفة الإيمان الذي يجب بلوغه وهنا تبرز لنا سمة من سمات العاطفيين هي شعورهم بالمسافة بين ما هم وما يريدون أن يكونوا . هكذا ظل كيركجرد سجين الكتابة

جاء الإذعان المسبق الإذعان ألوان فهناك الإذعان الطبيعي الذي يعبر عنه قول المدعن هذا أمر محتوم . وهناك الإذعان الفلسفى الذى يعبر عنه قول الفيلسوف المدعن هذا أمر يقتضيه نظام الكون . وهناك الإذعان الدينى الذى يفسح عنه قول المتدين هذه مشيئة الله ، ولا راد لمشيئة الله .

وفي هذه الحالات كلها نرى الشخص يذعن لحادث وقع ، أو لحادث

سيقع لا محالة ، كמות مريض يشارف على الموت أو ما إلى ذلك .

غير أن هناك أناساً لا يتظنون وقوع الحادث المشؤم حتى يدعنوا له بل يسهمون في وقوعه ؛ فهم يدعنون له مسبقاً . مثال ذلك أن يتقد المرء نفسه للناس قبل أن يتقدده الناس . كان الكاتب الإنجليزي ثاكوري الذي يؤله النقد كثيراً ، ما يفتك بكرر لأصلقاته حين يوشك أن يصدر كتاب له ، أن كتابه لن يجد من يقرأه ، وأن الجمهور قد مله وسئمه .

والإذعان المسبق هو أصل ذلك النوع المعروف من الانتحار ، انتحار أولئك الرجال الذين لا ينتحرون فحسب ، بل يجرون أرواحهم وأولادهم إلى الانتحار ، خشية إملاق أو خوفاً من خطر . ومن قبيل ذلك أيضاً امتناع بعض الطلاب عن دخول الامتحان مخافة الرسوب .

الحجل الحجل صفة من صفات الانفعاليين ، والقرني بينه وبين الإذعان المسبق واضحة : صاحب الإذعان المسبق يخاف على ذويه من الشقاء ، فيؤثر أن يمنع عنهم وعن نفسه معاناته ، والحجول يخاف أن يسوء الإجابة وأن يقول كلاماً غير صحيح يجب له الاحتقار ، فيصمت . ونحن في الحالتين إزاء حسامية يسهل أن تجرح ، ورغبة في حماية النفس .

إن جميع الدراسات التي تناولت الحجل تصف الحجول بعين الصفات التي يتصف بها العاطفي . من ابتعاد عن المجتمع ، وانطواء على الذات ، واجترار نفسي ، وإسراف في تحليل المشاعر ، واستغراق في الحياة الداخلية ، وزهو ، إلخ . كره البشر يمكن أن يقال عن الحجل إنه كره للبشر مؤقت ، ويمكن أن يقال عن كره البشر إنه حجل دائم . فمن الطبيعي أن يكون كره البشر صفة من صفات العاطفيين تميزهم عن غيرهم . والحق أننا نستطيع أن نفهم ذلك من النظر في صيغهم الطباعية فمن اجتماع الانفعالية إلى التراجع البعيد ينشأ أن يضع العاطفي مثلاً أعلى يريد للإنسان ولكن من أعماق ذاته ومن الآخرين ينبع ما يكذب هذا المثل الأعلى . فهو يلاحظ ، فيما يتعلق بنفسه ، أنه عاجز عن تحقيق كل ما يود تحقيقه ، وينشأ عن ذلك أنه يلوم نفسه على عجزها

عن الارتفاع إلى مستوى المثل الأعلى وهو من جهة أخرى يتصور الآخرين على غرار نفسه من ناحية التقصير عن بلوغ المثل الأعلى كما أن أعمالهم تجرحه من فرط تأذيه . ومن ثم ينشأ أنه يلومهم ولذلك نراه يقدح ولا يمدح ، وهذا هو التنقص من قيمة البشر ، وهذا هو كره البشر . فالناس

كلاب تعارت أو تآدت بلحيفة وأحسبى أصبحت الأهم كلبا  
إن مازت الناس أخلاق يقاس بها فإنهم عند سوء الطبع أسوأ  
أو كان كل نبى حواء يشبهى فبس ما ولدت للناس حواء

محبة الحيوانات ومن السهل أن نفهم بعد الذى تقدم أن يميل العاطفيون

إلى الحيوانات أكثر مما يميلون إلى الأطفال . فالحيوانات ليست بشرا وإنما هي من الطبيعة ، أما الأطفال فلهم ما لآبائهم من أهواء الإنسان التي يقاومونها لجهلهم بما تحدثت من أذى لقد عرف المرعى بحبه للحيوانات ، وإشفاقه عليها حتى لقد ناجى شعره الديك والحمامة ورثى الشاة والنحل وبكى على الناقة . وقد مرض مرة فوصفوا له الدجاج فامتنع وألحوا حتى أظهر الرضا ، فلما قدم إليه لسه يده فجزع ، وقال استضعفوك فوصفوك ، هلا وصفوا شبل الأسد ، ثم أبى أن يطعمه .

الشعر الفلسفي في الشعر الفلسفي يتعاقب الانفعال الذي لا بد منه لكل

شعر ، والتفكير الذي يستند إلى الرجوع البعيد . فلا بد أن يكون الشعر الفلسفي خاصة من خصائص العاطفيين من الشعراء ونحن هنا على الحدود بين الشعر والفلسفة فقد الشعر شيئا من نضارة الإلهام لكنه لم يصبح فلسفة بعد . إنه يشتمل على نظرات فلسفية ، ولكنه لا يتضمن مذهباً فلسفياً بالمعنى الحقيقي . وهذا شأن جميع العاطفيين من الشعراء المرعى فينبى لوكونت دو ليل ، لوقريطس ، وغيرهم .

التمرد على الأديان مع بقاء الشعور الديني الدين مشاعر وعواطف من

جهة ، وهو عقائد وطقوس وتنظيم اجتماعي من جهة أخرى . والعاطفيون بتعلقون من الدين بوجهة الأول ويخرجون على وجهة الثاني . حتى لقد يسهون الديانات

من حيث هي عقائد وطقوس ورجال دين وتعصب طائفي وتفریق بين البشر ،  
مع احتفاظهم بالعاطفة الدينية .

دين وكفر وأنباء تقصى      وقرآن ينص وتورا وإنجيل  
في كل جيل أباطيل ملفقة      فهل تفرد يوماً بالهدى جيل

• • •

في اللاذقة فتنة ما بين أحمد والمسيح  
هذا بناقوس يدق وذا بمثدنة يصيح  
كل بمجد دينه يا ليت شعري ما الصحيح

وحين يقول المعري

اثان أهل الأرض : ذو عقل بلا دين ، وآخر دين لا عقل له  
فإنه يقصد بالدين الأديان المختلفة لا الشعور الديني الذي تدل أشعار كثيرة  
له على أنه كان قريباً في نفسه

التفور من السلطة      يمكن أن نقول على وجه العموم إن العاطفي لا يهدف  
إلى السلطة . وقد لا يرفض العاطفي السلطة ، وقد يتمنى أن يمارسها لشعوره  
بالواجب أولاً ، ولاستيائه من سوء ممارسة الآخرين لها ثانياً ، ولكن هذه الأمنية  
تظل أمنية . ذلك أن قيادة الناس تقتضي خروجاً عن الذات ، وفتضي جهداً ،  
والعاطفي امرؤ فردي ، وهو ينفر من الجهد والمسئولية ؛ لذلك لا يسبغ السلطة  
ولا يسعى إليها .

لقد أكره أبو العلاء على أن يكون سفير قومه عند صالح بن مرداس حين  
حاصر المعرة وألح عليها ، فأحسن السفارة      على أنه لم يعد من عند صالح حتى  
أعلن أنه لذه السفارة فقال

بعث شفيعاً إلى صالح      وذاك من القوم رأى فسد  
فيسمع مسى سجع الحمام      وأسمع منه زئير الأسد  
وحين دعى أبو العلاء إلى مصاحبة عزيز الدولة : لم يسهه إلا أن يعتذر  
توحده فإن الله ربك واحد      ولا ترغبن في عشرة الرؤساء

إن فيني ليلخص موقف العاطفي حين يقول في بيوماته « المواطن الحقيقي الحر هو ذلك الذي لا يحرص على الحكم ، ولا يستند من الحكم شيئاً ذلك هو تفكيرى ، وتلك هى حياتى . »

الانفجار سبق أن أشرنا إلى الاندفاعية الانفجارية ، التى تلاحظ فى العاطفى ، وذلك أثناء الكلام على اندفاعية العصبى إن الانفجار الذى تتجلى فيه هزة الاندفاعية ناشئ عن تجمع انزعاجات صغيرة مردها إلى الانفعالية وكان يمكن أن يستجيب العاطفى لكل واحد من هذه الانزعاجات فى حينه لولا أن الترجيع البعيد قد لجم الاستجابة غير أن هذا الترجيع البعيد الذى كان يلجم الاستجابة قد ساعد هو نفسه على الاحتفاظ بآثار الانزعاج ، فإذا تكرر هذا الانزعاج مرة ثانية فثالثة فرابعة ، وأصاب مرتعاً بعينه من الحساسية ، انفجر العاطفى انفجاراً عنيفاً ، فإذا كل من حوله يستغرب منه ذلك ، لعدم التناسب بين المؤثر الأخير وبين عنف الاستجابة التى انطلقت لا تبالى أحداً ، ولا تلتزم حدود المبالغة .

وحيث يكون هذا الانفجار انقطاع العاطفى عن سلوكه المألوف فهو يتخذ صورة التغير المفاجئ هذا فيني لقد كان أكثر الأزواج حباً وإخلاصاً ووفاء ، ثم إذا بكل شىء يتحطم فجأة ، وإذا صاحبنا يرتدى بين ذراعى مارى دورفال لقد كان الترجيع البعيد أشبه بالحدار يمنع ماء السيل من التدفق ، ثم إذا بالحدار ينهار دفعة واحدة .

ومن مظاهر الانفجار انقطاع العاطفى فجأة عن الصمت إن العاطفى قادر على الصمت مدة طويلة ، إذا كان فى بيئة لا يمس أنها تتعاطف معه . لكن هذا الصمت ليس إلا قناعاً يخفى وراءه توتر نفسى قوى ، فيكفى أن يحدث ظرف مناسب مشجع حتى تنفجر تلك الطاقة التى تخزنت فى العاطفى شيئاً فشيئاً ، فيندفع فى حديث حماسى ملتهب .

الردد إن اجتماع الانفعالية إلى اللافعالية يولد لدى العصبى ، بالترجيع



القريب ، التروة ، ويولد لدى العاطفي ، بالترجيع البعيد ، التردد وهذا ما يسهل فهمه فكلا العصبي والعاطفي تهزه الحوادث ولكن الترجيع البعيد لا يلعب دوره لدى العصبي ، فإذا هو ينتقل من فعل إلى فعل تبعاً للمؤثرات الخارجية المتعاقبة ، دون أن يربط بين أفعاله ودون أن يتبه إلى تناقضها . وهذه هي التروة . وكان يمكن أن يكون هذا هو شأن العاطفي لولا أن الترجيع البعيد يتدخل ، فإذا بتنفيذ الأفعال يقطع بعد بدايته على الفور ، فتظل هذه الأفعال في مرحلة النية ، وفي حيز الإمكان ، بتخيل العاطفي لما وما عليها ويدرك تعارضها ثم ينتقل إلى الامتناع ، وهذا هو التردد .

فقدان المبادأة مبدأ المبادأة هو الثقة بالمستقبل . والثقة بالمستقبل تكون بأحد أمرين إما بركوننا المتفائل المطمئن إلى أن الأشياء ستسير من تلقاء ذاتها على ما نحب ، وإما بشعورنا المباشر بما لنا من قدرة على الفعل . وكلا الأمرين ليس من شأن العاطفي . فالحوادث تخرج العاطفي على وجه العموم ، فلا يرى لها إلا وجوهاً سلبية ، وهو لذلك مكث سوداوي . كما أن اللافعالية التي لا تهجره تقنعه كل يوم بمعجزه عن الفعل . وهو لذلك كله محروم من الثقة بالمستقبل ، وبالتالي من روح المبادأة .

١٠ الحرقاة وفقدان الحس العملي تدل نتائج الاستقصاء على أن العاطفي يكاد يكون في الحد الأدنى من الحس العملي الذي يتمتع به تقيضه الدموي إلى الحد الأقصى . فالعاطفي عاجز عن إيجاد الحلول السريعة ، بطيء الاستجابة ، شديد الارتباك في تداول الأشياء ، قليل الاهتمام بالآلات . وهذه كلها بعض وجود فقدان الحس العملي لديه . إن التعارض بين الانفعاليين اللافعالين وبين الفعاليين اللانفعاليين يقابل على وجه العموم التعارض بين الاهتمام الكيفي بالإنسان وبين الاهتمام العلمي العملي بالطبيعة .

١١ كره الجديد جميع الخصائص التي مر ذكرها تتألف فيما يمكن أن يطلق عليه اسم « كره الجديد » . ولتعارض واضح هنا بين الفعاليين ذوي الترجيع القريب ، كالفصيين ، وبين العاطفيين إن الغضبيين يتدفقون إلى المستقبل

اندفاعهم إلى أرض ميعاد ، وإن الدمويين يدينون بالتطور الغضبيون ثوربون والدمويون تقدميون . أما العاطفي فيخاف من التجديد ، يخاف من تغير الظروف التي ألفها واعتاد عليها وتلازم معها . يخشى الاضطرابات والثورات ويؤثر عليها السلامة والهدوء .

ومن قبيل هذا أن العاطفي يؤثر الدخل المحدود مع الحياة المستقرة على المغامرة والمبادأة مهما تعد به من ثراء وتقدم . إنه يفضل الرظيفة الحكومية المأمونة العواقب على العمل الحر الذي يقتضي شيئاً من المجازفة والانطلاق في المجهول

السامة لدى العاطفيين المرغفين في الانفعالية خاصة إنما نلاحظ الاستعداد للسامة ، للضجر . وإنما ينشأ الضجر عن عجز المرء عن نقل الرغبة من الإمكان إلى الفعل ذلك لأن الضجر لا يمكن أن يكون فقدان الرغبة ، فمن لا يرغب في شيء لا يضجر بل يرضى بما هو عليه من حال ، كما أن من يملك رغبة قوية ويعمل على تحقيقها بنشاطه لا يتسرب إليه الضجر ، لأنه منصرف إلى عمله مشغول به . وإنما يضجر الإنسان حين تستيقظ في نفسه رغبة ثم يحس بعجزه عن تحقيقها ، ويظل يعاني تجربة العجز هذه إلى أن يئس من رغباته ، فإذا الفراغ يحيط به من كل صوب ، وإذا الضجر يستبد به . وإذا نحن رجعنا إلى كتابات العاطفيين من الكتاب رأيناها تحفل بالتعبير عن الضجر والسامة . وربما كان المعري إمام الشعراء الذين أفاضوا في التعبير عن هذا الضجر وهذه السامة .

(٤) الطموح المشوف الانفعالية تكثر الاهتمامات والرجوع البعيد يضحكها ، ولا بد لاجتماعهما من أن يغذي الطموح . فالجموحون والعاطفيون يتشابهون في أنهم يتصورون مشاريع ضخمة ولكنهم يختلفون بعد ذلك لاختلافهم في الفعلية . فبينما نرى الفعلية لدى الجموح تهجم على هذه المشاريع ، وتقلع بها ، وتذلل العقبات في طريق تحقيقها ، نرى العاطفيين ينقلون هذه المشاريع من صعيد التأثير في عالم الأعيان إلى صعيد الشوف والتطلع الذي يصفه الفاعلون

بأنه أحلام خيالية ، إلى أن تبلى الانفعالات بتقدم السن ويحل الضجر وتستبد بالمرء الآتمة .

فهناك إذن الطموح المحقق ، وطموح الجموحين . وهناك الطموح المشوف ، طموح العاطفين أما الأول فهو واقعي ، يسير إلى تحقيق غاياته ، ويألم ، ويواصل في سبيلها ثم يحققها في حدود الإمكان . وأهل هذا الطموح يحترقون أولئك الذين لا يزيدون على الشوف والتطلع ويسبوه بقولهم حاملون وأهل الطموح الثاني يسهون الأولين ويتفصون من قيمة أعمالهم ، لأن هذه الأعمال محدودة بحدود الممكن ، فلا بد أن يكون بينها وبين المثل الأعلى مسافة .

بساطة الحياة والتكشف إن طبع العاطفي يبيته للتكشف فهو قليل الميل إلى المتع الحسية ، يختلف في هذا عن الغضي المتدفع إلى ملذات الحياة ، وعن الدموى المفتون بالمتع . إنه قادر على الاكتفاء بالتليل . وكلما اشتدت قوة الرجوع البعيد لديه ، ازداد بعداً عما يميل إليه العصبي من حب الرف ، وازداد إثاراً للحياة البسيطة . وقد تنهى حياته المنروجة من التمل إلى نوع من النسك . وقد يسرف في القسوة على نفسه . لقد كان أبو العلاء يحيا حياة خشنة ، يلبس غليظ الصوف ولا يأكل إلا الشعير وفراشه اللبد في الشتاء ، وحصر البردى في الصيف .

قوة العاطفة الأخلاقية يمكن القول بوجه عام إن الأخلاقية هي الأخلاق التي تهب لها الفعالية صفة التحقق الفعلي ومن هذه الناحية تنتمي الأخلاقية إلى البطل أكثر ما تنتمي ، وللبطل مزايا فعالة تعزز العاطفي ولكن هيات أن تكون الفعالية كافية للأخلاقية حتى لقد تغرى الفعالية الصرفة صاحبها بأن يجب الفعل للفعل ، فتعبد به عما تقتضيه الأخلاق ، والغزاة مثال على ذلك . فلا بد إذن من العودة إلى التعريف الذي يعرف الأخلاقية بأنها اتباع الأخلاق . وفي حدود هذا التعريف تكون الغلبة في الأخلاقية للانفعالية ذات الرجوع البعيد ، فالانفعالية تتيح للمرء أن يشعر بعواطف إنسانية ، وألا يظلم غير مبال بمشاعر الآخرين ، والرجوع البعيد يتيح للمرء أن يخضع للقواعد المقررة وأن يطبق

المبادئ والقوانين : وأن يوفق في حياته بين القول والفعل والعاطفيون لذلك أخلاقيون . وإذا نحن نظرنا في آثار الكتاب والشعراء منهم رأينا هذه الأخلاق واضحة كل الوضوح ، ولا سيما في تشهيرهم بالانحراف الأخلاقي

مل المقام فكم أعاشر أمة      أمرت بغير صلاحها رؤساؤها  
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها      وعدوا مصالحها وهم أجرأؤها

رويسلك قد غررت وأنت حر      بصاحب حيلة يعظ النساء  
يحسرم فيكم الصباء صباحا      ويشربها على عمد ماء  
إذا فعل الفتي ما عنه نبى      فمن جهتين لاجهة أساء

#### ٥ - سيكود بالكتيك العاطفي

للعاطفي استراتيجية ذات وجهين دفاع وهجوم فهو يحمي نفسه من الحوادث ، وهو يحاول أن يتغلب على لافعالته .

إن العاطفي يدرك ، وهو ما يزال في سن مبكرة ، أن الحوادث تجرحه وتؤذيها ، فأول خيبة ، وأول ألم ، وأول ماتم ، يخلف فيه جرحاً عميقاً : فيحاول أن يتحاشى ما قد يقع له من جروح في المستقبل . فهو يجانب المشاهد التي قد تعكره ، وهو يتحاشى الحوادث التي قد تثقله ، وهو يعتدل في حديثه فما ينطق بالقاسى من الألفاظ ، حتى لقد بسد على عاطفته الأبواب ، وهو يخفي من فضول الحيران ، ويتخذ أصدقاءه من بين الذين لا يجرحونه ، وينزع إلى منطقة وسط لا هي نور الشمس الساطع ولا هي ظلمة الليل المهددة : بل هي غسق يناسب ما في نفسه من تشاؤم مستمر ، وهو يلتزم عادات بعينها لا يخرج عنها تفادياً للجديد والمجهول .

هذا هو الدفاع ، أما الهجوم فهو محاولة التغلب على اللافعالية . وأشيع الوسائل التي يعتمد إليها العاطفي للتغلب على اللافعالية « الاستياء » أو الاحتجاج

والاستنكار وقد لا يستطيل هذا الاستياء في فعل : بل كثيراً ما يخفى وراءه رفض للفعل ، وانسحاب ، وهروب ، ولكن لا ضمير ، فإيشده العاطفي من هذا شيء آخر غير النتيجة الموضوعية ، إنه ينشد من الاستياء تعزيز توتره الداخلي وقوته الحيوية . إن الاستياء يحشد انفعاليته ويتوفاها ، وعسى أن يقوى من ذلك نشاطه الضعيف المسرف في الضعف .

### ٦ - فئات العاطفين

كما انقسم العصبيون إلى فئات تبعاً لدرجات مقومات الطبع الأساسية وتبعاً للمقومات التكميلية التي تنضاف إلى المقومات الأساسية ، كذلك ينقسم العاطفيون إلى فئات تبعاً لهذه الاعتبارات نفسها

وقد فرق لوسين بين أربع فئات أولية من فئات العاطفين هي :

١ - فئة العاطفين الشيبين بالعصبيين

٢ - فئة العاطفين الشيبين بالحاملين

٣ - فئة العاطفين الشيبين بالحموجين

٤ - فئة العاطفين النموذجيين

ووصف لوسين زميرتين تنفرع إليهما الفئة الأولى . هما

( أ ) زمرة العاطفين المتصنعين ، لضيق ساحة الشعور .

( ب ) زمرة العاطفين الحاملين ، لسعة ساحة الشعور<sup>(١)</sup>

كما وصف خمس زمر تنفرع إليها الفئة الرابعة ، فئة العاطفين النموذجيين ، وذلك تبعاً لاختلاف درجة المقومات الأساسية وانضيااف بعض المقومات التكميلية إليها . فإذا تدرجنا من أقل أفراد هذه الفئة بعد ترجيع إلى أكثرهم بعد ترجيع ، صادفنا الزمر الخمسة التالية

(١) لا يتسع المجال لوصف كل زمرة من الزمر التي تنقسم إليها الفئات .

( ١ ) زمرة العاطفيين الخائرين : وهم أقل فعالية من وسطى اللافعالين<sup>(١)</sup> ،  
 ( أقل من ٣ ) بالإضافة إلى أن ساحة شعورهم واسعة  
 ( ب ) زمرة العاطفيين الحادين : وهم أيضاً أقل فعالية من وسطى اللافعالين ،  
 ( أقل من ٣ ) بالإضافة إلى إسراف في الانفعالية ( أكثر من ٧ ) التي لا  
 تخبها قوة في الرجوع البعيد كافية .

( ج ) زمرة العاطفيين الودودين وهم يشبهون الغضيين إن لافعاليتهم  
 أقل من لافعالية وسطى اللافعالين ( أكثر من ٣ ) ، بالإضافة إلى إسراف  
 في الانفعالية ( أكثر من ٧ ) .

( د ) زمرة العاطفيين الانطوائيين وهم الذين تبلغ قوة الرجوع البعيد  
 لديهم وسطى قوة الرجوع البعيد لدى ذوى الرجوع البعيد ( ٧ )

( هـ ) زمرة العاطفيين البخلاء وهم من كانوا مسرفين في قوة الرجوع  
 البعيد ، حتى لتخفى قوة الرجوع البعيد الانفعالية إخفاءً تاماً

كما وصف أيضاً زمرتين تنفرغ إليهما فئة العاطفيين الشيبين بالخاملين  
 الذين تقل انفعاليتهم عن وسطى الانفعالية لدى الانفعاليين فبالانتقال من  
 أقل أفراد هذه الفئة بعد ترجيع إلى أكثرها بعد ترجيع نلتقى بالزمرتين التاليتين  
 ( ١ ) زمرة العاطفيين الهادئين .

( ب ) زمرة العاطفيين الآليين .

كما وصف أيضاً أربع زمر تنفرغ إليها فئة العاطفيين الشيبين بالحموحين :

( ١ ) يجب ألا نخلط بين قولنا أقل فعالية من وسطى اللافعالين وبين قولنا أقل فعالية  
 من وسطى الناس . لنفرض أننا نقدر درجة الفعالية برقم يتراوح بين ١ و ٩ ، إن الفرد الوسطى  
 الفعالية بين الناس هو ذلك الذى تعطيه الدرجة ٥ ، ولكن الفرد الوسطى الفعالية بين الفعالين هو الذى  
 تعطيه الدرجة ٧ ، والفرد الوسطى الفعالية بين اللافعالين هو الذى يعطى الدرجة ٣ . وينطبق هذا على  
 سائر المقاييس لقد كان في وسع لويسين ، على سبيل التسجيل ، أن يحدد درجة كل مقوية من  
 المقويات هنا برقم ، ولكنه لم يفعل . ولعله يكون من المستحسن على سبيل التسجيل ، أن نعد إلى  
 رسم بروفييل يمثل درجات المقويات لدى كل زمرة من الزمر ، وقد نصح جاستون بروجيه بالنظر في  
 مثل هذا البروفيل ، لأن التقييم المطلقة لكل مقوية ليست وحدها هامة ، فمن الهام أيضاً أن نعرف  
 نسبة بعضها إلى بعض : إن الجموح الذى صنفته ٩٦٧ يشبه شعوره بذاته شعور العاطف ٧٤٥ .

الذين نقل لافعاليتهم عن لافعالية وسطى اللافعالين فبالانتقال من أقل أفراد هذه الفئة بعد ترجيع إلى أكثرها بعد ترجيع : نصادف الزمر الأربع التالية

- ( أ ) زمرة العاطفيين الرقاق .
- ( ب ) زمرة العاطفيين النقاة .
- ( ج ) زمرة العاطفيين الأخلاقيين .
- ( د ) زمرة العاطفيين المذهبيين .

## الفصل السابع

### الغضبي<sup>(١)</sup>

#### ١ - الصيغة انضاعية

الغضبي هو الانفعال التعال ذو الرجوع القريب (EAP)

#### ٢ - غضبيون من التاريخ

أبو الطيب المتنبى ، بالزائد ، برودون ، بريغو ، بومارشيه ، بيجي ،  
جامبنا ، جوريس ، دانتون ، دواماس الأب ، ديدرو ، ديكتز ، رابليه ،  
والرسكوت ، جورج صانده ، كازانوف ، مورا ، ميرابو ، ت . ه . هكلى ،  
هوجو

---

(١) لويسين ، « علم الطباع » ، ص ٢٩١ - ٣٤٩ ، « المصير الشخصى » ، ص ٦٤ - ٦٧ ،  
آندره لوسال ، « علم طباع الأطفال والمراهقين » ، ص ١٨٣ - ٢٠٨ ، جاستون بروجيه  
« تحليل الطبع » ، ص ٤٥ - ٤٨ ، « الطبع والشخصية » ، ص ٢٤ - ٢٦ ، إميل كاي ،  
« الطباع والخطوط » ، ص ١٣٣ - ١٦٧ ، روبرت مزيو ، « دراسة الطباع » ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ،  
مينار ، « التربية والطبع » ، ص ٤٦ - ٦٦ ، بول جريجييه ، « الذكاء والتربية العقلية » ، ص



## ٣ - نتائج إحصائية

| الوسط | النسبة | الصفات                     |
|-------|--------|----------------------------|
|       |        | ١ - سيطرة اللحظة الحاضرة   |
|       | ٧٧,٤   | كثير الحركة « مشغل »       |
|       | ٨,٦    | يميل من حين إلى حين        |
|       | ٥١     | منقلب الحب والكراهة        |
|       |        | سريع التمزق                |
|       |        | اندفاعي                    |
|       |        | ٢ - الحمة العاطفية         |
| ٤٥,٧  | ٧٥,٩   | عنيف                       |
| ٥٢,١  | ٦١,٩   | أذى ( نقوز )               |
| ٤٠,٦  | ١٠,٩   | بارد وموضوعي               |
| ٦٩,٢  | ٧٨,٢   | شغوف وعدم                  |
|       |        | ٣ - الحاجة إلى الانفعال    |
| ٣٥,٦  | ٦٣     | الميل إلى تأثيرات جديدة    |
| ٤٣,١  | ٧٢     | الرغبة في التغيير          |
| ٣٩,٥  | ٥٢,١   | الاهتمام بالتأثير المباشرة |
| ٣٩,١  | ٤٤,٤   | الحاجة إلى التسلية         |
|       | ٥٠,٢   | مرح حسن المزاج             |
|       | ٩,٣    | يظل متأثراً مدة طويلة      |
|       | ٤٧,١   | السمي إلى لذات المائدة     |
|       |        | ٤ - الموضوعية              |
| ٢٥,٨  | ٤٣,٢   | يكذب ( مبالغة )            |
| ٤٠,٦  | ١٠,٩   | بارد وموضوعي               |
| ٤٥,٨  | ٧٣,٩   | يظهر عواطفه                |
| ٦٤,٧  | ٧١,٦   | ثرثار                      |
| ٤٢,٨  | ٣١,٩   | يتحدث عن أشياء             |
| ٣٦,٤  | ٤٤,٧   | يتحدث عن أشخاص             |

## تابع ( ٣ - نتائج إحصائية )

| الوصفي | النسبي | الصفات  |
|--------|--------|---|
|        |        | ٥ - النشاط وروح المثابرة<br>يعمل دائماً<br>يحمل الأعمال المفروضة<br>يميل إلى التأجيل<br>يميل إلى إنجاز المهمة بسرعة<br>تشبط عزيمته بسهولة<br>يميل إلى أن يتقود<br>مشابر ( مواظب ) |
|        |        | ٦ - الحس العمل<br>حاذق<br>حاضر الذهن<br>عمل ويتكبر  |
| ٤٨,٧   | ٧١,٦   | الحمد الأتقى  |
| ٥٩,٥   |        |   |

## ٤. الصورة النفسية

الانفعال يدفع إلى الفعل تولد الحوادث في نفس العصبي استجابة متفعلة لا فاعلة ، وتختلف في نفس العاطفي جرحاً ثم تأملاً داخلياً ولئن كان الغضبي يشبه العصبي والعاطفي من حيث إنه شديد التأثير ، فإنه يختلف عنهما في أنه فعال ، لذلك لا تولد الصدمة عنده اضطراباً ، بل تفجر طاقته . فالحادثة المؤثرة إنما هي لدى الغضبي منطلق إلى فعل يغزو به البيئة ويسيطر عليها إنها بداية مشروع . ولئن كان المشروع الذي يتطلق إليه الغضبي قصير المدى لأنه لا يتحدر من خطة منهجية منظمة يسهلها الرجوع العبد . كما نلاحظ لدى الجحوح ، فهذا لا يبنى أنه تبادل للواقع الخارجي ، قد يتجدد ثم يتجدد في اتجاه واحد ، إذا ساعدت الظروف على ذلك .

فبتان إذن بين انفعال العصبي وانفعال الغضبي ، فالعصبي يهتر في غير فعل ، يتأثر وهو واقف في مكانه ، أما الغضبي فانفعاله يغذي نشاطه ويدفعه

إلى العمل . إن الغضبي لا يكتفى بعد الضربات محتجاً متأوهاً متوجعاً ، بل يرد على الضربة بضربة إن صح التعبير فالغضبي لا يقعد عن العمل ، ولا يهمل الأعباء المفروضة ، ولا يؤجل إلى غد ما ينبغي أن يقوم به اليوم ، بل يبادر إلى إنجاز ما عليه بسرعة .

ولكن الغضبي دون الجموح في تنظيم عمله ، وفي حبس نشاطه على غاية بعينها ، وفي استهداف أهداف بعيدة جداً ، كبيرة جداً . وهو دون الجموح استمراراً في ملاحقة عمل واحد بعينه .

الاستعداد للخطابة سبق أن رأينا أن مقومات الطبع تسبغ على المواهب لونها وتلاحظ هنا فيما يتعلق بالموهبة الشعرية أننا كلما تقدمنا من الالفاعلية إلى الفعالية رأينا الشعر يتعري من مسحة الكتابة الفاجعة التي ترين عليه ، ويصبح شعراً غنائياً جازقاً ملهماً ، ف شعر العصيين من أمثال أبي نواس وإدجار بو ويودلير هين لهن ليس فيه عرامة ولا عنف ، كما أن شعر العاطفين من أمثال المعري وبالارميه ، يستبدل بانطلاق الإلهام جهود الصنعة فإذا انتقلنا الآن من هؤلاء الشعراء إلى الشعراء الغضبيين أمثال المتنبي وغوثيه وهرجو وإدمون روتان : رأينا النبرة الشعرية تنقلب بفضل الفعالية رأساً على عقب فالصنعة هنا تصير إلى سهولة وحماسة ، والوفرة والغزارة تحلان محل الجهد ، والفصاحة والحما تدفقان تدفق السيل الجارف ، والشعر يصبح خطابة وإهابة وأمراً لقد أحس طه حين بذلك حين قال عن قصيدة للمتنبي « أنت إذا أخذت القصيدة جملة رأيت طبيعة الشاعر سمحة سهلة مواتية ، لا تبخل عليه ولا تعنيه ، وإنما تمنحه كل ما يريد منها فلنا نحس تكلف المحصر ولا جهد المقل . ولعلنا نحس أن هذه القصيدة كانت تدفق من نفس الشاعر كما يتدفق السيل ، وتحلر منها انحداراً يوشك أن يكون غنياً . » وشعر الغضبي يدافع عن قضية ، ويستثير همة ، ويقاتل ويصارع ، فلا عجب أن نرى شعر هوجو يتأرجح بين الشعر والسياسة ، ولا أن نرى مسرح كورنيل يعج بمرافعات مجامين ، و مناقشات سامة ، ولا أن نرى في شعر المتنبي دعوة إلى القرمطية ودفاعاً عن أمير وحضا على حرب

والموهبة الخطابية لا تنفصل عن العبقرية الشعرية انفصالاً تاماً لدى كبار الخطباء من الغضيين ، ولكنها تخضع لها على عمد لقد خلق الغضيون للخطابة ، على تفاوت حظوظهم من الموهبة في هذا الفن إن الخطيب يهدف إلى أن يصير التوتّر العاطفي الذي أسهم في خلقه لدى مستمعيه : أن يصير هذا التوتّر العاطفي إلى فعل ، أو إلى قرار في أقل تقدير : كإقتراع مثلاً . وهذا هو بعينه ما يتناسب الحصاص التي يتألف منها طبع الغضبي فالغضبي انفعالي يستمد من ذلك أولاً سهولة التواصل العاطفي مع مستمعيه ويستمد منه ثانياً قدرة على الإشعاع الانفعالي الذي يجعل عواطفه تسرى بالعدوى ، ويوحى إليه بالألفاظ اللازمة لإيصال هذه العواطف إليهم . ثم إن الغضبي ذو ترجيح قريب يستمد من ذلك مرونة تمكنه من متابعة جميع التغيرات الانعاطفية التي تطرأ على مستمعيه ، وتمكنه من التلاؤم مع هذه التغيرات ، ثم إنه فعال يستمد من ذلك قدرة على قيادة الآخرين وجرهم إلى الفعل . فأى طبع من الطباع أذى مثله القدرة على السيطرة بالخطابة على جمهور ، أو قل على جمهور شعبي أو جمهور ملكت الحماسة عليه قلبه ، واستبدت به ؟ فإذا أضفنا إلى ذلك ما للغضبي من روح المودة يستميل بها إليه قلوب الناس بسرعة ، أدركنا أن هذا قوة جديدة في استعداده للتأثير في الناس ثم إذا أضفنا إلى ذلك أنه أقل الناس تردداً فيما تدل نتائج الاستقصاء ، عرفنا أنه لن يعوزه شيء ليمسك بزمام جمهور شعبي وليقوده إلى حيث يريد .

ولا بد إذن أن نجد بين الخطباء السياسيين كثيراً من الغضيين ، وهذا ما نجده فعلاً ، فإن دانتون وميرابو وجامبتا وجوريس يتمون جميعاً إلى النموذج الغضبي . ونحن نجد الغضيين أيضاً بين المحامين لدى المحاكم الجنائية . أما بين خطباء المنابر الدينية فيكثر عدد الجموحين ، وأما بين المحامين لدى المحاكم الحقوقية وبين المقرررين فلا بد أن يكثر عدد الدمويين واللمفاويين .

حدة العواطف الغضبي حاد العواطف كالعصبي غير أن كلمة العاطفة كلمة ملتبة ، فهي تعني الانفعال تارة وتعني نزوعاً حركياً تارة أخرى

وحدة العواطف تعنى لدى العصبي انفعالات حادة وتعنى لدى الغضبي اندفاعات حادة إلى الفعل .

من مظاهر حدة الانفعال لدى الغضبي تعبيره عن عواطفه بالحركة والإشارة ، وفي هذا يبلغ الغضبي الحد الأقصى . وهو يفيد الخطيب كثيراً إذ يساءت جمهوره على أن يفهمه برؤية إشاراته مثلما يفهمه بسماع كلامه وكثرة الإشارات والحركات هذه تلاحظ لدى الغضبي أثناء حياته كلها ، وهي دليل التروع إلى الفعل ، فكل حركة من هذه الحركات تشير إلى الفعل الذى يجب القيام به ، وبواسطتها يسرى الفعل بالعدوى .

الحاجة إلى الفعل حين الكلام على العصبي لاحظنا أن الانتعالية لديه تصبح حاجة إلى الانفعال ، وهذا قانون من قوانين علم الطباع يمكن أن نصوغه على النحو التالى : « كل إنسان يميل إلى إحالة استعدادات طبيعه غايات يسعى إليها بفعاليتها » ( لوسين ، « علم الطباع » ، ص ٣١٤ ) . وهذا طبيعى . فالذى ينجح فى اتجاه من الاتجاهات بفضل استعدادات تجعل هذا النجاح ممكناً لا بد أن يسعى إلى توفير مزيد من الارتواء لهذه الاستعدادات : وأن يسهل الاحتفاظ بها وإعمالها . لقد خلق الغضبي للنشاط فلا بد أن يحتاج إلى النشاط . ويمكننا أن نلاحظ انصياف حاجة الفعل إلى الفعل فيما نرى لدى كبار الفعاليين من نفاذ صبرهم على القعود عن عمل . فكثيراً ما نلاحظ لدى الغضبيين والمحومحين نوعاً من التسارع فى الانتقال من فعل إلى الفعل الذى ينيه ، كأن الفعل الأول كان عاجزاً عن إشباع حاجتهم إلى الفعل . فالمشروع يتنو المشروع قبل الفراغ من المشروع الأول ، حتى لكأن الثانى يركب على ظهر الأول ولا شئ أبغى من هذا فى الدلالة على التوتر الداخلى المصاحب للفعل . وقوة هذا التوتر تقيس عدم التناسب بين الأفعال المتحققة وبين الحاجة إلى تفعل لدى الشخص الذى يلاحظ فيه نفاذ الصبر هذا .

وقد تصير هذه الحاجة إلى الفعل أهم لدى الفاعل من غاية الفعل ، فإذا هو يفعل من أجل أن يفعل ، أى يصبح الفعل عنده غاية فى ذاته ، فلا يتساءل

الفاعل ما الذى يبغيه من الفعل ، وهل يستحق ما يبغيه كل هذا الفعل حقاً ، وهلاً يحارب هذا الفعل أو يؤخر إرواء أعمق متطلبات النفس ويكفى أن تلقى نظرة على بعض التاريخ حتى نتحقق من هذا ، إذ تبدو لنا بعض كبريات الأحداث التاريخية كأنها حلم ، كأنها مسرح كأنها لعب فما بدا لشعب من الشعوب خلال عدد من السنين أمراً جوهرياً ، لم يلبث أن بدا بعد عدد من السنين باطلا . . حروب وثورات تنشأ من عقائد كانت تحاول أن تمنحها شعب يغزو العالم على حساب مصالحه ، إلخ .

وإذا كانت الصلة واضحة بين العمل والمسرح ، فلا بد أن يعنى الغضبى بالمسرح عنايته بالعمل ، ولا بد أن يعنى كذلك بالرواية صنو المسرح والحق أن جميع الفعاليين الانفعاليين مولعون بالمسرح ، ولكن نوع المسرح الذى يهتمون به ويميلون إليه يختلف باختلاف كونهم ذوى ترجيع قريب أو ذوى ترجيع بعيد . إن التعارض بين مسرح فكتور هوجو والمسرح الكلاسيكى يمثل هذا التعارض بين الطبعين أحسن تمثيل ، أعنى الطبع الغضبى والطبع الجموح فكلما توافر فى المسرح تجدد الحوادث بسرعة والمفاجآت وانقلاب المواقف رأساً على عقب ، كان أكثر تعبيراً عن العاطفة ذات الترجيع القريب . ومن هذه الناحية تكون الميلودراما (مثل زواج فيجارو ، سيرانودوبرجرارك ، هرثاى ، إلخ) هى المسرح الذى يناسب الغضبى أكثر من غيره والرواية التى تشبه الميلودراما إنما هى رواية المغامرات ، رواية الأحداث . والحق أن هذا النوع من الرواية هو الرواية النموذجية ، فنستطيع أن نقول إن الطبع الغضبى هو الطبع الروائى ، لذلك نجد بين الروائين كثيراً من الغضبيين جورج صاند ، بالزاك ، الكسندر دوما الأب ، ديكتز ، الأب بريفو ، والترسكوت ، إلخ . لقد نشد هؤلاء جميعاً فى الرواية ما لم تهبه لهم الحياة ، وما لا يمكن أن تهبه لهم غنيا كما يصوره لهم الخيال . الرواية بين أبدى الغضبيين هى الرواية ، فإذا صارت إلى أبدى الانفعاليين اللافعالين أصبحت تحليلاً نفسياً ( أدولف ، دومينيك ) ، وإذا خرجت من بين أبدى اللعويين كانت بحثاً فلسفياً أو هجاء

(كانديد)، وإذا تناولها الجموحون كانت تنظيمًا اجتماعيًا (روايات بورجيه وزولا).  
الحياة الصاخبة الغضبي ذو ترجيع قريب ومعنى ذلك أنه يعيش  
 في اللحظة الحاضرة. إن ذا الترجيع القريب كائن في الزمان، أو قل بتعبير  
 أدق إنه يعود إلى الزمان في كل لحظة، أما ذو الترجيع البعيد فهو كائن فوق  
 الزمان، أو قل بتعبير أدق إنه ينسحب من الزمان في كل لحظة يعنى أن  
يكون المرء في الزمان هو أنه ينسلم لجميع تقلباته، بل يهرع أمامها ويتقدمها  
 ومن ذلك ينشأ بالنسبة إلى الغضبيين الفعاليين المسرفين في الانفعالية والمسرفين  
 في الترجيع القريب أنهم يعيشون حياة حافلة بالمغامرة والصخب والانطلاق والسفر  
 والحلب والعمل والإثم والمآزق والريح والإنفاق والمجد والكرم والسخة والفن  
 والطمع والزهو والنساء. إلخ ويكفى أن تذكر أسماء المنجى وكازانوفيا  
 وبومارشيه والأب بريفو والكسندر دوما الأب وغيرهم من الغضبيين حتى نرى  
 جوانب شتى من هذا النوع من الحياة المضطربة الصاخبة المتنوعة.

قوة الحاجات الحيوية الحيوية أول سمة من سمات الغضبيين التراجييين :  
 وهذا واضح حتى في مظهرهم وجه متورد حتى، عيانا واسعتان وأحياناً بارترتان،  
صوت قوى فرح، متصاعد القوة على قدر تصاعد الانفعال، جسم بلدين،  
على حركات يمكن أن تكون لطيفة. والحاجات الحيوية لدى الغضبيين قوية،  
فشهورهم للطعام والشراب كبيرة، وحياتهم الجنسية قوية حارة، ينسفون إلى  
 الحب في حماسة ولكنهم لا يرتبطون بمن يحبون إلا ارتباطاً متناسباً مع قوة الترجيع  
 البعيد لديهم وهو دون الوسطى. لقد أحب ميرابو ودانتون وديدرو حباً جارفاً،  
 ولقد كان للأب بريفو مغامرات في فرنسا وهولاندا، فاستمد من تجربته  
 نفسها ما احتاج إليه من معلومات لكتابة قصته مانون. ولقد تزوج بورمارشيه  
 ثلاث مرات، وأضاف إليها علاقات غرامية كثيرة ولم تكن جورج صاند  
 مثال المرأة العفة في حياتها الجنسية.

وإن الحياة الغرامية لدى الغضبيين تحتفظ دائماً بطابع الحيوية التي منها  
 تنبع، ولكن ينلر ألا تكون مشبعة بالعاطفة والحنان. لقد رزح بريفو تحت

عبء الديقون في سبيل بطلات مغامراته ولقد امتلحت زوجات بومارشيه وعشيقاته طيبة قلبه .

ومن السمات البارزة في هؤلاء الغضبيين أن اهتمامهم هذا بالحد وحاجاته يظل قائماً مهما تكن حياتهم نشطة جادة عاملة متسجة ، ولا سما في حقل السياسة والأدب ، فهم يعرفون كيف يوفقون بين اللذة والعمل حتى لقد يسعون إلى اللذة والعمل في آن واحد ، لا فرق في هذا بين ليل ونهار . إن إنتاج الغضبيين لإنتاج ضخيم جبار ، رغم عنايتهم بتلبية حاجاتهم الجسدية ورغم إقبالهم على الذات .

الترعة الطبيعية تزدى قوة المطالب الجسمية في كثير من الأحيان إلى ضرب من المذهب الطبيعي يقوم على مبدأ تمجيد الغرائز وفي هذا يختلف الغضبي المطلق إلى إرواء حاجاته دون أن يلجمه ترجيع بعيد عن العاطفي الذي يكتب حاجاته ويكبح جماحها ويسبى الظن فيها . إن مذهب الخطيئة الأولى يعبر عن سوء الظن في الإنسان ، ويدل على سيطرة الترجيع البعيد عند من ذهبوا إليه ، وهو يعوق الانطلاق الحر والانسياق مع الطبيعة . أما الغضبي فهو يدين بدين الطبيعة ويرى في غرائز الحيوان جوهر الحياة وينبوعها .

محبة المجتمع الروح الاجتماعية من أهم النتائج التي تنشأ عن اجتماع الانفعالية إلى الفعالية وإذا كنا نقصد بهذه الكلمة علاقات المودة والمحبة مع الآخرين ، فهي تنطبق على الغضبي أكثر مما تنطبق على أي نموذج آخر من نماذج الطبع . وما علينا ، لكي نوضح ذلك ، إلا أن نقارن في هذا مقارنة سريعة بين مختلف نماذج الطبع إن الفعالين ذوي الترجيع القريب يتجاوزون جميعاً إلى الآخرين ، فالفعالية تؤدي إلى علاقات بالآخرين والترجيع القريب يؤدي إلى تكاثر هذه العلاقات ، وما يبرهن على ذلك برهان العكس . إن اللافعالين ذوي الترجيع البعيد ، كالحاملين والعاطفيين ، أقل الناس ميلاً إلى الاجتماع وأكثرهم حباً للزلة . فلنقارن بين نوعي الفعالين ذوي الترجيع القريب ، أي بين الدمويين والغضبيين ، فنلاحظ أن الروح الاجتماعية لدى الدمويين تتجلى



في ارتياد المجتمعات والتحدث إلى الآخرين ومراسلة بعض الناس ؛ ولكن هذا كله خال من حرارة العاطفة . أما الغضب فإن انفعاليته تضيف إلى تلك الروح الاجتماعية حرارة ومودة ورحمة ، ويسهل اتساع هذه الروح الاجتماعية حتى لتكسى طابعاً شعبياً لا الحرارة ولا الشعور بحب الشعب كان من خصائص اللوميين مونثكيو وتاليران وإذا نظرنا إلى الجموح رأينا أنه يجب المجتمع أيضاً فالفعالية توجهه نحو الناس ولكن الرجوع البعيد الذي ينظم أفعاله ويزيد شأن المبادئ في حياته يضفي على الروح الاجتماعية لديه طابع السلطة العسكرية والسياسية ، فما تكون روحه الاجتماعية تواسلاً مباشراً مع قلوب الناس . أما العصيون فهم مشغولون بأنفسهم عن عداهم ، وأما العاطفيون فمضنون في حبهم للوحدة يرفدونهم ويغذونهم ، وأما اللماضيون فغارقون في حياتهم المتظمة الرتيبة وموضوعيتهم الفكرية المجردة لا يشغلهم عنها شيء .

ونخلص من هذه المقارنة السريعة إلى أن الغضب يمكن اعتباره أكثر الناس اجتماعية إنه يجب محبة الناس ويسعى إليها ويشارك في الاجتماعات ويسهم في الانفعالات العامة المجمع بالنسبة إلى غيره ضرورة ، أما بالنسبة إليه فهو حاجة أي لذة . إنه هو الحيوان الاجتماعي في الدرجة الأولى .

المبادهة والروح الثورية الغضبي صاحب مبادهة ومبادرة ، يندفع مع أول حركة ، ويريد أن يبدأ أمراً جديداً ، إنه يصور إلى ما هو أحسن : وقد يتنكر للماضي بسبب ذلك ، فيعده عصور جهالة وشقاء . إنه ثوري ، وإنه في حاجة إلى ثورة دائمة لا تنقضي . وهو يجند لمبادهته كل ما يملك من قوى ، ويستطيع أن يجند هذه القوى بسرعة : فيفتح مشاريعه اقتحاماً جسوراً هو في الحرب جندي جريء ، وفي العمل عامل منقطع ، مرح ، بارع ، ولئن كانت تعوزه قوة الاستمرار قليلاً ، فإنه يعوض عنها بما يملكه من مرونة في التلاؤم مع الظروف .

محبة الجديد والغضبيون هواة الجديد . لقد عرفنا جميعاً عدداً من أولئك الناس الذين لا يستهويهم أي بحث أو أي نشاط إلا إذا كان أرضاً لم تستكشف أو لم تعرف كما ينبغي أن تعرف حتى إذا أصبح هذا الجديد ميدان دراسة

أو استغلال مهجى تكنيكي رأينا حياة الحديد ينصرفون عنه ويدعون لغيرهم أن يهتموا بما كانوا يهتمون به إن أولئك الناس لم من الغضب بين الغضبين إنما نجد صفار المستكثنين في كثير من ميادين البحث نجد أصحاب « الفكرات الصغيرة » نجد صفار المخترعين الذين يحلو لهم تجريب الأفكار الأصلية الطريقة ثم لا يمحسون بها إلى النضج إذ يعوزهم القدر الكافي من الاستمرار والمهج ، فیدعون لغيرهم تحقيق الاكتشافات الكبرى التي كان يمكنهم أن يحققوها لو ملكوا روح المثابرة إن الرواد الحقيقيين أكثر جدية منهم ولكن الغضبيين رواد في الحياة الاجتماعية ، إن الغضبى يجب أن يكتل حوله أشخاصاً آخرين لكي يدلم على الطريق . وهنا نصل إلى الكلام على قدرة الغضبيين على اجتذاب اناس وسوقهم وجرفهم

الاهتمامات السياسية إن العصبيين يجذبون الآخرين بقوة انفعالهم ، وبما يملكون من بريق وفتنة أما الغضبىيون فيجرون الآخرين إلى الفعل ولقد يفقدهم اجتماع الانفعالية إلى الفعالية لديهم شيئاً مما يملكه العصبيون من رهاقة ، ولكنه يكسبهم في مقابل ذلك قدرة على التأثير الاجتماعى وعلى سوق الناس إلى ما يريدون أن يسوقهم إليه من عمل . إن مجرد وجود الغضبى النموذجى بين الآخرين دعوة إلى الشروع في فعل والغضبى ينشد الشعبية بحمل الناس على اتباعه وإنما الخطر أن ينشئ إلى نشدان الشعبية لذاتها ، بغض النظر عن قيمة ما يتبغى أن يكون مضمومها ، فإذا هو يفقد كرامة القائد من فرط مما لأنه للجمهور ومن الطبيعى أن يفتق الغضبى ميله إلى الشعبية وقدرته عليها باقتحام ميدان الحياة السياسية إن ميرابو ودانتون وجامبنا وجوريس لم يفرقوا بين حماسهم السياسية وبين ميلهم إلى الخطابة . وإذا كان الغضبى زعيم حزب سياسى رأيناه يمجذ الجراءة وينصح بالهجوم . ولكنه يظل دون الجموح قسوة بسبب ما يملك من عواطف إنسانية رحيمة . وهو يندفع ويهدأ تبعاً للظروف ، ويتقل انتقالاً سريعاً من حمى الصراع السياسى إلى الاسترخاء في العلاقات الخاصة ، ويسريح من المعارك العامة في الحياة الأدبية أو الغرامية . ولكن هذا لا يمنع أنه في الذروة

من حيث إسهامه شخصياً في الحياة السياسية (س٨١) فما هي أهماته السياسية ؟ إن الغضبي يحب التجديد كما رأينا ، فلا بد أن نتوقع إذن أن يتجه إلى الإصلاح السياسي ، وهذا ما تدل عليه فعلا نتائج الاستفتاء ، إذ أن الغضبيين في الحد الأقصى من حيث النزعة الراديكالية في السياسة . لذلك نجد عدداً كبيراً من الغضبيين التاريخيين في الأحزاب الثورية التي أحدثت تبدلات اجتماعية . لقد قاد دانتون الثورة إلى الجمهورية ، وجامبتا أسس الجمهورية بفرنسا ، وجوريس انتقل من اليسار إلى الاشتراكية ، والمركز روتشدر لوسى جعل اسمه هنرى روتشدر ، والمتنبى أشعل ثورة أدت به إلى السجن .

وفي خارج ميدان السياسة نرى الغضبيين يقبلون على جميع الظروف التي تتيح لهم أن يقودوا الناس وأن يبرهنهم وأن يترجمهم في الجمعيات والنوادي وغير ذلك ، وهم يحبون العمل في الصحافة . ويحذرون أنفسهم للدعوة إلى مذهب أو عقيدة (المتنبى والقرمطية) ولن نجد بينهم من يقول بنظرية الفن للفن ، فالكتاب عندهم يجب أن يشرعوا أقلامهم للدفاع عن قضية اجتماعية لذلك ينذر أن يعنى أحدهم اختصاصه . وإنما هو يربطه بوجهه من النشاط الإنساني أخرى . ويغلب على تفكيرهم الطابع الأخلاقى من حيث إنه إهابة بالناس إلى الفعل . ولا شأن للميتافيزيك في هذه الإهابة ، فليس من الضروري أن تبرهن على ضرورة الفعل لشخص تحمله طبيعته ذاتها على الفعل . وإنما يكفي أن تدله كيف يجب عليه أن يفعل .

الفرق العاطفي هل رأيت شخصاً يحاصره ظرف طارئ ملح ، كأن يكون أمام محكمة أو أمام لجنة امتحان ، عليه أن يجيب على أسئلتها بكل ما أوتي من قوة ، أو كأن يكشف فجأة إزاء وضع يهدف إليه أن الظروف تتيح له نصراً ؟ هل رأيت كيف يعلو صوته آنذاك ، وكيف أن القوى العاطفية التي لا يستطيع لجمها تنعش عندئذ تفكيره وتعبيره ، فيهم في كل لحظة أن يفقد القصد والاعتدال ، وأن يخطئ هدفه ، فيثير السخرية والهزء منه ؟ إنه غضبي غرق في طوفان من عاطفته .

التأؤل والثقة بالمستقبل من الاندفاع إلى الفعل ، حين تمدد الانفعالية بالقوة والطاقة وحين لا يكبحه الرجوع البعيد بذكري تحمل على الإحجام ، تنشأ نشوة التأؤل والثقة بالمستقبل . والحق أن الغضبى أقل الناس شعوراً بالعقبات التى يجب تذليلها من أجل النجاح فيما يقدم عليه من مشاريع إن الجموح يشعر بهذه العقبات ويبحث عنها ليتغلب عليها ( الطريق شاقة وطويلة ، هكذا يقول الجموح ) حتى إن فى فعله نفسه نوعاً من التشاؤم يسهم فى تعزيز الفعل وشد أزره أما الغضبى فإنه لا يتصور هذه العقبات مقدماً ، فإذا صادفها دفعها أو دار حولها ، شريطة أن لا تتراكم أمامه ، فإنه يعدل عندئذ عن مشروعه

وهذه الثقة بالمستقبل لا بد أن تعبر عن نفسها بعقيدة ، وعقيدة الغضبى « فلسفة تقلمية » تناسب تفاعله .

والثقة بالمستقبل مشفوعة بالثقة بالناس وتدل نتائج الاستقصاء على أن الغضبى أقل ميلاً من سائر انطباع ، تقريباً ، إلى التقذ والتجريح (س ٤٢) ، وأكثرهم ميلاً إلى خلع طابع مثالى على الآخرين (س ٣٨) ، وهو أقل الناس حيقداً ، وهو يهب إلى خلمة الآخرين ، ولا يطالبهم بالاعتراف بجميله ، وإنما يدهشه ، حين يخيون ظنه : أنهم ليسوا مثله ومن فقدان الرجوع البعيد ينشأ أن الغضبى لا يرى أن الحساب والاحتياط والحذر يجب أن تغلب مقتضيات اللحظة الحاضرة والحق أن الفعالية ذات الرجوع القريب من شأنها ، حين تغذيها الانفعالية ، أن تفضى آثار التجارب المريرة إن الصورة المرتسمة فى أذهاننا عن الأمريكى الذى يلمر مرة أولى ، فثانية ، فثالثة ، ثم ينهض بعد كل مرة إلى ملاحقة الثروة هى صورة الغضبى . والغضبى فى هذا تقيض العاطفى الذى يضحخم ما يلقى من صللمات ويطلق ترجيعها فى نفسه ، ويتوقع أن تصيبه صللمات أخرى إن الصللمات القليلة التى أصابت المعرى ، ألزمته بيته ، وأيامته من الحياة ومن الناس . أما المتنبى فما كان يقع إلا لينهض ، وما كان يخفى إلا لستانف العمل لبلوغ مأربه ، ولو كلفه ذلك أن يتلون بألف لون ،

وأن يمجّد اليوم من كان يذمهم بالأمس وأن يتقلب غداً على من يعاونهم اليوم .

الانبساطية عرفنا أن العاطفي نبطواني : وأشرنا إلى أن نقيضه الدموي انبساطي ، ونصنيف الآن أن الغضبي يشبه الدموي في أنه فعال ذو ترجيع قريب : فهو لذلك يؤثر العالم الخارجي على العالم الداخلي .

ويظهر هذا في آثاره الأدبية فهو يحب الرواية كما ذكرنا والرواية التي يحبها إنما هي رواية الأحداث . لا رواية التحليل الداخلي ولا رواية البحث الفلسفي فهي تصور الأفعال الإنسانية من خارج لتوحى بما يكمن وراءها من انفعالات فعالة . إن أحسن شعر انتهي ما وصف المعارك الحربية

وما يصدق على ما يقوم به الغضبي من وصف للفعل يصدق على ما يقوم به من فعل إن انطواء الإنسان على نفسه حين ينبغي له أن يفعل يمنع من الفعل أو يقطعه . فثمة تعارض بين تحليل النفس وبين الجهد والعمل : فالإنسان الفعال يعيش في الأشياء التي يفعل فيها . ويمضي من الإدراك إلى الاستجابة رأساً فلذا انطوى على نفسه وانعز عن الطبيعة كان كمن يحلم وهو في قلب المعركة والغضبي لا يستطيع ذلك فإن كل مؤثر خارجي يحدث فيه طاقات تأخذ فعاليته في استعمالها وفي جعلها حركة عضلية : ولا تتدخل اللافعالية لتحليل هذه الطاقات شعوراً بانذات : وما دام يفعل فينبغي له أن يتبه إلى ما يدور حوله للتلاؤم مع ضرورات الفعل لذلك تدل نتائج الاستقصاء (س ٨٣) على أن الفعالين يمتازون بخضور الذهن ولا سيما ذور الترجيع القريب منهم

على أننا وقد بينا الشبه بين الغضبيين والدمويين في الانبساطية يجب أن نفرق بين انبساطية هؤلاء وانبساطية أولئك فضعف الانفعالية لدى الدمويين يجعل إدراكهم للعالم الخارجي عقلياً صرفاً . في حين أن انفعالية الغضبيين تجعل إدراكهم للعالم الخارجي أملاً بالمضمون الحسي

الحس العملي وذلك التفريق نفسه يجب أن نذكره بصدد الحس العملي .

إن نتائج الاستقصاء تشير إلى أن الدموى هو فى الذروة من حيث الحس العملى (س ٢٩) ، ويليه الجموح فالغضبي ، على تفوق الغضبي تفوقاً كبيراً على الوسطى . ونستطيع أن نقول إن الغضبي بارع ماهر ، يعرف كيف يدبر الأمور وكيف يتخلص من المآزق وتفاؤله إذن فى محله ، لا تكذبه خرافة ولئن كان يضيف إلى أسباب الشقاء التى تأتية من خارج أسباباً أخرى يصنعها لنفسه بنفسه ، فلا يرجع ذلك إلى فقدان المرونة لديه ، وإنما يرجع إلى أنه لا يصبر على القعود عن عمل بل يقتحم فى بعض الأحيان مشاريع مخوفة بالمخاطر ، ويسكر من نشوة السرعة ، ويسرف فى استعجال النجاح ، وهذا بعينه هو السبب فى كل ما لى انتبى من صروف وعجن .

وإذا كان الغضبي دون الدموى والجموح فى الحس العملى ، فذلك يرجع إلى أنه أقل مهما روية وتريثاً ، فهو متى شعر بالدافع إلى الفعل فعل فوراً ، يحضه على ذلك فرط انفعاليته ولا يمنعه عنه ترجيع بعيد . ونحسب أن صاحب كتاب « مع المتنبى » لم يظلم أبا الطيب حين قال فيه « يجب أن نعتدل ونقتصد حين نذكر تفكير المتنبى وترويته ، فهو لا يفكر ولا يروى إلا فنه ، فأما فى طبيعة الأشياء ، وأما فيما يحسن وما لا يحسن ، وأما فيما يقال وما لا يقال ، فإنه لا يعرف تروية ولا تفكيراً »

وقد تبلغ هذه الاندفاعية بالغضبي إلى نوع من الابتدال والسخف ، فلا تعقيدات الحياة الداخلية التى تفرضها اللافعالية على العصبيين والعاطفيين ، ولا التعمق والتنظيم التى تتيحها الفعالية ذات الترجيع البعيد للجموحين ، ولا الوضوح العقلى الذى تسمح به الفعالية اللا اندفاعية للدمويين والمفاويين ، لا شىء من هذا متوافر له ، فهو إذن محروم من العوامل الرئيسية التى تمنع من الاندفاع المسف ومن هذا القبيل المبالغات المؤذية التى يتورط فيها المتنبى كقوله فى مدح بدر بن عمار

لو كان علمك بالإله مقسماً فى الناس ما بعث الإله رسولا  
لو كان لفظك فيهم ما أنزل الفرقان والتوراة والإنجيلا

أو كقولهِ في مدح محمد بن عبد الله العلوي  
 لم يخلق الرحمن مثل محمد أحداً وظنى أنه لا يخلق  
 ومن هذا القبيل أيضاً تلك المبالغات السخيفة التي يندفع فيها، كقولهِ متغزلاً:  
 إن كنت ضاعنة فإن مدامي تكفي مزادكم وتروى العيا

### ٥ - سيكود بالكتيك الغضبي

إذا نظرنا في كل ما تقدم قدرنا أن الديالكتيك الداخلي لا بد أن يكون قليلاً لدى الغضبي ، وذلك لأن الحواجز والعقبات التي بصطدم بها ليست في نفسه بل في خارج نفسه، ليست حواجز وعقبات داخلية بل خارجية ، فإذا أخفق فكر في الأشياء لا في طبيعته . خلافاً للافعال الذي يشعر بعجزه فيفكر فيما يمكنه من التغلب على هذا العجز الذي فيه . إن آفة الغضبي هي الإفراط لا التفريط ، ونحن كان هذا الإفراط يسىء اليه ، فلأن الأشياء تصدمه حين لا يحب حسابها ، وهو يحاول عندئذ مزيداً من دراسة هذه الأشياء ، وهذا يصرفه عن التفكير في نفسه ، وعن الرد على طبعه .

ومعنى ذلك أن السيكود بالكتيك قليل في نفس الغضبي ، ولكن في إمكان علم الطباع أن ينيد الغضبي من خارج ، فإذا بصّره علم الطباع بأخطار الرجوع القريب حين يلم الشخص لانفعالية تجعلها الفعالية عارمة ، أمكن أن يقوى رقابته على نفسه ، وأن يجعل لعوامل الماضي مزيداً من التأثير في فكره وسلوكه فكما ينبغي تبصير المسرفين في قوة الرجوع البعيد بمحاذير ذلك ، على اختلاف هذه المحاذير باختلاف الطباع كذلك يجب تبصير ذوي الرجوع القريب ، ولا سيما أولئك الذين ينهضون بأعمال خطيرة ، يجب تبصيرهم بالأخطار التي تهدد المستقبل ، والتي تنجم عن أنهم لا يعتبرون بتجارب الماضي اعتباراً كافياً . فلا الثورات المتسرة التي لا بد أن تصير إلى الإخفاق ، ولا الاطمئنان المتعجل والثقة الطائشة ، ولا الإسراف في السرعة والاندفاع مع أول فكرة تخطر على البال ، ولا الاستسلام للارتجال على وجه العموم ، لاشيء

من هذا كله يجب تشجيعه أو يمكن تحييده فإذا استطاع علم الطباع أن يبصر الغضبى بهذا كله على صعيد المعرفة العقلية ، فلا بد أن يحاول الرد على طبعه ، وتعديل ما يحمله عليه هذا الطبع من إفراط

## ٦ - فئات الغضبىين

يتقسم الغضبىيون إلى فئات تبعاً لدرجات المقومات الأساسية وتبعاً لانضفاف مقومات تكميلية إلى تلك المقومات الأساسية وليس يتسع اغبال هنا لعرض جميع فئات الطبع الغضبى ، كما فصلّ لوسين القول فيها ، وحبنا أن نشير إشارات من شأنها أن تعطينا صورة عن تنوع الطبع الغضبى وتلونه بألوان مختلفة على حسب درجات المقومات

لنفرض أن الفعالية والرجيع القريب يبلغان حدّاً أقصى من القوة لدى الغضبى : إننا نكون عندئذ إزاء غضبى مغامر إن كازانوفاً وبومارشيه ، قد جعل كل مهما من حياته رواية يسيطر عليها الارتجال وأحب كل مهما أن يروى قصة هذه الحياة ، وربما أضاف إليها وزاد عليها فيها رواه ، لأن طبعه يحمله على كذب المبالغة . فلا عجب إذن أن يضم النموذج الغضبى عدداً كبيراً من الروائىين : وهذا يؤيد ما سبق ذكره من أن رواية المغامرات التى تمثلها رواية « الفرسان الثلاثة » ( للغضبى دوماس ) هى النموذج الأساسى للرواية .

فإذا ابتعدنا الآن عن هذا التطرف الذى يجتمع فيه فرط الانفعالية ذات الرجيع القريب بفرط الفعالية ، فيختلط الخيال بالحياة ، اقتربنا من أولئك الغضبىين الطائشين الواهمين الذين يضيعون ما يملكونه من مزايا الفعل بسبب فقدان الواقعية والروى والتريث إن جان لوبون الذى ضيعته حماسته فى موبرتويس ، وشارل الثامن الذى أوْشك أن يضيع نفسه فى نابولى لأنه كان يعلم بأن يكون ملك القدس ، وفرانسوا الأول الذى كان هو نفسه سبب انكساره بما أظهر من نقاد الصبر فى المعركة ، كل هؤلاء قد طبعوا عدداً من السنين



من تاريخ فرنسا ، أثناء الحكم الملكي ، بذلك الطابع المسرحي العاطفي العميق ، ثم تجدد هذا الطابع نفسه بعد زوال الحكم الملكي على يد غضبيين ثوريين مثل ميرابو ، ودانتون ، أو على يد غضبيين محاربين ، مثل مورا .

فإذا قل المترجم القريب هدأ هذا الهور ، إن صفات الغضبين تساعد على خلق خضياء لهم من متانة أجسامهم وقوة صحتهم ما يجعلهم لا يعرفون التعب . ولم من تعاطفهم السريع ، ما يجعلهم يحسون أسراً ما ينتج في قلوب جمهورهم من مشاعر . ولم من انفعاليتهم ما يجعل العدوى تسرى منهم إلى غيرهم . لأنهم أقل فتنة من نعصبين الذين يمتازون عليهم بالرفافة والتعومة على وجه العموم ، ولكنهم يتصفون بالقدرة على التأثير المباشر في الناس لحملهم على الفعل إن ميرابو ، ودانتون ، وروشفور ، وجامبتا ، وجوريس ، هم شواهد على هذه القوة الاجتماعية .

فإذا قلت الفعالية حتى صارت في خدمة الانفعالية ، اقرب الغضبي من العصبي فاقرب من الشعر ، خالفاً عليه السهولة والإلحاح وحب الخطابة والملحمة والشبه بالمرشح إن فكتور هوجو يمثل هذه الفئة الطباعية أحسن تمثيل ، ومن حوله نجد آندره شينييه الذي تأرجح بين شهوات الحس ومعارك الجدل ، ونجد تيوفيل جوتييه الانبساطى الروائى ، وروستان الذى انتهى إلى إفساد فنه باخماسة الهوجاء والسهولة اللفظية التى استحالت إلى لعب بالكلام . ولقد تطورت حياة هؤلاء الناس موازية لشعرهم ، فكان هوجو من ترجمه القريب بغير عقائده تبعاً لعقائد الناس في زمانه ، وانتهى إلى الانخراط في الحياة السياسية ، ونصب نفسه نبي تهاؤل لم تأت الأحداث مصدقة له ، إلخ .

أما بعد . فلكي نميز بين هؤلاء الأشخاص تمييزاً يمضى إلى حد التحليل الفردي ، فلا بد من توضيح الخصائص الأخرى التى تدخل في بنيتهم الطباعية ، ولا بد أن نراهم يضطربون بين الأحداث ويعيشون فيها فيتأثرون بها ، فيتخصص بذلك طبعهم ، ويصير إلى فردية .

## الفصل الثامن

### الجموح<sup>(١)</sup>

#### ١ - الصيغة الطباعية

الجموح هو الانفعال الفعال ذو الترجيع البعيد (E A S)

#### ٢ - جموحون من التاريخ

جموحون معذبون<sup>(٢)</sup> (شبيون بالعصين من حيث إن الانفعالية هي المسيطرة في صيغهم الطباعية على الفعلية والترجيع البعيد) بيهوفن ، برليوز ، تولستوى ، تشه ، القديس أوغطين ، راسين ، باسكال ، كارليل ، ميشله ، دانسى .

جموحون تأمليون أو مكثبون (شبيون بالعاطفين من حيث إن المجموعة AE

تغلب الفعلية) مالبرانش ، ميكلانجلو ، مولير ، لويس الرابع عشر جموحون صارمون (وهم الذين تسيطر عليهم المجموعة EA) : عمر بن الخطاب كونديه ، فوش ، ريشليو ، نابوليون الأول ، لويس الخامس عشر ، سان برنار ، بيسويه ، فلون ، نيوتن ، أمير ، باستور ، فخته ، هيجل ، أوغست كوت ، أفلاطون ، بول كلوديل ، كورنى .

(١) لويسين ، « علم الطباع » ، ص ٣٤٩ - ٤١٥ ، « المصير الشخصى » ، ص ٦٨ - ٧٠ آندره لوجال ، « علم طبع الأطفال والمراهقين » ، ص ٢٠٨ - ٢٣٤ ، جاستون بروجيه ، « تحليل الطبع » ، ص ٤٧ - ٥٥ ، « الطبع والشخصية » ، ص ٢٦ - ٢٨ ، ايل كاي ، « الطبع والخطوط » ، ص ١٦٨ - ٢٠٦ ، روبرت ميتريو ، « دراسة الطبع » ، ص ١٠٤ ، مينار ، « التربية والطبع » ، ص ٦٧ - ٨٨ ، بول جريجيه ، « الذكاء والتربية العقلية » ، ص ٨٤ - ٩٢ (٢) يقسم الطبع الجموح إلى هذه الفئات تبعاً لعلبة عنصر أو عنصرين من عناصر الطبع على المنصرين الآخرين أو المنصر الآخر .

جموحون قناة ( يسيطر عليهم الترجيع البعيد ) جوزيف دومير .  
 جموحون متحفظون ( شبيهون بالدمويين من حيث إن الفعالية تغلب الانفعالية  
 والترجيع البعيد ) جوته  
 جموحون مجهنون ( تسيطر فيهم المجموعة AS مع اعتدال في S )  
 فلوير ، زولا ، بول بورجيه ، أوجوست كونت ، بوسويه  
 جموحون مهجئون ( تسيطر فيهم المجموعة AS ) مع قوة في S ) تورين ،  
 جلادستون ، رمون بوانكاريه ، ديكرات : كوفييه ، القديس توماس الأكويني .

### ٣ - نتائج إحصائية

لابد من التفريق بين الجموحين المفرطين ، وبين الجموحين المعتدلين ،  
 فهكذا فعل هيانس ، وفعل بعده لوسين ، ومن جاء بعدهما من أصحاب هذه  
 المدرسة الطباعية . لقد أدرك هيانس ضرورة هذا التفريق حين قارن بين النتائج  
 المستمدة من الاستقصاء الإحصائي والنتائج المستمدة من استقصاء سير المشاهير ،  
 فوجد أنها تتفق في بعض الأمور وتختلف في بعضها الآخر ( تتفق ٣١ مرة  
 وتختلف ١٤ مرة )

إنها تتفق على أن الجموحين يتصفون بالصفات التالية العمل دائماً ،  
 المواظبة والاستمرار ، العنف ، العزم في العمل ، سرعة الفهم ، الحس العملي ،  
 سعة النظرات ، الاستقلال ، موهبة الملاحظة ، قوة الذاكرة ، عدم المبالاة  
 بملذات المائدة وملذات الجنس ، عدم المبالاة بأنواع الرياضة ، بالفنون  
 التصويرية ، بالموسيقى ، فقدان حب الظهور ، فقدان حب العرض ، الشفقة  
 وخدمة الآخرين ، الطيبة مع من هم أدنى منهم ، العاطفة القومية ، قلة محبة  
 الانتجاهات التقدمية في السياسة ، الاقتصاد ، الميل إلى الجمع ، البساطة  
 الطبيعية ، الشرف ، أنهم جديرون بالتصديق ، مؤتمنون ، دقة المواعيد ،  
 العاطفة الدينية ، محبة الحيوانات ، فقدان الشجاعة .

ويختلف الاستقصاءان في صفات أخرى على نحو ما يتبين من الجدول التالي ، الذي يفسر هذا الاختلاف من جهة أخرى

| الجموح |         | المقارن | الصفات               |
|--------|---------|---------|----------------------|
| المفرط | المعتدل |         |                      |
| ٦٦,٧   | ٣٦,١    | ١٢,٨    | س ٧ انقضى<br>مختار   |
| ٢٥,٠   | ٥٢,٤    | ٧٥,٤    | رجل مبادئ            |
| ٨,٣    | ٩,٢     | ١٣,٠    | س ٩ صبر              |
| ٢٩,٢   | ٤٨,٩    | ٥٧,٢    | ناقد أصبر            |
| ٤٥,٨   | ٢١,٨    | ١٣,٤    | س ١١ أذى ( نقور )    |
| ٧٥,٠   | ٤٧,١    | ٢١,٤    | حزن المزاج           |
| ٢٣,٣   | ٥٢,٧    | ٧٢,٠    | يشحبل إغضابه         |
| ٠,٠    | ٢,١     | ٤,٢     | س يتأخ               |
| ٧٥,٢   | ٨٤,١    | ٨٧,٧    | غير متأخ             |
| ١٢,٥   | ٨,٦     | ٧,٥     | س ١٥ مكتب قائم       |
| ١٢,٥   | ٥,٨     | ٥,٢     | س ٨٢ ذاهل            |
| ٢٥,٠   | ١٨,٥    | ١٦,٢    | حاضر الذهن           |
| ٦٢,٥   | ٦١,٣    | ٦٣,٦    | س ١٢ راغب في القيادة |
| ٣٧,٥   | ٢٠,٦    | ١٨,٧    | يدع الحرية للآخرين   |
| ٥٠,٠   | ٥٧,٦    | ٦٢,٩    | تسهل قيادته          |
| ٨,٣    | ١٥,٠    | ٨,٩     |                      |

فإذا نظرنا في هذا الجدول لاحظنا أن الأمور كلها تجري كما لو كان الجموحون المعتدلون يقرّبون من المفاويز ، فكأن المفرطين يختلفون إذن عن المعتدلين ، في فرط الانفعالية .

#### ٤ - الصورة النفسية

بوصولنا إلى الكلام على الجموحين نصل إلى الطبع الذي هو أقوى الطباع طرا ، إلى الطبع الذي يملك القوى الثلاث كلها الانفعالية والفعالية والترجيح البعيد ، ويجب أن نتوقع إذن ، من أول نظرة نلقها على الصيغة الطباعية للجموح ،

أن يكون الجموحون أخطر الناس شأنًا في التاريخ ، فينبهم يجد التاريخ أبطاله الكبار . لكأن ركب الإنسانية إنما يقوده الانفعاليون الفعالون ، ولا سيما الجموحون الذين هم من جمهرة القيادة قلبها ، وحول هذه الجمهرة الصاخبة القائدة ، وعلى جنباتها ، يضطرب الانفعاليون اللافعالون معبرين عن المشاعر التي يوحى بها التاريخ أو يستعملها التاريخ ، ويسير اللانفعاليون الفعالون يحملون هذا التاريخ ويفكرون فيه ويعقلونه

إنه ليكنى أن نربط بين قائمة الأسماء التي ذكرناها من أسماء مشاهير الجموحين في التاريخ ، وبين العناصر المكونة للطبع الجموح حتى نلمح السمات الأساسية التي تميز الجموحين عن سائر البشر .

إن هؤلاء الناس يتصفون بهذه الصفة المشتركة الواضحة ، وهي أن لهم جميعاً شأنًا اجتماعياً كبيراً ، لا يستثنى من ذلك حتى التلاخفة منهم فإن لم يكونوا رؤساء دولة وحرب ( عمر بن الخطاب ، نابليون ) كانوا يرسمون مثلاً عليا سياسية ( بوسويه ، هيجل ، كونت ) أو ينظمون مؤسسات دينية ( سان برنار ) ، أو يتصورون فهم نفسه على أنه نبوة إنسانية ( بتهوفن دانتى ) ذلك أن المجموعة EA تدفعهم إلى العمل وإلى الناس ، وتغذيهم بعواطف قوية فعالة ، وتجعلهم يحسون صبوات البيئة التي يعيشون فيها . ولما كانوا من جهة أخرى ذوى ترجيع بعيد ، فإن اندفاعهم إلى العمل يكتب الصفات الثلاث التي يجعلها الترجيع البعيد وهي أولاً الاهتمام بالماضى والاهتمام بالمستقبل البعيد ، ومن هنا ينشأ أن عملهم يتسلح بوسائل أكثر ويهدف غايات أبعد وأعلى ، وثانياً التنظيم ، ومعنى هذا أن عملهم ليس أغنى بالوسائل والغايات فحسب ، بل إن هذه الوسائل والغايات يمكن أن تتركز على مشروع واحد فذ يصبح بسبب ذلك أقوى . وثالثاً الكف ، ويرتب عليه أن كل ما لا يتناسب مع ذلك الفعل الفذ ، يكبح ، ويكبت : ويتفصص ، فإذا الشخص يتبد به هوى واحد هو روح حياته ومحركها .

ويمكن القول إن الجموح هو الإنسان الذي يملك أعلى توتر بين سائر

الناس وينشأ هذا التوتر عن اجتماع الانفعالية الفعالة إلى الترجيع البعيد فالانفعالية الفعالة تدفع إلى الفعل ، والترجيع البعيد يمنع هذا الاندفاع إلى الفعل أن يضيع في فراغ ، وإنما يردّه إلى التجربة . إن الفعل لا يستحيل لدى الجموحين أحلاماً وصوات ، كما هي الحال لدى اللافعالين ، ولا هو يتبدد في تفكير مجرد ، كما هي الحال لدى الفعالين اللا انفعالين . إن الجموحين يريدون المثل الأعلى والواقع معاً ، ولما كان الوصول إلى ذلك لا يكون إلا بإكراه الواقع على الارتفاع إلى المثل الأعلى . ويحمل المثل الأعلى على التلاؤم مع الواقع فإنه ينشأ عن ذلك أن الجموحين ، وهم مثاليون واقعيون في آن واحد ، يحاولون أن يبدلوا العالم وفقاً لتغايبات التي نذروا لها أنفسهم وإنهم ليوحدون بين أنفسهم وبين قضيتهم ، ويعملون لقضيتهم كأنهم يعملون لأنفسهم ، حتى لكان شعار كل واحد منهم « الدولة هي أنا » . وهذا يعني أن الجموح يستعمل قوى الدولة لتحقيق إرادته ، ولكنه يعنى أيضاً أنه يستعمل قواه للوصول بالدولة إلى أرفع مدى يمكن الوصول إليه .

هذا ما نراه في سيرة مشاهير الرجال من الجموحين ولكن الجموحين الذين لا يبلغون هذا المبلغ من القوة ، ولم يتوّأ قدرأ كبيراً من المواهب ، الجموحين الذين يعيشون حولنا ، يشعرون طموحهم الاجتماعي في حدود إمكانياتهم ، فيتحملون تبعات عائلية ثقيلة ، ويحاولون أن يرتفعوا إلى أعلى المناصب ، ولا يعدمون أن يمارسوا نوعاً من أنواع السلطة .

تلكم إذن صفة عامة في الجموحين ، وهي تؤدي بنا إلى النظر في صفاتهم المميزة على التفصيل ، وأولها

الطموح المحقق ذكرنا ، عند الكلام على العاطفيين ، أن للانفعالية ذات الترجيع البعيد شأنأ كبيراً في الطموح فالانفعالية تحمل على الرغبة ، والترجيع البعيد يحيل الرغبة بالتنظيم إلى وحدة يتجمع فيها كثير من الأفكار والعواطف ولكن هذا الطموح الناشئ عن الانفعالية ذات الترجيع البعيد يظل لدى اللافعالين طموحاً حلم وتشوف وتطلع ، أما لدى الجموح فإنه يستخدم

الفعالية ، فالجموح يسعى إلى تحقيق ما يحلم به ، بل إنه ليحتر أولئك الذين لا يزيدون على أن يحملوا ، فطموحه طموح محقق لا طموح مشرف وطبيعي أن يتخذ هذا الطموح ألواناً مختلفة باختلاف غلبه بعض العوامل التي تكوين الطبع الجموح على بعضها الآخر ويستصح لنا هذا عند الكلام على فئات الجموحين ولكننا نستطيع أن نقول منذ الآن إن الجموح الصرف هو الجموح الذي تغلب فيه الفعالية ، أما الجموح الذي تغلب فيه الانفعالية فهو يشارك بعض المشاركة في « ضعف » العاطفي ، كما أن الجموح الذي يغلب فيه الترجيع البعيد يظهر بمظهر اللفاوي الذي يفكر فيما ينبغي تحقيقه أكثر مما يحقته .

ويمكن تحليل الطموح المحقق إلى عنصرين

أما العنصر الأول فهو يظهر من حياة الجموحين في نقاد النصر الدال على شدة التوتر . انظر إلى هؤلاء الصناعيين ورجال الأعمال الذين يحملون طبعهم الجموح في ميدان النشاط الاقتصادي ، فيحققون أكبر ربح ممكن دون أن يكفوا عن أن يعيشوا حياة متشقة إن نوعاً من الاستعجال ونقاد الصبر يدفع بهم من مشروع إلى مشروع ، بل إن أحدهم إذا كان في لقاء مع أحد الناس ، كانت فكرة موعد آخر وبحث آخر وزيارة أخرى ، ماثلة دائماً في ذهنه أثناء الزيارة التي تشغله . إن العاطفي يشاهد مجرى انفعالاته الداخلية : أما الجموح فهو يجمع التأمل إلى الفعل ، محتفظاً دائماً بنوع من التنظيم يثوى وراء تعاقب اهتماماته ، وهذه الاهتمامات كثيرة لأنه يشرع دائماً في أعمال كثيرة ، لكنها تظل عملية لأن وقت الجموح لا يتسع لأن يجعل منها موضوع اجترار نفسي ، بل إنه ليحتر هذا الاجترار ، ذلك لأن نقاد صبره يدفعه دائماً إلى أمام ولا بد له من أن يذلل العقبات التي تعترضه ، على الفور ، حتى لكأنه يعد هذه العقبات إساءة إلى شخصه .

وأما العنصر الثاني فهو قوة رده على الحاجز الذي يعترضه . عند لقاء الحاجز إنما يشعروا الجموح ويشعر هو نفسه بما هو وبما يستطيع أن يفعل . أن يغلب

على أمره ، فذلك عنده غاية الضعف . إن ما في الترجيع البعيد لديه من غنى ، يضع تحت تصرفه مختلف الوسائل لتحقيق إرادته ، وهو يستعمل هذه الوسائل إلى أقصى الحدود . ويمكن القول إن الجموح هو بين سائر الناس أكثرهم حشداً لقواه .

وظهر المحن في هذا الحشد هو العدوانية ، ذلك أنه لا بد للحاجز أن يخضع فإذا لم يخضع إلا بالتدمير فليدمر

وبين لوسين أن كل جموح يميل إلى أن يكون عسكرياً ، حتى لكأن الجيش هو صيغته الطبيعية نفسها : فالجيش قوة مدبرة تشأ عن تعاون رجال تلهبهم حماسة مشتركة ، ويخضعون لنظام صارم ، فهو الفعالية التي تحطم الحواجز ، وهو الانفعالية التي تتعاطف مع رفاق الحرب وتتفخ في تعاونهم الحرة ، وهو الترجيع البعيد الذي يحمل صاحبه على الخضوع للنظام ، وعلى إخضاع الآخرين له .

ومن أجل ذلك نرى الجموح لا يجب أن يقود فحسب ، بل يرضى أيضاً بأن يُقاد إنه يجب أن يطاع كما يجب أن يطيع ، ويظل بطبع إلى أن يجتلك مركز القيادة التي تطاع

وهذا الدور الأساسي الذي يلعبه الترجيع البعيد في النظام العسكري هو الذي يشعرنا بقوة الجموح ، فالترجيع البعيد الذي يضاف إلى الفعالية والانفعالية لديه ، يساهم في توليد هذه النتيجة الخطيرة ، وهي نشيء الآخرين بإحالتهم إلى أدوات ، فالجنود عنده عدد وُعدد ، والعمال يد عاملة ، كأن الأفراد مجموعة إحصائية لا أسماء لها

ولكن في خارج ضرورات العمل ، أي فيما عدا تلك اللحظات التي تجعل استعجال النجاح يضيّق الشعور ويصوبه إلى هدفه بقوة خارقة ، فإن الجموح يعود فيصبح أطف الناس عاطفة وأرقهم قلباً ، فإذا هو عند الاسترخاء كالعاطفي . إنه في خارج نشاطه الأساسي إنسان طيب القلب ، يحدث بارع الحديث ، صديق وفي ، زوج رقيق . ولكن تلك اللحظات ، وهي تعقب في العادة نجاحاً



بعبية الجموح ، نادرة أو قصيرة ، لأن الطموح المحقق سرعان ما يدفع الجموح إلى الشروع في عمل جديد . إن الجموح عبد خياله الذي لا يرتوى من ظمأ ، حتى لقد ينهى به إلى الكارثة ، إلى تحطيم نفسه

العمل الجبار العمل هو المظهر اليرى الذى يتجلى به الطموح . والجموح هو بين سائر الطباع أعمقها انصرافاً إلى العمل ، وأشدّها استمراراً عليه ، ونفاذاً فيه . كان نابليون « يهلك » أمناه سره ، وكان باستور يرهق معاونه ، وكان عمر ابن الخطاب لا ينّى يطلب من عماله وولائه وقواد جيشه مزيداً من الجهد والعمل . إن كثيراً من الجموحين لا يطيقون أن يُحد العمل بعدد معين من الساعات في . ملاحقة الهدف الرئيسى وعند الجموح أن المرء إذا أراد أمراً فيجب أن ينفذه كاملاً ، لا أن ينفذه نصف تنفيذ . وينشأ هذا لدى الجموح من صفة تلاحظ لدى كبار الجموحين في حدها الأقصى ، وهى تتركزُ الفكر على انفاية التى يستهدفها ، فهم يحرقون مراحل العمل حرقاً ، ويلتهمون طعامهم بسرعة ( نابليون ) ، ويصلون إلى الموعد قبل الوقت المضروب لا هذا فحسب ، بل إنهم يستغرقون في حل المشكلة استغراقاً تاماً ، فلا يحسون بما عدا ذلك حين كان جالستون يجلس إلى مكتبه للعمل كان لا بد من هزّه من كنفه لإشعاره بوجود آخر ، ولرده إلى إدراك العالم الخارجى وليس ذهول آمير إلا الوجه الثانى من عمق استغراقه في عمله .

إن القدرة الجبارة على العمل تتجلى لدى الجموح في ضخامة النتائج التى يحصلها ، والآثار التى يخلفها .

وإذا كان العمل نتيجة من نتائج طبع الجموح ، فإنه سرعان ما يصبح غاية . إن الحاجة إلى الفعل تنشأ عن ممارسة الفعل . يقول لوسين ما خلاصة لعنا نستطيع أن نقول ، في شيء من التبسيط دون أن نخطيء ، إن ألمانيا تألف ، طباعياً ، من عاطفين رينانيين ، ومن جموحين بروسين ؛ ففي أيام السلم ، في أيام الاسترخاء ، ترتد ألمانيا إلى ألمانيا ١٨٢٠ ، إلى ألمانيا الشعراء والموسيقين والفلاسفة ؛ ولكن الفعاليين البروسين يحبون الحرب ، فإذا هم يتغلبون ،

فيثرونها شعواء لا ترحم لقد قال شيلر عن الألماني إنه ينسب إلى أن يعمل من أجل أن يعمل ذلك أن العمل بغض النظر عن نتائجه يروى حاجات عميقة إلى الفعل وإلى مصارعة الصعوبات ، ويشعر الذات بتقديراتها الخالقة وبما لها من قيمة وخطر ولكن من سوء الحظ أن ثمة خطراً هو أن تنقلب رغبة المرء هذه في أن يشعر بأنه يحيا وبأنه يظفر ، أن تنقلب هذه الرغبة صراعاً لا ضد الأشياء بل ضد البشر . وهذا هو الجموح هيجل يقول إن على المرء أن يخاطر بحياته حتى يشعر بأنه يوجد

والترجيع البعيد يقوم في حياة الإنسان بدور المعدل ، فالتعاقب الانفعالات على ما نشاء لها نزوات اللحظة الحاضرة ، فإذا انضمت الانفعالات ذات الترجيع البعيد إلى الفعالية التي تمنع من التراجع أمام العقبات . كان الاستمرار ، فالجموح يمتاز بالاستمرار ، وهو به يقرب من المفاروق . ولئن كان الجموح دون جيرانه اللانفعاليين في الاستمرار ، بسبب الانفعالية . فإن استمراره يمتاز على استمرارهم بأنه أعنف . فالجموح والمفاروق كلاهما يفتحمان مشروعات طويلة المدى تحتاج إلى سنين ، وقد لا يكون لهما إلا مشروع واحد لا يتغير ولا ينحرفان عنه يمنة أو يسرة .

اهتمامات الجموح : أشرنا إلى أن المجموعة EA تجعل الفرد يهتم بالأشخاص قبل اهتمامه بالأشياء ، فهي تساعد على تعاطف الفرد مع الآخرين ، ولكن الترجيع البعيد لدى الجموح يحيل الاهتمام بالآخرين اهتماماً بمجموع لا بأفراد ، فالصفة الأولى التي تتصف بها اهتمامات الجموحين هي أنها ذات طابع اجتماعي . ومن أشكالها حب الجموحين للحياة العائلية ، وقوة شعورهم القومي ( لتذكر عربية عمر بن الخطاب ، وحرصه على أن لا يدخل الجزيرة أعاجم وعلى أن لا يختلط العرب بسكان البلاد التي يفتحونها ) ، وقوة عاطفتهم الدينية ، كما تدل على ذلك نتائج الاستقصاء التي تضمهم من هذه الأمور كلها في الذروة . وهذا ما تؤيده سيرة الجموحين الذين وقفوا حياتهم على خدمة المجموع متمثلاً في الوطن أو الدولة ( عمر بن الخطاب ، نابليون ، ريشيلو ، إلخ ) أو في العقيدة

الدينية ( ابن الخطاب أيضاً والقديس توماس الأكويني وفلون ) ويجب أن نلاحظ أن الفلاسفة الجموحين قد ربطوا تفكيرهم الفلسفي ربطاً وثيقاً باهتمامات سياسية ( سبينوزا ، فختة ، هيجل ، كونت ، بعد أفلاطون ) .

حجة التاريخ يتبين مما تقدم أن تاريخية الجموحين هي صفة من صفاتهم المميزة . وإذا كنا نغني بالتاريخ التاريخ السياسي والعسكري تاريخ الحوادث ، فإن الجموحين هم في طليعة الناس الذين يصنعون التاريخ . ولا عجب بعد ذلك أن يكونوا أيضاً في طليعة الناس الذين يقصون التاريخ . ( « من المشهور عن عمر بن الخطاب أنه كان عليماً بتاريخ العرب وأيامها ومفاخر أنسابها » ، العقاد ، « عبقرية عمر » ، ص ٢١١ ) فهناك توازن بين مظهر الحياة ومظهر الفكر ، ومن الطبيعي أن يبحث المرء عن إرواء نفس الاهتمامات بالفكر والحياة معاً والذي يجب أن يعيش في التاريخ لا بد أن ينتقل إليه بالفكر ، ولا سيما حين تمنعه ظروف حياته من متابعة دوره التاريخي . لقد كان نابليون ، وهو في جزيرة سانت هيلانه ، يكتب تاريخ حياته ، ويروى قصة معاركه ويجد في ذكرى ذلك كله انفعالات فعالة أصبحت الحياة لا تجود بها عليه

ويمكن في هذه المناسبة أن نقارن بين اليوميات الشخصية التي يكتبها العاطفي وبين المذكرات التي يكتبها الجموح . إن اليوميات والمذكرات كليهما تركزان على الذات ولكن العاطفي كاتب المذكرات ينصب على الذات وحدها ولا يعنيه مجرى الحوادث كثيراً ، وإنما تكفيه الانفعالات التي تخلفها في نفسه هذه الحوادث أما الجموح كاتب المذكرات فهو ينظر إلى نفسه ذاتاً في الحوادث تؤثر فيها وتتحمل مسؤوليتها . هل خاف مارمونت في أبسون ؟ ذلك ما يعني مارمونت ماذا كان دور بوانكاريه وكليانصو في حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ ؟ ذلك ما يعني بوانكاريه وكليانصو .

ولكن الجموح يمكن لسبب من الأسباب ، وربما لغلبة اهتماماته العقلية أيضاً ، أن ينصرف أو أن ينحرف عن تطوره في اتجاه العمل الاجتماعي

فإذا هو يأخذ في كتابة التاريخ. ونحن إذ تصفحنا أسماء كبار المؤرخين وجدناها أسماء انفعاليين فعالين ( ذوى ترجيع بعيد بوجه خاص ) وحسبنا أن نذكر بعد من ذكرنا من الفلاسفة السياسيين أسماء مومسن ، ميشلبه ، بوسويه إن الجموح إمام المهتمين بالتاريخ . فإذا جنح إلى الترجيع القريب جنح التاريخ معه إلى القصص ، وإذا كان من فئة لجموحين المعليدين جنح التاريخ معه إلى النبوة ، وإذا كان الترجيع البعيد يغلب عنده على الانفعالية اختفى النظر إلى الحوادث المؤثرة والأشخاص وراء النظر إلى المؤسسات وتطور الشعوب . . أما الشعراء من الجموحين فيقصون التاريخ ملاحم .

التعلق بالماضي ليس الاهتمام بالتاريخ إلا حالة من حالات الاهتمام بالماضي وهذا الاهتمام بالماضي يرجع إلى المجموعة ( ES ) ، ولكن الفرق واضح بين العاطفي والجموح في هذا فالعاطفي يستعرض الماضي ليستمع بذكراه ، أما الجموح فيستعرض الماضي ليكمله بفعله .

والتعلق بالماضي أحد المعايير التي تفرق بها بين الجموح وبين الغضبي أوضح تفریق ، فالغضبي يتشوف إلى المستقبل بصبر فارغ ، لا يصد اندفاعه إليه أى منع أو كف. وهذا ما يتضح لنا من الأرقام التالية

| <u>الجموح</u> | <u>الوسطى</u> | <u>الغضبي</u> |                        |
|---------------|---------------|---------------|------------------------|
| ٨٣,٨          | ٤٦,٨          | ٢١,٠          | س ١ ، ٢٠ ذكريات قديمة  |
| ٦,٥           | ٣٥,٦          | ٦٣,٨          | س ٢ ، ٢٠ تأثيرات جديدة |

إن الغضبي تقدمى يتظر دائماً مستقبلاً أجمل من الماضي أما الجموح فإنه مهما يكن فعالاً ، يدفع الماضي نحو مستقبل يريد له أن يكون استمراراً للماضي . إنه يحافظ حتى حين يغير الماضي بعمله ، كما أن الغضبي ثورى حتى حين ينتمى إلى أحزاب محافظة . الغضبي منحرك متحمس ودود يحلو له الكلام ويجب النظام البرلماني ، أما الجموح فهو مكيث يؤثر أن يعمل على أن يتكلم ، قاس يميل إلى تنظيم كل شيء حوله على طراز عسكري ، ويفضل النظام

الاستبدادى . لم يخطيء العقاد حين عد الروح العسكرية مفتاح شخصية عمر ابن الخطاب .

التشفي لا بد لاهتمام الجموح بملاحقة العظمة الاجتماعية من أن يولد فيه قلة الميل إلى الذات العضوية . وهنا تلاحظ الفرق بين الغضبين والجموحين : فالغضبى يجب لذات الطعام ويجب الناء أما الجموح فلا يحفل بلذات المائدة ، وإذا كان قوى الشهوة الجنسية لم تغلبه شهوته على أمره ، ولم تصرفه عن حساب ما يتصل بطموحه .

ومن اجتماع السلطة إلى التشفي ينشأ أن الجموحين مهياؤن للقسوة : القسوة على أنفسهم والقسوة على غيرهم فالجموح لا يرحم نفسه ولا يرحم غيره في نقد كل ما يمكن أن يقف في وجه إرادته مما في نفسه أو مما في نفس غيره . إن له إرادة جبارة لا هواده فيها

العواطف الدينية يرى لوسين أن إمامة العاطفة الدينية إنما هى للجموح الذى تكون انفعاليته غالبية ، وتكون فعاليته متوسطة ، مع سعة فى مساحة الشعور ( لوسين ، « علم الطباع » ، ص ٣٨١ ) .

ويقول إن الأسباب التى تدفعه إلى تقرير هذا الرأى أو وضع هذا الفرض هى التالية :

١ - أن أقل الناس استعداداً للحياة الدينية وقدرة على فهم روحها الحميمة العاطفية إنما هم الدمويون ( آناطول فرانس . تاليران ، فولتير ) الذين تتعارض صيغتهم الطباعية مع الصيغة الطباعية للعاطفيين أقرب الناس إلى الجموحين المعتدلين فى الفعالية .

٢ - أن العاطفيين يملكون شعوراً دينياً قوياً ، ولكن هذا الشعور الدينى يظل فيهم فوضوياً وذلك لفقدان الحماسة الضعالة ، فتنهموا أن يدينوا بالعقيدة الدينية عادوا فوقوا فى الشك والنقد ، وهذا ما لا يقع للجموحين الفعالين .

٣ - أن الترجيع البعيد يساعد على التدين من حيث إن التدين ينشأ عن جهد للسيطرة على الزمان ، بدلا من الانخراط فيه .

٤ - إذا كانت الفعلية هي الغالبة على الانفعالية اتجه الجموح إلى الفعل المحض ، السياسى أو العقى ، لا الدينى

٥ - وسعة ساحة الشعور لا بد أن تسهل العاطفة الدينية من حيث إنها تسهل حركة الضمير الذى يهب نفسه باتحاد قلبى لضمير آخر ولكن هل معنى هذا أن الجموحين وحدهم هم الذين ينضون تحت لواء عقيدة دينية معينة ؟ كلا . ولكن الناس يتفاوتون فى درجة التدين ككل التفاوت . وإذا كان ينبغى لنا أن نميز فى كل طائفة اجتماعية متشابهة بين نوعين من المشتركين فيها ، بين أولئك الذين يقودون وأولئك الذين يقادون . فيجب أن نميز فى مجال الحياة الدينية بين أولئك الذين تنبع العاطفة الدينية منهم وبين أولئك الذين تسرى العاطفة الدينية إليهم . هؤلاء وأولئك يتشابهون طبعاً لكنهم يختلفون فى الدرجة .

فالعاطفة الدينية هي إذن فى ذروتها لدى الجموحين ، فما عسى أن تكون لدى الطباع الأخرى ؟

إنها لدى العصبي غذاء جديد لتغذيه العاطفى ، وانتقال العصبي فجأة من الإيمان إلى الكفر ومن الكفر إلى الإيمان مظهر من مظاهر قلقه ، وإذا كان العصبي واسع ساحة الشعور كان ذلك مما يسهل انبثاق بعض الاندفاعات المؤتمنة الصادقة ، ولكن هذه الاندفاعات لا تدوم طويلا ، وهي إلى الفن أقرب منها إلى التقوى .

وأما الغضبى فالدين عنده دعاية ووعظ

وأما المفاوى فالدين يصير عنده عقلياً : إن الفيلسوف المفاوى كنت يجب الدين حباً « عملياً » وبرده إلى الأخلاق .

وأما الدمويون فهم أقل الناس تديناً ، وليس الدين فى رأيهم إلا تلقيقاً غيبياً اتخذته كهنة مكيفليون مطية للتأثير فى خيال الناس وتسخيرهم للآرهم .

## ٥- سيكوديالتيك الجموح

يجب أن نلاحظ أولاً أن النموذج الجموح ، بحكم عدد القوى التي يملكها ، ينقسم إلى عدد من الفئات كبير لذلك فإن دراسة سيكوديالتيك الجموحين لا بد أن تكون متنوعة وطويلة . تتدرج من الانقلاب أو الهداية التي تكثر بين الجموحين المعذبين ، إلى الرقابة اليومية التي يمارسها جموح قاس بحق نفسه : وبين هذين الحدين هناك إمكانيات لا تحصى .

ويجب أن نلاحظ ثانياً أن الصيغة الطباعية للجموحين تسهل تأثير كل منهم في نفسه ، حتى يمكن التفرغ إن الجموحين لا بد أن يتفوقوا في هذا على العاطفين أنفسهم ، رغم أن العاطفين مبالون إلى تأمل أنفسهم ، ذلك أن العاطفي إذا كان يجب أن يعرف نفسه فلكي يتلذذ بهذه المعرفة ، لا لكي تكون هذه المعرفة ينبوع لإصلاح يأخذ به نفسه . ولا كذلك الجموح ، فإن طموحه يحاول أن يحقق ذاته ، وما من طموح يمكن تحقيقه إلا إذا كان صاحبه يراقب نفسه ويتلاءم مع ما ينتظره من نفسه وهذا هو الجهاد الأكبر . ومن أجل ذلك كان التأثير السيكوديالتيكي الذي يحدثه الجموح في ذاته تأثيراً هاماً ، وكانت دراسة هذا التأثير تبعاً لذلك هامة أيضاً . ولكن من أجل ذلك نفسه أيضاً كانت هذه الدراسة صعبة وطويلة ولا بد من تصاوير نفسية دقيقة واسعة نستقرها استقراء حياً ، حتى نعرف الطرق التي بها استخراج هذا النفر أو ذاك من الجموحين مصيرهم من طبعهم : والطريقة التي بها يستطيع الجموحون في المستقبل أن يتحاشوا بعض أسباب الإخفاق ، وبعض أسباب الأخطاء والآثام أحياناً

وبانتظار ذلك يكتبني لوسين بسوق الملاحظة التالية إن الخطر الذي يهدد الجموح إنما هو الإفراط فهو حين يخطئ ، إنما يخطئ عن تور ، ولما كان يقود في كثير من الأحيان مصيره ومصير غيره ، فإن الخطر يهدد مصيره ويهدد مصير الجماعة التي توحد بها .

وفي وسع علم الطباع إذن أن ينبه الجموحين إلى أن عليهم أن ينظروا إلى

أهدافهم نظرة فاحصة ناقدة ، بدلا من أن يميلوا فعاليتهم التي يجب أن تكون بلحماً تارة ومزيداً من القوة تارة أخرى ، بدلا من أن يميلوا هذه الفعالية إلى تسارع لا يهدأ ولا يتوقف .

## ٦ - فئات الجموحين

يقسم لوسين نموذج الطبع المحسوح إلى الفئات الأساسية التالية التي سنستعرضها استعراضاً سريعاً ، ابتداء بأولئك الذين يشبهون العصبيين وانتهاء بأولئك الذين يشبهون المفاويين .

الجموحون المعذبون إن هؤلاء يشبهون العصبيين من حيث إن الانفعالية تغلب فيهم الفعالية والرجيع البعيد . إننا إذا نظرنا في حياة برليوز أو نتشه ، فسرعان ما يخطر لنا أن نضعها بين حياتي هايني ودوستوفسكى . أليست حياتهما ، مثل حياتهما ، منسوجة من شعروفن وقلق وفوضى وروعة وشقاء ؟ نعم ، ولكن في سلوكهما صفات عامة تشبه صفات ذوى الرجيع البعيد ، وتشبه صفات الجموحين بوجه خاص هناك ضخامة ما خلفنا من آثار ، هناك استمرار تدفق الإلهام ، هناك الانفعالات التي لا تتعاقب على نزوة بل تصدر من ينبوع باق عميق لا ينضب . هناك العناية بالفلسفة والدين ومصير الإنسان هناك النبوة . . . هناك التنظيم الفنى التبرى .

الجموحون المكثبون أو التأمليون إن هؤلاء يشبهون العاطفيين من حيث إن المجموعة ES تغلب الفعالية فهم يجمعون بين صفات العاطفيين وصفات الجموحين . إنهم مثلاً يتأرجحون بين الشعور بالوجود الصميمي اللانهائى وبين التحقيق المنهجى لنظام من التعمينات . وهذه الحركة تم على قاع من الكآبة ، فثارة تكبت هذه الكآبة وتارة تظهر . كذلك ميكلانجلو كآبة عميقة ، وإنتاج غزير محكم البناء والتنظيم .

الجموحون المتوازنون هناك فئة طباعية من الإنسانية يمكن أن يعبر عن



صيغتها الطباعية بالأرقام ٥٥٥ ، فهي الوسط في كل مقومة من مقومات الطبع إن الأشخاص الذين تألف منهم هذه الفئة يمتازون بالقصد والاعتدال ، فلا إفراط ولا تفريط ، بل توازن واتساق ، وكل الطباع الأخرى هي بالنسبة إليهم متطرفة فإذا تصورنا هذه الصيغة الطباعية ناهضة قليلا فوق الوسط ، كنا إزاء الطباع المتناقضة وقد عدل بعضها بعضاً فهم يملكون العاطفة ويشبهون الغضبيين فيما في نفوسهم من مودة ومحبة ، ولكن الفعالية ذات الرجوع البعيد تعدل الانفعالية وتحيلها طاقة للعمل والمشاريع وهم نشيطون فعالون ، ولكنهم مبرأون من نفاق الصبر لا يرهقون أنفسهم . وهم رحاب الصدر لا يستبدون بالآخرين ولا يعاملونهم على أنهم كتلة موضوعية وفي حياتهم مجال معتدل للراحة والتسوية والعاطفة والعناية بالأسرة . لا هم غارقون في اللحظة الحاضرة ، ولا هم خارجون فوق الزمان . يعنون بأنفسهم وبالآخرين وبالأشياء على حد سواء . يوزعون نشاطهم توزيعاً عادلاً بين أمور مختلفة ، ولا يستبد بهم هوى واحد ، الخ ، الخ .

يمكن أن يعد كورني واحداً من هؤلاء الجموحين المعتدلين .

الجموحون الصارمون هم الذين تسيطر عليهم المجموعة EA . منهم رجال حرب مثل : كوندية ، فوش ، ومهم رجال دولة مثل ريشليو ، كرومول ، نابليون الأول ، هتلر ؛ ومهم رجال عقيدة دينية ، مثل سان برنار ؛ ومهم فلاسفة ، مثل سينيوزا ، فخته ، هيجل ، أفلاطون ؛ ومنهم علماء ، مثل نيوتون ، أمبير ، باستور ؛ ومهم شعراء ، مثل كلوديل .

الصفة المسيطرة التي يتصف بها جميع هؤلاء هي الميل الملحاح اللجوج

إلى التحقيق ، مهما تكن العقيدة التي يدينون بها ومهما تكن القضية التي يندبون أنفسهم لها . إنهم يريدون أن يحققوا في الواقع ما يدينون به ، وما يندبون أنفسهم له فهم مثاليون واقعيون في آن واحد إن الإرادة هي الطابع الذي يطبعهم . ولهذا الإرادة صفتان أولاهما أنها تستهدف غايات بعيدة : كان نابوليون وهو فتى يافع ، يرسم خططاً على خريطة آسيا ، وكان هتلر يطمع في إقامة إمبراطورية لألف عام من الزمان . ولقد أراد هيجل أن يبنى « الروح المطلق »

جملة وتفصيلاً. والصفة الثانية التي تتصف بها تلك الإرادة هي أنها تبحث عن العوائق لتغلب عليها، حتى لكان الجموح يعنى بالظفر أكثر من عنايته بمضمون هذا الظفر، وقد يؤدي هذا إلى العدوانية

الجموحون المجهدون هم الذين تسيطر فيهم المجموعة AS مع اعتدال في S. وأمثلتهم بوسويه، أوجوست كونت، زولا بول بورجيه، إلخ إن التنظيم الاجتماعي هو الذي يعينهم في الدرجة الأولى لأن حاول أوجوست كونت أن ينظم المعرفة فلكى يضمن إعادة تنظيم المجتمع. وإذا نظرنا في آثار الروائيين من أفراد هذه الفئة رأينا رواياتهم تنصب على تحليل المجتمع من أجل تنظيمه.

الجموحون القساء هم الذين يسيطر عليهم الترجيع البعيد وإذا بلغ الترجيع البعيد أقصى حدوده رأيناه يزيل كل عفوية فهؤلاء الجموحون القساء يكفرون بالطبيعة، ويشكون في الحركة الأولى، وتسد بهم القاعدة، ويريدون أن يخضعوا كل شيء لنظام صارم قاس، إن مثال هؤلاء جوزيف دوميرتير الجموحون المهيجون هؤلاء جموحون شبيون بالمفاويين، ويسهم يجب أن نحشر القديس توماس الأكويني، وديكارت، وجلادستون، وريمون بوانكاريه وأضرابهم.

لأنهم يقتربون من المفاويين من حيث أن الانفعالية لديهم تخضع لانتجاهات العمل العقلية خضوعاً هو الطوعية التامة، حتى لقد نحسب لمفاويين إذا لم نعلم النظر فيما يتصف به عملهم من صفات أخرى إنهم أناس لا هم لهم إلا الأفكار الفلسفية والاجتماعية والقانونية التي يلتزمونها ويخضعون لها ولكننا متى نظرنا في عملهم نفهم وجدنا فيه من القوة ما يشعرنا بقوة عاطفية تتدفق فيه. إنهم أناس جديرون، أمناء للمهمة التي ندبوا أنفسهم لها يمتازون بفضائل اجتماعية رفيعة، مخلصون للدولة والمؤسسات التي يخضعونها، يشعرون بقيمتهم ويقسونها بمقياس الخدمات التي يقدمونها، يعملون بنشاط واطراد، يفكرون

في الأمور ويزنونها بموازين العقل . وهذا كله يجلب لم احترام الناس لهم وإعجابهم بهم .

الجموحون المتحفظون حين تنخفض الانفعالية وينخفض الترجيع البعيد لدى الجموحين قليلاً ، نكرون إزاء أناس يشبهون الدمويين في وضوح العقل ونمو الحس العملي . ولا شك أن هؤلاء الجموحين الشيبين بالدمويين ينقسمون إلى أسر مختلفة تبعاً للمقومات الأخرى ، ولا سيما سعة ساحة الشعور ، ومن بين هذه الأسر أسرة متوسطة أميل إلى سعة ساحة الشعور يطلق عليها لوسين اسم الجموحين المتحفظين ، ويضرب عليها مثالا بالأديب الألماني جوته ها هنا ضعفت المجموعة ES التي توجه صاحبها عادة إلى مثل أعلى رفيع ، ولكنها لم تختف اختفاء تاماً ، فأصبح من الممكن أن يبدو الجموح المتحفظ مؤثراً مصالحه الخاصة ، مع مشاركته في بعض جوانب العظمة من الطبع الجموح كان يتهون يتاء من مسابرة جوته للسلطات السياسية ، حتى لقد خلف جوته وراءه شهرة بأنه أناني ثم إن جوته يذكر بالدمويين من حيث تنوع اهتماماته الأدبية : ومن حيث اهتماماته العلمية ، ومن حيث ميله إلى النساء على خفة وتنقل وهذا كله يشبه ما يتصف به الباردون ذوو الترجيع القريب ، لكننا لا نستطيع أن نغفل عن الصفات الأخرى التي يتصف بها جوته مما يجعلنا على حشره بين الجموحين المتحفظين . إنه على الحدود بين الجموحين وبين الدمويين الذين سننصل القول في طبعهم الآن .

## الفصل التاسع

### الدموى

#### ١ - الصيغة الطباعية<sup>(١)</sup>

الدموى هو اللانفعالى الفعال ذو الترجيع القريب nE A P

#### ٢ - دمويون من التاريخ

البحظ ، معاوية ، أوستفالد ، ليون برنشفيك ، ليني برول ، بيكون :  
تاليران : هنرى دورينيه ، مدام دو سيفيني ، شافتسبرى ، أناتول فرانس :  
فونتيل : فولتير ، بول لوى كوريه ، لسنج ، لويس الثامن عشر ، مارمونتيل :  
مازاران : مترنيخ ، مكيافل ، مونتسكيو ، هلفتيوس ، هنرى الرابع ، هيكل ، إلخ

#### ٣ - نتائج إحصائية

تنتج نتائج الاستقصاء الإحصائى مع نتائج استقصاء السير فى بعض  
الأمور ، وتختلف معها فى أمور أخرى (الاتفاق على ٢٥ صفة ، والاختلاف  
على ١٤) وهذا جدول فى النتائج المتفحة :

س ٢ فى المثابرة على العمل - إن الفعالين ذوى الترجيع القريب يبلغون

(١) لويسين ، « علم الطباع » ، ص ٤١٦ - ٤١٩ ، « المصير الشخصى » ، ص ٧٠ - ٧٣  
آندره لوجال ، « علم طباع الأطفال والمراهقين » ، ص ٢٣٥ - ٢٩١ ، جاستون بروجيه ، « تحليل  
الطبع » ، ص ٣٧ - ٣٩ ، « الطبع والشخصية » ، ص ٢٠ - ٢٢ ، إميل كاي ، « الطباع  
والخطوط » ، ص ٢٤٩ - ٢٧١ ، روبرت ميتريو ، « دراسة الطباع » ، ص ١١١ - ١١٢ ،  
مينار ، « التربية والطبع » ، ص ٨٩ - ١٠٧ ، بول جريجيه ، « اللاكاه والتربية العقلية » ،  
ص ١١١ - ١١٨

في هذه الصفة المستوى ٩٠ في حين أن الفعالين ذوي الترجيع البعيد يبلغون الحد الأقصى ٩٩ ، والوسطى العام هو ٥٦,٤ .

س ٧ في التروى - ينتمى الحد الأقصى للمفاوى ٧٥,٤ ، ويبلغ الدموى ٥٥,٨ .

س ١٠ في البرودة والموضوعية يأتي الدموى في المرتبة الرابعة بعد

اللائفعالين الآخرين (٥٣,٧) .

س ٣٢ في القطع بالرأى يأتي الدموى في الوسط تماماً ، والذروة

هنا هي لللائفعالين الفعالين .

س ١٥ في المرح يأتي الدموى بعد الغضبى مباشرة .

س ١٨ وكذلك في سهولة المصاحبة .

س ٢٩ وفي الحس العملى يتسم الدموى الذروة .

س ٤٠ ، ٣٣ وفي دقة الملاحظة يستوى الدموى مع اللمفاوى على

الذروة ١٤,٧

س ٤٦ وفي الأمر الجنسية يقع الدموى في الوسط

س ٤٩ وهو يأتي بعد الغضبى والعصبى في حب الأجماد .

س ٤٧ ويأتى بعد ذوي الترجيع القريب الآخرين في الرضى عن

النفس .

س ٥٣ وهو أكثر الناس تحررية

س ٥٥ وهو أكثر الناس أنانية بعد اللافعالين الللائفعالين ، ولا عجب

أن يكون لذلك قليل الوطنية ( هو فيها بعد الجموح واللمفاوى والعاطفى ) .

س ٥٤ وهو أقل من وسطى الناس طيبة مع من هم دونه ، ولا يجب

الحيوانات كثيراً .

س ٦٢ ، ٦٣ وهو في الاستقامة والصدق دون الوسطى كثيراً

- س ٨٣ وهو يتسم الثروة فيما يتعلق بمحضور الذهن .  
 س ٦٥ وهو دون الوسطى في العاطفة الدينية .  
 س ٧٨ هو أكثر اناس ميلاً إلى الرياضة .  
 س ٧٠ وهو مع الغلاميين والعمفاويين أشجع الناس .

ذلك فيما يتعلق بالصفات التي يتفق فيها الاستقصاءان . ولكن الاستقصاء الإحصائي يشير أيضاً إلى أن الدمويين « هادئون ، مواظبون ، صابرون ، أذكياء ، دقيقون في المواعيد ، موهوبون في الرياضيات ، قلما يضحكون ، ليس بهم حب ظهور ، وليسوا مغلقين ، وأنهم كذلك نقادون ربابون ، يجنون لذائد المائدة ، خطباء ، مربيقيون » وفي جميع هذه الصفات يشير استقصاء السير إلى التقيض .

ويعقب لوسين على هذا التعارض بقوله « كان ينبغي إذن أن نشك في قيمة هذه المناهج ، لولا أننا نستطيع أن نكشف عن قانون هذه الاختلافات » . ثم يحل الإشكال كما يلي إننا نلاحظ أن دموي الاستقصاء الإحصائي يقربون من الآخرين حين تزداد درجة الترجيع القريب لديهم ، وأن دموي استقصاء السير إنما يختلفون عن الآخرين لأنهم يفوقونهم كثيراً في شدة الترجيع القريب وما كان الاختلاف بين نتائج الاستقصائين ليكون ، لولا هذا الاختلاف في درجة الترجيع القريب وإنما ينبغي أن نعتمد نتائج الاستقصاء الإحصائي لأن الذين تناولهم أكبر كثيراً

#### ٤ - الصورة النفسية

هدوء المظهر من الشائق أن ينشأ فرع لعلم الطباع يدرس مظهر كل نموذج من النماذج ، ويحدد هذا المظهر ، بحيث يستطيع المرء أن يضع فرضية عن طبع كل فرد متى لقيه وشهد مظهره . ولم ينشأ هذا الفرع من علم الطباع بعد ، ولكن يمكن الإشارة منذ الآن إلى بعض الأمور في مظهر الدموي .

أول ما يلاحظ في مظهر الدموي أنه هادئ وهو يستمد هذا الهدوء من برودة عاطفته ، لا من قسوته على كبح الاندفاعات العنيفة ، فهو لا يعرف الاندفاعات العنيفة ، فإذا رأى الناس من حوله يضطربون ويفعلون كان جوابه ابتسامة ناعمة من طرف الفم لا تخلو من شيء من السخرية . والابتسام ألوان تختلف باختلاف الطباع فابتسامة دموي ساخرة بعض الشيء ، وابتسامة العاطفي مرة حزينة ، وابتسامة الغضبي ابتسامة الفرح والمرح والرضى بالحياة ، وسرعان ما تنقلب إلى ضحك يجلجل .

وصوت الدموي هادئ كجملة مظهره : فإذا انفعل وضوئ ما يفعل ، لم يظهر انفعله في ارتفاع الصوت بل في اختلاف الحكم . إن استاء قال « هذا سيء » وإن سر قال « هذا حسن » وإذا نزل به أمر يسير أو خطير لم ينفجر متفجعاً بل فكر في الوسيلة العملية للخروج من المأزق ، ولم تزد ضربات قلبه من ذلك اتساعاً ولا قوة .

والدموي مهذب في معاملة الناس عادة وإنما تصادف الجفاة الغلاظ في معاملة الآخرين بين العاطفيين والخاملين أكثر ما تصادفهم ذلك أن التهذيب إنما يفسده أمران : الانفعالات العنيفة أو الإهمال الناشئ عن اللإفعالية ، والدموي مبرأ من الأمرين كليهما ثم إن ميله إلى المجتمع وجه العمل لا بد أن يجعل التهذيب واللباقة قاعدة أساسية في حياته .

والدموي يعنى بهندامه وأناقته ، وهويتبع الموضة ، ولكن على قصد واعتدال ، وهذا جزء من سلوكه الاجتماعي ، فليس يفعل ما يفعله بعض العصبيين من نشدان الثفرد في الملابس ، واتخاذة وسيلة إلى الإدهاش ، ومن العناية بجزء من أجزاء الهندام دون أجزاءه الأخرى .

الميل العضوية تدل نتائج الاستقصاء الإحصائي على أن الدمويين أكثر الناس ميلاً إلى ممارسة الرياضة . وهذه هي الأرقام المتصلة بمختلف الطباع فيما يتعلق بهذا الميل إلى الحركة :

|      |           |
|------|-----------|
| ٥١,٠ | الملاميون |
| ٤٦,٣ | الغضبيون  |
| ٤٦,٣ | الغضبيون  |
| ٤٤,٩ | الوسطى    |
| ٤٤,٣ | العصبي    |
| ٤٢,٨ | اللمفاوى  |
| ٤١,٦ | العاطفى   |
| ٣٩,٤ | الحاملين  |
| ٣٩,٢ | الجموح    |

ولا شك أن هذه الأرقام يمكن أن تتبدل كثيراً إذا نظرنا إلى كل نوع من أنواع الرياضة على حدة ، وإذا فرقنا خاصة بين رياضة الاحتراف ورياضة اذوية . ومهما يكن من أمر فإن هذه الأرقام تدل دلالة واضحة على أن انفعالية ذات الترجيع القريب تدفع إلى الرياضة ، وأن الانفعالية ذات الترجيع البعيد تدفع عنها (إن الملاميون يفترون من الفعاليين ذوى الترجيع القريب ، وإن الجموحين يفترون من العاطفيين والحاملين )

أما فيما يتعلق بالإقبال على ملذات المائدة ، فنلاحظ أن الدموى دون العصبي واضلاى فى هذا ، وفوق جميع ذوى الترجيع البعيد ، باستثناء الحاملين . وكلما ازداد الترجيع القريب لديه كان إقباله على ملذات المائدة أكبر .

ومن غريب الأمور أن الدموى والعاطفى يتشابهان فى العفة الجنسية (س ٤٦) فهما فى حدود الوسطى . إن الدمويين هم فى هذا دون سائر ذوى الترجيع البعيد ، باستثناء العاطفيين ولكنهم فوق سائر ذوى الترجيع القريب . وتحثل الرغبة الجنسية فى أدب الأدباء من الدمويين مكاناً هاماً ، حتى يمكن أن يقال إنه ما من طبع من الطباع ينزل الرغبة الجنسية منزلة أخطر من المنزلة التى ينزلها فيها الدمويون . ولكن الشيء البارز أن هذه الرغبة الجنسية تبدو فى أدب الدمويين عارية لاتلطف بأثواب من العاطفية ، شأنها لدى الانفعاليين ، حتى لقد تكون العاطفة الحارة



لديهم محل سحر وهزء والعنصر الذى يسمو بالحب لديهم إنما هو الشعور  
بإخمال إن ضعف الانفعالية يحيل الحب بين الرجل والمرأة إلى نوع من  
التداقة فى أحسن تقدير .

الحس العملى الحس العملى أبرز صفة يتميز بها الدمويون . تشير إلى  
ذك نتائج السؤال ٢٩ من الاستقصاء الإحصائى إذ تضعهم فى الذروة من  
حيث إنهم عمليون مبتكرون (٨١٪) ، ويأتى بعدهم الجموحون فالغضبيون ،  
والانفعاليون أقل الناس اتصافاً بالروح العملى ، ولا نجد بين الدمويين إلا أصغر  
عدد من الأفراد الذين لا يوصفون بالروح العملى (٨٤٪) .

وإن أسماء مشاهير الدمويين لتأتى مصدقة لهذه النتيجة . لقد عرف الجاحظ  
وفولتير وتاليران كيف يدبرون أمور ثروتهم . وقد أصبح يبيكون مستشار إنجلترا ،  
وتن أخل بواجباته لقد فعل ذلك فى غير قليل من الحذر تفادياً للعقاب  
وما كان مكيفيلى ومازاران ومعاوية يعأون بشيء غير النجاح . إن الدموى بارع ،  
يعرف كيف يصل إلى المراكز العليا بالدهاء وسعة الحيلة ، ولو لم يملك من  
المواهب ما يؤهله لاحتلال تلك المراكز العليا .

وإذا نحن نظرنا فى العناصر التى يتألف منها طبع الدموى سهل علينا أن  
نفهم لماذا كان الدموى يتمتع بالحس العملى ، شريطة أن نفهم من الحس العملى  
ما يجب أن نفهمه منه ، فما نخلط بينه وبين أمور أخرى تشبه ولكنها ليست  
إياه ، كحس التنظيم مثلا فالحس العملى الذى نسنده إلى الدموى هو القدرة  
على إيجاد وتطبيق حل سريع لمسائل تعرض فى حياة كل إنسان ، فهو قريب  
الأهداف قصير المدى ، لا يقوم على تصور نتيجة بعيدة وعلى متابعة هذه  
النتيجة البعيدة ، بل يهدف إلى تهيئة الشروط الضرورية فى كل يوم للاحتفاظ  
بالحياة وتوفير أسباب الرخاء لها .

وعلى هذا الأساس نلاحظ أن الصيغة الطباعية للدموى تؤهله للروح العملى :  
فالترجيع القريب هو الشرط الضرورى للتلاؤم مع الحاضر ، يضمن الانتباه  
إلى الواقع ، كما يضمن وضوح الإدراك ، ودقة الملاحظة ، والاهتمام بما يجرى ،

وسرعة الاستجابة ( وهذا كله تتضمنه الانبساطية ) ثم إن الانفعالية لا تتدخل لدى الدموى فتحيل سرعة الاستجابة هذه إلى اندفاعية طائشة ، أو تند وضوح الإدراك والفهم ، ولا يتدخل الكسل فيحول دون القيام بالأعمال اللازمة بعجز عن الإقدام ، أو بهروب أمام العقبات ، أو بسرعة يأس ، أو بتردد ، أو بميل إلى التأجيل أو بأى شيء آخر مما تولده الالفاعلية .

وما ينبغى أن نظن أن الترجيع البعيد يسهل الحس العملى بكثرة ما يبغى من وسائل وما يقدم من تجارب ، فإن الترجيع البعيد يرتفع إلى مستوى فوق الحس العملى إن فى الحس العملى شيئاً من الإسفاف والأناية ، ولعل الترجيع البعيد أن يعوقه إذ يربط الإنسان بغيره وبشده إلى مشاريع بعيدة المدى ويقتضيه التضحية التى لا يمكن أن يعدها أحد صورة للحس العملى . وإنما يشمل الحس العملى الذى نعينه هنا ثلاث صفات : الأولى هى أنه قصير المدى ، والثانية هى أنه لا يميل إلى ملاءمة الأشياء مع المثل الأعلى بقدر ما يميل إلى التلاؤم مع الأشياء ، والثالثة أنه يتضمن المبادهة ، وهو لذلك فى حاجة إلى الفعالية ، ومن أجل هذا كان الالفعالون أقل الناس اتصافاً بالروح العملى .

وإذا تفوق الدمويون فى الحس العملى ، فإنهم يتفوقون أيضاً فى صفات تمت إليه بنسب

من ذلك المرونة اليدوية (س٤٢) ، فهم فى هذا يأتون بعد الغضبيين . ولا عجب أن يتفوق عليهم الغضبيون قليلا فى المرونة اليدوية ، لأن المهارة العقلية موضوعها معان ، أما المهارة اليدوية فموضوعها الأشياء ، والاتصال بالأشياء تساعد عليه الانفعالية . إلا أن هناك مرونة يدوية هى بين المهارة العقلية والمهارة الجسمية ، أعنى الرسم ، (س ٣٣) واللائفعالون الفعالون أكثر الناس موهبة فى الرسم ، وعلى رأسهم الدمويون .

والدمويون يحتلون الذروة فى الموهبة الخطائية (س ٣٣) وفى موجة الانزعاج أمام جمهور (س ٣٩) ، وبعدهم يأتى الغضبيون ، إلا أن هناك فرقاً بين خطابة الغضبيين وخطابة الدمويين ، فالأولون أبرع فى التحدث إلى الجماهير

الشعبية التي تؤثر فيها الانفعالية وتجرحها ، والدمويون أبرع في الحديث إلى مجالس نياية تتأثر بقوة الحججة أكثر مما تتأثر بقوة العاطفة

ويمكن أن نوضح استعداد الدموي للحس العملي إذا بينا أن الخصائص الضرورية للحس العملي ( إيجابية كانت أم سلبية ) هي بعينها الخصائص التي يتصف بها من ذلك مثلاً أنه قوى الملاحظة ( س ٤٠ ) فهو في هذا يأتي بعد المفاوى مباشرة . وهو يتفوق على جميع الطباع في حضور الذهن ( س ٨٣ ) ، وهو على أنه ذو ترجيح قريب ، قليل الاندفاعية ، حتى إنه أكثر تروياً من ذوي الترجيح البعيد الانفعاليين ، وهو منحرر من العبودية للمبادئ . وهو يتفوق على جميع ذوي الترجيح القريب في استقلال الحكم ، ويتفوق جميع الناس في سرعة الفهم ، ويكاد يقف مع المفاويين جنباً إلى جنب في أنه إيجابي موضوعي أكثر من سائر الطباع

وما مرّ كله صفات عقلية جميلة تساعد على الحس العملي ، إلا أن هناك صفات ليست بمثل ذلك الجمال ، يتصف بها الدموي وتساعد على الروح العملية كذلك ، وهي متصلة بالدوافع

من النادر أن يفهم أحد من الروح العملية أنها أمانة للواجب وأنها كرم وفداء . ولحق أن الأنانية تميز الدموي ، بعد الهلامي والحاملين . والدموي راغب في المال ، يتفوق في ذلك على جميع الناس بلا استثناء . إن النغمة العملية امتداد للروح العلمية .

وهذه الروح العملية نفسها تمتد في الحياة الاجتماعية براءة في العلاقات بالناس . فالدموي يحب التردد إلى الصالونات والاختلاف إلى المجتمعات ويجب الحديث بين الناس . ليس الدموي اجتماعياً بالمعنى الذي قصدناه حين وصفنا الجموح بأنه كذلك ، أي من ناحية أنه يجب أن يسيطر على الناس وأن يقودهم ، ولا هو كالغضبي من حيث إنه شعبي يحب الجماهير وسرعان ما يصبح ثورياً وإنما هو سياسي يحب التردد إلى المجتمعات الراقية . والدبلوماسية هي الميدان المفضل الذي يؤثر أن يفتق فيه نشاطه ، كما تبرهن على ذلك أسماء تاليران

وميكيا فيلي ، ومازاران ، وكما يؤيد ذلك رقم في نتائج الاستقصاء الإحصائي ، هو الرقم المتصل بالسؤال ٦٢ ( يتصرف دبلوماسياً ) ، فالدموى يحتل هنا الذروة .  
الاهتمام بالتحديدات عرفنا أن الدموى انبساطي ، فهو لا يفرض في غموض الحياة الداخلية ، بل ينته إلى الأشياء الخارجية ويمجدها بالتحليل الواضح المتميز وينشأ عن ذلك أن اهتماماته الأساسية لا بد أن تلتفت إلى الأشكال الأساسية من التحديد

( ١ ) من ذلك ميله إلى المال ، وبراعته في تحصيله ( المال هو الشيء المجرد الذي به تحدد البضائع والخدمات ) . لقد عرف فولتير دائماً كيف يدبر شؤنه المالية وقد حصل تالبران ثروة ضخمة بالشفاعات والرشوات وكان سيكون أبعد الناس عن الأمانة في تاريخ إنجلترا كله ( على حد تعبير ماكولي ) ، وقد عرف الجاحظ كيف يرى .

( ٢ ) ومن ذلك التحديد العقلي : فالدموى من أنشط الناس في الحياة العقلية المجردة . إنه يقف مع اللغز جنياً إلى جنب من حيث التصوق على سائر الطباع في المهوبة الرياضية ( س ٣٣ ) وهو يعنى بالعلوم التجريبية أكثر ما يعنى ، لميله إلى الفائدة ، بل إنه لينشئ نظريتها ( يكون ) ، حتى إنه ، لقلة الترجيع البعيد ، يضحى لها بالمتافيزيقا ( برنشفيك ، ليني برول ) وهو لقلة التنظيم الذهني يؤثر في الفكر تعدد جوانبه على وحدة مبادئه . إن كثيراً من الكتاب الدمويين كانوا يؤلفون في موضوعات شتى ( الجاحظ ، فونتيل ، بيكون ، هيكل ، ارستفالد ، لسنج ) .

( ٣ ) ومن ذلك اهتمامه بالأشياء ، وهو اهتمام يرتبط بمزايا قوة الملاحظة التي أشرنا إلى وجودها لدى الدموى ، ويتجلى كذلك في ميل الدموى إلى جمع الأشياء ، كالكب مثلاً ( مكتبة الجاحظ ) . إن الانفعاليين ، ولا سيما اللافعاليين يضيفون إلى الإدراك شيئاً من أنفسهم ، من عواطفهم ، أما الدمويون فالمعرفة لديهم متروكة للحواس وحدها

وإن اهتمام الدموى بالتحديدات يظهر فوراً إذا نحن قارناه بالعاطفي ، من

ناحية الفراغ الداخلي في نفس الدموي فالعاطفي يبلغ من فرط امتلاء نفسه بالانفعالية المنطوية على ذاتها أنه يكون ذاهلاً لا يتبهِ إلى ما يجري حوله ، وإنما ينصرف عنه إلى عواطفه الخاصة . وهذه الشحنات العاطفية تعوز الدموي ، فهو امرؤ لا شأن له بالانفعال ولا شأن له بالانطواء ، ولا بد إذن أن يلتفت إلى الخارج يغرف منه تجاربه . إنه في حاجة إلى الاتكاء على الأشياء ، كطفل يستند إلى النافذة ، دفعاً للعلل . إن حركة واحدة تدفعه إلى الإدراك وتدفعه إلى الناس في آن واحد .

السياسة من شأن انخفاض الانفعالية أن يولد في حياة الدموي غلبة وضوح الفكر المجرد على سحر العاطفة الغامضة ولا بد إذن أن يحاول الدموي استعمال هذه الثروة التي يحس أنه يستأثر بها ويمتاز فيها على غيره ومن صور استعمال هذه الثروة أن يحاول التأثير في الآخرين للتأدي بهم إلى اتخاذ قرار يتصوره ذهنه تصوراً واضحاً ، وهذه هي الدبلوماسية التي لا بد أن تكون إذن استعداداً يمتاز به الدموي وذلك ما تدل عليه أسماء مكيافل ، ومازاران ، وتاليران وما يسهل نجاحه في الدبلوماسية أن عقله الصالحى مبرأ من العدوى العاطفية وأنه بعيد عن الوسوس الأخلاقية التي قد تمنعه من إنفاذ ما عقد النية عليه بعد حساب واضح ، فهو لا يبالي بالمواطن الإنسانية إلا بمقدار ما يستطيع تسخيرها لمآربه

وواضح أن الترجيع التريب يفيد الدبلوماسى فائدة كبيرة ، فهو الذى يهين له المرونة في إدراك الوقائع والتلاؤم مع الظروف الجديدة ، والتقلب بتقلب الأحوال .

ويضرب لوسين مثلاً بسانت بوف على هذا النوع من التقلب لقد كان سانت بوف رومانسيا مع موجو وفيني ثم ابتعد عنهما وأصبح صديقاً لبيير لورو وآرمان كاريل فوراً بعد « أيام » ١٨٣٠ ، ثم مال إلى الاشتراكية مع لامنيه ، ثم نحو الاشتراكية مع برودون ، ثم انتهى عام ١٨٥٢ إلى أن يصبح

نصيراً من أنصار السلطة ، وعضواً في مجلس شيوخ الإمبراطورية .  
ويجب أن نفرق بين قلب الدموى وقلب الغضبي ، كما نفرق بين حار  
العاطفة وباردها ، فالغضبي ينخرط في قلباته المتعاقبة ويقبل القتال والنفي ،  
أما الدموى فيدور ويلف ويتقلب تحقياً لمصلحته وهو يجد في ذلك كله  
ما يشبع فضوله العقلي الذي لا يتعب

نقص التمهيد أو التنظيم وظهر الحنن في هذه المرونة ما نتظره من  
فقدان الترجيع البعيد من عجز عن التنظيم فالترجيع القريب يسلم الشخص  
الزمن ، ولحظات الزمان ينفي بعضها بعضاً بالتعاقب ، فالترجيع القريب يسلم  
الشخص إذن للكثرة . تتجلى لنا هذا أولاً في فلسفات الديمويين . وأبرز مظاهره  
شعور مستمر بالنسبة الزمانية للفكر ، فهم يتصورون الفكر استحالة متصلة  
ويجري تاريخياً ، لا لعناصر المعرفة الإنسانية فحسب ، بل لمبادئ النكر  
نفسه أيضاً .

وهذا ما يؤدي بالدمويين إلى الريية في جميع الميادين إلى رية في  
ميدان الدين . فالدمويون ربيون في هذا الميدان لسببين أولهما ضعف الانفعالية  
الذي يجعلهم غرباء عن جميع الجوانب العاطفية الداخلية في الحياة الدينية ،  
والثاني نقص التنظيم ، هذا النقص الذي يمنعهم من أن يقدروا الوحدة حتى  
قدرها ، على اختلاف صور الوحدة .

وهم ربيون في ميدان الأخلاق ، تتجلى هذه الريية أقوى ما تكون لدى  
أكثرهم قرب ترجيع وضيق شعور ، مثل فولتير .  
إن شعورهم بتنوع آراء الناس وتنوع عاداتهم يجعلهم على البشك في قيمة  
هذه الآراء وهذه العادات

ويجب أن نعترف بأن غيرهم من ذوي الترجيع البعيد يشعرون بهذا التنوع  
( هل كان مالبرانش أقل معرفة باختلاف سلوك البشر من مونتيني ؟ هل كان  
ديكارت يجهل هذا الاختلاف ؟ هل كان هاملان أقل معرفة بتبدلات العلم من  
برنشفيك ؟ ) . ولكن هؤلاء يخضعون للتنوع للوحدة ، حتى إن ديكلوتس قد اتخذ

من الشك نفسه سلا إلى اليقين ، كما أن باسكال قد اتكأ على الرخصة نفسها للارتقاء إلى العالی . إن ذا الترجيع القرب محمول بطبعه إلى التكرير ، وإن ذا الترجيع البعيد محمول بطبعه إلى التوحيد .

وإذا نظرنا في أدب الدمويين وجدناه يفيض بالنسبية التي يمكن أن نصفها بالسلبية لأنها تهدف إلى النقد إن « كانديد » و « زائير » و « الرسائل الفارسية » هي نماذج لما يمكن أن يستمده الكاتب من تنوع السلوك الإنساني من دواعي الريب والشك . ومن الواضح أن الدمويين حين يضربون على هذه النعمة لا يفوتهم أن ربيهم خطيرة على الأخلاق ، فإذا هم يبرزون الفضائل التي يؤدي إليها تقدمهم ، كالنسامح ، ويجدون في فكرة التسامح هذه ملجأ يعتصمون به من هجوم الآخرين عليهم

وتجلى « تعددية » الدمويين أيضاً في ميلهم إلى الحقائق الجزأة . إن برودة العاطفة والانباطية التي تهلان دقة الملاحظة لديهم تشجعان فهم الميل إلى دراسة الطبيعة فهم يحون الطسعة ويدافعون عن قيمة العلم ضد قيمة الدين ولكن هذا الميل إلى استطلاع الطبيعة يظل من فقدان التنظيم استراتيجياً وجزأ ويمكن أن يعد بيبكون أبرز مثل لهذا الاتجاه فهو يخضع العقل للإدراك ، ويعتبر القليلة الفكرية ينبوع جميع الأخطاء ، ويتفحص من قيمة الرياضيات ، وينفر من المتافيزيقا ، أي يحارب روح التنظيم والتعهد .

ولكن لئن أفاد بيبكون من ذلك شعوراً قوياً بما للعلم الاستقرائي التجريبي من قيمة ومستقبل ، إنه لم يكن قادراً على أن يصبح عالماً كنيوتن . ذلك أن النفرة من التعهد النظرى ، إن كانت لها فوائد واضحة ، فإن لها كذلك أخطارها : لأنها تعوق التنظيمات الجزئية التي تؤلف أجزاء العلم ولعل هذا هو ما يفسر تلك الظاهرة ، وهي أن الدمويين إن كان بينهم عدد كبير من العلماء ، فإن بينهم عدداً كبيراً ممن يؤثرون أن يحرقوا البخور للعلم على أن يمارسوه ، وعلى رأس هؤلاء بيبكون ، ومن بينهم كتاب ( مثل مونتسكيو وفولتير ) ما زادوا على أن لامسوا العلم ملامسة ، ومؤلفون يبسطون نتائج العلم مثل فونتيل وحتى هيكل .

وما أسرع ما يصبحون دعاة للعلم ، يؤثرون أن يدافعوا عنه على أن ينموه ويطوروه . وإن فلسفتهم لمي فلسفة التقدم ، وهم من هذه الناحية يشبهون الغضيين ، لكن برودتهم تميزهم عن الغضيين تمييزاً واضحاً ، حتى إنهم كثيراً ما ينظرون إلى الغضيين الذين تضطرم أنفسهم بالعواطف الحارة باثسامة تحمل معى الشعور بالتفوق العقل عليهم .

والتجزؤ فى فكرهم يهيمهم بجميع الأنواع الأدبية التى يمكن أن نشبهها بالصحافة وأول هذه الأنواع فن المراسلة ( فولتير مدام دوسيفيني ) إن تبادل الرسائل ضرب من الحديث ، والدموى يجب الحديث ويلمع فيه .

والرسائل كالحديث تتطلب حركة الفكر واهتمامه كل يوم بما يجرى فى كل يوم ، وميله إلى تزويق الكلام والمسافة قصيرة بين فن الرسائل ، وكتابة البحث « الفلسفى » . إن جزءاً كبيراً من آثار فولتير قد أوحى به إليه رغبته فى الانتصار فى جميع الأنواع الأدبية ، لكنه لم يكن مهياً لها جميعاً ، وكان مهياً بوجه خاص لتأليف كتب مثل كتاب « كانديد » الذى يتجلى فيه طبعه الدموى ، ويتميز بجزابا أدبية تجعل من بحوثه الموصوفة بأنها « فلسفية » نماذج للأدب النقدى الساخر والمسافة ، بعد هذا ، قصيرة ، بين هذا النقد الفلسفى أو الأخلاقى وبين النقد الأدبى . إن الآثار الحارة تقتضى فى العادة انفعالاً يعزز وثبة الطموح والفكر ، وتقتضى تنظيمياً يعنى الأثر الممتاز بعناصر كثيرة متكاملة ، والدمويون ليسوا انفعالين ولا هم بذوى ترجيع بعيد ، وهذا لا يشجع فيهم الفكر الخالق المبدع ثم إن الانبساطية تضعهم خارج الأشياء ، والترجيع القريب يلطمهم للزمان ، وهذا يجعلهم يؤثرون التفكير النقدى على العمل المنتج ، وإذا قلنا التفكير النقدى لم نقصد ذلك الذى يشتمل على عودة داخلية إلى الذات ، بل ذلك الذى ينصب على أشياء متعاقبة تعرض للتحليل ، وهم يلعمون فى هذا النقد ويتفوقون ، وأوضح مثال على ذلك سانت بوف .

والحق أننا لا نستطيع أن نحصر أحداً من الدمويين فى اختصاص ضيق بعينه . فإن ما يتمتع به فكرهم من مرونة ، وما يميل إليه من استطلاع تغلب



عليه السلبية والسخرية أكثر مما يغلب عليه العمق ، يهيم نشاط في التأليف متعدد . وكثيراً ما يحاولون مختلف أنواع الكتابة ، لأنهم يقبلون على ذلك فبرودة العاطفة تغذى القدرة على التحليل الموضوعي ، وتحمل على الاحتفال بالعلوم المجردة ، ومن جهة أخرى ، فإن الترجيع القريب وما يملكون من رفاة بوجيان اليهم الاهتمام بالأدب وهكذا يهيم عليهم طبعهم للنبوغ في اتجاهات متعارضة ، ولما كان الترجيع البعيد لا يتدخل لتنظيم نشاط الدموي فإنه لا يشعر بحاجة قوية إلى التركيز على واحد من هذه الاتجاهات ، اللهم إلا أن تفرض عليه ذلك من الخارج واجبات المهنة أو ضرورات الوظيفة . ومن هذه الناحية نستطيع أن نقول إن الأنسكلوبيديا ، من حيث هي مقالات متفرقة يضاف بعضها إلى بعض ، لا تنظم فلسي ، تناسب نشاطهم الفكري .

وما يملكه الدموي من براعة في أن يعرف من الخارج ما يمكن اغترافه من الداخل ، يهيئ الدموي « للتقليد » . إن راويات أناتول فرانس وهنري دي رينيه مليئة بهذا التقليد . فالمؤلف هنا لا يعبر عن حركات عميقة في عاطفته وعقله ، لأنه إن كان يوصف بالكاء حقاً ، فلأنه يكشف بالتحليل من الخارج مالا يستطيع أن ينتجه بحركة بسيطة من عاطفته ، وإنما هو يقلد ، فإذا فنه بفيض بالمعرفة ، لكنه سطحي لا شك أن سانت بوف قد اشبهى أن يملك تلقائية العبقرية ، فحاول الشعر باسم مستعار هو جوزيف دولورم ، وحاول كتابة الرواية النفسية في كتابه « لذة » ، ثم وقف نفسه على النقد ، لأنه أدرك أنه هو النوع الأدبي الذي يلائمه ، وقد أدرك ذلك على غير قليل من الأسف ونخبة الأمل ، وظل يشعر بنوع من الحسد إزاء أولئك الذين حصلوا مجداً أدبياً كان يحلم لنفسه بمثله .

موقف الدموي من الميتافيزيقا ومن الدين لا بد أن ينشأ عن ذلك التوزع الفكري أو قل عن تلك الخارجية الفكرية نقص في العمق . هناك عقان يمكن أن يمتدبا الفكر الأول هو الوصول إلى الخلدات المستمرة من الحياة النفسية وهذا هو عمق النفس ، والثاني هو اكتشاف المبادئ الثابوية وراء الظواهر بالتنظيم

وهذا هو عمق العقل والدموي لا يملك لا الغنى العاطفي ولا التنظيم النظري ، وهو من أجل ذلك يعوزه العمق . وإذا كان الدين والميتافيزيقا يستمدان قوامهما من هذا العمق ، على اختلاف في الدرجة ، فلا بد أن يظل الدين وأن تظل الميتافيزيقا غريبين عن العقول التي لا تحركها هذه القوى ، ولا بد أن تؤدي هذه الغرابة إلى عداوة . فالدمويون يميلون بطبعهم إلى الوضعية ، ويعادون الميتافيزيقا . يقول لوسين : إن حياة الإنسان تتأرجح بين مستويين : فالإنسان الحيوان ، من حيث هو فكر محدده ويموضعه ويطبعه جسم ، هو الإنسان التجريبي ، وفوق هذا الإنسان بلوح ، بتأثير توتر قوى كثيراً أو قليلاً ، إنسان روحي ، قوام ماهيته هو أنه يعيش على صلة بالقيم التي هي دائماً فوق التجربة إلى حد ما . وهذا التوتر نحو الأعلى يسهل الترجيح البعيد من حيث إنه محرر من اللحظة الحاضرة ، وتمسكه الانفعالية من حيث إنها تزيد شدة الميل . لذلك يمكن أن نعتقد بأن هذا التوتر يبلغ حده الأقصى ، وسطياً ، لدى الانفعاليين ذوي الترجيح البعيد ، فيكون ينبوعاً للأحلام لدى العاطفيين ، وقدرة قوية على العمل لدى الجموحين ، وقد يكون أوضح لدى أولئك منه لدى هؤلاء ، لأن فعالية الجموحين تردهم كثيراً إلى المستوى المادي والاجتماعي . وأضداد العاطفيين هم الدمويون ، الذين هم غرباء عن التنظيم وباردون أكثر من وسطى الناس . فلا بد لاهتماماتهم إذن من أن تجعلهم يقفون على المستوى التجريبي ، كما يظهر ذلك من حسب العمل ، ولا بد إذن من أن يكونوا ضعيفين ، تجريبيين ، واقعيين . « ومن ثم نراهم يعادون الميتافيزيقا ذلك أن الذي لا يدفعه الترجيح البعيد أولاً تدفعه الانفعالية إلى عمق من العميقين ، لا يمكن أن تجذبه الميتافيزيقا ولا أن تقتنه ، لا من حيث هي تعبير عقلي عن الدين ، ولا من حيث هي معرفة شاملة ، فإذا لقها في طريقه ، كان رده عليها نقداً ، وكان نقده لها على قدر طموحها إلى معرفة المطلق . »

وتؤدي بنا تلك الملاحظات رأساً إلى النظر في المسألة التالية : لماذا كان

عدد كبير من الدمويين يقفون من الدين موقفاً نقدياً سلبياً ؟

إن الدين هو جواب على السؤال التالى هل هنالك مبدأ للكون؟ وهل من شأن هذا المبدأ أن يقتضينا وأن يستحق منا العبادة والحب . وهذا الجواب ، أعنى الدين ، يتضمن إذن القدرة على الارتقاء من الكثرة إلى الواحد ، أى يقتضى التنظيم . كما تفعل المتأفزيقا التى هى تعبير عقلى عن الدين . كما أنه يقتضى انفعالية كافية من أجل أن يصحح هذا المبدأ إلماً يحبه القلب وأنى للدموى الصرف أن يسهويه هذا الجواب ! إن عقله يشعر بين الحقائق المتفرقة التى لا يشعر بحاجة إلى ربط بعضها ببعض ، وإنما يطوف بينها تبعاً لمصادفات التجربة ، كما أنه ليس به أى قلق عاطفى عليه أن يهدته فهو لا يشعر شعوراً قوياً لا بالخوف من الموت ، ولا بالألم لموت الآخرين ، لأنه بارد العاطفة موضوعى لا يفهم الموت إلا على أنه حادثة تقع .

ولا يمكن إذن إلا أن يدهشه الدين ، وإلا أن يشعر تجاه التعبيرات الدينية بما نشعر به نحن جميعاً تجاه تعبيرات الأديان البدائية ، أو تعبيرات الحرفات الشعبية . فما عسى أن تكون ردوده على هذه التعبيرات ؟ إن الرد الأول لا بد أن يشبه ردنا نحن جميعاً على علائم طوفان انفعالى غير معقول فإذا كان هذا الفضع العاطفى لا يؤذى أحداً ضحكنا منه ، وذلك ما يفعله الدموى إذ يجعل الدين موضوع تنذر وسخرية ، حتى إذا رآه ينوع تعصب خطر شعر نحوه بالعداوة .

هذا هو الرد الأول . إلا أن هذا الرد الأول لا يكفيه . إن للدين من حوله احتفالات ومعابد ، وملايين الناس تنضوى تحت لوائه ، حتى لقد تنذر له حياتها كلها . ويشعر الدموى أن عليه أن يفسر هذه الظاهرة التى لا يستطيع أن يتجاهل مداها رغم أنه يظل غريباً عنها . إنه يشعر بدهشة ، ويريد أن يعلل وأن يفسر . وهو يبدأ عادة بتعليقات سببية ففرد اختلاف الأديان مثلاً إلى اختلاف الأقاليم . ثم ينتهى إلى أن يفهم الدين على أنه مؤسسة اجتماعية ، يلفقها أناس يارعون ليستطيعوا بها أن يقودوا الشعب الذى تستعبده عاطفته .

نتائج فقدان القوة العاطفية ولفقدان القوة العاطفية نتائج أخرى غير التى

أشرنا إليها منها

١ - التسامح إن المنبع الأساسي للاستبداد إنما هو الانفعالية القوية ، لا سيما حين تفاقمها الفعالية القوية و التسامح نقيض الاستبداد ، ويمكن أن نرى لدى الدمويين عدة مقومات من مقوماته أول هذه المقومات سوء ظنهم بانفعالية الآخرين فهم يستغربون هذه الانفعالية ويخشونها ويحاذرونها. والمفادون حلقاتهم في هذا ، يستكرون لدى الانفعاليين عنف الأعمال التي توحى بها هذه الانفعالية ، والتي قد تكون غير معقولة والمقومة الثانية هي اللامبالاة . فضعف الحساسية يساعد على تعقيل عواطف الآخرين ، فالدموي ينكر في هذه العواطف ويحاول أن يعقلها ، بدلا من أن يعانها ويكابدها ، ويجب أن نضيف إلى المقومتين السابقتين مقومة ثالثة ، هي الإحسان فالدمويون لا يعرفون الحب الجامح ولكنهم أيضاً لا يعرفون الكراه العنيف لهم يجنون مخالطة الناس ، و يجنون الحديث ، و لقاء الآخرين لا يؤذيهم ، لا يجرحهم ثم إنهم فعالون ، يتيح لهم حسب العمل أن ينجحوا ، و يقدمون إذن على مساعدة الآخر وكثيراً ما يجلو لهم ذلك . إن بهم سماحة هي الحب المعتدل الذي لا يتعلق تعلقاً عنيفاً بشخص أثير ، بل يلطف العلاقات الاجتماعية ، وقد يعمل على خدمة الناس .

معرضة

وما ينبغي مع ذلك أن نبالغ في تقدير منزلة الحية في حياة الدمويين ، لأن نتائج الإحصاء لا تنزلم في العطف وفي خدمة الآخرين منزلة ممتازة (س ٥٥) ، فهم يتأخرون كثيراً في هذا عن الغضبيين وعن الجموحين .

ولا شك أن لسعة ساحة الشعور التي لا يحجب الاستقصاء حسابها تأثيراً كبيراً في هذا المجال . إن ضيق الشعور لا يساعد على التعاطف ، في حين أن سهل المرء أن يضع نفسه في موضع الآخرين .

٢ - ضعف الشعور القوي: تدل نتائج الاستقصاء على أن هناك توازياً بين

العاطفة الوطنية والعاطفة الدينية .

وما تبرزه هذه النتائج أن الدمويين فوق الهلامي و الخاملين و العصبيين في هاتين العاطفتين كليهما ، ولكنهم دون الغضبيين و العاطفيين و المفاديين

والحمويين ( الجموحون يتسمون اللروة في هاتين العاطفتين ) فنستطيع إذن أن نستنتج أن الرجيع البعيد والانفعالية هما ، بعد الفعالية ، ضروريان للصعود بالعاطفة الدينية والعاطفة الوطنية إلى أبعد مدى ، وهما يعوزان الدموى ، لذلك نراه متخلفاً في التصوى متخلفاً في الوطنية ، متأرجحاً بين الفردية بل والأناية التي تصرفه عن المشاركة في العواطف الجماعية ، وبين النزعة الإنسانية التي تستنكر الوطنية إذ تفيض عنها .

٣ - العواطف نحو النساء: واضح أن انخفاض الانفعالية يضعف الاستعداد للحب الواله . وليس معنى هذا أن الدموى زاهد في الحب ، فالنشاط الجنسي مرتبط بشروط عضوية خاصة لا شأن لها بعوامل الطبع ، ولكن الحب لدى الدموى لا يتلفع بعاطفة مشبوبة ، وإنما هو شهوة عارية وأعلى ما يمكن أن يصل إليه من روحانية هو الإحساس بالحمال والتلذذ بالحديث . لذلك نرى الدمويين يتصورون الحب على أنه علاقة بين الحسنين يتساقيان فيها اللذات ما حلاهما ذلك ، وإلى أن يسأماه . وإذا نحن قرأنا « رسائل » تشترفلد إلى ابنه ، وكتاب ليون بلوم « عن الزواج » وروايات أناتول فرانس وهنرى زنيه ، رأينا كيف تصبح العلاقات الغرامية متقلبة بتأثير الرجيع القريب ، باردة بتأثير ضعف الانفعالية ، لا تقيم وزناً لما في أنفس النساء من عاطفة عميقة ، ولا تحفل بالمصالح القومية والاجتماعية التي تكفلها الأسرة ، ولا تعنى بالمعنى الدينى الذى يشتمل عليه اتحاد رجل وامرأة إن الحب لهو بالنسبة إلى كثير من الدمويين التصاق لحمين وإفراز غدة .

٤ - الفراغ الداخلى لاحظ هيانسن من بعض سير الدمويين أنهم يعانون « لحظات من الكتابة » ، « لحظات من الاشتزاز من الحياة » وأهم يستسلمون في هذه اللحظات لأفكار سوداء .

ويرى لوسين أن هذا يرجع إلى ما يطلق عليه اسم « الفراغ النفسى » ، فالدموى تنكئ حياته على الأشياء الخارجية ، ولا تفيض نفسه بما تفيض به نفس العاطفى من انفعالات إن ولدت بعض الاضطراب والقلق فإنها من الغنى

بحيث تكفى لأن تملأ سنين برمتها من الوحدة والعزلة ، فإذا اتفق للدموى أن أعوزته الأشياء الخارجية ، فانكفأ على نفسه ، لم يجد ثمة إلا فراغاً وصمتاً ووحشة ، فأحس بنوع من اليأس وشعر بالكآبة ، ولاحظ من خلو حياته أن الحياة لا تستحق أن تحيا

صرح مونتسكيو ذات يوم أنه لو سئل أن يعيش مرة أخرى الحياة التي عاشها لرفض ذلك .

نتائج انخفاض الترجيع البعيد إن كان ضعف الترجيع البعيد يولد لدى الدموى بعض المزايا ، كالمرونة في التلامم ، فإنه يولد كذلك بعض العيوب كنقص الثابرة ونقص الموضوعية . والثابرة والموضوعية هما الميزتان اللتان يملكهما المفاوضون إلى أقصى درجة والصدق ودقة المواعيد وانطباق الأقوال على الأفعال ، كل هذه الأمور تميز المفاوضين عن الدمويين ، ولكن هذا التمييز لا يبلغ مبلغ التعارض كما قد يظن ، فإن برودة العاطفة في الدمويين والمفاوضين كليهما تولد بينهما قرين عميقة .

### • - سيكود بالكتيك الدموى

تأثير الإنسان في نفسه ذو وجهين ، فهو داخلي تأملي ، وهو خارجي موضوعي فالذات تدرك نفسها من جهة أولى بالنظر الداخلي في نفسها ، فتلاحظ ولادة العواطف التي تعتمل فيها ، ولا بيد لها ، من جهة أخرى ، لأن اللاشعور يخفي عنها أصل رغباتها وأحكامها ، من أن تحاول معرفة نفسها من الخارج ، فترى نفسها وتكتشف نفسها في الأقوال والأعمال ، تماماً كما ترى وتكتشف شخصاً آخر غيرها إن المنهج الأول من هذين المنهجين هو الذي يجيده العاطفي أكثر من المنهج الآخر ، وإن المنهج الثاني هو الذي لا بد أن يكون الدموى مؤهلاً له أكثر من المنهج الأول ، بحكم أنه أكثر الناس انبساطية وينشأ عن ذلك أن العقل الموضوعي هو الوسيلة التي يجب أن يتدرع بها الدموى

للتأثير في نفسه . وقوام استعمال هذا العقل هنا هو المقارنة بين العادات ودراسة نتائجها والقطع برأى فيها من الناحية الأخلاقية إن الأخلاقين الدمويين لا يعنون كثيراً بالنيات ، وإنما يفصلون في قيمة الأفعال على أساس نتائجها الموضوعية . وبذلك يستطيعون أن يردوا على طمعهم وأن يؤثروا في أنفسهم بواسطة العقل . إن العقل يتيح لنا بالنظر المحرد أن نتخيل الحركات الداخلة التي لا نستطيع أن نولدها تلقائياً ، فنفهم الهوى مثلاً ، ولا أقول نشعر به ، وهكذا يكون السيكودبالكتيك لدى الدموى هو إحلال العقل محل التلقائية التي تولدها العاطفة الغريزية .

ونستطيع أن نتصور تبعاً لذلك أن دراسة الدموى لعلم الطباع يمكن أن تفيده كثيراً في التأدي به إلى فهم الطباع الأخرى البعيدة عنه كل البعد . وإنما يجب أن نحصل منه قبل كل شيء على أن لا يتخصص ، سلفاً ، من قيمة الحركات النفسية التي لا يستطيع أن يولدها في نفسه من تلقاء نفسه . وسيفهم بعدئذ بعقله أن للتنظيم المذهبي مزاياه ، وأن الانفعالية قوة ، وسيعرف بعدئذ بأن المعارف الداخلية والأعمال والمؤسسات التي تنشأ عنها مشروعة وسيتيح له ذلك أن يقترب من الطباع التي تختلف عن طبعه ، فإذا هو يتعاطف معها بدلاً من أن يعادياها

#### ٦ - فئات الدمويين

يصف لوسين ، موقتا ، بانتظار مزيد من البحث عددا من فئات الدمويين فيتحدث أولا عن الدمويين الذين يمكن أن يوضعوا في مكان وسط بين الدمويين صرفا وبين جيرانهم الغضبيين والهلاميين ثم يتحدث عن أربع فئات من الدمويين صرفاً هم المتحزون ، الهادئون ، الجافون ، البطيئون . أما المتحزون والهادئون فهم ذوو الشعور الضيق ، وأما الجافون والبطيئون فهم ذوو الشعور الواسع . على أن المتحضرين والجافين هم من جهة أخرى أشد فعالية وقرب ترجيع ( فهم مثلاً اندفاعيون ) كما أن الهادئين والبطيئين أكثر ترويا .

وهكذا نحصل على الجدول التالي

الشييون بأخلاميين

الشييون بالغضبيين

ضيقو الشعور

قليلو الفعالية وقرب الترجيع

شديدو الفعالية وقرب الترجيع

ب — الهادثون

أ — المتحفزون

الكليون (مكيافل ، مازاران ، مرتنيخ ، تالبران  
الأيغوريون (مدام كوليت .  
المحللون (آناتول فرانس . . . )  
الراشدون (مدام دوسيفيني ، طفتيس ، هوراس ،  
مارمونتيل)

المهزون (فولتير )  
الهازتون (شامفور )  
الهادون (يكون ، مونتسكيو ،  
نشرتفلة آلدرس هكسل)

م

واسعو الشعور

د — البطيئون

ج — الخافون

الرييون (لويس ١٨ )  
الباسون (جيرودو )  
الطيون (شاتسبورى )  
التعليين (ليون برنشفيك )

الكتاب المترويون (فونتيل ، هيكل )  
التقاد (لنچ ، سانت بوف )  
الرضميون (أرسفاله ، لني برول )  
المبردون (مدام دو شاتليه )

الشييون بالغضبيين

هؤلاء أناس يمكن أن يوهونا بأنهم غضبيون ، لأنهم يظهرن انفعالين  
مفاجئين ودودين . ولكن الانفعال لديهم ما يكاد يظهر حتى يحلى المكان فورا  
للتفكير الوضعى الواضح الذى نعره فى قرارته على جميع الخصائص التى تتميز  
الدموى المحض . إنهم أكثر شحمة من الدمويين ، لكنهم فى الأعمال الكبيرة



يظهرون من وضوح الفكر وبرودة العاطفة مالا يمكن أن يضمن لهم ذلك النجاح نفسه . إن هنرى الرابع لم ينجح إلا لخطئه ، وكان بارد القلب ، وكان لا يعنى بالشعب ، لكنه استطاع بألفاظه المعسولة وتودده إلى الناس أن يخلق حول نفسه أسطورة ما من شيء من الوساوس كان يصاحب حبه العملي . كان عاجزاً عن الشعور بالعاطفة الدينية ، وكان يتلاعب بسهولة مع البيئات التي يوجد فيها ، وكان شجاعاً ، وكان يستطيع أن يخرج بمرونته من المآزق والظروف الحرجة ، ولم ينسأ أبداً اهتماماته الجنسية القوية ، وكان به طموح ، وبهارة سياسية .

( أ ) إننا نجد في فئة الدمويين المتحيزين ولا سيما في زمرة المهترئين من هذه الفئة جميع الخصائص المناسبة لانصباب الانتباه على اللحظة الحاضرة نجد النشاط القوي الذي ينتقل من عمل إلى عمل والذي يتيح له فقدان الانفعالية أن ينزلق من موضوع إلى آخر دون أن تستغرق الذات كلها في الإدراك ، ويجد الرجوع القريب الذي يسلم للحظة الحاضرة ، ويجد ضيق الشعور الذي يمنع من تضاؤل الصور المركزي بتأثير التصورات الهامشية . وهذا كله يولد الاهتزاز الذي ينبو عن الانفعالية لكنه حدة باردة وأحسن مثال على ذلك فولتير إن تجليات هذا الاهتزاز الذي يضحخ الحدة ذات الرجوع القريب هي تعاقب المشاغل بسرعة واهتزاز الانفعالات ، ومن شأن ضيق الشعور أن يجعل ذلك قوياً يحذف الانفعالات التدريجية ، ويتجلى هذا في الأدب مثلما يتجلى في السلوك .

فإذا أضيفت العدوانية إلى هذه الفعالية كذا إزاء زمرة الهائزين ، الذين قد يحضون باستعداداتهم هذه إلى حد العدمية .

وإذا كانت صفات هذا الطبع معتدلة كذا إزاء الدمويين المفكرين الذين نسميهم باسم الحادين ، وهم يتصفون بأنهم أقل من أولئك عصبية ، لكن تفكيرهم مجزأ عاجز عن التنظيم ، كما أنهم قد أوتوا موهبة رائعة من أجل الملاحظة الاستقرائية للتجربة الطبيعية أو الاجتماعية .

( ب ) إذا اتسعت ساحة الشعور قلت الحدة ، وهذا ما يتميز به الدمويون الذين أمحاهم لوسين باسم الخاقين . في هؤلاء يزداد الطابع التجريدى التكنيكي في التفكير ، ويتوافر مزيد من شرائط البحث العلمى لكن انبئاهم إلى النموذج الدموى يظل واضحا إنهم يناضلون من أجل العلم ويدعون إلى العلم أكثر مما يصنعون العلم . وإذا أوتوا قدرة هائلة على البحث العلمى ، رأبناهم عاجزين عن أن يتخذوا العلم هوى وحيدا كما يفعل اللمفاويون . إنهم لا يستطيعون أن يضحوا له بالنساء والمجتمع والحديث وسهرات العشاء . . إنهم نقاد أكثر مما هم بناء خالقون . وهم يهتمون بالدين ( لىنى برول ) لكنهم يظلون غريبين عنه ، وهم يعنون بالفلسفة ، لكن ليهدموها ويحلوا محلها العلم الوضى .

( ح ) أولئك هم الدمويون المفرطون ، من حيث إنهم شديدو الفعالية والترجيع القريب ؛ وهذه الآن نظرة سريعة على الدمويين المعتدلين الذين يسمون بالهادئين إذا كانوا ضيقين ويسمون بالبطيئين إذا كانوا واسعين

حين تقل الحدة يزداد التفكير وبالتدرج من أشد هؤلاء ضيق شعور إلى أكثرهم سعة شعور ، نصادف الزمر التالية

الكليون حب المال ، عدم الوفاء ، سرعة القلب نظرة إلى الأمور عقلية ليس لها هالة عاطفية وليس فيها شئ من غموض أو ضباب ليس الحب عندهم إلا سلسلة من الحركات الفزيولوجية .

الأبيقوريين الحقيقة الوحيدة عندهم هى اللذة . . . هى متعة الحواس . . . هى المنفعة العملية .

المتحللون هم مزيج من الزمرتين السابقتين : تحلل فكرى وتخلل أخلاقى .

الراشدون هم أولئك الذين ضعف فيهم الميل الجنسى برودة عاطفية ، براعة كبيرة فى تحقيق المنافع العملية ، حب للمراسلة وللحياة الاجتماعية . .

( د ) إن فئة الدمويين البطيئين تشبه فئة الدمويين الهادئين من حيث إنها ليست مفرطة فى الفعالية وقرب الترجيع ، لكنها تتميز عنها من حيث إنها واسعة

ساحة الشعور ، وهذا ما يحمل إليها شيئاً من التعاطف والغيرية . ويصف لموسى من هذه الفئة أربع زمر هي التالية

الريبيون فيهم سخر ناعم لطيف ، على غير خبث أو عدوانية .

الباسمون على طرف فهم دائماً ابتسامة رقيقة فيها قليل من سخر وفيها بعض الفتنة ، وفيها شيء من محبة هؤلاء أناس جذابون .

الطيون فإذا زادت الغيرية كنا إزاء الدمويين الطيبين . إن بهم كرماً وساحة . إن فلسفة شافتسبورى الأخلاقية تقوم على مبدأ المحبة والتعاطف مع الإنسانية . نزعة إنسانية

التحليليون أما إذا جاءت قوة التحليل فصرفت الدمويين إلى التفكير اللاشخصى ، ظلت هذه النزعة الإنسانية ، ولكنها تصبح عندئذ موضوعية نحن هنا على الحدود بين الدمويين وبين المفراويين الذين سندرسهم الآن .

## الفصل العاشر

### المقاوى

#### ١ - الصيغة انطباعية

لا انفعالى فعال ذو ترجيح بعيد (nEAS)

#### ٢ - لمقاويون من التاريخ

إديسون ، دالامير ، بايل ، بانثام ، برجسون ، فون بير ، بوفون ،  
كافنديش ، كوندياك ، كوندورسيه ، دارون ، فرانكلين ، كوس ، جيون ،  
هاملان ، هيانس ، هيوم ، جوفر ، كانت ، جان هنرى لامير - ليستس ،  
لوك ، جيمس مل ، جون ستوارت مل ، مونتيني ، رينان ، تين ، تورجو ،  
واشنطن .

#### ٣ - نتائج إحصائية

| الوعلى | المقاوى | الخصائص                   |
|--------|---------|---------------------------|
| ٥٥,٨   | ٨٠,٩    | س ١ هادى                  |
| ٤٠,٦   | ٧٣,١    | س بارد وموضوعى            |
| ٢٢,٩   | ٢٤,٤    | س ٣٥ صوت ويطلق            |
| ٦٣,٩   | ٧٨,٦    | س ٦٠ طيعى تماماً          |
| ٤٣,٩   | ٥٥,١    | س ٧٠ شجاع                 |
| ٣٩     | ٥٧,٢    | س ٨٩ صبور (فى المرض)      |
| ٥٦,٤   | ٩٩,١    | س ٢ مشغول دائماً          |
| ١٩,٣   | ٢,١     | س ٤ يعمل الأعمال المفروضة |
| ٤٦,٦   | ١٢,٨    | س ٥ يربى                  |
| ٧,٥    | ١٣      | س ٧ يتقيد بمبادئ          |

| الوسطى | المقارنى | الخصائص                           |
|--------|----------|-----------------------------------|
| ٣٨١    | ٦٣١      | س ٢٢ صاحب عادات                   |
| ٥٧     | ٨٦٣      | س ٢٦ انطباق الأعمال على الأموال   |
| ٤٠٥٩   | ٦٧٧      | س ثابتر                           |
| ٤٤٧    | ٧٥٤      | س ٧ رصين متحفظ                    |
| ٥٨٧    | ٨٣٤      | س ٣١ مستقل في آرائه               |
| ٦٣٢    | ٦٦١      | س ٤٠ جيد الملاحظة                 |
| ٣٩٨    | ٥٦       | س ٧٤ يحفظ بدقة وترتيب             |
| ٧٨٠    | ٨٧٧      | س ١٤ متسامح                       |
| ٢٥٧    | ٣٠       | س ١٩ متقلب الحب والكراهة          |
| ٤٣٢    | ٦٨٨      | س ٢٧ ذكى                          |
| ٥٦٧    | ٦٧٩      | س ٣٠ واسع الفكر                   |
| ٣٦٥    | ٥١٠      | س ٤٤ معتدل في الطعام والشراب      |
| ٥٩٢    | ٧٥٢      | س ٤٦ العفة الجنسية                |
| ٤٧٦    | ٦٤٧      | س ٤٨ قليل العناية بالمظهر         |
| ٢٦١    | ٣٠١      | س ٤٩ لا يبالي بالجاه              |
| ٤٣٤    | ٦٦٥      | س ٥١ مقتصد                        |
| ٤٨٢    | ٥٤٤      | س ٥٠ غير طماع في المنفعة          |
| ٦٦٩    | ٧٢٧      | س ٦٢ يتصرف تصرفاً شريفاً مستقيماً |
| ٥٧٣    | ٨٥       | س ٦٣ جدير بالتصديق كل الجدارة     |
| ٧٧٣    | ٩٠٩      | س ٦٤ شريف مستقيم جزئياً           |
| ٥٧٥    | ٨٦٦      | س ٨٥ دقيق المواعيد                |
| ٩٦     | ١٧٣      | س ٣٣ المدوية الرياضية             |
| ٣٠٥    | ٣٦       | س ٧١ الميل إلى الألعاب العقلية    |
| ١٦٦    | ٢٣٢      | س ٦٥ الحساسية الدينية             |
| ١٢٨    | ٦٧٠      | س ٧٢ يتحدث عن أشياء               |
|        | ٢٦٧      | س ٧٢ : يتحدث عن أشخاص             |

هذه بعض نتائج الاستقصاء الإحصائي. ، ويمكن أن نضيف إلى هذه النتائج معلومات أخرى يمدنا بها استقصاء السير .  
وهذه المعلومات تبين أن المقارنى هو نقيض العصبي في خصائصه ، كما ينبغي أن نتوقع ذلك من التناقض بين الصيغتين الطباعتين .

من ذلك مثلاً أن العصبى حساس ، عنيف ، أذى : إلى الحد الأقصى ،  
 فى حين أن اللمفاوى هو من ذلك كله فى الحد الأدنى . و التناقض بين الأقوال  
 والأعمال كثير بين العصبيين نادر بين اللمفاويين . و المبالغة فى القول ، وحب  
 الرموز ، والإيمان بالخرافة ، والإفراط فى حب الاستقلال إلى حد يكاد يكون  
 مرضياً ، و الميل إلى الأخيطة الرهية ، كل ذلك أمور يشترك فيها عدد كبير من  
 العصبيين ، ولا شأن للمفاويين فيها البتة . و العصبى يجب تغيير المسكن ، فى  
 حين أن اللمفاوى يكره ذلك أشد الكره . و العصبى يتصف بنوع من التشاؤم ،  
 أما اللمفاوى فهو متفائل و العصبى يجب أن يلعب دوراً ، و اللمفاوى يظل  
 محتضياً . و العصبى قد يكون أقوى إحساساً بجمال الطبيعة و بالعاطفة الدينية ، أما  
 اللمفاوى فلا يعنى بجمال الطبيعة كبير عناية ، وهو إلى الأخلاق أميل منه إلى  
 الدين ، كما أن المشكلات النظرية ، كالمسائل الرياضية و الميتافيزيقية و المنطقية  
 تستفرقه ، فى حين أن العصبى يتعارض معه فى هذا تعارض الخيال مع المنهج .  
 و العصبى مهياً للأمراض العقلية ، أما اللمفاوى فى منجى من هذه الأمراض .  
 و العصبيون قادرون على أن يرتكبوا جرائم يدفعهم إليها الحوى أما اللمفاويون فلم  
 يجد هينانس بين من درسهم من المجرمين إلا لمفاوياً واحداً و قد ارتكب جريمته  
 بهلوه تام و برودة كاملة ، يدفعه إلى ذلك الطمع

#### ٤ - الصورة النفسية

يقول لوسين « كلما قل عدد القوى الطبيعية ، ازدادت ، بالنسبة إلى  
 التشخيص ، أهمية العوامل التكميلية ، لأن هذه الخصائص هى التى تحدد  
 الفروق الرئيسية بين فئات طبع بعينه » (لوسين ص ٤٨٤) . وهذه الملاحظة  
 تنطبق خاصة على اللمفاوى .

و يجب إذن أن نعى عناية خاصة بدراسة تلك العوامل الثانوية لديهم . من

هذه الخصائص سعة ساحة الشعور والواقع أن اختلاف سعة ساحة الشعور لدى اللغويين يقسمهم إلى فئتين ، فئة يطلق عليها لوسين اسم فئة اللغويين المتجمدين ، وفئة أخرى يطلق عليها اسم فئة اللغويين المتفتحين أما الفئة الأولى فهي تلك التي يتدخل ضيق ساحة الشعور لديها ، فيقوى نتائج التحليل ، فإذا هي ذات مبادئ صلبة يلتزمها الفكر والعمل التزاماً لا هوادة فيه وأما الفئة الثانية فهي التي تجعلها سعة ساحة الشعور عاجزة عن التحيز الجازم ، ولكنها لاتصل من ذلك إلى الريبة ، بل يؤدي بها الرجوع البعيد إلى نوع من المصالحة بين الحقائق في مذهب وفي سلوك .

ويعمد لوسين بعد ذلك إلى رسم الصورة النفسية للغوي ، كما يمكن أن « نعمل ذلك بالاستعانة بالنتائج الإحصائية لتنظيم الوقائع التي تمد بها علم الطابع السير والآثار والملاحظة المباشرة للغويين قدامى ، وللغويين اليوم » ( ص ٤٨٥ ) .

نقص النشاط الظاهر : الصفة الأولى التي يمكن أن نجتمع حولها عدداً كبيراً من الوقائع هي نقصان النشاط الظاهر ، وهو ينشأ عن انخفاض الانفعالية ولكنه ينشأ أيضاً عن ارتفاع الرجوع البعيد من حيث إنه عامل كف .

فإذا نظرنا إلى اللغويين رأيناهم لا يتكلمون إلا قليلاً ، فإذا تكلموا كان كلامهم رصيناً ، وكان صوتهم متساوياً ، وكانت عباراتهم بطيئة ثم إنهم حين يسرون لا يتعجلون الخطي في العادة ، وإنما يمشون على هون . إنهم هادئون حتى أمام الموت ( سقراط ، كافنديش ) وهم في تساوي المزاج يبلغون الحد الأقصى ( ص ١١ ) . وهذا التساوي في المزاج يجعل العلاقات بهم سهلة ، ففي واقعهم وجدتهم على ما عهدته فهم من مزاج طيب وإذا لم تكن انفعاليهم مسرفة في الضعف ، ولم يكن الرجوع البعيد لديهم مسرفاً في القوة كان هذا المزاج الطيب أقرب إلى المودة التي تلاحظها لدى الغضبيين . ويضاف إلى هذه الطيبة في كثير من الأحيان ، لدى من قوي ترجيعه البعيد منهم ، شيء من

و الاحتفال بالكرامة ، كالذى يلاحظ لدى العاطفين ولكنه لدى العاطفين مزهو أذى . في حين أنه لديهم اجتماعى مسلكى ، و اللمفاوى قليل العناية بمظهره ، وليس معنى هذا أنه يحمل مظهره . وإنما معناه أنه لا يوليه اهتماماً خاصاً ، فلباسه دقيق ، على غير سعى إلى أصالة وتفرّد هذا إذا كان متوسط ساحة الشعور أما إذا كان ضيق ساحة الشعور ، فلا بد أن يؤدي ذلك لديه كما يؤدي لدى سائر النماذج إلى مزيد من العناية باللباس ، فإذا هو أنيق أناقة رسمية إن صح التعبير وإذا كان واسع ساحة الشعور فقد يقع في شيء من الإهمال لمظهره .

الاعتدال العبرى : اللمفاويون أزهّد الناس طرّاً بملذات المائدة . كما تقول نتائج الاستقصاء الإحصائى . وهم كذلك في الذروة ، فوق اللمويين ، من حيث البرودة الجنسية .

وإننا لنجد بين اللمفاويين الذين وقفوا حياتهم على العلوم وعلى الفلسفة كثيراً من العازبين . امتنعوا عن الزواج وعن النساء دون أن يتموا إلى رهبة دينية ، وذلك من قبيل الزهد بما كان يمكن أن يصرفهم عما أخذوا به أنفسهم من عمل عقلى .

اللامبالاة : إن اجتماع البرودة إلى الرجوع البعيد ، لدى اللمفاويين ، يجعلهم في حالة ليست هي النور من الناس ، ولا هي الميل إلى معاشرّة الناس ، وإنما هي حالة تبدو للآخرين على أنها اللامبالاة . إن العاطفين يهربون من المجتمع ، ويلجئون إلى الوحدة ، وينسبون إلى الاعتصام بها ، ولكن هذه الوحدة هي تقيض اللامبالاة وإن اللمويين باردون ، ولكن هذه البرودة نفسها تصرفهم إلى الناس يلتمسون في مخالطتهم ما يقبهم من الضجر . وفي الوسط بين هؤلاء وأولئك يقع اللمفاويون إنهم لا مبالون حتى بين الناس ، فكأنهم ليسوا بين الناس ، وإذا كانوا لا يتمنون الخروج من المجتمع ، فإنهم يظنون فيه هادئين لا يبالون شيئاً ولا يتأثرون بشيء . وليس يفوقهم في هذا الانغلاق إلا المتبلدون .



الاستعداد للعمل : وهنا ينبغي أن نفرق بين اللماويين والحاملين ، ولا يمكن أن يقوم هذا التفريق إلا على استعداد اللماويين للعمل ، ويتجلى هذا الاستعداد فوراً في أنهم منصرفون إلى أعمالهم انصرافاً متصلاً . إن الحامل يظل في معظم الأحيان قاعداً عن العمل ، ويقضى الساعات الطويلة لا يحرك ساكناً ؛ أما اللماوي فهو مشغول دائماً ( س ٣ ) ، وهو من هذا مع الجموحين في الذروة . وإذا كان اللماوي في شغل دائم ، فإنه يعمل من تلقاء ذاته ، وما به حاجة إلى رغبة قوية حتى يهب إلى العمل . إنه أقل الناس إهمالاً للأعمال المفروضة ، وهو بعد الجموح أقل سائر الجمادح ميلاً إلى التأجيل .

المثابرة : واللمماوي أقل الناس تنبظ عزيمة ، وأكثرهم مثابرة على العمل وهو أكثر عناداً من الجموح ، وبن الدموي خاصة ، لكنه في العناد دون الوسطى ، ودون جميع اللافعالين ، لأن الفعالية تخفف من العناد . وتجتمع الصفات السابقة ، العزيمة التي لا تنبظ ، والمثابرة على العمل ، وذلك القدر من العناد ، تجتمع لتكون صفة من صفات اللماوي هي الصمود . ومن هذا الصمود ، في العمل وفي الفكر جميعاً ، إنما استمد كثير من اللماويين مجدهم . إنهم ، بفضل برودتهم وفعاليتهم ، أقدر من غيرهم على الثبات أمام الظروف الصعبة المعادية فلا الحياك يضخم ما يلقون من عنت وعناء ، ولا اللافعالية تحملهم على ترك ما عقدوا النية على إنفاذه .

لقد تابع واشنطن عمله من أجل تحرير الولايات المتحدة ، مجابهاً أسوأ الظروف ، وقضى دارون ثلاثة وعشرين عاماً في إنضاج مذهبه في الاصطفاء الطبيعي ، والأمثلة على ذلك لا تحصى

ولا عجب أن كان اللماوي أصبر الناس على المرض ، وهذا الصبر نتيجة من نتائج مقومات طبيعه : فلا الانفعالات ترهقه وتقلقه ولا الترجيع القريب يحمله على الاستجابة للأحداث المتعاقبة باندفاع طائش ، ولا اللافعالية تقعه عن التغلب على الأسباب التي تذهب بصبر غير الفعالين .

تنظيم الحياة وانعكس بتأثير الترجيع البعيد نلاحظ تأثير الترجيع البعيد على مستويين ، مستوي أدنى ومستوى أعلى . أما على المستوى الأدنى فإن تكاثف التصورات وتكاثف الردود على هذه التصورات يولد التزام المرء لعادات بعينها في السلوك ، لذلك نرى للمفازي يوصف في الاستقصاء بأنه صاحب عادات إلى الحد الأقصى تقريباً ، وأما على المستوى الثاني فإن عادات الفعل والعمل تكاثف فتولد التزام المرء بمبادئ مجردة ينحدر منها تفكيره وسلوكه ، لذلك يوصف للمفازي في الاستقصاء بأنه صاحب مبادئ إلى الحد الأقصى تقريباً

والعادات والمبادئ هي العناصر التي يتألف منها التنظيم ، مادة وصوراً ويمكننا إدراك التنظيم نفسه في بعض نتائجه ، ومن هذه النتائج الاهتمام بالمستقبل البعيد على أساس الاعتبار بتجارب الماضية ، وفي هذا يتسم للمفازي الذروة ، والتوحيد بين شتى مظاهر السلوك ، ولا سيما انطباق الأفعال على الأقوال ، وفي هذا يتسم للمفازي الذروة أيضاً

ولعل حياة الفيلسوف الألماني كنت أكل مثال تصور به هذه المجموعة من الخصائص ( يرى لوسين أن المعادلة الطباعية لكانت هي على وجه التقريب 279 BEAS ) وهذه صفحة تصور هذه الخصائص المختلفة في شخصية كنت ( الصفحة حاشية كتبها بيكافيه للترجمة الفرنسية من كتاب نقد العقل العملي ، باريز ، آل كان : الطبعة ٣ ، ص ٣١٢ ) .

« إذا نحن رجعنا إلى مختلف المعلومات التي انتهت إلينا عن حياة كنت ، رأينا أن النظام كان مبدأ سلوكه ، وأنه كان يفكر تفكيراً منطقياً في أسرار الأعمال التي يقوم بها في نهاره ، ويضع لكل أمر من الأمور قاعدة يلتزمها التزاماً لا يتخلف ، حتى لكأنها جزء من طبيعته نفسها . كان يستيقظ من نومه قبل الساعة الخامسة بنحو خمس دقائق ، ويجلس إلى مائدته في الخامسة تماماً ، ليحتسى وحده قهقراً أو قدهين من الشاي . . . ويعيد النظر فيما كتبه بالأمس ، ثم يمضي إلى إلقاء محاضراته حتى إذا عاد إلى بيته جلس إلى مكتبه يعمل حتى الواحدة إلا خمس عشرة دقيقة ، ثم نهض عن مكتبه فتناول قهقراً من خر

هنغاريا أو الرين أو يشوفا ، وارتدى ملابسه ، وجلس إلى المائدة في الساعة الواحدة تماماً . وبعد الظهر ، كان يقوم بنزهاته المشهورة . . . ولم يره أحد خلال أربعين عاماً يتجاوز في نزهته الحدود التي كان يقف عندها إلا مرتين ، مرة لاستعمال شراء كتاب لروسو ومرة لاستعمال معرفة بعض أبناء الثورة الفرنسية وكان يقوم بنزهاته هذه وحيداً ، لأنه كان يتنفس وفقاً لقواعد رسمها لنفسه ، كما رسم لربط جواربه قواعد معينة فإذا عاد من نزهته إلى البيت . أخذ يقرأ الصحف ، ثم استقر في حجرة مكتبه عند الساعة السادسة تماماً ليستأنف عمله وكانت درجة الحرارة في مكتبه ١٥ درجة وكان يجلس ، في الصيف وفي الشتاء ، بالقرب من المدفأة ، بحيث يرى جميع أبراج القصور القديمة ، وكان لا يستطيع أن يتابع تأملاته حين كانت الأشجار تحجب عنه هذا المنظر من ازدياد نموها حتى إذا دقت الساعة العاشرة إلا ربعاً ، انقطع عن التفكير ، ثم هض في العاشرة تماماً إلى حجرة نومه التي كانت بلا تدفئة ، وكانت نوافذها تظل مغلقة طوال السنة فخلع ملابسه وفقاً لمنهج ، واندس في فراشه وغطى جسمه ببراعة خاصة .

هكذا كانت حياة كنت . لكن سيطرة العادات على حياة كنت لم تكن إلا الصفحة التي سطر عليها كنت آثاراً عميقة جديدة ويكفي أن تتصور الذكاء لدى لمفاوى من هذا النوع منخفضاً ، حتى ترى واحداً من أولئك الناس الذين يشبهون أن يكونوا دى تقوم بحركة واحدة لا تتغير

الفضائل الصورية خدمة الناس ، والمرح ، والكرم ، فضائل يتميز بها الدموى . والقصد ، والاعتدال ، والرهاقة ، فضائل ينعم بها العاطفى . ولكل طبع فضائله . فما هي الفضائل التي يتمتع بها المفاوى ؟ إن فضائل المفاوى ، هي من قلة الانفعالية الحارة ، فضائل باردة ، فضائل صورية عقلية . وأول هذه الفضائل الصدق .

وقد سبق أن انتهى لوسين في دراسة طويلة عن الصدق في كتابه « الكلب والطبع » إلى وضع المعادلة التالية التي تبين العوامل المحددة للصدق

الصدق = ٣٧ + ١٥ ، فعالية - ٣٠ ، انفعالية + ٦٠ ، ترجيع بعيد  
 ومعنى هذه المعادلة أن الصدق يسهله الترجيع البعيد أولاً ، والبرودة ثانياً  
 والفعالية ثالثاً . ولا بد إذن أن يكون في حده الأقصى لدى اللمفاوى ، وأن يكون  
 في حده الأدنى لدى العصبى . وهذا ما تدل عليه نتائج الاستقصاء الإحصائى فعلاً  
 ويحاول لوسين أن يجعل هذه النتيجة معقولة فيتساءل ما هى  
 فى الواقع الشروط النفسية التى تولد الصدق أو تتيحه ؟ ويجب على  
 ذلك بقوله إذا كان الصدق هو انطباق الحكم الذى تصدره الآن على  
 الحكم الذى يجب أن تصدره وفقاً لنموذج مائل فى ذهننا من إدراك سابق ،  
 وإذا كان الترجيع البعيد هو الذى يجعل هذا النموذج مائلاً فى ذهننا  
 فلا بد أن يكون الترجيع البعيد شرطاً أساسياً من شروط الصدق ، إذ بدون  
 ذلك النموذج ، لا يجوز أن يوصف الحكم الذى تصدره الآن بأنه صادق  
 ولا بأنه كاذب وإنما هو حكم وحسب . وذو الترجيع البعيد ، ما لم يتدخل اهتمام  
 من الاهتمامات ليصرفه عن قول ما يعرف ، فإن هذا الذى يعرفه يفرض عليه ،  
 عادةً ، أن يصدر حكمه مطابقاً لمعرفته .

فهل هناك ما قد يحول بين الترجيع البعيد وبين قيامه بدوره الطبيعى ؟ نعم ،  
 هنالك الاهتمامات ، هنالك الخوف ، والطمع ، والشهوة ، والطموح ، وكل  
 الأهواء التى توحى إلى صاحبها بأن يكذب بعد حساب سريع أو معقد  
 والانفعالية هى التى تقوى هذه الاهتمامات كلها ، فلا بد أن تكون خطرة على  
 الصدق بنسبة قوتها

ولكن الصدق لا يصل أبداً إلى الصفر وما من شخص إلا ويحس إغراء  
 الكذب عقبةً عليه أن يتغلب عليها ليكون صادقاً والفعالية هى التى تغلب  
 على العقبات .

ولا بد إذن أن يكون الطبع الذى يتألف فيه الترجيع البعيد وبرودة الانفعال  
 والفعالية ، هو الطبع المهيأ للصدق أكثر من سائر الطباع ، وهذا الطبع هو  
 الطبع اللمفاوى .

وهذا دليل بالعكس : إن العصبي الذى يناقض للمفاوى فى صيفته انطباعية جداً حداً ، لا بد أن يكون أقل الناس صدقاً . إنه بالترجيح القريب عبدُ اللحظة الحاضرة ، وهذه اللحظة الحاضرة هى بتأثير الانفعالية قوية جداً ، والانفعالية تسم النفس لما يسيطر عليها ، وهذه العوامل كلها تتعاون لجعل العصبي شاعراً ، والشاعر آخر من يطلب إليه أن يلتزم الموضوعية العقلية

ولكن هل ينتج مما تقدم أن للمفاوى لا يكذب وأن المنافقين لا وجود لهم بين المفاويين ؟ كلا . . . أولاً لأن المفاوية درجات ومن المفاويين من هو قريب من الديمويين فى صيفته الطباعية ، وهؤلاء لا تتعدى نسبة الصدق فيهم ٥٣,٧ . وثانياً لأننا نفرق بين الطبع وبين الأنا المشتولة وكل ما نستطيع أن نستخلصه مما مر أن الصدق أسهل على المفاوى من غيره ، وأن الكذب أصعب عليه من غيره . ويترتب على ذلك ، من الناحية الأخلاقية ، أنه حين يكذب ، يكون أقوى شعوراً بمجافاة الأخلاق ، ويكون تبعاً لذلك أشد إثمًا .

وقد حسب لوسين مقدار الصدق لدى الفيلسوف كنت ، على أساس المعادلة التى انتهى إليها فى كتابه « الكذب والطبع » ، فرأى أنها تساوى ٩٦,٢٥ ( على أساس إعطائه ٢٠ فى الانفعالية ، و ٧٥ فى الفعالية و ٩٠ فى الترجيح البعيد )

فتساءل هل عجب بعد هذا أن نرى كنت يعد الصدق واجباً يبلغ من الصرامة أن على الإنسان أن يلتزمه ولو اعتقد أنه يعرض صديقاً له لخطر الموت ؟ ( لوسين ص ٤٩٨ ) .

ولسنا نعجب أن تطلعنا نتائج الاستقصاء ( س ٦٤ ) بأن المفاويين الصادقين أكثر الناس أمانة فى شئون المال ، فهذه الفضيلة يولدها اجتماع الفعالية إلى الترجيح البعيد ، ويكفى أن لا تأتى الأهواء والعواطف فتفسد العمل الطبيعي الذى يقوم به هذان العاملان ، حتى يكون المرء صادقاً وأميناً .

ومن أجل هذا نرى العقليين يسيئون الظن بالعاطفة ، لكنهم فى تمجيدهم للموضوعية يغفلون هذا السؤال : أليست العاطفة ضرورية لإمدادنا بالطاقة التى

تدعم تقدم الإنسانية ؟ إن اختلاف القيم ينبع من اختلاف الطباع ، وما ينبغي لطلع من الطباع أن يعد القيمة التي يسهل عليه أن يتعلق بها أكثر من غيره ، هي التعبير الوحيد الكامل عن القيمة المطلقة ( لوسين ص ٤٩٩ )

والصدق والأمانة مرتبطتان بفضيلة ثالثة هي دقة المواعيد لذلك نرى اللغماويين يتفوقون على سائر الناذج في هذه الميزة (س ٨٥) ومن المقارنة بين درجات مختلف الطباع في هذه الصفة ينهى لوسين إلى أن المجموعة AS هي التي تولدها ، ويضيف إلى ذلك قوله « ولعل ضيق ساحة الشعور يساهم في توليد هذه الميزة ، وفي إدخال مزيد من الصرامة عليها » .

وفيما يتعلق بالترتيب والنظافة ، نرى الجموحين في القمة وبعدهم يأتي اللغماويون . ولعل من الضروري أن نفرق هنا بين أنواع من الترتيب كترتيب الأشياء ترتيباً عملياً ، وكرتيب الأفكار ترتيباً منطقياً ، وكرتيب الإحساسات ترتيباً فنياً . فأما النوع الثاني فهو الذي لا بد أن يعنى به اللغماوي خاصة .

الموضوعية : إذا كانت الشكلية هي الصفة التي تمتاز بها فضائل اللغماوي ، فن الطبيعي أن تكون هي الطابع الذي يرين على فكره . ونحن نستطيع أن نلاحظ ذلك في اهتماماته ، وأول هذه الاهتمامات ميله إلى الرياضيات التي هي نموذج المعرفة الشكلية .

ولا بد من الاعتراف بأن الاستعداد للرياضيات موهبة فطرية مستقلة عن مقومات الطبع الفطرية الأخرى ، وهذا ما يدل عليه ظهورها مبكرة في الطفولة . ولكن لا بد من الاعتراف أيضاً بأن هذا الاستعداد يمكن لمقومات الطبع أن تشجعه أو أن تعرقله لدى من يملكه فطرة . لقد كان « كليرو » إنساناً يحب المجتمع ، ويحب اللذات ، ولا شك أن هذا قد قلل الجزء الذي وقته من حياته على الهندسة .

ويدل الاستقصاء الإحصائي على أن للرياضيات من الشأن لدى الفعالين الباردين أكثر مما لها من شأن لدى سائر الطباع الأخرى ( لوسين ص ٥٠٢ )

وأن الذروة في هذا يحتلها اللغويون . كما أن استقصاء السير يأتي مصداقاً لهذه النتيجة فعدد اللغويين بين كبار الرياضيين عدد كبير جداً ، يكفي أن نذكر منهم على سبيل المثال أسماء دالامبير ، جوس ، لامبير . ليبنتس ، إلخ . وإذا كانت البرودة تسهل حدس العلاقات العقلية ، حدساً صرفاً ، فهي تسهل كذلك دقة الملاحظة الموضوعية ، وهذا ما تدل عليه نتائج الاستقصاء إذ تجعل اللغويين في الذروة ، ويلهم الديمويون . ولكن يجب أن نتوقع أن يميل الديمويون بالعلم إلى التجريب وفقاً لتعاليم بيكون وتفضيلات فولتير وهلفتيوس واستفالد وغيرهم من الديمويين ، في حين أن اللغويين يميلون به إلى التنظيم النظري الرياضي ، كما فعل ليبنتس وكنت وغيرهما من اللغويين وإذا كانت البرودة تشجع عقلية التفكير ودقة الملاحظة ، فلا بد أن تساعد على الإيجاز والموضوعية في الكلام ، وهذا ما تدل عليه نتائج الاستقصاء أيضاً ، إذ يبلغ اللغويون في هذا الحد الأقصى ، وبعدهم يأتي الديمويون .

الذكاء اللغوي : تلك المعلومات كلها تؤيدها التجربة التاريخية التي يهمننا أن ننظر إليها ، هنا خاصة

وليس معنى هذا أن اللغويين لا بد أن يكونوا بحكم طبيعتهم أذكى الناس ، فبين اللغويين أغبياء . والذكاء الحاد أو النافذ يلاحظ في جميع الطباع والحق أن الذكاء قابلية قائمة بذاتها تصيب منها جميع الطباع حظوظاً وفقاً لقوانين مندل في الوراثة

لكن هذه القابلية تتأثر بعناصر الطبع فإذا الذي يظهر منها ، موضوعياً ، يختلف باختلاف الطبع . شأنها ونوعاً . وأيسر ما يقال بهذا الصدد إن من الناس من يعيش لتحقيق ميوله بواسطة العقل ، وإن من الناس من تضعف ميوله إلا العقلية منها ، فإذا هو يعيش من أجل العقل ، وهذه الحالة الأخيرة تصدق على اللغويين بوجه خاص فإذا وهب لأحد هؤلاء اللغويين حظ كبير من الذكاء رأته ينصرف إلى أعماله العقلية انصرافاً تاماً

فما هي أظهر صفات العقل للمفاوى ؟

إن المفاويين هم أئمة التنظيم المذهبي المجرد . بيهم نرى الرياضيين ونرى الذين ينتهون من ملاحظاتهم إلى نظريات عامة والفيلسوف من المفاويين يذهب مذهب العقليين ، كائنة ما كانت فلسفته وهو من قلة الانفعالية التي تزيد التوتر الداخلى وتنهض بالفكر فوق التجربة وتعلو به إلى المثل وإلى الله : موضوعى لا يخرج على صور التجربة ( كنت )

والمفاويون يلتقون مع الدمويين في سوء ظنهم « بالحماسة » و « بالنعصب » اللتين هما من خصائص الجموحين . فالمفاويون والدمويون يتجاوبون إذن ويتفاهمون . إن المآخذ التي كان يأخذها كنت على حياة فولتير لم تمح إعجابها به ، وإن كثيراً من الدمويين في القرن الثامن عشر قد أخذوا فلسفتهم عن لوك وكوندريك المفاويين .

وإذا نحن أردنا أن نوضح شئى جوانب العقل للمفاوى ، كان علينا أن نعى عناية خاصة بالتفريق بين الشعور الواسع والشعور الضيق ، فكلما ازداد شعور المفاوى ضيقاً ، ازداد ميله إلى إحالة التجربة تصورات ، وإلى الربط بين هذه التصورات المنطقية بعلاقات مجردة . وإذا اتسعت ساحة الشعور تراخى هذا التنظيم ، حتى لقد يحنئ فيما تحت الشعور وأوضح مثال نضربه على ذلك مثال برجسون إن برجسون مرن صلب في آن واحد ، مرن من حيث إنه مستعد لقبول كل فكرة توحى بها التجربة أو يتقدم بها معارض ، إلا أن وراء هذه المرونة الظاهرة صلابة في القناعة لا تتزحزح قيد شعرة عن أى موقع من مواقعها الأساسية

وازداد الاهتمام العقلية لدى المفاوى نتيجة لنقصان الاهتمامات الحسية والعاطفية .

فما كان للمفاوى أن ينصرف إلى العمل العقلى هذا الانصراف كله لو كانت مغريات الحس والقلب تشده وتجرفه فالقصد في ملذات الحواس وملذات الجنس شرط لا بد منه لهذا الانصراف إلى العمل العقلى ، إذ يصبح



العقل غاية ذاته ، لا أداة لتحقيق الملذات والثراء والسلطة

الفضائل الاجتماعية وتنتجلى موضوعية المفاوى والدموى فى الاهتمام بالمجتمع أيضاً، فهما يختلفان عن الهلامى والحامل اللذين لا يخنلان بالمجتمع، ولا يباليانه، وهما يختلفان كذلك عن الانفعاليين الالفاعلين الذين يميلون إلى القوضوية كثيراً أو قليلا ، ولا يعنون بالمجتمع إلا ليشيحوا عنه ويدبروا له ظهورهم . إن الدمويين والمفاويين يهتمون بالمجتمع اهتماماً قوياً ، سواء أكان هذا الاهتمام لأسباب نظرية أم لدواع عملية ، وهما فى هذا يشبهان الفاعلين الانفعاليين ، لكن مقدار الانفعالية يجعل بينهم فرقا عميقاً فى صور هذا الاهتمام . فالفعالون الانفعاليون يهتمون بالحياة الاجتماعية كمن ينخرطوا فيها ، ويستشعروا حرارتها ، ويذكوها ، ويقودوها إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلا، أما الفعالون الباردون فإنهم يظنون بعيدين عن كل نشوة تأخذ بلب الجماعة . . والمجتمع عندهم ، حتى حين يدخلونه بالدباوماسية أو الإدارة ، إنما هو فى الدرجة الأولى موضوع تفكير ، وعلى نتائج هذا التفكير إنما يعتمدون لاتخاذ التدابير التى يرونها مفيدة على أن ثمة فرقا بين الدمويين والمفاويين فى هذا ، فبينما نرى تفكير الدمويين تجريبياً متقطعاً ، نرى تفكير المفاويين منهجياً مذهيباً (كتابات فولتير وأضرابه خلاصات ملاحظات، وكتابات أو فن وتورجو ، وواشنجطون، وفرانكلين ، مشاريع إصلاحات شاملة) .

وللمفاويين بعد هذا فضائل اجتماعية يُعرفون بها ، وهى التتره عن المنفعة ، والصدق والإخلاص ، والعمل الصامت ، والسماحة والبر ، والتعلق بأداء الواجب . ولكن لا بد من ظروف فذة حتى يتبوأوا مراكز سياسية عليا ذلك أن الحرارة تعوزهم ، فإذا الناس يقدرونهم أكثر مما يحبونهم . وهم لا تتأجج فى نفوسهم سورة الطموح إلى السلطة ، وإنما هم محمولون بميوهم الخفية إلى التفكير والتأمل . والذين يمكن بزمام المجتمع ويحصلون على إعجاب الناس بهم وتفانهم فى محبهم إنما هم الفعالون الانفعاليون ، وإن كانوا يسيئون استعمال هذه السلطة فى بعض الأحيان .

نتائج ضعف الانفعالية : لضعف الانفعالية وجوه سلبية سنأتي الآن على ذكر بعضها

أول هذه الوجوه مرتبط لا بضعف الانفعالية فحسب ، بل باجتماع هذا الضعف في لانفعالية إلى قوة في الرجوع البعيد إن المجموعة (EP) تسمى العصبيين والغضبيين للاندفاعية العاطفية والعملية ، فهم يحسرون بسرعة ، ويستجيبون بسرعة ، على غير انتظار أو تمهل ، وهذا أمر سيء إذا كانت الاستجابة خرقاء لا تتلاءم مع الظروف ، إلا أن هناك ظروفاً تقتضى أن يستجيب الإنسان بسرعة كى يتخلص من مأزق وكى ينجح . وهذه السرعة تعوز للمفاوضين ، فاستجاباتهم بطيئة ، لا يعزمون أمرهم إلا ببطء ، ولا يدعون للارتجال مجالا ، ويتمهلون حيث يجب الإسراع ، حتى لقد يظهرون من ذلك للغضبىين والدمويين دون ما يتمتعون به من ذكاء .

وثانى تلك الوجوه أن المفاوضين إذا كانوا أذكى من غيرهم في ميدان الموضوعية ، فهم دون غيرهم ذكاء في ميدان الانفعال . إنهم ، لنقد المرونة والقوة في حساسيتهم ، لا يستطيعون أن يفهموا الانفعاليين كثيراً . وقد عبر المذهب النفى في الأخلاق عن ميلهم هذا إلى اعتبار الأفعال الإنسانية في نتائجها المنظورة وحدها . قال أديسون حين رأى بستاناً جميلاً من أشجار صمغية : « لقد مر من هنا إنسان نافع » . إن المفاوضين يظنون خارج العواطف لصميمية التى هى الدواعى الذاتية إلى العمل . وبذلك يظل المفاوضيون غريبين من الشمر . ومن الوجوه السلبية لضعف الانفعالية : تبدل الشعور الدينى لدى النفاويين . لقد سبق أن أشرنا إلى أن للدين جانبين : جانباً اجتماعياً أخلاقياً ، يضبط سلوك الناس ، وينظم حياة البشر ، فالله من هذا الجانب إرادة تأمر المؤمنين وعلى المؤمنين أن يطيعوا وأوامرها ، وجانباً إلهياً يطلب إلى نفس المؤمن أن ترتبط بالمطلق الإلهى ارتباطاً صميمياً كاملاً فى حدود قدرتها وفى حدود مشيئة الله ، وهذا هو الجانب الدينى حقاً من الدين ، وهو الذى يتصل بالقلب . ومن شأن برودة العاطفة لدى المفاوض أن تجعل للجانب الاجتماعى الأخلاقى رجحاناً على

الجانب الإلهي في شعوره الديني . إن برنشفيك الذي حاول أن يجعل ديانة العلم محل المسيحية ، وكنت الذي جعل الدين متمماً للأمر الأخلاقي « يظان غريبين عن جوهر الدين ، بالنسبة إلى من يتصوره علاقة شخصية بين الله والذات ، أى حركات حياة داخلية الحب محرّكها ، واللطف الإلهي ثمنها ، وخلص الروح نتيجةها . » (لوسين ص ٥١٤)

ويتنبه لوسين إلى أن حالة برجسون الذي تصور الدين تصوراً دينياً حقاً ، يمكن أن يعترض بها على ما قدم من كلام ، فيقول يجب أن نتذكر أولاً أن برجسون لمفارى ذو شعور واسع ، وأنه يعرف هو نفسه ، بأنه لم يعرف إلا « أصداء » هذه التجربة الدينية التي تنبع حرارتها من العاطفة

قلة التعاطف مع الأشخاص تبين نتائج الاستقصاء الإحصائي أن للمفاريين يتحدثون عن أشياء (الحد الأقصى) ، وقلما يتحدثون عن أشخاص وعن أنفسهم (الحد الأدنى) وهذا مصداق موضوعيتهم التي تعنى بالأشياء الإدراكية العقلية . لكنه بدل أيضاً على أن اهتمامهم بالأشخاص ضئيل ولا بد أن يؤدي بهم ذلك إلى تشيئ الأشخاص في شمول الماصدق قوانين عامة ، مسلمين بأن الأفراد ليسوا إلا نقاط التقاء هذه القوانين العامة

#### ٥ - سيكود بالكتيك للمفارى

إن الموضوعية هي المحصلة الطباعية للمفارى ، فبواسطة العقل إذن إنما يمكن أن يغتنى للمفارى ، وأن يحصل القدرة على فهم الآخرين وما قيل عن سيكود بالكتيك الدموي يمكن أن يقال هنا جملة . ولكن يجب علينا أن نحسب حساب الفرق بين النموذجين من ناحية الترجيع . فالدموي ذو ترجيع قريب ، وهو إنما يتقدم في معرفة الآخرين بملاحظة أعمالهم وحركاتهم أما للمفارى فهو ذو ترجيع بعيد ، محمول بطبعه على التنظيم ، وإنما يفيد علم الطبايع في فهم الآخرين لا من حيث إنه يلمه بنظرات شتى عن هذا الجانب أو ذلك من

جوانب الطباع المختلفة . بل من حيث إنه يمدّه أو يشعره بمنظومة عامة تتدرج فيها النماذج الإنسانية ، فيدرج نفسه في هذه المنظومة ويدرك إمكانية بل مشروعية النماذج الأخرى التي ليست إياه ، وهكذا يصل إلى فهم الآخرين بالعقل ، ولا نقول يشعر بما به يشعرون ، فيكتمل ما فيه من نقص نوعاً من التكميل ويجب أن نتذكر مع ذلك أن سعة الشعور هي أحسن ما ينوب عن الانفعالية لدى غير الانفعاليين ، ولئن كانت لا تساوي الانفعالية من ناحية الشدة لأنها بما تحمّل إلى الطبع من مرونة وقدرة على التعاطف مع الآخرين وعلى التأثير بالآخرين تتيح للعقل مزيداً من القدرة على فهم الآخرين

#### ٦ - فئات اللماويين

يصف لوسين أربع فئات من اللماويين على أساس غلبة الفعالية أو التراجع البعيد فيهم ، وعلى أساس سعة أو ضيق ساحة الشعور

اللماويين الدقيقون (ومثالهم واشنطنون) وهم أولئك الذين تغلب الفعالية لديهم على التراجع ، وتضيق فيهم ساحة الشعور . إن هؤلاء اللماويين يمتازون بالقدرة على الاحتفاظ بالهدوء ورباطة الجأش في أخرج الظروف ، وعلى إشاعة هذا الهدوء فيمن حولهم من الناس ، ويمتازون بالثقة فيما يصدرين من آراء ، وبالاستمرار فيما يعتقدون النية عليه من عزم ، ولا يفرطون في حقوقهم ولا ينحرفون عن الاستقامة والتزام النظام .

اللماويون المصلحون (ومثالهم تورجرو) وهم الذين تغلب فيهم الفعالية أيضاً لكن ساحة شعورهم واسعة فهؤلاء تتفتح أنفسهم لمختلف جوانب الرأي والشعور ، فيشبهون الديمويين في تحررهم ، فإذا أضيفت إلى ذلك الغيرية ، كانوا كالفضيين في مبادرتهم إلى خدمة الناس .

## المفاويون المخلوقون وقد وصف لوسين منهم عدة زمر

« فهناك زمرة أصحاب مذهب المنفعة (فرانكلين ، بانثام) الذين يقيمون الأخلاق على المنفعة العامة ، ويكرهون الحماسة والتعسف ، ويمجدون القصد والاعتدال والحكمة . وهناك زمرة المفاويين التجريبيين ( كافندش ) ، ويمتازون بالملاحظة الدقيقة ، والتجربة المهجية ، ولا يشعرون بالحاجة إلى الخروج عن دراسة الأشياء ، وهناك زمرة المفاويين المذهبيين ( جيمس مل ، جون ستوارت مل ، هاملان ، هيمانس ) ويمتازون بقوة حاجتهم إلى بناء الوقائع والأفكار ، وتَظْمِيها قال جون ستوارت مل عن أبيه : إنه كان يحذف التفاصيل ليصل إلى الجوهر . وقد أنفق هاملان عشرين عاماً في بناء جدول المقولات . وهناك زمرة المفاويين المتصلبين ( ومثالهم كنت ) ، ويتميزون من ضيق ساحة الشعور لديهم بأن التجريد يبلغ فيهم حد إثارة ما هو منطقي وشكلي . وهناك المفاويون الآليون الذين تبلغ بهم قوة الرجوع البعيد فيهم أنهم يصبحون حين لا تتدخل حاجات أخرى فتعرقله ، يصبحون كالألات المتحركة .

المفاويون المتفتحون وهم المفاويين الذين يغلب عليهم الرجوع البعيد ، إلى سعة في ساحة الشعور . ويصف لوسين أربع زمر

زمرة المفاويين المؤرخين ( أديسون ، تين ، جيون ) ، وهم يمتازون بالاهتمام بالحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد والتاريخ ، مع ميل إلى الفلسفة وزمرة المفاويين الطبيعيين ( بوفون ، دارون ) ، وهم وسط بين العلماء والمؤرخين .

وزمرة المفاويين التكوينيين ( لوك ، كوندياك ) وهم يصبون التحليل على دراسة تكون الفكر

وزمرة المفاويين اللانهائيين ( لينتس ، برجسون ) ، فأما الأول فتتجلى سعة

ساحة شعوره في سعة اهتماماته ، وأما الثاني فتتجلى سعة ساحة شعوره في نقده للعقل التحليلي ، وفي وصفه للشعور ، وفي قدرته على الطواف بين المتعارضات التي يولدها التفكير المجرد .

لو لم يمكن هناك إلا كنت وبرجسون لكان حسنا أن نشهد بهما للتفريق بين الضيقين والواسعين من المفاويين

## الفصل الحادى عشر

### الهلامى

#### ١ - الصيغة الطباعية

لا انفعالى ، لا فعال ، ذو ترجيع قريب  $nE \ nA \ P$

#### ٢ - هلامى من التاريخ

لويس الخامس عشر<sup>(١)</sup>

#### ٣ - نتائج إحصائية

يشترك الهلاميون مع العصبيين بالمجموعة ( $nA \ P$ ) ، ولكن اللانفعالية لا بد أن تبرّد خصائصهم ويشتركون مع اللمويين بالمجموعة ( $nE \ P$ ) ، ولكن اللانفعالية لا بد أن تجعلهم يخلدون إلى الراحة . فنستطيع إذن أن نصفهم وأن ندرسهم بتميز الصفات التى تشدهم نحو العصبيين والصفات التى تقرّبهم من اللمويين . والجداول التالى يبين وضوح هاتين القرابتين

---

(١) إن الهلاميين ، والخالطين أيضاً ، هما أقل النماذج إتبالا على العمل . لذلك ليس لم شأن اجتماعى وتاريخى يذكر . وقد لاحظ هيمانس وغيره ذلك ، دون أن يفكروا فيه مقدماً ، إذ وصلها من الاستقصاء الإحصائى عدد لا بأس به من عبارات خاصة بهلاميين وخالطين : ولكنها لم يجدوا مستندات استقصاء السير ما يدل على أن أحداً من رجال التاريخ يتسمى إلى أحد هذين النموذجين والحق أن أفراد هذين النموذجين لا يمكن أن يكونوا بلدانهم تاريخيين ، اللهم إلا إذا توافرت لأحدهم مواهب فذة خاصة ، ولا يمكن أن يذكر ضم التاريخ شيئاً إلا لأسباب لا شأن لهم بها ، كأن يكون أحدهم وريث ملك كالحامى لويس الخامس عشر ، أو كالحامى لويس السادس عشر .

| الصفات                    | العصبي | الوسطى | الهلامي        | الوسطى | النسوى | الوسطى |
|---------------------------|--------|--------|----------------|--------|--------|--------|
| كثير الحركة               | ٧٠,٧   | ٤٠,٦   | ٢٩,٦           |        | ٣٣,٧   |        |
| رسمين وهادى               | ٢٤,١   | ٥٥,٨   | ٦٥,٣           |        | ٦٤,٣   |        |
| مشغول دائماً              | ٧,٥    |        | ١٠,٢           |        | ٩٠,٥   | ٥٦,٤   |
| يسهل الأعمال المفروضة     | ٤١,٤   |        | ٣٣,٧           |        | ١١,٦   | ١٩,٣   |
| يؤجل                      | ٨١,١   |        | ٨٨,٨           |        | ١٤,٧   | ٤٦,٦   |
| تشبط عزمته بسرعة          | ٥٢,٩   | ٣٠,٨   | ٢٤,٥           |        | ١٥,٨   |        |
| اندهاش                    | ٧٨,٢   |        | ٤٤,٩           |        | ٤٣,٢   | ٤٣,٦   |
| متردد                     | ٤٩,٤   |        | ٤٩,٠           |        | ١٥,٨   | ٣٦,٥   |
| بارد وموسوى               | ١٢,١   | ٤٠,٦   | ٦٢,٠           |        | ٥٣,٧   |        |
| متساح                     | ٦٩,٥   |        | ٨٠,٦           |        | ٧٨,٩   |        |
| يسهل إقناعه               | ٤٠,٨   |        | ٢٤,٥           |        | ١٧,٧   | ٢٤,٢   |
| ذو مشاريع كبيرة           | ٤١,٤   |        | ٢٥,٥           |        | ١٨,٥   | ٢٤,٢   |
| تناقض بين الأقوال والسلوك | ٤٣,٧   |        | ٢٦,٥           |        | ١٩,٣   | ٢٦,٢   |
| روح عملية مبتكرة          | ٤١,٩   |        | ٤٩,٠           |        | ٨١,١   | ٥٩,٥   |
| ثرائر                     |        |        | الحد<br>الأدنى |        |        |        |
| عجب لظهور                 | ٥٤,٠   |        | ٣٧,٨           |        | ٢٢,١   | ٢٧,٤   |
| مدين غالباً               | ١٢,١   |        | ١٩,٤           |        | ٣,٢    | ٥,٠    |
| أنانى                     | ٢٠,٧   |        | ٣٦,٧           |        | ٢١     | ٢٤,٢   |
| يعلن عواطفه               | ٥٦,٩   | ٤٥,٨   | ٣٠,٦           |        | ٢٤,٢   |        |
| الحماسة الدينية           | ١٢,١   |        | ٤,١            |        | ١٦,٦   | ١٣,٧   |
| شجاع                      | ٣٦,٢   | ٤٣,٩   | ٥٣,١           |        | ٥٣,٦   |        |
| عجب المزاج القفط          | ٣١,٦   |        | ٣١,٦           |        | ١٥,٨   | ١٨,٩   |
| عجب العاب الحفظ           | ١٣,٨   |        | ٢٢,٤           |        | ١١,٤   | ١٥,٨   |
|                           |        |        | الحد<br>الأقصى |        |        |        |
| دقة المواعيد              | ٣١,٠   |        | ٢٣,٥           |        | ١٧,٤   | ٥٧,٧   |
| الاضطرابات العقلية        | ٢٨,٢   | ١٧,٤   | ٨,٢            |        | ٤,٢    |        |



## ٤ - الصورة النفسية

الهلاميون الشبهون بالعصيين يمكننا أن ندرج تحت بعض العناوين الرئيسية خصائص الهلاميين القريبين من العصيين وأول هذه العناوين الكسل . ليس العصيون أكثر فعالية من الهلاميين ، لكن انفعاليتهم التي تهم أن تلهب في كل لحظة هي ينبوع لأعمال يقوم بها العصبي من حين إلى حين فإذا انطلقت الانفعالية خلد الشيخن إلى الراحة ، لذلك نرى الهلاميين كسالى ، يهملون الأعمال المفروضة ، ويرجئون ما ينبغي لهم أن يقوموا به ، حتى أنهم يلغون من ذلك حد الإهمال الذي يقعد عن الشروع في أى عمل ، وعن ملاحظة أنفع غايات الحياة . وحتى حين يؤتى الهلاميون ذكاء فذا ، فإنهم يظنون من كسلهم دون المراكز التي كان يمكن أن يهيئها لهم ذكاؤهم ، دونها كثيراً .

ويمكن أن نتقل بسهولة من هذه الصفة الأولى إلى الصفة الثانية ، أعنى غلبة الاهتمامات العضوية والأناية ذلك أن ما ينبض بالإنسان فوق مستوى الموضوعات اليومية من حياة الإدراك والعمل ، إنما هو قوى الطبع ، أعنى الانفعالية التي توظف الرغبة وتذكها ، ثم الفعالية التي تجعل صاحبها يبحث عن طريقة لإرواء هذه الرغبة ، ثم الترجيع البعيد الذي ينقل المرء من التحددات المتفرقة إلى المنظومات المجردة أو الواقعية ، وهذه القوى كلها تعوز الهلامي . فلا بد إذن أن يظل بصره عالقاً بالأرض ، وأن تظل حياته في مستوى الجسم وحاجاته القريبة ، لذلك كان في الحد الأقصى من حيث فوضى الحياة الجنسية (س ٤٥) ومن حيث الأناية (س ٥٥) ، ولعلنا لا نتعرض لخطأ كبير إذا قلنا لا يد أن يكون بين البغايا عدد كبير من الهلاميات .

ويتناقض الهلاميون والدمويون تناقضاً واضحاً في أن الهلاميين يعوزهم

الحس العملى الذى هو أبرز صفات الدمويين . إن لهم في هذا عدوين

الترجيع القريب الذى يخضعهم لتأثير اللحظة الحاضرة ، واللافعالية المفرغة من

كل انفعالية ، التي تلمهم للتردد كسائر الالفاعلين . وهم لا يملكون محاربة هذين العدوين أمة قوة من القوي ، كعنف العاطفة ، أو النشاط الإرادى اللذين إن لم يتيجا التغلب عليهما ، فهما يتيجان التمويض عنهما ونقص الحس المعلى هذا لا يتيج للهاميين أن يصلحوا محاذير الأنافة العمياء أو الإسراف الجسدى وتتعاون الالفاعلية مع ضعف الحس العلى ، فيولدان الميل إلى الإنفاق والتبذير فالهاميون يفوقون سائر الطباع في أنهم مدينون غالباً (س ٥١) ويقربون من الحد الأقصى في أنهم متلافون مضباعون (س ٥١)

الهاميون الشبهون بالدمويين فإذا عدنا إلى الوجه الآخر من هذا الطبع :

أعنى الوجه المتجه نحو الدمويين ، رأينا أن الهاميين كالدمويين وكسائر الالانفعاليين هادئون ، وهم كذلك لا يكثرون من الكلام (س ٣٥) ، ولا يكثرون من الإشارات (س ٦١) واندفاع الهاميين تساوى اندفاعية الدمويين أيضاً ، فهى لا تتجاوز الوسطى إلا قليلاً ، وهى دون اندفاعية العصيين كثيراً . ولا بد أن يردى هذا إلى أن يكونوا أقل من العصيين تشبط عزيمة ، وهم في هذا بين العصيين والدمويين

والهدوء وضعف الانفعال لا بد أن يفيدا العقل من حيث إنه موضوعى ، لذلك كان الهاميون يوصفون بالموضوعية ، حتى إنهم يتفوقون في هذه الميزة على الدمويين ، ولا يتفوق عليهم أحد فيها غير المقاويين . ولذلك أيضاً لا عجب أن يكونوا متسامحين ، حتى إنهم أكثر تسامحاً من الدمويين ، ويشبه تسامحهم أن يكون علم مبالاة ، ومن شأن برودتهم أن تعصمهم من التأثر بالإجاءات الخارجة ، فإقناعهم أصعب من إقناع العصيين . وهم يختلفون عن الانفعاليين ذوى الترجيع القريب في أنهم أقل منهم استعداداً لتصور المشاريع الضخمة ولتناقض بين الأقوال والسلوك أقل شيوعاً فهم من شيوعة بين العصيين . ومن الأمور اللدزة أخيراً أنهم أشجع من وسطى الناس ، وأشجع من العصيين تبعاً لذلك ، فهم في الشجاعة يقسمون مع الدمويين على مستوى واحد .

صفات مشتركة لا بد أن تشترك فتا الهلاميين ( أعنى الهلاميين الشبهين بالعصيين والهلاميين الشبهين بالدمويين ) ، في ضعف جميع الخصائص التي تتضمن الترجيع البعيد . فمن الأمور البارزة أن الهلاميين أقل تقيداً بالمواعيد من جميع النماذج بلا استثناء ، فهم في صفة التقيد بالمواعيد يحتلون الحد الأدنى ؛ حتى إن المسافة بينهم وبين من هم فوقهم ؛ أعنى العصيين ، مسافة كبيرة .

وهذا الحد الأدنى يؤذن بعلم مبالاة الهلاميين بجميع النظم الاجتماعية التي تزيد على الوحدة العضوية للفرد فهم يحتلون الدرك الأسفل فيما يتعلق بالحمامة الدينية (س ٦٥) ولا نعجب من ذلك ، إذا تذكرنا أن الجموحين الذين تتعارض صيغهم الطباعية مع صيغة الهلاميين حدًا حدًا ، هم الذين يحتلون الدرجة ويحتل الهلاميون الدرجة الدنيا في الوطنية (س ٥٩) أيضاً ، بينما يحتل الجموحون الدرجة العليا . وفي صفة العطف على الآخرين وخدمتهم ، يتزل الهلاميون أيضاً في أخفض المنازل ، بينما يحتل الجموحون أرفعها كذلك .

ومن كل الأرقام السابقة نستشعر أن الهلاميين يظنون غرباء عن انفعالات الآخرين ، وعن البيئة العاطفية التي يعيشون فيها فالهلامي يظل محبوساً في حدود ذاته العضوية وهو عبد جسمه . إن طبيعته فقيرة .

الموهبة الموسيقية والتمثيلية ويحتم لوسين تلك الصورة المجملية التي رسمها للهلامي ، بالإشارة إلى رقمين يرى أن تطابقهما ذو دلالة .

تدل نتائج الاستقصاء على أن الهلاميين في منزلة ممتازة بين ذوي الترجيع القريب ، الذين يتوزعون فيما بينهم التفرق في الموهبة الموسيقية . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تدل نتائج الاستقصاء على أنهم يتفوقون على سائر النماذج الأخرى في موهبة التمثيل (س ٣٣) تفوقاً كبيراً (إن الغضبيين الذين بلونهم في الترتيب لا يبلغون إلا ٧,٠ في حين أن الهلاميين يبلغون ١٢,٢) . فإذا عرفنا أن الموهبة الموسيقية المقصودة هنا هي موهبة العزف في الدرجة الأولى . أمكننا أن نفهم هذين الرقمين على ضوء فرضية واحدة ، وهي أن ضعف

القوى الثلاث لدى الطبع الهلامي الذي هو أفقر سائر الطباع ، يجعله مرناً مرونةً خاصة ، ويجعله مطواعاً لسلسلة من الإجاءات ، سواء أكانت هذه الإجاءات عملية كالإشارات التي تدل على النعيمات الواجب عزفها ، أم كانت فنية عملية . كالنص الذي يجب على المثل الخزل أن يمثله . فلعل فقدان الإبداع هنا هو المزبة ، لأن الفرد يصبح بفضله مرناً ، لنا ، حتى لكأنه قيارة مهيأة للاهتزاز مني مسا أي مؤثر . إن العازف والممثل كالمرايا

## الفصل الثاني عشر

### الخاملون

#### ١- الصيغة الطباعية

لا انفعالي لا فعال ذو ترجيع بعيد (E, A S).

#### ٢ - خامل من التاريخ

لويس السادس عشر

#### ٣ - الصورة النفسية

نستطيع أن نعتبر الحامل مزيجاً من عاطفي وهلائي الهلائي فيه يبرد العاطفي ، والعاطفي ينظم الهلائي .

ويجمع لويسين خصائص الحامل في أربع حزم بقاء التأثيرات ، تطفف القابليات ، نقصان الحياة العقلية ، الاستقامة .

بقاء التأثيرات تدل نتائج الاستقصاء الإحصائي على أن الحاملين

يقيمون مع العاطفيين على الدرجة العليا في الاستعداد للكآبة والمزاج القائم لكن كآبة الحاملين هي كآبة موقف لا كآبة عاطفة ، فهي كآبة جافة ، فارغة لا تنوى وراءها روح متمزقة مرتعشة عنيفة كروح العاطفيين . ليست ينوع حمى ، ولا هي بيئة يزدهر فيها التأمل الفلسفي أو الأخلاقي

ويستتبع هذا أن يكون الحامل إنساناً مغلقاً ، والحق أنه في هذا يحتمل

الذروة (س ٦١) ، وليست تحرره من هذا الانفلاق تلك القدرات التي نلاحظها لدى العاطفي حين يخرج عن صمته ولا سيما إذا أنس بمن يخاطبهم . والحامل أحد اثنين هما أقل الناس استعداداً للضحك (س ٨٨) ، بل إننا

نرى بين الحاملين أكبر عدد من الناس الذين لا يعرف الضحك إليهم سبيلاً  
(س ٨٨) .

ويحدثنا لوسين عن ثلاثة حاملين أتبع له أن يعرفهم وأن يتابع حياتهم ،  
فيقول عن أحدهم ، فيما يقول ، إنه كان كالأخرس لا يكاد يتكلم قط إلا جواباً  
على سؤال يوجه إليه ، وإذا أجاب أجاب بكلمة ، أو بنصف كلمة ، وكان  
قادراً على أن يظل بين أناس يتحدثون في مرح خلال مدة طويلة دون أن ينبس  
هو بحرف واحد .

وليس يخفى هذا الترجيع البعيد فكرة عميقة ، أو عواطف مكنونة ، فإراءه  
إلا فراغ واجترار مبتذل وعادة باردة .

وبما يتفق مع هذا أن الحامل أقل من العاطفي حرونا ( بمعنى تعكر المزاج  
لمدة طويلة ) ولكنه أعز على المصالحة من جميع الطباع . وبما يرتبط بهذا  
ينسجم معه أن الحامل فوق سائر النماذج في الثبات على رأى رأه (س ٢١)  
وهو مع العاطفيين والحلامييين ، أعند الناس وهو أقل الناس اندفاعية  
وأكثرهم تروياً بعد اللماوى ، كما أنه يوصف بأنه رجل مبادئ أكثر مما يوصف  
بذلك أى طبع من الطباع

ويتعارض الحاملون مع الحلامييين تعارضاً واضحاً وأضحاً في أنهم ميالون إلى الاقتصاد  
(س ٥١) ، فهم في هذا يأتون بعد اللماويين الذين يحتلون الدرجة العليا  
ومع ذلك يمكن أن يبدهم أحدهم ما قد يرثه من ثروة ، لا لأنه متلاف ، بل  
لحراقة في الأعمال نتيجة للعطالة في الفكر

وثمة صفة أخرى يتعارض فيها الحاملون مع الحلامييين تعارضاً واضحاً ، هي  
روح المحافظة في ميدان السياسة ، فالحاملون يحتلون في المحافظة أعلى درجة (١٨,٠)  
بينما يحتل الحلامييون في المحافظة أدنى درجة (٣,١) . هؤلاء لا يحملون بالماضى ،  
وأولئك يستعبدون بالماضى . وشتان بين المحافظ الذكى الذى يحدد الوسائل التى  
تكفل استمرار التقاليد ، وبين المحافظ الآلى الذى يحرص على العادات

والطقوس لا لشيء إلا لأنها عادات وطقوس .

نتائج ضعف الانفعالية إن العاطفي كالحامل سواء بسواء ، ينوء تحت عبء الانفعالية ، ولكن الانفعالية تبت في العاطفي طموحاً لا يهدأ أواره ، وتجعله يحتاج احتجاجاً مستمراً على الثقل الذي يشده إلى الراحة ، ولا بد لهذا الطموح المشوف أن ينتقل منه شيء إلى أفعاله ، أو إلى أفكاره في أقل تقدير ، فالعاطفي يعرف أنه غير فعال ، وهو يشكو من « عجزه » : وشكوى المرء من عجزه بداية التحرر من هذا العجز ، أو بداية التخفيف من وطأة عبوديته على الأقل . أما الحامل فهو لا يعاني شيئاً من هذا الصراع الداخلي لا يشكو من عجزه ، ولا يثور على نفسه . ولا يتمرد على راحته لا بد للمرء من الحساسية حتى تسوء الاحساسية .

وإذا خلت النفس من وقود الانفعالية ، وكانت لا تملك الفعالية ، حرمت من حب الاستطلاع وهذا يقعد الذكاء عن النشاط والإنتاج ، فيبدو دون مستواه الذي قد لا يكون في ذاته منخفضاً لذلك نرى الملامين والحاملين يوصفون في نتائج الاستقصاء بأنهم دون وسطى الناس سعة نظرة ، ودونهم في الحس العملي وفي البراعة اليدوية ، وفي قوة الملاحظة ( هذا إذا استثنينا العصبيين الذين يأتون بعدهم في قوة الملاحظة بسبب اندفاعيتهم ) ، وفي قوة الذاكرة .

وهكذا نستطيع أن نقول إن ضعف اهتمامات الحاملين ، يطفف ذكاءهم من حيث العمل والإنتاج

على أن نحمل الحامل نتائج أخلاقية معاكسة فهو أقل إسرافاً في ملذات المائدة وإدماناً على السكر وفوضى في الحياة الجنسية وإغراقاً في الأثانية . وهذا كله يرجع إلى أن الترجيع البعيد بعصمه من الانحدار . وتتجلى لنا نتائج الترجيع في الحامل من الناحية الأخلاقية . إذا نحن نظرنا في الجدول التالي للمقارنة بينه وبين الهلامي ، فرأينا كيف يميل به الترجيع البعيد نحو للمقارن :

| المفارى | الحامل | الهلاى |                                   |
|---------|--------|--------|-----------------------------------|
| ٧٢,٧    | ٦٢,٨   | ٥٦,١   | س ٦٢ : يتصرف بشرف                 |
| ٨٥,٠    | ٦٢,٨   | ٤٩,٠   | س ٦٣ صادق                         |
| ٩٠,٩    | ٨٠,٩   | ٥٢,١   | س ٦٤ جدير بأن يؤتمن في شئون المال |
| ٧٥,٤    | ٦٤,٩   | ٤٩,٠   | س ٨٤ يحرص على الترتيب والنظافة    |
| ٨٦,٦    | ٥٧,٤   | ٢٣,٥   | س ٨٥ دقة المواعيد                 |
| ٢٣,٢    | ٧,٤    | ٤,١    | س ٦٥ (١) العاطفة الدينية          |
| ٢٠,٣    | ٢٤,٥   | ١٣,٣   | (٢) الدين الاصطلاحى               |
| ٤٥,١    | ٥٣,٢   | ٦٤,٣   | (٣) غير مبال في شئون الدين        |

وهكذا يقرب الهلاميون من المفاويين في بعض الفضائل بتأثير الترجيع البعيد ، ولكن هذه الفضائل تظل عندهم فقيرة، لأنها محرومة من المحتوى الذي تبته فيها الانفعالية والفعالية لدى غيرهم من ذوى الترجيع البعيد .

ومن أوجه الشبه بين المفاويين والحاملين أيضاً ، أن النموذجين يحتلان الحد الأقصى في تساوى المزاج (س ١٥) ذلك لأن تقلبات المزاج لا بد أن تكون ضعيفة بسبب ضعف الانفعالية : ولأن الترجيع البعيد يقوم بدور المعدل ويفنى التغيرات . غير أننا نستطيع أن نقول إن تساوى المزاج هو لدى المفاويين أملاً بالحياة نتيجة للفعالية ، في حين أنه لدى الحاملين أقرب إلى الكآبة بسبب اللافعالية وهذا ما تدل عليه نتائج الاستقصاء إذ تقول إن عدد المكتسبين هو بين الحاملين أكبر منه بين المفاويين (س ١٥) ، وإن هؤلاء أكثر مرحاً من أولئك (س ١٥) .

وإن نقصان الاهتمام الناشئ عن نقص الانفعالية يؤدي إلى مجموعة من النتائج المتقاربة من ذلك أن الحاملين دون سائر الناس في الإكثار من الكلام ، وأنهم فوق جميع النماذج سرية وانطواء على أنفسهم . ولا عجب إذن أن لا يبرعوا في النكتة . ولإنهم أقل الناس ميلاً إلى الجمع أو مشايعة للجديد من الأمور .

وهذه الاعتبارات تؤدي بنا مرة أخرى إلى نقص الفضائل الاجتماعية ، وإليك



شواهد أخرى على ذلك . إن الحاملين أشد الناس ميلا إلى العزلة ، حتى إنهم يتفوقون في هذا على العاطفيين ، لكن الفرق بينهم وبين العاطفيين هو أن عزلتهم هذه ليس فيها تلك الحياة الداخلية العنيفة المتحركة التي يعيها العاطفيون ولا عجب أن نرى الحاملين يتزلقون إلى ذلك الموى الذي هو حوى المنعزلين أعنى حوى البخل ، فهم في البخل فوق سائر الناس بلا استثناء . وبين الحاملين إنما نجد أكبر عدد ممن يوصفون بأنهم قساء ، ولعل هذه الإشارة التي يدنا بها الاستقصاء أن تدعو إلى دراسة هذا الموضوع في نطاق علم الجرائم .

ومهما يكن من أمر ، فإن الحاملين والهلالميين أقل الناس شفقة وأقلهم خسة للآخرين ، وأقلهم مساهمة في أعمال البر ، وهم لا يشعرون بشيء من الاهتمام بمن هم دونهم ، وهم أقل الناس حبا للأطفال ، وأقل الناس حبا للحيوانات وهم يعدون بين القساء من المرابين .

ويجب أن نشير أخيراً إلى رقم هام من أرقام نتائج الاستقصاء وهو الرقم المتعلق بالاضطرابات العقلية (س ٩٠) . لئن كانت برودة العاطفة تجعل استعدادهم للاضطرابات العقلية أقل من استعداد الانفعاليين لها ، فإنهم دون سائر اللانفعاليين في العصمة منها وما ينبغي أن نعجب من ذلك فالمجموعة (nAS) ، كما تجعل العاطفيين في ذروة الانفعاليين تهيؤاً لهذه الاضطرابات العقلية ، تجعل الحاملين أكثر اللانفعاليين تهيؤاً لها

## الفصل الثالث عشر

### الطباع والوجوه<sup>(١)</sup>

لاحظنا حين عرض النماذج التي وصفها لوسين أنه يعنى أحيانا بوصف الشكل الجسمي لبعض هذه النماذج ، وأنه يدعو الباحثين في علم الطباع إلى دراسة التقابل بين شكل الجسم وصفات الطبع وقد استجاب الأستاذ موتشيللي لهذه الدعوة ، محاولا أن يجعل علم الطباع يبتلع الدراسات التي من هذا القبيل ، كدراسات كرتشمير وشلدون وكورمان . وعنى عناية خاصة بدراسات هذا الأخير صاحب المدرسة المورفوسيكولوجية الفرنسية التي تدرس العلاقة بين ملامح الطبع وأسارير الوجه مؤملا أن يوفق بين المدرستين أو أن يمجعهما على الالتقاء ، فإذا هما مدرسة واحدة ، تندخل كل منهما في الأخرى وتكملها فلما مضى في هذا الطريق بدا له أنه لا بد من تعديل في الأسس التي يقوم عليها تصنيف لوسين

ولسنا في حاجة إلى تفصيل القول في الأسباب التي دعت إلى هذا التعديل

وحسبنا أن نذكر النتائج التي انتهى إليها .

إن المبدأ الذي قامت عليه دراسات كورمان المورفوسيكولوجية هو أن هناك تقابلا بين تلاؤم الفرد مع البيئة أو عدم تلاؤمه معها وبين شكل الوجه ، فالتلاؤم يقابله انبساط في أسارير الوجه ( النموذج المنبسط ) ، وعدم التلاؤم يقابله انقباض في أسارير الوجه ( النموذج المنقبض ) وقد قسم كورمان كل نموذج من هذين النموذجين إلى نماذج فرعية<sup>(٢)</sup>.

(١) موتشيل ، « الطباع والوجوه » .

(٢) انظر تلخيصنا لدراسات كورمان في « مجلة كلية لآثرية » ، المجلد ٣ من ٧٧ - ٨٦ .

ونظر موشيللى فى الترجيع القريب والترجيع البعيد اللذين كانا أحد أسس تصنيف لوسين ، فرأى أنهما حالة من حالات التلاؤم وعدم التلاؤم اللذين يولدان انبساطاً أو انقباضاً فى أسارير الوجه ، فاستغنى عن فكرتى الترجيع القريب والترجيع البعيد بفكرتى الانفتاح للواقع والانغلاق دون الواقع اللتين تقابلان الانبساط والانقباض ، ورأى أن هذين العاملين يشتملان على كل العوامل التكميلية وعوامل الميل الى ذكرها جاستون برجيه وفصل القول فيها ، مع تعديل وإضافة ، ذلك أن الانفتاح والانغلاق يكونان

١ - بصدد الواقع الحسى

٢ - بصدد الواقع الاجتماعى

٣ - بصدد الاندفاعات الغريزية

وتتضح لنا مظاهر الانفتاح والانغلاق بصدد هذه الأمور الثلاثة من

الجدول التالى

| الانفلاق  | الانفتاح  |
|---|---|
| بصد للواقع الحسى  |   |
| <p>الإحساس بالبعيد <u>الترجيح البعيد</u><br/>المسافة طويلة بين المنب والاستجابة<br/>ضيق ساحة الشعور<br/>تركز الانتباه على الأشياء واحداً واحداً<br/>رؤية التفاصيل : الشخصى .<br/><u>النموذج « عطاره »</u><br/>عقل تجرىدى ، نذعة شكلية ، بناء للواقع</p> | <p>سيطرة اللحظة الحاضرة : <u>الترجيح القريب</u><br/>المسافة قصيرة بين المنب والاستجابة<br/>سعة ساحة الشعور<br/>انفتاح للواقع فى تنوعه ، تشتت الانتباه ، رؤية<br/>الأشياء جملة . .<br/><u>النموذج « الأرض »</u><br/>عقل عيان ، واقعية ، حى عمل</p>   |
| بصد للواقع الإجتاهى   |   |
| <p><u>النموذج مابى « المربخ »</u><br/>عدم الهواة ، الزهر ، الحصاص<br/><u>النموذج ساتورن ( زحل )</u><br/>عدم الثقة ، فقن الروح الإجتاهية ،<br/>حب الوسنة .<br/><u>البرودة الصيقة</u><br/>العجز عن التعاطف مع الآخرين ، جفاف<br/>القلب .</p>              | <p><u>النموذج فينوس « الزهرة »</u><br/>حب الموافقة ، والمهدوء<br/><u>النموذج جوبيتر ( المشترى )</u><br/>الثقة والروح الإجتاهية ، الباقة الإجتاهية ،<br/>حب ارتياد المجتمعات .<br/><u>المودة</u><br/>القدرة على التعاطف مع الآخرين ، رقة القلب .</p> |
| بصد الانفطاعات الفرززية   |   |
| <p><u>عدم الطمع</u><br/>التنزه عن المنفعة ، فى إرادة القوة .<br/>عدم مبالاة المرء بحساساته الخاصة<br/><u>عدم الشهوانية</u></p>  | <p><u>الطمع</u><br/>الرغبة فى الاتساع والتملك ، إرادة القوة .<br/><u>الرغبة فى الإحساسات</u><br/><u>الشهوانية</u></p>   |

ويبين هذا الجدول أن عاملي الانفتاح والانغلاق يشتملان على العوامل التكميلية وعوامل الميل مع تعديل وإضافة .  
ونظر موتشيللي بعد ذلك في فكرتي الانفعالية والفعالية فرأى أنهما مقومة واحدة ، تعنى القدرة على الفعل أليست تحملنا الانفعالية على عمل جبار من حين إلى حين ؟ لكن هذه القدرة على الفعل ذات وجهين نفسى وعضوى أما وجهها النفسى فهو الانفعالية وأما وجهها العضوى فهو الفعالية والوجه النفسى يغلب امدى بعض الناس ( الانفعاليين ) ، كما أن الوجه العضوى يغلب لدى بعضهم الآخر ( الفعاليين )

وعلى هذا الأساس تكون مقومات الطبع عند موتشيللي هي

١ - قوة المزاج وضعف المزاج . وهو يعنى بالمزاج ، فى اصطلاحه ، كمية القوى التى يملكها الشخص ، وهذه القوى ذات نوعين من الطاقة ، نوع عضوى يعرف بعلامته النفسية ( الانفعالية ) ونوع عضوى يعرف بسهولة العمل للاستمرار فيه .

٢ - الانفتاح للواقع والانغلاق دون الواقع ، أى سهولة أو صعوبة تلاؤم

الفرد مع الواقع

ويقول موتشيللي إن الانفتاح يقابله من ناحية شكل الوجه انبساط الأسارير ، وإن الانغلاق يقابله من ناحية شكل الوجه انقباض الأسارير وإن الجوانب الثلاثة من الانفتاح والانغلاق ( ١ - الانفتاح للواقع الحسى والانغلاق دونه ، ٢ - الانفتاح للواقع الاجتماعى والانغلاق دونه ، ٣ - الانفتاح للدوافع الغريزية والانغلاق دونها ) تتجلى فى ثلاث طبقات من الوجه الطبقة العليا ، الطبقة الوسطى ، الطبقة الدنيا ١ - فالانفتاح للواقع الحسى يقابله انبساط أسارير الطبقة العليا من الوجه ، والانغلاق دون الواقع الحسى يقابله انقباض أسارير هذه الطبقة العليا ، ٢ - والانفتاح للواقع الاجتماعى يقابله انبساط أسارير الطبقة الوسطى من الوجه ، كما أن الانغلاق دون الواقع الاجتماعى يقابله انقباض أسارير هذه الطبقة الوسطى ، ٣ - والانفتاح للدوافع الغريزية يقابله انبساط

أسارير الطبقة السفلى من الوجه؛ كما أن الانغلاق دون هذه الدوافع الغريزية يقابله انقباض في أسارير هذه الطبقة السفلى من الوجه .

ونحن ملخصون في الجداول ( ١ : ٢ ، ٣ ) تلك التقابلات التي يقول مونتسالي إنه تحقق من صدقها إحصائياً .

والجدول ٤ يلخص التقابلات بين شكل الوجه وبين الجانب النفسى من مقومة « الانفعالية الفعالية » أى جانب الانفعالية .

وفي الجدول ٥ نلخص التقابلات بين شكل الوجه وبين الجانب العضوى من مقومة « الإنفعالية الفعالية » أى جانب الفعالية

## الجدول رقم ( ١ )

يوضح هذا الجدول التقابل بين أسارير الطبقة العليا من الوجه وبين الأشكال الثلاثة من الإنفتاح للواقع الحسى والإنفلاق دونه وهى: الرجيع ، ساحة الشمور ، إتجاه العقل .

| الانفلاق  | الانفتاح  | الطبقة العليا                          |
|---|---|--|
| جبين أميل إلى التسطح منمنقة متقبضة في وسط الجبين ( حفرة التفكير )<br>حاجبان راطنان يفشان الحجاج عيان أميل إلى الصغر قائم لونها ، غائرتان في الحجاج الصورة ( ٢ ) | جبين محدب بوجه العموم<br>حاجبان عاليان بمض العلو عيان كبيرتان ، فاتح لونها بارزتان في غالب الأحيان الصورة ( ١ ) | الرجيع القريب والرجيع البعيد           |
| حاجبان متضاربان عيان متقاربان صدغان مقعران ذروتان صدغيتان بارزتان عل جانبي الجبين ، وعلى قدر ازدياد ضيق الشمور يكون تقاربهما الصورة ( ٢ )                       | حاجبان متباعدان عيان متباعدتان صدغان محدبان ما من ذروتين صدغيتين ظاهرتين الصورة ( ١ )                           | سمة ساحة الشمور وضيق ساحة الشمور       |
| الجبين أميل إلى الارتفاع منه إلى العرض • حفرة التفكير • واطقة إذا وجدت ، ومنطقة الحدبة الصدغية ( الجزء الأعلى من الجبين ) نامية علوا الصورة ( ٢ )               | الجبين أميل إلى العرض منه إلى الارتفاع يروز فوق الحجاج عال الصورة ( ١ )   | الاتجاه إلى اليمين والاتجاه إلى المجدد |

## الجدول رقم ( ٢ )

يوضح هذا الجدول التقابل بين أساليب الطبقة الوسطى من الوجه وبين الأشكال الثلاثة من الإنفتاح الاجتماعي والإنغلاق دونه ، وهي الموافقة والمعارضة ، الروح الاجتماعية وعدمها ، القدرة على التعاطف والعجز عنه

| الانغلاق   | الانفتاح   | الطريقة الوسطى   |
|--|--|--|
| <p>النموذج ماركس ( المريح )<br/>جبن موارب ، بروز في الطبقة الوسطى<br/>خطوط متكسرة في الوجه كله<br/>فك منخفض ، وذقن بارزة<br/>أنف مستقيم أو محدب<br/>الصورة ( ٤ )</p> | <p>النموذج فينوس ( الزهرى )<br/>تحدب خفيف أو استقامة في خطوط البروفيل<br/>خطوط مدورة وقاعمة في الوجه كله<br/>ذكيان مدوران وذقن مدورة<br/>أنف مقعر<br/>الصورة ( ٣ )</p> | <p>١<br/>الموافقة<br/>المعارضة</p>                                 |
| <p>النموذج ساتورن ( زحل )<br/>انهدام الخدين من جهتي الأنف<br/>انحباب في المستوى الذي تحت الأنف ، وأحياناً انخفاض في لفتى الشفتين .<br/>( الصورة ٥ )</p>              | <p>النموذج جويتير ( المشتري )<br/>امتلاء وتدور في الخدين ، إذا نظرنا إليها من جانب<br/>بروز في المستوى الذي تحت الأنف<br/>الشفة العليا بارزة<br/>الصورة ( ٦ )</p>      | <p>٢<br/>الروح الاجتماعية<br/>عدم التلازم مع الحياة الاجتماعية</p> |
| <p>البرودة العاطفية<br/>قصر قطر الخدين<br/>أنف قاس صغير<br/>الصورة ( ٨ )</p>   | <p>المودة<br/>طول قطر الخدين<br/>أنف مبتلى ثقيل<br/>الصورة ( ٧ )</p>   | <p>٣<br/>القدرة على التعاطف<br/>العجز عن التعاطف</p>               |





(2)



(1)



(3)



(4)



(5)



(۷)



(۸)



(۹)



(۱۰)



(۱۱)





(۱۷)



(۱۸)



(۱۹)



(۲۰)



(۲۱)

## الجدول رقم (٣)

يوضح هذا الجدول التقابل بين أسرار الطبقة الدنيا من الوجه وبين شكل  
الانفتاح للدوافع الغريزية والانغلاق دونها ، وهما الرغبة في التوسع ، الرغبة في  
الإحساس

| انقباض الأسرار  | انبساط الأسرار  | الطبقة الدنيا     |
|---|---|-------------------|
| تصر الطبقة الدنيا<br>نحافة المتق<br>تتصان المسافة الفاصلة بين زاوية<br>الفك الأسفل<br>نحور الفكين<br>( الصورة ٩ ) | طول الطبقة الدنيا<br>نخامة الرقبة<br>ازدياد المسافة الفاصلة بين زاوية<br>الفك الأسفل<br>نمو عضلات الفكين<br>الصورة ( ٦ )                | الرغبة في التوسع  |
| صغر القمم<br>شفتان دقيقتان لا لون لها<br>حفرة القمم غائرة تحت عظمي<br>الفكين<br>صغر شحمة الأذن<br>الصورة ( ١١ )   | كبر القمم<br>شفتان غليظتان ملوحتان ، الشفة أسفل<br>أسمى من العليا على وجه العموم<br>بروز مستوى القمم<br>نمو شحمة الأذن<br>الصورة ( ١٠ ) | الرغبة في الإحساس |

## الجدول رقم ( ٤ )

يلخص هذا الجدول التقابل بين شكل الوجه والإنفعالية

| الإنفعالية  | الإنفعالية  |
|---|---|
| ثخن قسبات الوجه ( وليس يعنى هذا السمن بالضرورة )<br>الصورة ( ١٢ ) | دقة قسبات الوجه ( وليس يعنى هذا نحولها بالضرورة )<br>الصورة ( ٩ )   |
| خشونة البشرة<br>غضون الجلد كثيف<br>سكون تلقائى فى الوجه           | نعومة البشرة<br>غضون الجلد خفيفة ، إن وجدت<br>اضتراز القسبات ( الفم واليدين والحاجبان والأهداب<br>أكثر اهترازا لدى الإنفعالى منها لدى غير الإنفعالى ) |
| ثقل طبيعى و حركة الوجه والتعبير<br>الصورة ( ١٤ )                  | حركة الوجه والتعبير<br>الصورة ( ١٣ )  |



والدرجة تتناسب مع مقدار الانفتاح ، وعلى هذا الأساس فالدرجة التي يحصل عليها ذو الترجيع القريب أعلى من الدرجة التي يحصل عليها ذو الترجيع البعيد في هذا العامل الفرعي الأول من العوامل الفرعية الثمانية .

وقد وضع موتشيللي لكل صيغة طباعية من هذا الطراز وصفاً طباعياً والصيغ كثيرة طبعاً ، ونحن نكتفي لإعطاء فكرة عن دراساته بأن نقل الوصف النفسى للنموذج الطباعى ذى الصيغة

| E | A | S          |
|---|---|------------|
| ٨ | ٢ | ٨٨٨,٨٨٨,٨٨ |

وذلك على سبيل المثال والصورة (٢٠) هي التي تمثل أسرارير العصبي صاحب هذه الصيغة

إن شكل وجهه هو الذى تراه فى الصورة (٢٠) .

ويصف موتشيللي صورته النفسية فيقول نقلا عن كورمان « إنه من النموذج الذى هو أكل التماذج أنوثه » .

فحياته الجنسية تنصف بالأخذ لا العطاء (موقف سلبي) وبالإغراء لا القسر . إنه النموذج فينوس . حساسيته قوية ولكن على نعومة (انفعالية إنفتاح) . وهي أقوى في ميدان الميول العاطفية ، وتهتز بسهولة لكل ما يحرض الانفعال الرقيق (انفعالية - النموذج الأرض - الانفتاح العاطفى) (مرح (سعة الشعور - فينوس كريم سمح (فينوس - جوبيتر - مودة) ، عقله مشبع بالعاطفة (عقل عيانى عاطفى) ، قلبه هو الذى يمل على عقله حججه . سطحى فى أحكامه (سعة الشعور - النموذج الأرض - إنفعالى غير فعال) وهو لذلك لا يصل إلى المعانى المجردة إلا بصعوبة . إنتباهه ضعيف ، ذو نزوات ، يتقلب بتقلب العاطفة (سعة الشعور - إنفتاح عاطفى - لافعالية) ذاكرته سريعة وجيدة (إنفتاح) ، بارعة فى تذكر الوقائع أكثر من الأفكار . عقله الجسدى مرهف ،



ولكنه لا يستطيع أن يخضع للقواعد المنطقية . لا يحلل ولا يركب ولا يفكر تفكيراً طويلاً (إنفعال غير فعال ، ذو ترجيع قريب ، النموذج الأرض) قليل السيطرة على نفسه ، فالإنحراف العاطفي ، وعدوى العواطف هما من الحركات الموجهة لسلوكه . ضعيف الاحتمال الجسمي (لافعال) . لا يملك الإرادة المروية (ترجيع قريب) أكسل (لافعال ، واسع الشعور) من أن يملك تلك الطيبة التي تهب إلى مساعدة الآخرين بهمة ونشاط ، حتى لكأن شعاره « ما من شيء خطر ، وستدبر الأمور على أحسن ما يرام » ، شديد القابلية للإيحاء ، فهو دائماً من رأى آخر من تكلم برغبته في أن يجب وأن يجب تفسر كل سلوكه برغب في الحظوة بالإعجاب ويجب أن يفتن الآخرين ، وهو لذلك في حاجة إلى المجتمع . يجب جمال الأشكال (النموذج الأرض ، الشهوانية) ، فهو لذلك أنيق متغندر النساء من أفراد هذا النموذج يبدن الحديث ، ويؤثرن الملابس المهفهفة والتسريحات المفكوكة ويهتمن بالشكل أكثر من اهتمامهن بالجواهر ، وذلك في كل أمر من الأمور تقريباً (عقل عياني ، نزعة حسية) ، إنهن يعنين بالتعبير أكثر من عنايتهن بما يخفى وراءه . يكرهن السر ، وينفرن من الوحدة (جوبيتر) . يحببن استقبال الناس بيوتن مزينة بالأزهار وغيرها لا يحببن من الأطعمة تلك الأطباق الكبيرة الثقيلة التي يغرف المرء منها ملاعق واسعة ، ويؤثرن عليها الأطباق الناعمة ، والحلوى الخفيفة ، والمعجنات الصغيرة يحببن القهوة (الرغبة في المنبات) والأشربة المعطرة . يتزوجن ، غالباً ، في سن مبكرة ، ويحببن الأطفال كثيراً يتعلقن ببيوتن لحاجتهن إلى الحماية من جهة ولقوة عاطفة الأمومة فيهن من جهة ثانية ، ولكنهن في الوقت نفسه يحببن اللذة ويملن إلى التسلية .

ونفهم مما تقدم أن موتشيللي الذي كان يؤمل أن يمتص تصنيف لوسين تصنيف كورمان ، قد انتهى إلى عكس ذلك ، فتصنيف كورمان هو الذي امتص نماذج لوسين الثمانية ، وبقيت له نماذجه الأخرى إن عصبى لوسين مثلاً هو النموذج « المستجيب » في تصنيف كورمان ، وهو في دراسات موتشيللي

العصبى ذو الصيغة الطباعية : ٢٨ ر ٢٨٥ ر ٨٥٢ ر ٩٢  
 وفي المقدمة التي كتبها كورمان لكتاب مونتيللي أوضح صاحب المدرسة  
 المورفولوجية الفرنسية أن نماذج لوسين الثمانية تقابل في تصنيفه نماذج معينة : كما  
 يتضح من الجدول التالي :

| نماذج المورفوسكولوجيا  | نماذج ديانس لوسين |
|--|-------------------|
| المنقبض الأقصى ذو المداخل الحية المفتوحة ( المستجيب          | العصبى            |
| المنقبض الأقصى ذو المداخل الحية المحمية ( ولا سيما الانقباض  | أعاطل             |
| الجائفي الأخرى )   |                   |
| المنبسط القوى أو المنقبض الجائفي ذو المداخل الحية المفتوحة . | انقبضى            |
| المنقبض الجلبى أو المنقبض المهذب ذو المداخل الحية المفتوحة   | الجموح            |
| المنبسط الثقيل ذو المداخل الحية المفتوحة .                   | الدموى            |
| المنبسط الثقيل ذو المداخل الحية المحمية .                    | الغبارى           |
| المنبسط الضعيف أو المنقبض الأقصى الضعيف ذو المداخل           | الهلامى           |
| الحية المفتوحة .   |                   |
| المنقبض الأقصى الضعيف أو المنبسط الضعيف ذو المداخل           | الخالل            |
| الحية المحمية .  |                   |

## الفصل الرابع عشر

### الطباع والخطوط<sup>(١)</sup>

#### تشخيص الطبع بواسطة الخط

منذ نشر لويسين كتابه « علم الطباع » اهتم المشتغلون في دراسة الخط بتصنيفه ، وكان طبيعياً أن تنصرف أذهانهم إلى استعمال هذه العناصر الحديدية في إغناء تحليلاتهم وفي إدخال مزيد من الدقة فيها . وبدا لهم في أول الأمر أن من الممكن أن يكشفوا في الخط عن صفات تقابل كلا من مقومات الطبع الأساسية على حدة ، فهذا ما ذهب إليه كارتون وأنا تيلار من المشتغلين في دراسة الخط ، وهذا ما ذهب إليه أيضاً موريس دولامان الذي حسب أن في إمكانه الكشف عن كل مقومة من المقومات لدى فرد من الأفراد من النظر في خطه ( العدد ٢٦ من مجلة الغرافولوجيا ، ابريل ١٩٤٧ ) .

وقد نشر لويسين بالتعاون مع مدام بوشاتو دراسة في العدد ٣٠ من مجلة الغرافولوجيا تحو هذا المنحى ، وتوفرا خاصة على النظر في خط بروجون ، محاولين أن يقيا تقابلا بين كل مقومة من مقومات الطبع الأساسية والتكميلية ، وبين خصائص خط هذا الفيلسوف .

(١) هذا الفصل خلاصة لكتاب إميل كاي « الطباع والخطوط » ، يشتمل الكتاب على معلومات تكتيكية مألوفة للباحثين في الغرافولوجيا التي تدرس العلاقة بين الخط والطبع . والخطوط التي درست إنما خطوط بالكتابة اللاتينية . وعسى أن يتولى أحد الباحثين في المستقبل دراسة مثل هذه التباينات بين الطباع والخطوط بالكتابة العربية . ولقد جاء تلخيصنا لهذا الكتاب موجزاً بالضرورة ، والغاية منه إعطاء فكرة عن هذا النوع من الدراسة ومحاولتها للانضمام إلى علم الطباع الفرنسي الذي نحن بسعده ، بحيث يمتصها علم الطباع هذا ، فتكون جزءاً منه . ولم نجد من الضروري أن ننقل من نماذج الخط التي يشهد به إميل كاي إلا قليلاً ، وكان هذا التقليل بعض نماذج خط المصبي ، وهو أصل الخطوط بالخصائص .

ولكن موريس دولامان ما لبث أن أوضح صعوبات هذه المحاولة في مقالة له ظهرت في ذلك العدد نفسه ، حتى انتهى في مقالة أخرى بعنوان « تصنيفات النماذج وعلم دراسة الخط » إلى أن علم دراسة الخط يصعب عليه أن يتمثل تصنيف لوسين ، رغم ما بدا في أول الأمر من أن استعمال هذا التصنيف في الجرافولوجيا أمر سهل .

ولكن إميل كاي الذي توفر على البحث في هذا الموضوع ، وكتب فيه قبل أن يصدر كتابه الذي نحن بصده ، رأى أن هناك خطأ في المنهج هو الذي أدى إلى اختلاط الأمور ، وإلى اليأس من التقريب بين علم الطباع وعلم دراسة الخط ، ذلك الخطأ هو محاولة إيجاد تقابل بين كل مقومة من مقومات انطبع وبين صفات في الخط معينة . فهذا المنهج التحليلي خاطئ ، وإنما ينبغي اللجوء إلى منهج تركيبى ، نحاول أن نبحث بواسطة عن التقابل لا بين المقومات منفصلة وبين صفات الخط بل بين هذه المقومات وقد تألفت في نماذج طبيعية وبين صفات الخط . ألم يقل لوسين إن « كل مقومة من المقومات الأساسية تظل ملتبسة ما لم ننظر إليها في المركبات التي تدخل فيها ، أى النماذج الطبيعية » .

ذلك أن هذه النماذج ليست مؤلفة من انضيايف هذه الخصائص بعضها إلى بعض ، بل من اتحادها اتحاداً صميمياً . فليس النموذج مجموعاً حاسياً ، بل هو تركيب حقيقى . إن فعالية الجموح ليست هى فعالية الغضبي ، وانفعالية العصبي ليست هى انفعالية العاطفى . ومنهج البحث في التقريب بين علم الطباع وعلم دراسة الخط يجب إذن أن لا يتناول علم الطباع العام الذى يدرس المقومات بل علم الطباع الخاص الذى يدرس النماذج .

وهذا المنهج هو ما عمد إليه إميل كاي ، وانتهى به إلى ما نعرضه من نتائج دراسته هنا .

## ما يفيد علم دراسة الخط من علم الطباع

يقول كاسى لا يمكن إلا أن نلاحظ ضعف الأساس الذى تقوم عليه الدلالات الغرافولوجية ولئن كان صحيحاً أن التجربة الواسعة يمكن أن تبرر بعض التأويلات ، وأن صحة هذه التأويلات تتحقق كل يوم ، فإن التأويلات الغرافولوجية ، رغم أن الاستعمال يدعمها ، لم تستطع حتى الآن أن تدعى أنها تقوم على أساس علمى إن علم دراسة الخط الجاهلي ( نسبة إلى كريبو جامين ، وهو من رواد علم دراسة الخط ) قائم كله على الخبرة العملية وهو يتميز ، فى الدرجة الأولى ، بالميل الذى لاشك أنه طبيعى إلى ربط صفات الخط بصفات فى الطبع تشترك مع الأولى فى الاسم .

« وهذا مثال على ذلك »

« الإنسان المعنى يكشف عن نفسه بحسن ترتيب العناوين والمواشئ وبالدفقة فى التنقيط على حين أن افتقار حرف إلى نقطة ، واختلاط الأسطر ، يدلان على قلة العناية وعلى اضطراب الذهن ، وهذا ما يؤيده على وجه العموم أسلوب الكاتب أيضاً . والكتابة الصاعدة هى كتابة ذوى الحماسة ، والطموح ، فى حين أن الكتابة الهابطة هى كتابة الطباع الحزينة ، والأشخاص اليائسين وكتابة البخلاء مرصوفة ، فهم لا يضيعون من مساحة الورق شيئاً ، أما المتلافون فيكتبون فى السطر ثلاث كلمات ، والأحرف الطويلة التى تنتهى بها أواخر الكلمات أشبه باليد الممدودة للعطاء . . . الكتابة المائلة تدل على رقة العاطفة ، فى حين أن الكتابة القائمة دليل على قوة الطبع . والكتابة السريعة العصبية تعبر عن النشاط والحركة ، كما أن الكتابة البطيئة الهادئة المدورة دليل على الرخاوة »<sup>(١)</sup> وواضح أن هذه التشبهات لا تقوم على أساس وطيد ، فالدلالات صادقة على وجه العموم ، لكنها تفتقر إلى وسيلة موضوعية تبرهن على أن لها أساساً وطيداً تقوم عليه .

(١) كريبو جامين ، « الخط والطبع » ، ص ٣٥ - ٣٦ .

وهذا الأساس هو ما يمدنا به علم الطباع في كثير من الحالات إذ يمدنا بالنظام . فهو يتيح لنا أن نفرق تفرقات مفيدة ، وأن نقيم تأويلاتنا على وقائع مراقبة فحين ندرس ، مثلاً ، ظاهرة « الكتابة اللامقروءة » التي إذا ارتبطت بالسرعة كانت في رأي جامين تشير إلى المراوغة والإضطراب ، لاحظنا أن الكتابة اللامقروءة ناشئة لدى العصبي عن قلة العناية وعن الإهمال وعن الميل إلى إبتسار الأعمال المفروضة ( فلا حاجة إلى افتراض المروغة فيه قلبياً ) في حين أن سوء الكتابة لدى العاطفي يعود إلى ما يواجهه به انفعاليته دائماً من كف . وليس العاطفي بالمضطرب ولا بالمراوغ ، بل هو من أكثر الناس أمانة . ثم هل يمكن أن نعلل كون كتابة بعض العصبيين قائمة بأن طبعهم قوى ؟ وهكذا فإن علم دراسة الخط يسهم في إقامة نظرية من شأنها أن تتيح له سد الطريق أمام الاتهامات التي توجه ضده ، من أنه يفتقر إلى الدقة ، ومن أنه ذاتي ، ومن أنه يقوم على الخبرة وحدها دون أساس علمي .

### ما يفيد علم الطباع من علم دراسة الخط

فما هي الفوائد التي يجنيها علم الطباع من علم دراسة الخط ؟ من الواضح أن على علم الطباع أن يعتمد على كثير من وسائل البحث في الطبع فدراسة شكل الوجه ، واستعمال بعض الاختبارات الطبعية ، ودراسة الأسلوب ، ودراسة الخط ، كل هذه الوسائل يجب أن تساهم في التشخيص الطباعي . والحق أن هذه الوسائل يكمل بعضها بعضاً ، من أجل أن تؤدي إلى تحليل الفرد . وقد يستحيل أن تتوصل دراسة الخط إلى إعطاء صورة عن الشخصية كاملة كمالاً مطلقاً . ولكنها تساعد عالم الطباع مساعداً هامة ، لأنها تمدّه بمعلومات خطيرة عن طبع الشخص الذي يدرسه . مثال ذلك أن يكون عالم الطباع أمام شخص بارد المظهر ، هادئ ، بطيء الاستجابة . إن الإستجاب الذي يستعمل معه لا يقدم إلا قليلاً من الإيضاحات ، لأنه لا يتحدث عن نفسه إلا بصعوبة وهنا

## تظهر قيمة دراسة الخط

إن تحليل الخط قد يكشف عن أن هذا الشخص عاطفي توصل بالعادة إلى كف استجاباته العاطفية . ومن النادر أن لا تتجلى هذه الاستجابات العاطفية في الكتابة .

فعلم الطباع وعلم دراسة الخط يكمل كل منهما الآخر ، لا سيما وأن محوري البحث فيما لا ينطبقان مثال ذلك أن على عالم الطباع حين يبحث عن الانفعالية لدى فرد من الأفراد ، أن يكون قد اكتشف أولاً الاهتمامات الرئيسية لدى هذا الفرد ، لأن الانفعالية تتجلى خاصة في طوائف معينة من الاهتمامات لها على غيرها غلبة أما عالم دراسة الخط فهو يقدر أن صاحب الخط انفعالي على وجه الإجمال من مجرد النظر في خطه ، وهو بعد ذلك يستطيع أن يبحث عن مراكز الاهتمام أى عن الصورة التي تتجلى بها هذه الانفعالية . وواضح أن الفائدة كبيرة من المقارنة بين نتائج الدراستين ، حين تعين الأولى اهتمامات الفرد ، وتعين الثانية درجة انفعاليته .

ويتضح من هذا أن التعاون بين العلمين خصب مثمر . إن اختصاصات كثيرة يجب أن تعاون من أجل تشخيص الطبع والتقارب بين النتائج التي نحصل عليها بمناهج مختلفة في دراسة فرد بعينه يدل على موضوعية علم الطباع .

## خطوط النماذج الطباعية الثمانية

## ١ - خط العصبي

الكتابة فعل يهدف إلى غاية ، فما عسى أن يكون موقف العصبي من هذا الفعل ؟

في الغالب الأعم يعد العصبي الصفحة التي عليه أن يكتبها عملاً ينبغي أن يتخلص منه بسرعة ، فإذا هو يهجم عليه باندفاعه المألوف ، وإذا قلته يجرى على الورق سريعاً ، وإذا خطه عاطل من كل عناية بالشكل .

Deux mots pour vous dire que si  
 et pas plus tôt, puisque j'est habitée  
 un avantage -  
 J'ai vu

(1)

Opusculum se termine a  
 sous le signe du soleil  
 il était temps de.  
 pour votre séjour en

(2)

mon cher

Recu ta lettre avec beaucoup de plaisir ; il y avait  
 quelques temps que je n'avais pu de nouvelles. Merci de  
 te vouloir se t'offrir le mieux pour toi et ta

(3)



وقد دلت ملاحظة خطوط العيصيين ، ضيقين كانوا أم واسعين ، على أن لها مميزات تفرق بها عن خطوط الطبايع الأخرى ، وقد كشفت هذه الملاحظة عن ثلاثة علامات خطية هي فقدان الاطراد في حركة الخط ، فقدان النظام في حركة الخط ، الإندفاعية في حركة الخط

### فقدان الاطراد

يقال عن حركة الخط إنها غير مطردة حين لا تتكرر دائماً مساوية لنفسها ، وإنما تتغير تغيراً كبيراً بلا سبب ظاهر ، كأن نرى كلمات ماثلة في كتابة قائمة ، أو أحرفاً ماثلة في كلمة قائمة ، أو أن نرى أحرفاً رسمت بضغط شديد بالقلم على حين أن الأحرف الأخرى رسمت بضغط خفيف . ولئن كان عدم الاطراد هذا يلاحظ في خطوط جميع الناس ، فإنه في خط العيصي أوضح وأقوى

ويشتمل عدم الاطراد هذا على ثلاثة أعراض رئيسية ( أ ) عدم التناسب . فهناك تغيرات كثيرة في التباعد المكاني بين الأحرف وبين الكلمات ، وهناك فروق كبيرة في الحجم بين الأحرف الصغيرة والأحرف الكبيرة ، وفروق بارزة بين الأطوال العليا والأطوال الدنيا .

( ب ) عدم اطراد الأحرف ، أي عدم الإطراد في شكل الحرف وحجمه ، وانحداره ، والضغط الذي استعمل في رسمه . وللحكم على اطراد الكتابة تفضل دراسة الأحرف  $u$  ,  $n$  ,  $m$  التي هي أقل الأحرف قبولا للتغيرات

فإذا نظرنا مثلاً في الخط ( أ ) وجدنا الحرف  $u$  في كلمة *sous* كاملاً متقناً ، وجدناه بعد ثلاث كلمات ، في كلمة *du* مختلفاً كلا الاختلاف عنه في كلمة *Sous* ، فهو هنا قد رسم بضغط قليل ، وفجر كبيراً . وجدناه بعد سطين في كلمة *Pour* مختلفاً أيضاً ، وكذلك في كلمة *sejour* بعد ذلك بقليل .

( ج ) الاختلافات في مجرى الخط ، وهي تختلف عن عدم الاطراد لأنها اختلافات لا تتناول حرفاً أو عدداً من الأحرف ، بل مجموعة من العناصر

بضع كلمات ، جملة بكاملها ، سطرًا بكامله ، عددًا من الأسطر . إن مجرى الكتابة هو الذى يتغير فجأة . فإذا نحن نرى جزءا من رسالة ( خطاب ) مكتوباً بخط مستقيم ، والباقي مكتوباً بخط مائل مثلا ، أو نرى فيها بعض الكلمات ختت بأحرف صغيرة جداً ، وبعضها الآخر بأحرف كبيرة جداً .

( د ) الطابع الخاص لعدم اطراد خط العصبي هناك خطوط غير مطردة لغير العصبيين ، كالعاطفيين مثلا . ولكن لعدم الاطراد الذى نلاحظه في خط العصبيين طابعاً خاصاً يفرقه عن غيره

فعدم الاطراد في كتابة العاطفيين ناشىء عن حركات اللجم والتوقف والتعثر التى تطرأ أثناء الكتابة ، فزرى تصادمات وتقطعات في حركة الخط . أما عدم الاطراد الذى نلاحظه في كتابة العصبي فهو لا ينشأ عن الجهود المبذولة للجم ، بل بالعكس ينشأ عن التسارع المتخبط الذى يمضى إلى هنا وإلى هناك بالاندفاع ، يسرع تارة ويبطئ أخرى ، يتحمس لحظة ثم يغم في اللحظة التى بعدها

### عدم النظام في حركة الخط

بعض الخطوط تلفت نظر القارئ بما بين أسطرها من نظام ، وما يراعى فيها من قواعد التنقيط ، وما يلاحظ فيها من حسن تقسيم الفقرات . فيبدو أن أصحابها يسهل عليهم أن يفرضوا على أنفسهم بارادتهم نظاماً في الخط يلتزمونه ولا يهجرونه .

وليس هذا ما نحسه عند النظر في خطوط العصبيين ، فهى لا تشمل على نظام صارم ، وحتى ما بدأ منها منظماً ، نجد عند انعام النظر فيه أن هوامشه كأسنان المنشار ، وأن استعمال التنقيط فيه لا يجرى على نظام ، الخ . .

( ١ ) فقدان الترتيب : الكتابة التى لا ترتب فيها هى الكتابة التى لا تراعى

قواعد حسن الخط .

فنتحن نلاحظ مثلاً في الخط ( ١ ) أن بداية الفقرات ليست في مكان واحد من الأسطر . ونلاحظ في الكتابة أن ليس هناك فقرات البتة ، بل المكتوب كله كتلة واحدة غير مقسمة ، والكلمة الأولى جانحة إلى اليمين ، وهي تبدأ بحرف صغير بدلا من حرف كبير

وهناك خاصتان أخريان تعلقان بفقدان النظام في الخط هما

١ - إختلافات اتجاهات الأسطر فالأسطر يهبط بعضها ويصعد بعضها الآخر . ورب سطر واحد يصعد في أول الأمر ثم يهبط أو يهبط في أول الأمر ثم يصعد وليس من الضروري أن يكون هذا بارزاً كثيراً البروز حتى يعد خاصة من خصائص كتابة المعصيين

٢ - التفاوت في حجم الحوامش نلاحظ ذلك في جميع العينات التي

عرضناها

( ب ) الربط المتردد : يكون الربط بين الأحرف أو بين أجزاء الأحرف في العادة ، على أشكال من الربط مختلفة ، وإن شكلا من أشكال الربط هو الذي يغلب ، بوجه العموم ، على خط بعينه . ويمكننا أن نلاحظ في خط العصبي أنه يعتمد إلى جميع أشكال الربط لا يغلب أحدها على غيره .

( ج ) دلالة عدم النظام في حركة الخط لدى العصبي عدم النظام في الخط موصولة السبب بعدم النظام في النفس ، وهو من الخصائص التي تميز العصبي فما هو إلا صورة على الورق للصعوبات التي يحسها العصبي في التوفيق بين ميوله المختلفة ، ودفع بعض الإغراءات ، وتجميع الشخصية على محور من نقاط منظمة . إن فوضى الخط من فوضى الشخصية .

#### الاندفاعية في حركة الخط :

وخط العصبي اندفاعي ، عدا أنه غير منظم وغير مطرد . وتتجلى هذه الاندفاعية في ثلاثة أعراض الميل إلى الابتعاد عن المركز ، السرعة ، الحركة . ( ١ ) الميل إلى الابتعاد عن المركز فحركة الخط لدى العصبي تنقلف

نحو العين والأعلى (لاحظ حرف « هـ » في الخط وكذلك شطب الحرف ؛) فكأن يد العصبي متى اندفعت لا تستطيع أن تتوقف في الوقت المناسب لتضبط حركة الخط في المكان مع المحافظة على النب الصحيحة .

(ب) سرعة الجريان ينذر أن نرى بين خطوط العصيين خطأً بطيئاً أو متوسط السرعة اللهم إلا أن يكون ذلك مكتباً فكأنه يركض إلى نهاية الكتابة ركضاً ، لينجزها بأقصى سرعة ، لا يتوقف ولا يعود إلى وراء فالقلم يعدو على الورق أو يتوابع ، بسهولة ، ويجب أن نلاحظ أن هذه السرعة لا تسيء إلى وضوح الخط دائماً فتجعله غير مقروء (لاحظ الخط ١ ، إنه سريع جداً ؛ ولكنه مقروء)

(ج) حركة الخط يشتمل خط العصيين على سجات طويلة ، متحركة مؤكدة ، ناشئة عن حركة عريضة من القلم ويقول إميل كاي إن هذا يشبه ما يعرف عن العصيين من استعمال الكلمات الضخمة فكلا الأمرين يدل على عجز صاحبهما عن الاعتدال أو ضبط النفس . في حين أن اعتدال الرسوم واستعمال أقل عدد ممكن من الخطوط في كتابة كل حرف يدل على جهد الاعتدال الذي نلاحظه لدى ذوي الترجيع البعيد .

(د) قيام بعض كتابات العصيين يذهب كاي (لاندرى لماذا) إلى أن الاندفاعية تعبر عن نفسها بالخط المائل . ولكنه يلاحظ أن خط بعض العصيين قائم مع ذلك (٢٥٪) ، ويتساءل عن سبب ذلك فيرى أنه يرجع أكثر ما يرجع إلى حب العصبي للتفرد . وهذا ما يلاحظ أيضاً في جنوح بعض العصيين إلى كتابة بعض الأحرف على طراز فذ .

### تواقيع العصيين

يلاحظ كاي أن تواقيع العصيين ، ولا سيما المثقفين منهم ، بسيطة في معظم الأحيان ، تكاد تكون كتابة عادية . وما قد يرى في تواقيع العصيين من تشوهات ، مرده إلى السرعة واضطراب الخط لا إلى الرغبة في اجتذاب الانتباه .

وذلك كله خلافاً لما قد يذهب إليه المرء لأول وهلة من أن توابع العصيين لابد أن تشمل على إغراب وتعقيد ، من قبيل الرغبة في التفرد وقد يكون السب في ذلك هو أن التفرد هنا هو أن لا يكون ثمة تفرد ، لأن التوقيع ليس له قواعد يتعلمها المرء وتوجب عليه التزامها ، لذلك يكون التزام البساطة هنا شكلاً من أشكال التمرد من أجل التفرد .

### العاصيون الواسعون والعاصيون الضيقون

من ينظر في خطوط العصيين الواسعين والضيقين يلاحظ بينها فروقاً واضحة ، رغم ما بينها من صفات مشتركة هي التي أشرنا إليها فيما تقدم - ولا عجب في هذا فالطبعم مختلفان ، وإن تشابها وأول فرق نلاحظه هو فرق في الشدة فالضيق أكثر ضغطاً بالقلم على الورق ، والمساحة التي تحتلها كتابة أضيق . وخط العصبي الواسع يجرى هيناً ليناً وينساب متصلاً ، ولا كذلك خط الضيق ، فهو يسير بقفزات متقطعة يتلاحق بعضها وراء بعض .

### الخط المتصنع

الخط المتصنع هو الخط الذي تحمل عليه رغبة الكاتب ، شعر بذلك أو لو لم يشعر ، في أن يسبح على كتابته مظهرًا شخصياً فريداً . وهذا ما يلاحظ لدى العصيين .  
فإن كان العصبي ذا مواهب فنية جاء خطه خطأً فنياً على حد تعبير موتشيللي ، خطأً يسر الناظرين ، وإن لم يكن كذلك جاء خطه مشتتاً على الإغراب والشذوذ لا أكثر من ذلك ولا أقل .

• • •

ذكرنا فيما تقدم خصائص خط العصبي ، في شيء من التفصيل ، ولا يتسع المجال لمثل هذا التفصيل في وصف الخصائص التي تتميز بها خطوط

الطباع الأخرى . وحبسنا أن نجمل الكلام على تلك الخصائص في ما يشبه الجداول

## ٢ - خط العاطفي مميزات عامة

### ( أ ) كف حركة الخط

- ١ - لجم حركة الخط  
ضغط شديد بالقلم على الورق . أو آخر الكلمات  
ليست مقدوفة إلى أمام كأن الكاتب يحاول  
دائماً أن يبطئ حركة قلمه
- ٢ - ترتيب الكتابة  
يحاول العاطفي وضوح الخط ، ولكنه لا ينجح ،  
الكتابة صغيرة ، الكلمات مرصوفة .
- ٣ - تجميع الأحرف  
الكلمة تنقسم إلى مجموعات من الأحرف غير  
مترابطة ولكن المسافة التي تفصل بين  
المجموعات هي في خط العاطفي قصيرة .
- ٤ - التنقيحات  
يكب الكاتب كلمة ثم ينقح أحرفها لجعلها  
مقروءة .

### ( ب ) فقدان السهولة في حركة الخط

- ١ - عدم المقروئية  
خط العاطفي أقل الخطوط مقروئية رغم محاولته  
الوضوح ويرجع ذلك إلى تدفق أفكاره  
بسرعة لا تستطيع يده أن تجارها
- ٢ - قلة التناسب والإطراد  
راجع ما ذكرناه عن عدم التناسب والاطراد  
في خط العصبي
- ٣ - تفاوتات  
في ارتفاع الأحرف ، في المسافة بين الأحرف ،  
في الضغط بالقلم على الورق

٣ - ففر حركة الخط ليس في خط العاطفي ذلك الفيض وذلك الإنطلاق السمع في حركة القلم وتلك المبالغات والترتيبات التي نلاحظها في بعض الخطوط الأخرى .

٤ - التوقيع شخصي

٥ - محاولات التبديل يمكن القول إن للعاطفي خطين واحداً لما يكتبه لنفسه . وواحداً لما يكتبه لغيره وهو في الخط الثاني يحاول أن يكون مقروءاً فيقترب من الخط الكلاسيكي ( قواعد الكاليفرافيا ) ، أو يصل إلى كتابة متصنعة ليست غايتها إظهار التفرد بل المتروية

٦ - التوقيع شخصي يحرص العاطفي على التفرد في توقيعه

وقد درس إميل كاي خطوط فئات من العاطفيين هي

العاطفي الواسع للشعور ، العاطفي الضيق الشعور ، العاطفي الشبيه بذوي التراجع القريب ، العاطفي القاسي وأوضح المميزات الخاصة بكل فئة من هذه الفئات

٣ - خط الغصبي

المميزات العامة

( ١ ) قوة حركة الخط

١ - الضغط بالقلم على الورقة .

٢ - السرعة

٣ - الربط بين الأحرف بزاوية قائمة

( ب ) فيض حركة الخط

- ١ - الحركية ( التدفق )
- ٢ - الضخامة ( الكلمات أميل إلى احتلال مكان واسع )
- ٣ - المبالغة ( الخروج على قواعد الكاليفرافيا صعود الأسطر ازدياد حجم الكلمات ، الخ . )

( ج ) اختلاف في توزيع حركة الخط

- ١ - اتجاه نحو المركز واتجاه خارج المركز ، من حين إلى حين .
  - ٢ - ضعف التناسب والاطراد
  - ٣ - تفاوتات ( في علو الأحرف ، في المسافة بين الأحرف ، في سعة الهوامش ، في ميل الأحرف )
- وقد درس إميل كاي خطوط خمس فئات من الغضيين هي فئة الغضيين السرفين في الفعالية ، الغضيين الذين تغلب عليهم الاهتمامات الحية الغضيين ذوي الميول العقلية الغضيين الشبيين بالعصيين الغضيين الشبيين بالحموحين ، وبين إميل كاي كيف يتخصص خط الغضبي بتأثير المميزات الخاصة التي تتميز بها هذه الفئات

٤ - خط الجموح

## المميزات العامة

- ( ١ ) إنشداد حركة الخط إلى اليمين
- ١ - أحرف مترابطة أكثر من الوسطى
- ٢ - كتابة غير مرصوفة
- ٣ - إتجاه إلى خارج المركز
- ٤ - كتابة تزداد سرعتها شيئاً فشيئاً
- ٥ - اختصار بعض الأحرف وإنشداد الكلمات على شكل خط ، بالإضافة إلى تكسر الروايا .



## (ب) وحدة نيبية في حركة الخط

١ - فتدان التناورات البارزة

٢ - انتجانس

٣ - انتظيم

٤ - خط شخصي

وقد درس اميل كاي تخصصات خط الجموح ، عند فئات ثمان من الجموحين . ووصف خصائص الخط لدى كل فئة من هذه الفئات .

## ٥ - خط الدموي

## المميزات العامة

( ا ) بـطة حركة الخط

١ - على قدر جيد من المقرؤية

٢ - على قدر جيد من التناسب والاطراد

٣ - الحجم عادى

٤ - فتدان المبالغات

٥ - كتابة تتصف بالقصد والاعتدال والبساطة والتبسيط

## (ب) فتدان الوحدة الموجهة في حركة الخط

١ - اختلافات صغيرة

٢ - تناورات كثيرة ( ولكنها غير شديدة )

٣ - عدم اطراد في شطبة حروف

٤ - مرونة وبراعة

٥ - سرعة ، ولكن على غير تعجل

٦ - الكلمة مؤلفة من مجموعات من الأحرف ، أو من أحرف مستقلة ،

فالربط بين جميع الأحرف نادر لدى الدموي .

## ٦ - خط المفاوى

## المميزات العامة

( أ ) مراعاة قواعد الكاليفرافيا

١ - الخط مقروه واضح

٢ - ليس فيه تنافرات

٣ - مطابق لقواعد الكاليفرافيا

٤ - متناسب ومطررد

( ب ) بساطة حركة الخط

١ - وسط فى القوة

٢ - لا وجود للانفاسات فى الأحرف ، ولا للزيادات ، أو ما إلى ذلك .

٣ - كتابة متحفظة .

( ج ) الشدة النسبية فى حركة الخط

١ - كتابة صاعدة

٢ - واضحة محكمة

٣ - ذات حركة

٤ - تشبه أن تكون ذات زوايا ، أى متكسرة

ويضيف إميل كاي إلى ذلك أن خط المفاوى المتوسط قليل السعة فى حين

أن المفاوى المتطرف واسع الخط سطحاً وعمقاً .

## ٧ - خط الملاى

## المميزات العامة

( أ ) فقدان القوة فى حركة الخط

١ - كتابة مبسوطة غير مرصوطة ، والمسافات بين الكلمات واسعة :

- ٢ - يدع مساحات كبيرة من الورق بيضاء .
- ٣ - خط مدور ، بسيط ، لا زيادات فيه . .
- ٤ - هامش اليمين لا اطراد فيه ولا نظام

#### ( ب ) إهمال حركة الخط

- ١ - تفاوتات كثيرة
- ٢ - تناسب قليل
- ٣ - إطراد حسن
- ٤ - مقروئية ضعيفة
- ٥ - خيطية
- ٦ - إفراط في عدم الإطراد في شطبات الحرف ،
- ٧ - سحبات منقذة إلى خارج المركز

#### ٨ - عدم الإحكام

ويلاحظ اميل كاي أن الهلامي إذا كان من فئة الهلامييين الشبهين بالعصيين كان خطه أسرع وأملاً بالحياة والاندفاع ، وإذا من الهلامييين الشبهين بالدمويين كان أكثر ضغطاً على الورق بالقلم ، وكان أقوى .

#### ٨ - خط الحامل

#### المميزات العامة

#### ( أ ) فقدان القوة في حركة الخط

- ١ - خط متجمد لا حياة فيه
- ٢ - بطئ ، رصين ، بلا سرعة
- ٣ - نهايات الكلمات قصيرة ومكبوحة
- ٤ - توقفات كثيرة

(ب) سكون حركة الخط

١ - سكون كبير في الخط

٢ - مقروه جداً

٣ - على جانب من التناسب والاطراد

٤ - لا أصالة فيه ولا تفرد

٥ - مراعاة التنقيط

ويلاحظ اميل كاي أن الحامل إذا كان من فئة الحاملين الشبهين بالعاطفيين قل حظ خطه من التناسب والاطراد ، وكان سكون خطه أقل وضوحاً وإذا كان من فئة الحاملين الشبهين بالخلامين اشتمل خطه على مزيد من الأسرسل ، ورأينا فيه شيئاً من تناقضات التوزيع

## الفصل الخامس عشر

### الشخصية

كان الحديث إلى الآن عن الطبع وعن رد الأنا على الطبع ( السكودياكتيك ) وقد سبق أن ذكرنا أن الطبع عند لوسين هو « مجموعة الاستعدادات الفطرية التي تؤلف الهيكل النفسى للإنسان » ، وأن الطبع لا يستفد كل شخصية الفرد ، فالشخصية تتضمن الطبع ، ولكنها تتضمن أيضاً جميع العناصر التي اكتسبها الفرد خلال حياته ، فخصصت طبعه . ( راجع فيما سبق ، ص ٢١ ) . ونريد الآن أن نلقى نظرات سريعة على بعض العوامل الخارجية التي تؤثر في الطبع وتخصصه ، وتُخرج منه الشخصية .

### تأثير الأسرة والمدرسة والمهنة

تدخل البيئة الاجتماعية في تحديد الشخصية بتخصيص الطبع . والأسرة هي البيئة الاجتماعية الأولى التي تؤثر في الفرد ، وهي تهب للفرد عاداته الأولى ، أعمق عاداته وأرسخها . وإنما تقوم أهمية البيئة العائلية على أنها أول بيئة تؤثر في الفرد فالعادات التي تولدها فيه تؤلف منظومة تقوم بنوع من الاصطفاء بين المؤثرات التي ستعقبها . وتُرجع أهميتها ثانياً إلى أن الأسرة تظل خلال مدة من الوقت البيئة الوحيدة التي يعيش فيها الطفل ، فلئن كان الراشد ينتمى إلى بيئات مختلفة ( الأسرة ، المهنة ، الطائفة الدينية ، الخ ) تتصارع مثلها العليا أحياناً في نفسه ، فإن الطفل يظل خلال مدة من الزمن لا يتلقى إلا تأثير الأسرة وحدها .

ويجب أن نذكر مع ذلك أن الأسرة ليست متجانسة تجانساً تاماً فوقف الأب يختلف عن موقف الأم ، والجدان يؤثمان بقيم ليست هي قيم

الأبوين ، والعالم الصغير الذى يتألف من الإخوة والأخوات يكتب في بعض الأحيان شيئاً من الاستقلال ، والأهم من هذا أن نتذكر أن الأسرة لا تدمغ الفرد بطابعها دائماً ، فلئن كان بعض أطفال الأسرة يتأثرون بها تأثيراً قوياً ، ويتبنون قيمها ، فإن بين أطفالها من يتردد عليها . وإنما يرجع موقف التقليد أو التمرد إلى خصائص الطفل الفطرية ، أى إلى الطبع .

ويرى علماء التحليل النفسى أن لتجارب الطفل الصغير شأناً كبيراً فى تحديد شخصيته وستعرض لآرائهم بعد قليل ، حين الكلام على التاريخ الشخصى

ويعمى علماء النفس الذين يدرسون الحياة الاجتماعية ، مثل كاردينر ، فى مثل هذا الطريق ، ويحاولون أن يبرزوا التأثير العميق الذى يولده فى نفس الرضيع سلوك أبويه ، ولا سيما طريقة أمه فى العناية به . وحسبنا أن نشير هنا إلى ما انتهى إليه أمثال هؤلاء الباحثين من أن الأسرة المتكاملة المتماكئة تولد لدى أطفالها مجموعات من العادات والآراء واسعة ثابتة ، فى حين أن الأسرة المفككة تولد لدى الطفل توترات وصراعات قد يتعذر عليه حلها

وبعد أن يقضى الطفل السنين الأولى من حياته فى أسرته ، ينتقل ، فى البلاد المتعدنية ، إلى بيئة أخرى يقضى فيها شطراً كبيراً من أيامه ، وهذه البيئة هى المدرسة . إنه يتمنى عندئذ إلى عالين تتعاون تأثيراتهما تارة ، وتتصارع تارة أخرى .

والطفل ميال إلى تعميق الاختلاف بين البيتين ، يتألم منه أحياناً ، لكنه يستفيد منه بوجه خاص . ذلك أنه برى فى هذا الصراع وسيلة لتثبيت استقلاله الشخصى .

وللمؤسسات الدينية أو السياسية بعد ذلك تأثيرها فى الفرد ولكن يجب أن نتذكر أن هذا التأثير يتفاعل مع الاستعدادات الطبيعية فى الفرد ولعل هذه الاستعدادات الطبيعية هى التى عمل على الفرد انبثاقه إلى هذه أو تلك من المؤسسات السياسية ، فإن لكل حزب سياسى طرازاً فى التفكير والسلوك يجتذب إليه أولئك الذين يؤهلهم طبعهم للتجاوب معه ، والانخراط فيه .

وللمهنة أيضاً تأثيرها في الفرد ، رغم أن هذا التأثير متأخر زمنياً . وما يتبع للمهنة أن تؤثر في الفرد تأثيراً عميقاً أنها أولاً تؤثر فيه خلال مدة طويلة ، وأنها ثانياً تتناول عدداً صغيراً من الأفعال والتصورات التي تتكرر تكراراً مستمراً طوال تعاطي المهنة ، وأنها ثالثاً تكون في كثير من الأحيان استمراراً لتأثيرات المدرسة أو الأسرة ( ان الفرد يتباً خلال مدة طويلة لأن يصبح مهنتماً مثلاً ، إلخ ) . ولكن يجب أن نذكر أن تأثيرات المهنة تتفاعل مع الاستعدادات الطبيعية ، وربما كانت هذه الاستعدادات الطبيعية هي التي أسلمت على الفرد أن يختار هذه أو تلك من المهن فمن الصعب أن يختار عاطفياً من العاطفين مهنة يمثل متجول لشركة تجارية ( يطوف على محلات التوزيع ليعرض عليها بضاعة شركته فيبدل ما يبذل من جهد ، ويلقى ما قد يلقاه من إعراض أو إهمال ، إلخ ) . ولئن كان من الشائق أن ندرس سيكولوجية أصحاب المهن المختلفة ، كأن ندرس مثلاً سيكولوجية الفلاح ، والعامل ، والمستخدم ، والموظف إلخ ، فيجب أن نفصل في مثل هذه الدراسة بين ما يرجع إلى الطبع وما يرجع إلى البيئة . فإذا وجدنا مثلاً أن المهندس يتصف بأنه هادئ ، منهجي ، موضوعي ، يقبل المشاكل التي يمكن أن تظهر إلى « مسائل » ، فيجب أن لا ننسب هذه الصفات الطبيعية إلى تأثير المهنة لقد دل الاستقصاء الذي قام به م . فراي على أن طلاب كليات الهندسة بمدينة مارسيلا كان بينهم منذ مطلع العام الدراسي ( أي قبل أن تؤثر فيهم دراسة الهندسة ) ٣٥ ٪ لمقاويين و ٣٠ ٪ جموحون شهبون بالمفاويين . ومعنى هذا أن طبعهم هو الذي حب إليهم دراسة الهندسة ، لا أن دراسة الهندسة هي التي كونت شخصيتهم .

### تأثير الحضارة

إن تأثر الفرد بالبيئة الاجتماعية لا يستنفده تأثره بالطائفة الاجتماعية الخاصة التي يتسمى إليها ، فإن المجتمع نفسه ، نبي مجموعه ، يحمل إلى الفرد عادات وآراء

قل من يخطر بباله من أفراد المجتمع أن يسخر بها وأن يهزأ بها ولا يكاد يلاحظها أحد ، وذلك لأنها مشتركة بين الجميع . وليس يؤدي بنا إلى ملاحظة نسبة الآراء والأذواق والعادات إلا النظر في ماضى التاريخ أو الاطلاع بالأسفار على صور أخرى من صور الحضارة

فإذا أطلقنا كلمة « الحضارة » كما يفعل علماء الاجتماع المعاصرون على مجموعة « القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع » ( جاردنر ميورنى ، الشخصية ، ص ٩٨٣ ، ذكرها جاستون برجييه « الطبع والشخصية » ، ص ٧٢ ) أو إذا أطلقنا كلمة « الحضارة » على البنية الإجمالية للسلوك المتعلم ، وللتائج السلوكية التي يشارك في مركباتها ويتأقلمها أفراد مجتمع بعينه ، فإننا نستطيع أن نطلب من الأنثروبولوجيا الحضارية أن تدرس الطبقة الاجتماعية من الشخصية ، وعناصرها الأساسية بوجه خاص .

لقد جاء أحد علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيان ، وهو رالف لتون بكلمة « الشخصية الأساسية » ، ليشير بها إلى مجموعة ملامح الشخصية المشتركة بين جميع أفراد مجتمع معين ، وهو يرى أن هذه الملامح ترجع إلى التربية أكثر مما ترجع إلى أى شيء آخر وهناك عالم من أطباء الأمراض العقلية هو كاردنر ، عمل بالتعاون مع لتون . وذهب إلى أن « الشخصية الإنسانية تختلف باختلاف الظروف التي يجب عليها أن تتلاءم معها » ، ووضع طريقة شائعة لربط ملامح الشخصية بالمؤسسات التي ترجع إليها إن هذين العالمين يسندان إلى البيئة الاجتماعية تأثيراً مسيطراً ، بل إن هناك من بين علماء الاجتماع من يعضى إلى حد الاعتقاد بأن البيئة الاجتماعية تنفرد بالتأثير في تحديد الشخصية .

وواضح أن علم الطباع الفرنسي الذي يقم الاختلاف بين الأفراد على أساس مقومات ترجع في التحليل الأخير إلى عوامل فزيولوجية لا يمكن أن يوافق على هذا الاتجاه . وأيسر ما يوجهه جاستون برجييه من اعتراض ، قوله « إننا لا نستطيع ، رغم التحليلات المرهفة التي تأتينا بها مرغريت ميد ، أن نفهم كيف يمكن لمؤثرات عامة واحدة يثقلها جميع الأفراد أن تعطل ما هو خاص بكل فرد من الأفراد إنه لمن الشائق أن نقارن بين حضارتي شعبيين من الشعوب البدائية



كشعب تانالاس وشعب بتسيلوس ، لأنهما حضارتان مختلفتان . ولكن إذا كان جميع الفرنسيين - وربما أيضاً ، على نطاق أوسع ، جميع الأفراد الذين ينتمون إلى الحضارة الغربية - لهم شخصية أساسية واحدة ، فكيف نميز بين شخصية فلان وفلان الفرنسيين وبين شخصية فلان الفرنسي وفلان الانجليزي « (جاستون برجييه ، « الطبع والشخصية » ، ص ٧٣) .

وسرى حين الكلام على تطبيقات علم الطباع كيف أن لوسين يرد اختلاف الشعوب إلى اختلاف طباعها

على أن هذا لا يمنع أصحاب مدرسة علم الطباع الفرنسي من الاعتراف بتأثير الحضارة على الفرد في تحديد الشخصية ، بتفاعلها مع طبع الفرد وعلى هذا الأساس تكون الدراسات التي يقوم بها علماء الأنثروبولوجيا ذات قيمة هامة . ثم إن التبدل الذي يطرأ ، خلال العصور ، على ما تأتي به الحضارة ، يطرح مشكلات هامة ، سواء فيما يتعلق بالتبدلات الدورية التي هي « الموضات » ، أو فيما يتعلق « بالأزمات » التي تنشأ حين تتغير ظروف الحياة في مجتمع من المجتمعات تغيراً عميقاً مفاجئاً . فكذلك درس لتون وكاردنر على نحو جميل مفيد النتائج النفسية التي تنشأ عن تبدل في النشاط الاقتصادي لدى قبائل تانالاس .

فاذا يحمل المجتمع إلى شخصية جميع أفرادها ؟

إنه يحمل إليها أولاً تراثاً من المعارف يسهم فيه جميعهم ، دون أن يملكه كله أي واحد منهم ، وهو نوع من الامتداد لقابلياتنا الفردية .

وهو يحمل إلى الشخصية ثانياً وخاصة ، مجموعة من الأحكام التقويمية تناول المنطق أو الجمال أو الأخلاق . فالمجتمع يعلى علينا فكرة عن الوسائل الصالحة للبرهان والتعليل ، ويعلى علينا لائحة تشمل على الأشياء التي يجوز عملها والأشياء التي لا يجوز عملها ، ويعلى علينا مجموعة من الأحكام المتصلة بالجمال والقبح ، ويعلى علينا نظرة إلى الحياة الدينية .

ومن الشائق جداً أن ندرس نموذج الرجل ( أو نموذج المرأة ) الذي تتصور بيئة من البيئات في عصر من العصور أن على أعضاء المجتمع أن تعجب به وأن تقلده وتحذو حذوه .

وينبغي إذن عند تحليل الشخصية أن نحسب حساب العناصر المكتبة التي حملها إلى الفرد مجتمعهُ ، عامة كانت هذه العناصر أم خاصة . فسلوك فرد من الأفراد يمكن أن يرجع إلى أنه ذو طبع عاطفي ( النموذج العاطفي ) وإلى أنه موظف في مكتبة مثلاً ، وإلى أنه فرنسي ولد عام ١٨٩٠ . ونحن نلاحظ هذه التزاوجات نفسها في الآثار الأدبية أو الفنية فلكي نفهم لوحة « صعود المسيح » التي رسمها دولاكروا يجب أن نعرف ما أتى إلى دولاكروا من روبنس الذي تأثر به دولاكروا ، وأن نعرف ما يرجع إلى طبع دولاكروا ، وأن نعرف ما يرجع إلى سوء حالته الصحية في اللحظة التي أُلّف فيها أثره ، وأن نعرف أخيراً ما يرجع إلى عقلية فرنسي من العصر الرومانسي ( جاستون برجييه « الطبع والشخصية » ، ص ٧٥ )

وهكذا نلاحظ أن تحاليل شخصية من الشخصيات ليس تطبيقاً آلياً لعدد من القواعد البسيطة فإذا لم نحسب حساب جملة العوامل وتفاعلها المتبادل ، تعرضنا للوقوع في أخطاء فادحة .

### التاريخ الشخصي

والشخصية لا تتوقف فقط على طبع الفرد وعلى بيئته ، وإنما تتوقف أيضاً على الأحداث التي طرأت عليه . ونحن لا نستطيع حقاً أن نفهم شخصية فرد من الأفراد ما لم نعرف الأحداث التي أثرت فيه . ولكن الأحداث لا تبدل طبع الفرد ، فكما لا يبدل المطر الذي يهطل على حقل من الحقول طبيعة البذور المدفونة فيه ، وإنما يفتح حياتها الكامنة ، فكذلك الأحداث التي تطل على فرد من الأفراد لا تزيد على أن تنقل إلى الفعل ما هو قائم فيه بالإمكان . هذه امرأة يموت زوجها ، فإذا هي تقضى حياتها كلها بعد ذلك حزينة ، وإذا هذا الحزن هو المحور الذي يدور عليه كل سلوكها لقد كانت هذه المرأة ، قبل فقد زوجها الذي تحبه ، عاطفية مهياة لأن تجرح . . . وهي الآن جريحة .

والأحداث التي تؤثر في الفرد ليست كلها مما يتذكره الفرد ويستطيع

أن يفضى به . ولعل أخطر هذه الأحداث شأناً ما أفلت من الذاكرة وغار في أعماق اللاشعور وكون العقد النفسية التي يتحدث عنها التحليل النفسي ، ويكشف عنها بطرائقه الخاصة

ولكن التحليل النفسي يعنى بتاريخ الفرد دون أن يلتقي بالآ إلى طبعه فكأنه يعتبر شخصية الفرد حصيلة تاريخه وحده ، دون أن يكون لطبعه ، أى لاستعداداته الفطرية ، شأن البتة يقول آندره لوجال « إن التحليل النفسى يجهل الشخصية لأنه يجهل الطبع » ( آندره لوجال ، « علم طباع الأطفال والمراهقين » ، ص ٣٩٢ ) . فهو مجموعة من الأحكام العامة ومن المفاتيح التي يراد لها أن تصلح لكل قفل وقد يبدو هذا الرأى غريباً بعد الذى حمد للفرويدية من أنها وضعت تاريخ الفرد فى المقام الأول ، فهبطت بعلم النفس من التعميمات المجردة إلى الوقائع العيانية الشخصية . لكن ذلك ليس فى حقيقة الأمر إلا مظهرأ خادعاً . وقد كان لا بد من وقوع الخلاف الشديد بين فرويد وآدler حتى يطرح يونج مشكلة النماذج فقد رأى آدler أن التحليل يظل عاماً مجرداً ، وأن العلاج يظل أعمى ، ما لم نعلم إلى التفريق بين الطباع . غير أن التصنيف الذى اقترحه يونج قد اجترح هذا الخطأ ، وهو أنه قد قرر المقولات الفرويدية أولاً ، ولم يعمد إلى علم الطباع إلا بعد ذلك ، من أجل أن يدخله فى تلك المقولات كما أن التصنيف الذى جاء به آدler يقوم على دراسة طباعية ناقصة مبهمة .

إن ثمة طباعاً - هى طباع الفعالين اللانفعالين - ليس للفرويدية أن تتصيد فيها شيئاً البتة ، إذ ليس فيها أى محل لما يمكن أن تولده الحوادث من عقد. وإذا فرضنا أن هذه العقد نشأت فيها يوماً ، فإنها ما تلبث أن تقبض عليها الفعالية : فينتهى أمرها وتصنى من قبل أن يشتد ساعدها وترسخ « إن ولادة العقد تقتضى طبعاً انفعالياً ، وإن بقاءها يقتضى طبعاً غير فعال » . ( لوجال ، « علم طباع الأطفال والمراهقين » ، ص ٣٩٣ ) فاللانفعالية تحرم أجنها من الدم فتموت ، والفعالية تحطمها وتحلها فى التو واللحظة فالطباع

اللانفعالية الفعالة تجهل حتى نشوء العقد ، والطباع الانفعالية الفعالة تقضى عليها وتصفيها إذا ولدت . وعلى هذا فلا الدمويون ولا المفاويون ولا الخلاميون ولا الخاملون ( أى اللانفعاليون ) ولا الغضبيون ولا الجسوحون ( أى الفعالون ) يمكن أن تنطبق عليهم الأوصاف القرويدية . وما عسى أن توقظ اندفاعاً لاشعورية من صدى في النفس حين تكون الانفعالية صماء ؟ وأى تثبت يمكن أن تتوقف عليه : وأى إنطواء يمكن أن تؤدي إليه ، إذا كان سيل الفعالية يفضل النفس بطوفانه كل يوم ؟

أما الطباع المهيأة للمقد فهي الطباع الانفعالية اللافعالة ، أى الطفل العصبي والطفل العاطفي .

#### فلننظر في الطفل العاطفي

إنه انفعالي ، حساس ، انطوائي ، مهياً لأن يعتصم بمحان الأم وأن يلتجئ إليها ، فكلمنا استغرق في تعلقه بالأم ، انفصل عن الواقع وعن العالم ، وكلما انفصل عن العالم ازداد تعلقه بالأم : فنحن نراه في أول الأمر يمسك بيدها دائماً ، ويتبعها حيث تذهب ، ويحزن أعمق الحزن حين يكون عليها أن تتركه إلى حين ، ويعيش في الغرفة التي تعيش فيها ، ويطلب أن تمضي معه إلى سريره حتى ينام ، وأن تعانقه وأن تقبله طويلاً . وهو يتناول يدها ويداعبها ، وقد يصف ظرفها ولطفتها ونعومتها وعذوبتها . وقد ينظر نظرة حزينه شزراء حين يُظهر الأب تعلقه بوجهه

إن هذا الطفل العاطفي هو الطبع المهيأ لنشوء عقدة أوديب في نفسه

والطفل العصبي يمكن أن يعاني عقدة أوديب أيضاً، وتتجلى لديه هذه العقدة في تلك المظاهر نفسها ، إلا من ناحية أساسية ، هي أن تلك المظاهر تكون لدى العصبي دقائق سريعة قصيرة لكنها عنيفة فنحن لا نرى لدى العاطفي غير عنيفة ولا اندفاعاً قوياً ، أما العصبي فلاحظ لديه مثل ذلك . والمهم على كل حال أن عقدة أوديب إنما تتكون وتتم في هذين الطبعين . ومن المعروف أن

عقدة أوديب تظهر في صور مختلفة ، وأن التحليل هو الذى يكشف عنها في أعماق تلك الصور السلوكية المختلفة ، كاستجابات العداوة ، والرفض ، والحيرة ، والانطواء على الذات ، والعودة إلى المرحلة الطفلية ، والخاوف ( القويما ) وتبليل الفراش ، إلخ . .

والخطأ الذى يقع فيه التحليل النفسى إذن إنما هو انصراف عنايته إلى الحوادث التى يمكن أن تولد العقد ، دون الاهتمام بالطبع الذى تولد فيه الحوادث تلك العقد . والحق أن حوادث بعضها يمكن أن تولد صدمة لدى فلان من الناس الذى ينتمى إلى الطبع العصبى أو إلى الطبع العاطفى ، فى حين أنها لا تولد شيئاً من ذلك لدى فلان الآخر الذى ينتمى إلى الطبع اللماوى أو غيره من الطباع اللانفعالية أو الفعالة . ونحن نعلم أن « عصاب الحجر » مثلاً لا ينشأ إلا لدى أشخاص مهينين له بحكم طبيعتهم وقد دل التجريب على أن القروق الفردية تلعب ، حتى لدى الحيوانات ، دوراً كبيراً فى نشوء الاضطرابات العصابية . لقد درس الدكتور جاك كاين الأزمات العصبية التى تظهر لدى القران حين تزجج بأصوات غير مألوفة لا تستطيع الفرار منها فلاحظ أن القران لا تضطرب جميعها مثل هذا الصراع بحيث تتكون لديها نوبة ، فكأن هناك استعداداً فردياً سابقاً خاصاً يجعل كل واحدة منها تعبر عن صراعاتها بطريقة فردية » ( جاستون بروجيه ، « الطبع والشخصية » ، ص ٧٨ - ٧٩ )

### الوظيفة الاجتماعية

هذا عامل اسمه روبر يعامل فى مصنع صغير <sup>(١)</sup> . إنه يقوم بعمله قياماً صحيحاً سليماً ، دون إفراط فى الحماسة . وفجأة يفقد المصنع فى آن واحد عريفه والعامل المحرب الذى كان ينوب عنه عادة . إن المدير يرتبك كثيراً ، ولا يعرف إلى من يعهد بالوظيفة التى أصبحت شاغرة ثم يقرر أن يعهد بها إلى روبر

(١) مثال يضربه جاستون بروجيه لتوضيح أثر الوظيفة الاجتماعية . جاستون بروجيه ، « الطبع

مؤقتاً ، بانتظار تعيين عريف جديد . لكن روبرير ما يلبث أن يدهش الجميع بظهور مزايها ممتازة فيه : فالإنتاج يزداد ، والمصنع نظيف والآلات مصونة أحسن صيانة ، ولا وجود للمناقشات والخلافات بين روبرير وبين العمال ولا وجود للشكاوى من جهة الزبائن إن روبرير حازم على غير قسوة ، يعرف كيف يعزم أموره وكيف يضع الأشياء في مواضعها

إن روبرير هو لفاوى بلا رغبة في الاستيلاء . فحين كان عاملاً بسيطاً لم يكن يرغب في الاهتمام بشئون « لا تعنيه » . لا شك أنه كان قادراً على القيادة ، لكن فرصة القيادة لم تتح له ، ولم يكن يرغب فيها إلى الحد الذى يدفعه إلى إيجاد هذه الفرصة بنفسه أما الآن فإن ما كان ممكناً قد انتقل إلى حيز الفعل وأصبح واقعاً ، فإذا روبرير قائد حقاً ، وإذا بعمل القيادة هذا لا يصعب عليه ولا يمله أكثر من عمل العامل .

إن هذه الحالة ليست نادرة الوقوع فكم من أشخاص انكشفوا لأنفسهم أو للآخرين بظروف طارئة .

يطلق جاستون برجييه على الوظائف الاجتماعية اسم « الأوضاع الوظيفية » ويقول إننا نسمى باسم « الأوضاع الوظيفية » الأوضاع التى تضع الفرد أمام أعمال يجب عليه القيام بها وأمام تبعات يجب عليه أن يتحملها فى داخل طائفة اجتماعية . ويجب أن لا نخلط بين هذه الأوضاع التى تقتضى جواباً شخصياً وتجبر الفرد على إعادة تنظيم حياته العاطفية وعلى إعادة التأليف بين اتجاهاته ، وبين التأثيرات الاجتماعية التى سبقت الإشارة إليها والتى تصنع للفرد قناعاً هو مجموعة العادات التى حملته عليها والآراء التى غذته بها .

ولا شك أن وظيفة القائد هى الوظيفة التى درسها علماء النفس أكثر من سائر الوظائف الأخرى . وهناك وظائف كثيرة لم تدرس : كوظيفة المفاوض مثلاً ، ووظيفة المراقب ، ووظيفة المخبر إلخ .

وقد حاول جاستون برجييه أن يدرس شخصية ذلك الذى وظيفته أن يكون

« مساعد ، القائد ، فقال

متى بلغت طائفة اجتماعه ضخامة معينة ، شعر القائد بالحاجة إلى أن يكون بجانبه «مساعد» وهذا المساعد هو أولاً ذلك الذى يحمل محل القائد حيث لا يستطيع القائد أو لا يريد أن يكون . إنه ينوب هناك عنه . وهو ثانياً معاونه الذى يعاونه فى وضع خططه وقد يكون مستشاره الذى يقدم له النصيح وهو ثالثاً وأخيراً الوسيط المعتاد بينه وبين الجماعة ، ينقل إليها الأوامر ويراقب تنفيذها ، ويبلغ القائد الطريقة التى نفذت بها وهو يجمع أيضاً شكاوى المأمورين ، ويحاول أن يجيب عليها بعد أخذ رأى القائد إذا لزم الأمر . إنه فى جميع هذه الوجوه من الأعمال لا يتكلم ولا يفعل باسمه ، بل باسم شخص آخر ، وقوة هذا الشخص الآخر هى التى تعبر عن ذاتها من خلاله

من السهل أن نرى أن مثل هذا الوضع يربح بعض الطباع كثيراً : كما أنه يزعج بعضها الآخر كثيراً ، فالعاطفى الودود الذى عرف القائد أن يكسب محبته ، لا بد أن يكون أشد المساعدين إخلاصاً ، ولا بد أن يجد فى هذا الوضع كثيراً من التوازن والراحة والسعادة ، إذ لا يكون عليه أن يستلم زمام المبادرة : فهو يشعر بأنه متحرر من التبعات التى نحشاها ، وهو يكتفى بتنفيذ التعليمات التى يلقاها ويستطيع إذا أراد القائد ذلك ، أن يكون قاسياً عاتياً رغم عاطفته الخاصة . وقد لا يفعل القائد فى مثل هذه الأحوال شيئاً ، وقد لا يقرر شيئاً ، لكن مجرد وجوده كاف لأن ييث فى المساعد الخجول الخائف شعوراً مشجعاً بأنه ليس وحده ، وبأنه محاط بالقائد . ويعرف الناس عندئذ أن المساعد هو الذى يفعل كل شئ وأنه هو القائد الحقيقى . ولكن متى زال القائد فعلاً ، تغير كل شئ ، وانتقل الأمر رأساً على عقب . إذ يشعر المساعد فجأة بأنه معزول ويطيش صوابه . فالخزم الذى يتصف به ما ظل يحس بأنه ينقل أوامر القائد ، يزول فجأة ويحمل حمله الردد والوسواس . والأمثلة كثيرة على أولئك المعاوين البارزين الذين ينهارون متى أصبح عليهم أن يتولوا وحدهم توجيه دائرة كانوا يوجهونها فعلاً . وقد بلغ من دهشة علماء التحليل النفسى لهذه الظاهرة أنهم حاولوا أحياناً أن يروا فيها تعبيراً عن عقدة

الإخفاق ، أى سلوكاً مرضياً يسلكه أناس يريدون ، ولو لاشعورياً ، أن يحطموا وظيفتهم . ولا شك في وجود مثل هذه العقد ، وهى تتغذى عامة من شعور غامض بالإثم يدفع صاحبه إلى نشدان الإخفاق معاقبةً لنفسه وتكفيراً عن أئمه ولكن الأمور يمكن ، فى أكثر الأحوال ، أن تفسر تفسيراً أبسط من ذلك ، يمكن أن تفسر بالطبع فى داخل ظرف معين

ولئن كان القائد الجموح والمساعد العاطفى الودود يؤلفان فى أكثر الأحيان مجموعة ثابتة وطيدة ، فإن القائد العاطفى المنتمى إلى نموذج فينوس ، والمساعد الدموى المنتمى إلى النموذج مارس والمحب للاستيلاء ، يكونان شركة رجراجة غير ثابتة . ذلك أن مثل هذا المساعد لا يكون القائد فى نظره سناً يعتمد عليه ، بل عقبة يزعبه وجودها ، والقائد فى نظره يحتمل مكاناً بطمع فيه لنفسه ، لذلك نجد المساعد محصى على القائد أخطائه ، ويربص به الدوائر ، ويحاول أن يعجل بالحياة سقوطه لعله بذلك يشن لنفسه طريق السلطة وهو يبرر لنفسه تمرده بما يملك من كفاءات وما يملك من نشاط يمكن أن يعود على الجماعة بالخير وهكذا يصبح المساعد عدواً وهو عدو خطير لأنه يعرف مداخل الأمور ومخارجها ولأنه يعد صديقاً . والقادة يعرفون هذا الخطر ، ولا يترددون عن البطش بمساعدتهم الذين ترعجهم شعبيتهم أو يقلقهم طموحهم . حتى أن الذين يشعرون منهم شعوراً خفياً بضعفهم يحرصون على أن لا يحيطوا أنفسهم إلا بمساعدين تافهين . .

وهكذا يرى جاستون برجييه أن الطبع والوضع يتنقل كل منهما الآخر من حين إلى مكان إلى حين الفعل . فى المثال الأول الذى ضربه ( مثال العامل روبر الذى أصبح رئيساً ) كان من شأن الوضع الوظيفى أنه « أخرج » من رجل أموراً ما كان لها أن تظهر لولا الظروف . وفى التحليلات التى ساقها بصدد دراسة شخصية المساعد بيتن ، بالعكس ، كيف أن الطبع يستخرج من وضع وظيفى واحد نتائج مختلفة .



## الفصل السادس عشر

### تطبيقات علم الطباع

سنعرض فيما يلي بعض الفوائد التي نجنحها من علم الطباع ، على نحو ما فصل القول فيها رونيه لوسين في كتابه « علم الطباع » ( ص ٥٣٩ - ٥٧٩ ) ، بادئين بالفوائد النظرية

التعليل الأدبي إن تعليل أثر من الآثار الأدبية يقتضينا أن نرجع إلى عوامله التاريخية ، فندرس العصر الذي ظهر فيه ، والأشخاص الذين تأثر بهم المؤلف ، والأحداث التي شهدناها وكان لها أصداء في نفسه ، والمؤثرات التي خضع لها في بيئته ، والظروف الاجتماعية التي فعلت فعلها فيه ، إلخ إلخ ، لكن هذا كله لا يكفي ، وإلا كنا كمن يسلم بأن الفكر الذي نقول إنه أنشأ الأثر وخلق له لم يزد على أن شاهده ، وأن العقيدة قبول لا إبداع ، وأخذ لا عطاء ، وأن العلاقة بين الخالق والمخلوق ليست إلا كالعلاقة بين المرأة وصور المرأة التي تنعكس في المرأة ، وأن المؤلف لو خضع لمؤثرات أخرى ، لأملت عليه هذه المؤثرات آثاراً غير التي أنشأها بل لأملت عليه آثاراً تعارض تلك التي أبدعها وفي هذا كله ما فيه من تهاوت في الرأي فإن هناك شروطاً في ذات المؤلف تضاف إلى الشروط الخارجية التي أحاطت به ، وإن هناك حرية المؤلف أيضاً وجهت الظروف الخارجية والظروف الداخلية معاً إلى مثل أعلى يصبو إليه المؤلف ويتضح له كلما غد الخطى في السعي إلى تحقيقه . هذا ما يذهب إليه لوسين .

هل كان في وسع باسكال أن يكتب كتاب كاندديد ؟ وهل كان يمكن أن يدافع كنت عن أخلاق اللذة ؟ مستحيل . ذلك أن في كل إنسان جملة من الشروط الولادية الدائمة ، تعين عمله وأذواقه ومساعيه . . . فهو قيل أن يبلغ

أصالته المكسبة ، قد مهرت الطبيعة منذ ولادته بأصالة في صلب تكوينه . هل لو عاش لامارتين في عصر آخر ، وتكلم لغة أخرى ، وتأثر بمجتمع آخر ، لكان غير لامارتين ؟ قد ينظم يومئذ غير ما نظم من أشعار ، وقد يختار عندئذ غير ما اختار لقصائده من موضوعات ، وقد يظهر على نحو آخر تأثير الماضي والظرف التاريخي اللذين حددا تفتح عبقرته الشعرية لكنه كان سيجد في نفسه عين ما وجده فيها من عناصر الخلود والأصالة التي كونت عبقرته ، وصغت آثاره بلونها الخاص

ولئن لم يستطع بيرون أن يكتب « نقد العقل المحض » ولئن لم يستطع كنت أن يكتب دون جوان أو تشايد هارولد ، فما لا شك فيه أن ذلك يرجع إلى أن في كل من الرجلين جملةً من الاستعدادات الدائمة تسمى أو أوتهما لأن ينقد المعرفة ، وتسمى الثاني لأن يقول الشعر . ولما كانت هذه الاستعدادات هي الطبع ، فعلى علم الطباع إنما يقع عبء تعليل الآثار الفكرية التي خلفها الكاتب فالطبع يشير إلى ما سبق تدخل الحرية ، يشير إلى الشروط التي بدونها لا يكون ثمة ما يدعوا الحرية إلى السير في هذا الاتجاه دون ذلك ، وإلى عمل هذا الشيء دون غيره من الأعمال لقد كان بيرون عصبياً متعالياً . انه انفعالي مسرف في الانفعالية ، هتت نفسه اهتزازاً قوياً لجمع ما يلامس أوتارها . وما من ترجيع بعيد يلجم الاستجابة . وهو إلى ذلك يملك مؤهلات خيالية وعقلية . فكان لا بد للانفعال الذي ثار في نفسه أن يتلور في صنف كلامية هي هذه الأشعار . ثم إن هؤلاء العصبيين يمتازون بقلب العواطف ، وتعاقب الشاعر ، كأن لكل عاطفة جديدة تخامرهم قوة خاصة تطرد العاطفة التي سبقها لذلك يهز الشاعر في قارته انفعالات متعارضة كالتى اهتت في نفسه . إن الرومانسية في طبعه . وكان بايرون إلى ذلك محباً للظهور ، مزهواً بما يتحدث أثر ، وكان يشكو من آفة فيه تشعره بالتخلف ، فكان لذلك كله لا يهتر فحسب ، بل يجب أن يهتر إلى أبعد الحدود ، وهذا هو يمضي إلى الأمكنة والأحداث التي تدهل الناس ، ويريد أن يتجم حياة الشاعر بميته بظل .

ولنتظر بعد ذلك في كنت ، نقيض بيرون في الصيغة الطباعية إنه قليل الانفعالية إلى أبعد الحدود، وإنه قوى الرجوع البعيد إلى أقصى الدرجات، وإنه يملك قدرة جارية على التحليل. حياته معدة للنظام، فلا العواطف القوية، ولا الرغبات الجنسية، ولا المطامع الاجتماعية، لا شيء من ذلك يهز حياته فلا بد أن يقف حياته على التكبير. ولكن هذا التكبير الذي أوتى الطهارة العقلية إن صح التعبير، لا بد أن يعنى بمكافحة كل ما حُرِّم منه صاحبه، وفي طبيعة ذلك شدة الحياة العاطفية التي تدفع صاحبها إما للانخراط في «حياة الأرض»، وإما للابتعاد باللائهاة و«الارتقاء عن الأرض»، وهذه حياة غير معقولة في نظر كنت. فها هو ذا يربط الدين بالأخلاق، ويقضى على الميتافيزيقا، ويحد من المعرفة. وها هو ذا لا يبتغي من الأخلاق إلا الجوهر الخرد، والشكل المحض، ويستقص من قمة الاندفاعات العاطفية، بل ومن قيمة أكرم حركات القلب

هكذا يفسر أدب بيرون وتفسر فلسفة كنت على ضوء ما يحمل كل مهما من طبع. وهو تفسير إجمالي لم ينفذ إلى التفاصيل، ولا ألم بمختلف الجوانب. إلا أنه بداية أولى.

ولا ينكر لوسين أن هناك شعراء أثروا في بيرون تأثيراً كبيراً، وأن قراءة هيوم قد فعلت فعلها في كنت. فهو لا ينكر أن يكون للبيئة أى تأثير، وإلا كان يقع في خطأ يشبه الخطأ الذي يقع فيه أصحاب التربة الموضوعية ولا سيما الاجتماعيون، إذ يذيون الفرد في الظروف الاجتماعية التي لا بدت نشأته وحياته. لكنه يقول لا بد أن يكون هنالك شيء آخر غير البيئة، هو الذي جعل كنت وبيرون من بين جميع الناس الذين قرأوا ما قرأه، وتأثروا بما تأثروا به، يجعلان هذا التأثير على نحو ما أحلاه بل يذهب لوسين إلى أبعد من ذلك فيساءل ألا تفسر هذه القراءات نفسها بأن صاحبها قد تخيرها تخيراً وأثرها من تلقاء نفسه وفقاً لطبعه. إن المرء يسعى إلى ما يجب. وإنه لشاعر أو فيلسوف من قبل أن يعرف أنه كذلك. وما نقلده في الآخرين هو ما نفهمه، والصدقة ملاقة بقدر ما هي موثاة.

التعليل التاريخي : وما يصدق على الآثار المكتوبة يصدق أيضاً على الأعمال ، عسكرية كانت أو سياسية أو دينية أو غير ذلك وهكذا ينبغي أن يعتمد التعليل التاريخي على علم الطباع أساساً وطيداً ، ولا نقول وحيداً الصحة النفسية : كل طبع مهدد في كل لحظة من لحظات تطوره ، بحادث يصيبه أو تدهور بطراً عليه وأخطر هذه الأحوال أن يصاب الفرد بمرض عقلي يقول الاستقصاء الاحصائي أن ٢٥,٦ ٪ من الانفعاليين و ٩ ٪ من غير الانفعاليين معرضون لذلك لكن عالم الأمراض النفسية ليس هو الميدان الوحيد الذي نلاحظ فيه تدهور طبع من الطباع . فإن مصير عدد كبير من الناس ينتهي بهم إلى هوى ردىء كالبخل ، أو يؤدي إلى جريمة يتعمى بعض عواملها إلى الطبع ( وقد أخطأ لومبروزو إذ زعم أن جميع عواملها كذلك ) ، أو يفضى إلى ثورات اجتماعية ، كما يدل على ذلك مثال مارا وهتلر . وإذا تركنا هذه الحالات الخطرة ومضينا إلى الحالات البسيطة ، استطعنا أن نقول ما من إنسان لا يفرض عليه طبعه سيئة من السيئات النفسية تؤذيه أو تؤذي غيره أى إنسان لم يشعر أثناء حياته أن في سلوكه ، ما ظهر منه وما خفى ، عيباً ينبغي له أن يتخلص منه ؟ وليست مراقبة الذات قاعدة أخلاقية فحسب ، وإنما هي واجب صحي قبل كل شيء . وأى شيء غير معرفة الإنسان بالطباع يمكن أن يفيد هذه المراقبة ، وأن يمددها بالوسائل العقلية للتعبير عن نفسها لنفسها ، وأن يتيح لها الوصول إلى غايتها بتبيان السبيل إلى البرء من العلة ؟

إن لتوجيه الإنسان نفسه وجهين فهذا التوجيه ينبغي له أن يبرىء من الشر ، وأن يؤدي إلى الخير . ونحن في هذه الفقرة نتحدث عن الوجه الأول ، مرجحين الحديث عن الوجه الثاني إلى الفقرة التالية .

هذا مثال إن العاطفي ؛ لاسيما إذا كان انفعالياً جداً ، وغيرياً ، مهياً للوسواس : ذلك أن جميع خصائص طبيعته ، كالانطوائية ، والميل إلى العواطف الأخلاقية ، والاجترار النفسى ، جميع هذه الخصائص إذ تغذيها الانفعالية القوية التي تجعل الأمور اليسيرة موضوع تأمل دائم ، تلتقي عند استعداد صاحبها

لصنع الوسواس بصدد أيسر الأعمال شأناً وأهوها خطراً إن الملاجىء لتفحص بالعاطفين الذين تنفضى حياتهم في اجترار أخلاقى أليم عقيم لما نذّ عنهم من هفوات يسيرة

ولئن كان الوسواس يمدح حين يدل على رهاقة الضمير الذى يحرص على أن لا يسىء إلى أحد ، وعلى أن لا يخل بواجب ، وعلى أن لا يخون مثلاً أعلى في كمال النفس ، فإن الوسواس يغدو مذموماً ، ويستحيل إلى كاريكاتور ذاته ، حين يستحيل اضطراباً فما يعرف صاحبه كيف يفرق بين ما يستحق أن ينصب عليه التفكير الأخلاقى وبين ما لا يستحق ذلك . ولا شىء أيسر من أن يتزلق العاطفى من الوسواس المرهف إلى الوسواس المريض . فكيف يحول العاطفى دون مثل هذا الانزلاق ؟ ان أول شرط لذلك هو أن ينظر إلى ذاته ، تلك النظرة الواعية التى يمدد بها علم الطباع ، فيعرف أن سبب ما يقوم به من أعمال وما يشعر به من عواطف وما يعانیه من أزمات ليس هو تلك الأعذار التى يتحلها ، والحجج التى يصطنعها وإنما هو مجموعة من العوامل الطبيعية التى تعين سلوكه وتسيطر على مشاعره ، وأن هذا الوسواس الذى يستبد به ، وكان هو حتى ذلك الحين يقده ويحله كاتباً ما يؤدي إليه من سخافات في الفكر والسلوك ، ليس إلا نتيجة من نتائج الطبع العاطفى ، ولا شأن له بالأخلاق ، وليس له أية قيمة أخلاقية فعندئذ يستطيع العاطفى أن يطمئن وسواسه ، وأن يخفف من غلوائه . ومثل هذا يصدق على أنواع أخرى من السلوك ، كالحجل ، والإذعان المسبق ، والتردد ، وغير ذلك من الآفات التى ترتبط باللافعالية ، فتي أدرك العاطفى سبب هذه الآفات حاول أن يرسم لنفسه سياسة سلوكية ، تمكنه من الانتفاع بمحسّنات طبعه ، كالتفكير في الذات مثلاً ، وتمكنه من تحاشي سيئاته أو تخفيف حدتها ، كالحرقاة العملية أو كالزهد في الموضوعية ، وما إلى ذلك .

والفرق بين علم الطباع وعلم الأمراض النفسية فيما يتعلق بإصلاح آفات الطبع أن علم الأمراض النفسية لا يتدخل إلا حين ينشأ المرض ويترسخ ، في

حين أن علم الطباع الذى يرد آفات الطبع إلى مقوماته يستطيع أن يتبأ بها قبل حصولها ، فيعمل ما من شأنه تحاشي وقوعها . ان كتاب آندره لوجال « علم طباع الأطفال والمراهقين » يعدنا بالطرائق التى يجب اتباعها فى تربية الأطفال الذين ينتمون إلى مختلف النماذج ، نستخرج من نفوسهم خير ما فيها ، ولنحول دون النتائج السيئة التى تنجم عن الطبع ، ولنحيط كل فرد من الأفراد بالظروف التى تمنع من ترديده فى الأمراض النفسية .

اكتشاف الرسالة ليس يكفى الإنسان أن يحمى نفسه من الآفات ، كالبخل أو الكسل أو حب المقامرة أو تعاطي المخدرات ، فما هذا كله إلا الشروط السلبية لتفتحه الروحى . وإنما ينبغى له أن يعى ما خلقت له ، أى أن يعى المصير الخاص الذى يتفق وطبيعته الأصلية ، ويتيح له بلوغ القيمة التى يُسر لها وهذه هى الرسالة . والإنسان لا يعرف رسالته إلا بالتجربة الشخصية ولا يدرك المصير الذى خلق له إلا من خلال ما يشعر به من فرح وهو يحققه ولا شيء يمكن أن يحل محل هذه التجربة الشخصية . ولكن ليس معنى هذا أن تكون التجربة عفوية بسيطة لا يداخلها التفكير ولا تسهدى العقل . ولما كانت المطابقة بين السلوك والظرف أهم الوجوه الأساسية التى يتجلى بها الذكاء كانت معرفة الطبع أولى الوسائل العقلية التى يستطيع بها الإنسان اكتشاف رسالته .

وإذا نظرنا إلى الرسالة فى مجرى الحياة التى تحاول أن تحققها ، رأينا أنها « تسوية بين ما يتيح الطبع لإنسان أن يصبح ، وبين ما تجعله القيمة يشعر به ويعجب به ويشتهي منها » (لوسين « علم الطباع » ، ص ٥٥٥) ومن تعارض هذين الحدين الأقصىين اللذين يجب تحقيق أوسع تطابق بينهما ، ينشأ شكلا من أشكال الإخفاق فى تحقيق القيمة

أولهما أن يفتن المرء ، بلهله بطبعه ، بقم لا يتيح له طبعه أن يصل إليها ، والثانى أن يستسلم المرء ، بسبب ضعف أخلاقى ، إما للطبع ، وإما لعبودية المجتمع ، وإما لمجرى الأحداث المتقلب ، وهو فى هذه الحالات كلها يستسلم للجبرية ، بدلا من أن يخضع الجبرية ويستفيد منها . فالإنسان إذن يمكن أن

بخطيء رسالته إما لأنه يريد أن يعمل ما لا يستطيعه ، وإما لأنه لا يريد ما يستطيعه .

والشكل الأول من أشكال هذا الإخفاق هو الذى يعيننا هنا . إن كثيراً من الناس يخطئون حياتهم أو ، فى أقل تقدير : لا يعطون كل ما كانوا يستطيعون هم وغيرهم أن يأخذوا منها ، لأنهم تاهوا بين اتجاهات لا تناسب طبيعتهم العميقة . فلا أنتجوا الآثار التى تتيح لهم قواهم أن يتجوها ، ولا حصلوا من الحياة على ذلك الرضى العميق ، على ذلك الفرح المتجدد الذى لا يمكن أن يحصل عليه الإنسان إلا من التوافق الكامل بين ما يسر له وما ينجح فيه ونحن لا نستطيع أن نحقق هذا التوافق إلا إذا عرف كل منا طبعه معرفة عميقة

إن كل طبع يشتمل على ألوان من القدرة وضروب من العجز . ويجب على الإنسان . إذا أراد ألا يضل فى سلسلة من المحاولات العمياء ، أن يعرف وهو يتمرق بين ما هو وما ليس هو بعد ، أن يعرف ما هى ضروب القوة وما هى ضروب العجز التى من التقاها ومن الصراع بينها تتعين مشكلة مصيره . يجب عليه أن يعرف ذلك معرفة دقيقة عميقة ، وكلما كانت معرفته به أدق وأعمق ، كان أقدر على تحاشي الوقت الضائع المهذور ، والمحاولات التى لا بد أن تجهض والأوهام التى ما تلبث أن تخبى الظن والمغريات الباطلة والأعمال التى يقبل عليها بغير حجب . وكان أقدر على إيجاد الأهداف التى يشبها ويحبها ، والأعمال التى يحسن تصورها ويحسن تنفيذها ، وهذه هى ابتسامة الحظ . إن على علم الطباع المرفه الدقيق العميق أن يكون نعم العون الداخلى الذى به يستطيع إنسان أن يعرف ما ينبغى له فى هذا العالم ، وأن يجد فى تحقيق الأعمال التى خلق لها السعادة الصميمة التى لا تأتى مما تلقاه بل مما نعمله .

هل تريد أمثلة على هذه الإشارات ؟ إن كثيراً من كتاب « اليوميات الشخصية » ، وعلى رأسهم آميل ، قد بدأوا بالشكوى من عجزهم كانوا يريدون أن يكتبوا شيئاً آخر ، كانوا يريدون أن يكتبوا روايات وأن يكتبوا

فلسفة ثم اكتشفوا أخيراً أنه ما من رواية أملأ بالحياة من اعتراف نفس من النفوس بما يترقق في مسارها من مشاعر ، وأنه ما من شيء أحفل بالفلسفة من تحليل الذات ذاتها لماذا لم يكتشفوا ذلك فوراً ؟ لقد كان في وسع علم الطباع أن يبصر هؤلاء العاطفين برسالتهم

أما بعد ، فليس هناك إنسان بلا رسالة وبلا رغبة عميقة في تحقيق قيمة

لكن معظم الناس يظنون خلال شطر كبير من حياتهم بطوفون تأهين لا يعرفون على وجه اليقين ما ينبغي لهم أن ينشدوا من أهداف ، لأنهم يجهلون أن المعرفة الأولى التي يجب أن يحصلها الإنسان من أجل تعيين حياته إنما هي معرفته الصادقة الواضحة بطبعه

التوجيه الروحي وما يصدق على توجيه الإنسان لنفسه يصدق على توجيهه

لغيره . يجب على من ينزل نفسه منزلة الموجه أن يعرف طباع الذين يوجههم ، وأن يساعدهم على أن يعرفوها بأنفسهم ، فيختاروا من القيم ما يلائمها

أى جدوى من توجيه أحد الناس إلى قيمة لا يستطيع أن يدرك جمالها ، ولا أن يواظب على خدمتها ؟ إن التوجيه الروحي يشتمل على مشولية خطيرة

فإذا توليت بحكم السن أو بحكم المركز تعيين مصير فرد من الأفراد ، كان في وسعك أن تسيء إلى هذا الفرد أكبر إساءة ، وكان في إمكانك أن تحسن إليه

إليه أكبر إحسان . تسيء إليه إذا أنت وجهته إلى ما لا يتفق مع طبعه ، وتحسن إليه إذا وجهته إلى ما يلائم طبعه . إن علم الطباع يستطيع أن يضيء لنا الطريق

في جميع القرارات التي نتخذها لاختيار مهنة أو الاقدام على زواج ، أو الانخراط في حزب . لننظر مثلاً في مسألة اختيار المهنة . إننا لا نستطيع أن

نختار مهنة دون أن نرجع في ذلك إلى أنفسنا . يجب أن يتساءل أحدنا هل خلقني لهذه المهنة ، ويجب إذن أن ينظر في الخصائص التي تكون طبعه وتؤهله لأن يجد

السعادة في هذا أو ذاك من الأعمال .، ويجب عليه أيضاً أن ينظر في القابليات التي تتيح له حسن القيام بهذا العمل الذي أحسن بميل إليه . ذلك أن الميل إلى

العمل لا يكفي للنجاح فيه ، والإرادة لا تغني عن الاستعداد . ولكن ليس معنى



هذا أن القابلية وحدها تكفى ، وهذا هو الخطأ الذى يرتكبه الاصطفاء المهين  
الاصطفاء المهين والاصطفاء الشخصى : إن الاصطفاء المهين يكتفى بتطبيق  
 الاختبارات ، لأن غايته هى أن يكشف عن قابلية فرد من الأفراد لعمل من  
 الأعمال ولا كذلك ما يدعوه لوسين بالاصطفاء الشخصى فالاصطفاء  
 الشخصى يتميز عن الاصطفاء المهين بتميز مجموع الشخص عن مهنته .

إن الاصطفاء المهين ينظر فى جزء من الشخص لا فى مجموع الشخص  
 وهو ينظر فى سطحه لا فى أعماقه ، إن صح التعبير . إن كل من يملك عضلات  
 قوية يمكن أن يهض ببعض الأعمال التى تقتضى قوة العضلات ولئن لم يكن  
 من المؤكد أن هوضه بهذه الأعمال يسره ، فإنه قادر على النهوض بها على كل  
 حال ، وما من عمل يقدر عليه الإنسان إلا ويجد فى القيام به شيئاً من لذة  
 لكنك حين لا تحكم على إنسان من الناس إلا من ناحية اصطفائه لمهنة ، إنما  
 تستخف بما هو أهم شيء فيه ، فى نظره وفى نظر من يجوبونه ، أعنى تفتح روحه  
 وما هو قوام كرامته أى ما هو هو حتى إذا عنيت بهذا انتقلت من النظرة  
 الاقتصادية التى يشتمل عليها الاصطفاء المهين إلى النظرة الروحية التى يشتمل  
 عليها الاصطفاء الشخصى فالاصطفاء الشخصى لا ينظر إلى جزء من الفرد ،  
 ولا ينظر إلى سطح الفرد ، وإنما ينظر إلى كله وإلى أعماقه ، ويعنيه أن يرضى  
 الذات بمساعدتها على إدراك ذلك الطراز من الحياة ، الذى يصنع لها قيمتها  
 وسعادتها فى آن واحد .

يتبين من هذا التحليل السريع أن الاصطفاء المهين يمضى فى فحص  
 الشخص من الخارج إلى الداخل ، من القابليات السطحية إلى الاستعدادات  
 العميقة من ظاهر الذات إلى داخل الطبع فى حين أن نقطة البداية فى  
 الاصطفاء الشخصى إنما هى الطبع

فالاصطفاء الشخصى يهتم بالذات نفسها ، من حيث هى كل ، من حيث  
 هى وحدة ، من حيث هى توازن : لا يهتم بهذه الخاصة أو تلك مما يملكه الفرد ،  
 بل بمجموعة الخصائص المقيمة التى بالتقائها واجتماعها يخصص بعضها بعضاً

وعلى هذا فإن عالم الطباع يجب أن يكون له الغلبة على الموجه المهني متى أردنا ألا نوزع ألوف العمال على مئات من المهن كيفما اتفق ، ووتى كان علينا أن نتأدى بكل فرد من الأفراد إلى معرفة العمل الذى إذا قام به حقق ميوله الرئيسية وحقق أرفع مصير له

ولما كانت حياة كل منا توفيقاً بين الظروف والقيمة ، بين الطبيعة والرسالة ، بين ما يستطيعه وما يريد ، فلا بد أن يكون تعيين المصائر الإنسانية مزيجاً من اصطفااء مهى نستعمل فيه الاختبارات والامتحانات ، واصطفااء شخصى يساعده علم الطباع والتأمل فى القيم . ولكن مما لا شك فيه أن الجانب الثانى هو الذى يتفق مع المثل الأعلى ، وأن روحانية حضارة من الحضارات إنما تقدر بدرجة ما ترتضيه من اصطفااء شخصى .

التربية لعلم الطباع فى التربية فائدة كبيرة ذلك أن المعلم فى مؤسسات التعليم على اختلاف درجاتها يربى تلاميذ تختلف طباعهم ، ولا بد له من معرفة طباع هؤلاء التلاميذ حتى يستطيع أن يتصرف تصرفاً يلائمهم جميعاً على قدر الإمكان ، وإن لم يلائم أى واحد منهم على وجه الدقة . وتتضح فائدة علم الطباع أكثر من ذلك أيضاً حين يكون على المعلم أن يهتم بالتلاميذ أفراداً لا فصلاً برمه . إن من أخطر صعوبات التعليم والتربية أن النصائح التى تزجى إلى جمهور من المستمعين يتبعها أشخاص قد لا يكونون فى حاجة إليها وقد يكونون قادرين على إزجائها هم أنفسهم ، فإذا هم يوغلون فى اتجاه ربما كان من المفيد أن يصدوا عنه بعض الصد ، وأن هذه النصائح ، من جهة أخرى ، تبقى كلاماً ميتاً بالنسبة إلى آخرين هم أخرج الناس إلى الانتفاع بها ، ولكنها لا تؤثر فيهم لأنهم ليسوا مهيبين لإدراك قيمتها . إنك إذا طلبت إلى خجول أن يقلع عن الخجل ، فإن ذلك يزيد خجلاً . وإذا أثبتت على القوة أمام فعال ، فقد يؤدي به ذلك إلى العنف . وإذا مجلت العقل للمفاوض ، فإن ذلك يزيد احتقاراً للذاتية وللعاطفة . فلا بد للمعلم إذن من أن يلم بتنوع الطباع ، وأن يعمد فى معاملة كل تلميذ من تلاميذه إلى المناهج والطرق المناسبة .

ولئن كان « تفريد » التعليم الذى راجت الدعوة إليه فى أيامنا هذه صعباً ، لكثرة تكاليفه ، بل وضاراً أيضاً من بعض الوجوه لأن التلميذ يجب أن يتصل بما هو مغاير لفرديته ويجب أن يصطرح مع ما هو مغاير لفرديته ، ولأن التربية ليست مسابرة للطبع وإنما هى توفيق بين الطبع والمثل الأعلى ، فإن هذا كله لا يضير تلك الحقيقة الهامة ، أعنى أن المعلم لا يستطيع أن يصرف النظر عن معرفة فردية كل تلميذ ، لأن هذه الفردية هى المادة التى يجب أن يصوغها وفقاً للمثل الأعلى. وإن علم الطبايع الذى يحاول أن يعرف الفردية هو الذى بمدنا بالعبء اللازم لتحقيق الغرض الحقيقى من التربية فأول خدمة يقدمها علم الطبايع للمعلم هو أنه يمده بالمعلومات اللازمة لفهم التلميذ . فإذا لم يكن المعلم مسلحاً تسليحاً كافياً بمعرفة الطبايع كان يمكن أن يخطئ فى فهم كل مظهر من مظاهر شخصية الطفل الناشئة ، من أفعال أو حركات أو كلام . أما إذا كان مسلماً بعلم الطبايع كان قادراً على ذلك الفهم الصحيح . فإذا عرف مثلاً أن فلاناً من تلاميذه عصبى وكذاب ، بحث عن سبب هذه أو تلك من أكاذيبه فى تأثير اللحظة الحاضرة ، وفى عنف انفعالاته المتعاقبة وإذا بدا له فلان من تلاميذه غير حساس ، فقد يكون مرد ذلك إلى أنه ينتظر منه انفعالات لا تتيحها له برودته ، أو تفترض ميولاً أخرى غير الميول التى يحرضها طبعه إلخ . وهكذا ، بمعرفة الطفل معرفة ما تنفك تزداد وما تنفك تغتنى ، تنشأ بين المعلم والطفل ألفة صداقية ، وتزداد قدرة المعلم على إدراك الاهتمامات التى تجيش فى نفس التلميذ أو الاهتمامات التى يمكن بثها فيه ، وعلى معرفة الوسائل التى بها يكون تأثيره فيه ناجعاً ، وعلى معرفة الاهداف التى يجب توجيهه إليها .

علم الجرائم يستطيع علم الجرائم أن يستمد من علم الطبايع فائدتين الأولى هى معرفة العلاقة بين نموذج طباعى معين ، ونوع من الجرائم معين إن كل جريمة إنما هى علاقة بين ظرف انتزعها من المحرم ، وبين استعدادات فى المحرم تبيته للاستجابة لذلك الظرف بتلك الجريمة : إن الإنسان يسرق لأن به حاجة إلى المال ، ولأنه كسول أو شره . وهذان الحدان أحدهما دائم يبق ما بقى

المجرم نفسه ، وهو الطبع . وإذا كان الطبع لا يحدد الجريمة تحديداً قاطعاً تاماً ، كما يذهب إلى ذلك أنصار نظرية « المولود مجرمًا » فما لا شك فيه أنه يسهم في تحديد الجريمة . ويترتب على ذلك أن كثيراً من الجرائم ، ولا نقول جميع الجرائم ، تعبر عن طبع مقترفها ، وأن الاستعداد لنوع من الجرائم يولد مع الإنسان ، شأنه في ذلك شأن الاستعداد للوسواس أو البخل . وهذا ما نتحقق منه بالتجربة فعلاً . وهنا يستفيد علم الطباع من علم الجرائم ، إذ يستمد منه مزيداً من المعلومات التي يتحقق بها من صدق نظرانه . ولكن علم الجرائم يستفيد هنا من علم الطباع أيضاً ، فإذا عرف عالم الجرائم طبيعة الشخص الذي تورط في هذه الجريمة أو تلك ، كان أقدر على القطع برأى في أسباب هذه الجريمة ، وفي الطريقة التي يجب أن يعامل بها المجرم بل إننا نستطيع ، في حدود قدرتنا على التنبؤ باستعداد طبع من الطباع لارتكاب نوع من أنواع الجرائم ، نستطيع أن نحول دون ارتكاب الجريمة ، ولو بمجرد تنبيه الشخص إلى أن عليه ألا يكون عبد استعداد في طبعه .

إننا إذا لم نعتبر الإنسان واحداً في جميع أفراد الناس ، لم نحشر المجرمين في زمرة واحدة ولا عاملناهم معاملة واحدة؛ ولعلنا نستطيع ، في بعض الأحوال على الأقل ، أن نحول دون تكرار بعض الجرائم، إن لم نستطع أن نحول دون وقوعها تلك هي الفائدة الأولى التي يجنيها علم الجرائم من علم الطباع ، وهي أن عالم الطباع يستطيع أن يبصر عالم الجرائم بتنوع الجرائم وتنوع أصولها وأما الفائدة الثانية فهي أن علم الطباع يستطيع أن يمد عالم الجرائم بالوسائل التي يمكن بها التأثير في المجرم تأثيراً ناجعاً مفيداً ، فالمجرم يمكن إصلاحه وخطأ ما قاله شوبنهاور من « أن من سرق يوماً ، سيطل يسرق أبداً » لقد تاب كثير من اللصوص إن الطبع ليس كل الشخصية ولئن كان من المهم أن نعرف الاستعدادات التي تهيء للسرق ، فإن في وسعنا أن نحاول إصلاح السارق ، وليس يكفي أن ندعى أن السارق يمكن إصلاحه ، وإنما ينبغي أن نتسلح بالوسائل التي تمكنتنا من إصلاحه . ولكي نملك هذه الوسائل يجب أن نعرفها ،

وهذه المعرفة لا يمكن أن تخرج إلا من تحليل الطباع  
علم تفاعل الطباع من بين نتائج الطبع سلوك الفرد تجاه الآخرين ،  
والاستجابة التي يولدها فيهم سلوكه هذا . ودراسة العلاقة بين فرد وبين الآخرين  
هى من اختصاص علم تفاعل الطباع الذى هو فصل من علم الطباع . ويمكن  
أن نجمع اتجاهات بحوث هذا العلم حول السؤال التالى إذا اتصل شخصان  
ينتمى كل منهما إلى طبع معين ، إذا اتصل هذان الشخصان بعلاقة مباشرة ،  
فما هى الأشكال التي تتخذها هذه العلاقة بتأثير طبيعتهما ، بصرف النظر عن  
جميع التأثيرات الآتية من الخارج ، مادية كانت هذه التأثيرات أم اجتماعية ؟  
إن المفاوضين يرون فى فعالية الفعاليين الانفعاليين شيئاً من « التمثيل  
المسرحى » والدموى يهزأ بالعاطفى ويسخر من حاجته إلى العودة إلى الطبيعة  
ويأخذ عليه فقدانه للحس العملى ، والمعاطفى من جهته يأخذ على الدموى أنه  
امرؤ ساخر « كلبي » ، وأنه لا يفهم الحاجات العاطفية . والجنسان يتجادبان أو  
يتنافران بوجوده من التماثل توحد بينهما أو بوجوده من التكامل تجعل أحدهما يتم  
الآخر .

ولنتظر فى الزواج ، هيكल الحياة الاجتماعية ، لئرى كيف أن دراسته فصل  
من فصول علم تفاعل الطباع

إن الزواج لا يمكن أن يجمع بين شخصين ، وأن يكون المبدأ الذى تدور  
عليه علاقتهما الثابتة ، وأن يكون الظرف الذى يحيط علاقتهما بأشخاص  
آخرين هم الآباء والأبناء والأصدقاء ، دون أن يكون طبع الزوجين وأولادهما  
وجميع الذين يمتون إليهما بصلة من الصلات عاملاً فى مجرى حياتهم وما يطرأ  
عليها من تقلبات فالزواج إذن حالة من الحالات التي يجب أن يدرسها  
علم الطباع وهناك من طرز الزواج الممكنة بقدر ما هنالك من أزواج من  
الطباع يمكن تصورهما ، أو على الأقل بقدر ما هنالك من أزواج من الطباع  
تتيح للزواج أن يتم وأن يستمر «العقل» وزواج الحب ، والحب

الصاعق ، كل هذا خليق بأن يدرسه علم تفاعل الطباع يجب أن يدرس الزواج دراسة طباعية ، وأن تدرس الصداقة كذلك دراسة طباعية إن جميع طرز الاتحاد بين الأفراد لا بد أن تشمل على علاقة بين وجوه من التماثل ووجوه من التكامل فلو كان الشخص الآخر يستجيب لكل أمر من الأمور استجابة مناقضة لاستجابتنا نحن له فكيف نستطيع أن نتعاطف معه ، وأن نوفق بين أفعالنا وأفعاله ، وأن نجذب شيئاً مما يرى من رأى أو يفعل من فعل؟ ولكن في الوقت نفسه . هل يمكن أن يخرج من التماثل المطلق أو من الوحدة المطلقة بين روحيين إلا تفاعلاً باردة ، هي تفاعلة العادات المشتركة التي تصيف الشخصين أحدهما إلى الآخر : دون أن توحدهما ؛ والتي يمكن أن تصنع جيراناً ، ولكن لا يمكن أن تصنع أصدقاء أو أصدقاء؟ إن الحب هو شقاء تارة ، وحاجة إلى الأخذ تارة ، وحاجة إلى العطاء تارة أخرى . هو مزاج من رحمة تدفع إلى المساعدة ، وإعجاب يحمل على الخضوع ، وهذا كله يقتضى أن يكون بين الزوجين شيء من اختلاف بل شيء من تعارض ولكن التعارض يولد الحروب إذا لم يستطع المتعارضان أن يدخل أحدهما في الآخر ، وإذا لم يستطع الواحد أن يجد في الآخر نقصاً ليعطيه ، وفيضا ليأخذ منه ، فلا بد أن يكون التعارض بين الزوجين سيلاً إلى تكامل ، فإذا كل مهما يتم الآخر

إن دراسة أسرة من الأسر على ضوء علم تفاعل الطباع تشمل على تحليل للأفعال التي بها يتوحد طبعان أو يتكاملان ، ومن شأن هذا أن يمكننا من معرفة الأسباب التي تجعل التماثل أو التعارض ينتهيان إلى شر أو إلى خير فيساهمان في مائة الزواج وسعادته ، أو يساهمان في إحباطه وتهديمه .

علم الطباع السياسي هناك نظريتان في تحليل الخصائص التي تميز بها الشعوب بعضها عن بعض : النظرية العنصرية التي ترجع هذه الخصائص كلها إلى عوامل بيولوجية ، ونظرية مثالية تنكر أن يكون للعوامل العضوية أى تأثير إن لويسين يرد على هاتين النظريتين كليهما . أما النظرية العنصرية فهي ، في رأيه ، تغفل تلك الروحية التي تتيح لأى فرد من الأفراد أن يعلو على

طبيعته وأن يتفوق على شروطه العضوية بالقوة الملهمة التي يبثها فيه تعلقه بقيمة عليا وأما النظرية الأخرى فهي ، في نظره ، تحبب الإنسان عقلاً وإرادة فحسب ، وتغفل عن العامل العضوي الذي هو طبعه .

وواضح أن لوسين ميال إلى قبول الفكرة الأساسية التي تقوم عليها النظرية العنصرية ، لكنه يحل محل فكرة العنصر أو العرق فكرة أخرى هي النسبة المئوية لمختلف الطباع التي تكوّن كل شعب من الشعوب فالشعوب يختلف بعضها عن بعض بهذه النسب المئوية ، وعلى حسب اختلاف هذه النسب المئوية من شعب إلى شعب ، يكون اختلاف الفرد الوسطي الذي يمثل هذا الشعب والذي يمكن أن يرمز إلى هذا الشعب كأنه نموذج .

إن هذه الفكرة شبيهة بفكرة العنصر أو العرق ، لكنها تختلف عنها بالأمر

التالية

١ - حين تفرض النظرية العنصرية أن شعباً من الشعوب يسمى إلى عنصر مؤكداً ، فإنها تفترض التجانس بين جميع أفراد هذا الشعب . أما فكرة النسبة الطباعية فهي تفترض التنوع ، بل تفترض أن هذا التنوع قد يبلغ من الكبر حد استبعاد أن يكون بين أفراد الشعب شخصان اثنان متماثلان كل التماثل . إن الممثل النموذجي لجماعة إنسانية ليس إلا وسطياً قد لا يقابله أي فرد من أفراد هذه الجماعة .

٢ - في النظرية العنصرية أن العرق محدد الخصائص إلى الأبد ، فإذا اختلط بغيره ذهب فضائله يذهب نقائه وصفاته أما فكرة النسبة الطباعية فترى أن الهجرات ، وتزاوج أفراد شعب من الشعوب مع شعب آخر ، والغزوات والفتوحات لا تزيد على أن تبدل النسبة الطباعية في تكوين الشعب كما أن رهبانية الرهبان ( امتناع الرهبان عن الزواج ) والحروب ، ونقصان المولودية ، وبعض أشكال الوفيات ، تسهل ازدياد أو نقصان عدد أفراد كل طبع من الطباع المختلفة في مجموع الأمة .

٣ - ثم إن النظرية العنصرية ترد الإنسان كله إلى شرائطه العضوية ، أما علم الطباع فيفرق بين الطبع والشخصية ، وبذلك يفسح المجال للتوفيق

والمصالحة بين الجبرية الاجتماعية التي ترجع إلى النسبة الطباعية وبين فكرة الحرية الروحية والأصالة الفردية .

إن معرفة النسبة الطباعية في شعب من الشعوب هي معرفة تكوينه الطبيعي ، فإذا تغيرت هذه النسبة تغير تكوينه ، ولا بد أن تتغير عندئذ مؤسساته وعاداته ومعتقداته وفنه وفلسفته . صحيح أن الأسباب التي تحدد الحالة السياسية لشعب من الشعوب ، والتي تحدد حضارة هذا الشعب ، ليست أسباباً بسيطة ، ولا يمكن ردها إلى نوع واحد فبعضها أسباب جغرافية ، وبعضها يرجع إلى ظروف تاريخية وإلى استمرار الماضي في الحاضر ، وبعضها يرجع إلى تأثير شعوب أخرى في هذا الشعب ، ولكن لا شك أن هناك أسباباً لا ترجع إلى مثل تلك الأمور ، وإنما ترجع إلى طبيعة الشعب نفسه . أضف إلى ذلك أن الشعب ، كالفرد ، يستجيب للمؤثرات الخارجية استجابات مناسبة لطبعه الذي هو وسطي طباع أفراده ، فهو في تأثيراته بالعوامل الخارجية يعبر عن طبعه .

ومعنى ذلك كله أن دراسة النسبة الطباعية لشعب من الشعوب أو دراسة مثله النموذجي هي التي تعرفنا بهذا الشعب ، وتتيح لنا التنبؤ بالخصائص العامة من سلوكه .

وقد سبق لرونه لوسين أن عين في كتابه « الكذب والطبع » الصيغة الطباعية للهولاندي الوسطى ، معتمداً على استقصاءات هيمايس فكانت تقدر حدود هذه الصيغة الطباعية كما يلي

$$A = 74,1 \quad S = 66,4 \quad E = 60,9$$

أي أن الهولاندي الوسطى هو جموح تغلب عليه الفعالية ، ويميل إلى اللماوى لضعف الانفعالية لديه نسبياً .

ويقدر لوسين في كتابه « علم الطباع » أن وسطي الشعب الإنجليزي يمكن تمثله بشخص لفاوى شبيه بالجموح ، أى شخص لفاوى مسرف في الترجيع البعيد ، وفعال أكثر مما هو انفعالي . وهو يرى أن هذا الشخص الطباعي يعقل كثيراً من مزايا هذا الشعب ومن آفاته : البطء في المبادرة إلى الحركة ، روح



الثائرة ، الصمود للمحن ، المحافظة على القانون وعلى التقاليد ، النور من المظاهر الانفعالية ، النزعة اليوريتانية ، ضعف التعاطف المباشر مع الشعوب الأخرى ، الترفع ، ضعف القابلية للإبداع الموسيقي بل والفني

ويرى لويسين أيضاً أننا ربما استطعنا أن نفهم مصير فرنسا على أساس من هذا المنهج ، إذا سلمنا أن الشعب الفرنسي يتألف من طائفتين طباعيتين مختلفتين اختلاطاً مختلفاً باختلاف المناطق والأقاليم ، يمثل إحداهما الفرنسي الفعال ذو الترجيع القريب (AP) ، من دانتون إلى فولتير ويمثل الثانية الفرنسي الانفعالي ذو الترجيع البعيد (ES) : من روبسبير إلى كولبير فالأمور كلها تجري كما لو كانت فرنسا الواقعة على ملتي طريقتين من طرق الغزو أحدهما بين بحر الشمال وجبال الفوج ، والثاني على البحر الأبيض المتوسط ، قد هيأها مركزها الجغرافي لاستقبال هجرات متنوعة ، فكانت أكثر من الشعوب الأخرى تنوعاً في طباع سكانها . وربما كان هذا التنوع في طباع السكان قادراً على أن يعلل لنا كثيراً من خصائص تاريخ فرنسا ، وأهمها كثرة الحروب الأهلية التي لا بد أن تكون بين الطباع المختلفة أكثر منها بين الطباع المتجانسة . ومن الواضح أن العقيدة الفرنسية يتفوق عليها في كل فرع من فروع النشاط الإنساني شعب من الشعوب ، فهي لم تنتج عدداً من الفلاسفة والموسيقين كالعدد الذي أنجبتهم ألمانيا ، وهي لم تنتج من عظماء رجال الدولة مثلما أنجبت إنجلترا ، ولا هي تساوى إيطاليا عراقاً في الفن . لكنها تتفوق على جميع تلك الشعوب في تنوع مواهبها ، وربما كانت هي الشعب الوحيد الذي أنتج آثاراً قيمة في جميع الميادين بلا استثناء ، وهذا التنوع في مواهبها وهذا التخلف النسبي في كل ميدان من الميادين على حدة يرجعان إلى أنها غير متجانسة من الناحية الطباعية ، وربما كان هذا التنوع هو السبب أيضاً في النزعة الفردية الفرنسية التي تختلف عن النزعة الفردية الإنجليزية فهي لا ترجع كالفردية الإنجليزية إلى استقلال الفكر البارد عن حماسة الجمهور ، وإنما ترجع إلى حرص كل فرد على أصالته تجاه الآخرين الذين يختلفون عنه ، وهي نقیض العدوى العاطفية التي

ينجرف فيها ألماني انفعالي جداً فعال جداً ، متنازلاً عن عزله ، غارقاً في حميا شعبه ، ناسياً كل تحفظ تقدي ، فرحاً بهذا التدفق ولو أدى به وبشعبه إلى الكارثة

إن وسطى الشعب الفرنسي إنما يمثله ، في رأى لوسين ، شخص فعال انفعالي ذو ترجيح قريب قليلاً وبهذا تفسر أظهر خصائص الفرنسي ، من ميل إلى المرح ، وإقبال على الحياة ، ومن غلبة الحماسة على الاستمرار ، ومن الجنوح إلى الحرية والانفتاح للأفكار الجديدة على سطح الشعور دون الأعماق ، ومن كبرم ونزعة إنسانية ، ومن غلبة الارتجال على التنظيم ، وأحياناً من خفة وعدم تبصر ومبادرة إلى استئناف الصراعات السياسية إلخ إلخ .

ووراء هذا الجزء من الشعب الفرنسي ، هناك أناس يختلفون عنه في التكوين الطباعى ، أناس متحفظون مقتصدون ، محافظون ، عائليون ، حريصون على تقاليد البلاد الدينية إن خطر الصراعات الداخلية بين هذه الاستعدادات المتعارضة خطر كبير دائماً . ولكن حين يرهق فرنسا غزو أجنبي تشجعه هذه الاختلافات بل وتستدعيه أحياناً ، فإنها تجد دائماً ، كما حصل ذلك أثناء حرب المائة سنة ، وفي نهاية الحروب الدينية ، وأثناء الثورة الفرنسية ، وبعد عام ١٩٤٠ ، رجالاً من أبنائها جموحين مسرفين في الفعالية يجمعون شمل الفرنسيين تحت لواء عمل مظفر ضد القوضي الداخلية والسيطرة الأجنبية ويتفق في كثير من الأحيان أن هؤلاء الجموحين المسرفين في الفعالية ، كلويس الرابع عشر ونابليون الأول ، ينجرفون مع التطرف الذى هو الخطر في هذا الطبع فابلث الضعف أن يدب ، ثم إذا سلطتهم تنهى ، فتعود فرنسا إلى الصراع بين طباعها أو إلى اختلافه في أقل تقدير

وبعد ، فإن علم الطباع يمكن أن يأتينا بمبدأ لتعليل التاريخ ولكن الاستعانة بعلم الطباع في هذا التعليل لا تنى أى نوع من أنواع التعليل الأخرى التى يملكها علم التاريخ ، ويستعين بها علماء التاريخ .

## الفصل السابع عشر

### شخصية الفرد دوفيني

ذكرنا أن لعلم الطباع أربعة مستويات علم الطباع العام ، علم الطباع الخاص ، علم فئات الطبع ، علم طبع الفرد .  
وعلم طبع الفرد لا يقتصر على معرفة النموذج الذى ينتمى إليه الفرد ، والنسبة التى ينتمى إليها من فئات ذلك النموذج وإنما يضيف إلى ذلك معرفته برد الأنا الحرة على الطبع وفقا للقيمة التى تتعلق بها وتهدف إليها ، كما يضيف إلى ذلك معرفته بالعوامل الاجتماعية وغير الاجتماعية التى تفاعلت مع الطبع ، أى يدرس الطبع وقد صار بتخصصه إلى شخصية . وعلى هذا الأساس يدرس لويسن شخصية الشاعر الفرنسى الفرد دوفيني ونحن نوجز فيما يلي هذه الدراسة التى كانت مثالا احتذاءه باحثون آخرون من أصحاب المدرسة الفرنسية فى علم الطباع

#### الفرد دوفيني عاطفى

لا شك أن فيني ينتمى إلى النموذج العاطفى ، على إفراط فى الانفعالية ، وإفراط فى اللافعالية وإفراط فى الترجيع البعيد ، وضيق فى ساحة الشعور ، وتمركز على الذات ، يضاف إلى ذلك أن عقله ليس تحليليا  
انفعاليته

ما من أحد يستطيع أن ينكر على فيني أنه كان شديد الانفعالية . حتى لقد تجلت انفعاليته هذه منذ نعومة أظفاره حين كان تلميذا فى كلية هيكس فلقد كانت تؤذيه أمازيج رفاقه على براءتها ، ولم ينس تأذيه منها خلال حياته كلها ثم إن حياته كلها تدل على فرط انفعاليته . وإن شعره ونثره لا يعبران عن شيء

غير العواطف وأوضح تعبير عن هذه الانفعالية قوله عن نفسه « إن ما يمس الآخرين ما يجرحني حتى يفجر دمي »

### لافعاليتة

هناك ثلاث سمات تساعدنا على تأكيد صفة اللافعاليتة عند فيني  
الأولى فقدان السهولة إنه يتجق قليلا ، وخلال عدد قليل من السنين  
إنه لا يعرف ذلك « الإلهام » ، ذلك التدفق الغزير في الصور والتعبير . إن  
الكتابة شاقة عليه . إنه يقدر من محضر ، ولا يعرف من بحر ولم تفتح عقيرته  
إلا في عناء . إنه غير ذى أجنحة .

والسمة الثانية هي أنه لم يصل إلى الإيمان الديني . إن الإيمان الديني لا يكون  
بدون أجنحة يرتفع بها المرء إليه . واللافعاليتة هي التي أقعدت فيني عن الصعود  
إلى مستوى الإيمان ، وأوردته موارد الشك واليأس .

والسمة الثالثة التي تدل على أن فيني غير فعال ذو ترجيع بعيد ، أنه  
لم يترحل لقد ظل طوال حياته يحلم ببحيرة جنيف وبإيطاليا ، وبغيرها من  
بلاد الدنيا ، ولكنه لم يسافر . . . وحين كان في الجيش لم يهتئ نفسه كثيرا على  
أنه طاف في بلاد فرنسا

وبما بدلنا على أن فيني كان مفرطا في اللافعاليتة ، أن نظرتة الشعرية إلى  
الكون كانت مطبوعة بطابع الاستسلام للقدر . إذا أحاق بك شر فلا تقل  
شيئا ، ولا تفعل شيئا ، بل ينبغي لك أن تبكى .

### الترجيع البعيد:

إن فيني ليعبر عن قوة الترجيع البعيد لديه حين يحدثنا عن « حساسيته  
المفرطة ، المكبوتة منذ الطفولة » ، وحين يقول إن الإنسان « يحمى بالتهذيب  
نفسه » ، وحين يحمده في الانجليز قلدتهم على إخفاء حركات قلوبهم . وأبلغ  
من ذلك في الدلالة على قوة الترجيع البعيد عنده ما أجراه على لسان ستلو إذ

يقول للدكتور نوار : . إنك بذلك لتفقدته في ساعة واحدة كرامة حياته كلها . من كان ذا ترجيع قريب فإنه يقسم الزمان إلى لحظات متعاقبة مستقلة . أما من كان ذا ترجيع بعيد فإنه يرى في اللحظات كلالا لا يفصل جزء منه عن الأجزاء الأخرى ، فكل لحظة تعبر عن جميع اللحظات

ومن آيات ترجع الأشياء في نفسه مدة طويلة من الزمان ، أن ما اختلجت به نفسه أثناء الطفولة من مشاعر وتأثرات ، وأن ما أصاب طموحه من ألوان الحية والإخفاق ، وأن ما انعقد بينه وبين أصدقائه من صلوات الود ، أن كل ذلك لم يمح من نفسه بعد انقضائه ، بل خلف فيها سلسلة طويلة من الانفعالات والتأملات كانت مادة ما نظم من شعر ، وما ألف من روايات . وكان فيني شديد التعلق بالماضي ، قليل الاحتفال بالمستقبل ، لا يتنظر أن يتغير قدر الإنسان ، ولا يتوقع أن يتحسن نظام المجتمع ويتأثير ثقل الماضي عليه ، استسلم شيئا فشيئا لعاداته ، وهرب من العلاقات التي يمكن أن تعكرها أو تجدها ، مكنتها بالوفاء لذكرى أمه ، وبالحدب على زوجته المريضة ، وبالقراءة والعمل بعيدا عن الناس في جوف الليل .

ولنتنظر بعد كيف تجتمع هذه الخصائص المقومة لطبعه العاطفي ، فتتحلر منها الصفات التي رأيناها في العاطفيين

التأذى كان فيني أشد إحساسا بالانفعالات المؤلمة منه بغيرها وقد انتهى من ذلك إلى اعتبار الألم نسيج الحياة . وها هو ذا يتمثل صورة سيزيف إن الألم الإنساني لا علاج له ولا بره منه . وإنه لألم شاق عسير ، وإن الحياة جهد وجهاد . أليس هذا دليل اللانفعالية ؟

وإن رد فيني على هذا الشعور اليائس بالألم والعذاب هورد خاص بالعاطفيين . إن فيني لا يتوجع لنفسه ، بل يرى لحال الإنسان بوجه عام . وهو لهذا يجعل الشفقة جوهر الأخلاق ، حتى ليفغر للخطاة خطاياهم . وهذا كله من نتائج الترجيع البعيد .

الانطواء على الذات والإنسان ، الإنسان وحده ، هو الذي يعنيه في

كل هذا ، الإنسان كما يحسه في ذات نفسه لقد كان فيني انطوائيا ، قضى الجزء الأكبر من حياته في تأمل ذاته . ولئن لم يكتب « يوميات شخصية » بهذا العنوان ، فقد وجدوا بين أوراقه ما يصح أن يطبع « يوميات شخصية » : ولئن لم يكن هو بنشر هذه الأوراق ، فلأن همه كان منصرفا إلى التعبير الشعري عن ذاته ، لا إلى ملاحظة ذاته فحسب . وكان من نتائج هذه الانطوائية ، انصراف انتباهه عن العالم الخارجي : « وما هوذا يعترف قائلا « إن صوت فكري يبلغ من العلو أن الضجة الخارجية لا تخفه . إن عمل نفسي ليتحدث بصوت قوى ، ولا ينقطع عن الحديث » وقال سانت بوف عنه « إنه كان لا يلامس الأرض ، إلا لضرورة » و « إنه كان يجهل أشياء الشارع » . وقد تحدث هو نفسه ، غير مرة ، عن « السرمنة » التي يلقبها إليها خياله وأحلامه

وموضوع هذا التأمل الداخلي إنما هو الذات نفسها . وتلك صفة لعلها أعمق صفات العاطفي ، أعنى ارتباط الذات بذاتها . قال فيني في يومياته : « إنني في حديث مع نفسي لا ينقطع » وكثيرا ما كان يتفق له ، وهو يتحدث غيره ، أن يغيب عن موضوع الحديث ، ويتابع حلمه الداخلي

وعن نفسه ، عن عواطفه وصبواته ، إنما يتحدثنا شعره ، وتحدثنا رواياته ، في ألف صورة وصورة لقد كان عاجزا عن الخروج من ذاته ، وكان عاجزا عن نسيان ذاته ، « تبعت من نفسي حتى لأكاد أموت تعباً » إن الأحلام التي تدور حول ذاته تملأ أكبر قسم من حياته ، حتى لقد سمي هذه الأحلام عملاً حين قال في خطابه للأكاديمية « إن عمل الشاعر ، إنما هو الأحلام » قال برونتوير « إن المتشائم يولد متشائماً ، ولا يصبح كذلك » . والحق

أن برونتوير على كان صواب ، من حيث أن التشاؤم علاقة بين البيئة والطبع ، وما دام يشتمل على الطبع ، فليس هو بالمكتسب لقد كان تشاؤم فيني وليد طبعه العاطفي أولاً ، ووليد ضعف قدرته على التحليل العقلي ثانياً قد يعترض معترض بقوله رب شخص أقل استعداداً للتشاؤم بحكم طبعه يصاب بالكارثة تلو الكارثة ، ويعانى تجربة قاسية بعد تجربة قاسية ، فإذا هو متشائم .

وهذا صحيح ، لكن نوع تشاؤمه سيكون نوعا خاصا مناسباً لطبعه وإذا كنا نعى بالتشاؤم تشاؤما عاطفيا ، ميتافيزيقيا ، معيشا على طريقة فيني ، فلا شك أن هذا التشاؤم فطري . وإذا قلنا إنه فطري فليس يتيح لنا هذا ألا نحسب حساب تأثير الزمن . فن فطر على التشاؤم ، لا يظهر تشاؤمه منذ الطفولة الأولى مبكرا ، اللهم إلا في صورة مخففة فلقد عرف فيني وبين دويران ، في شبابهما ، لحظات جميلة من الحماسة والحميا . ولكن هذه اللحظات لا بد أن تكون قصيرة ، ولو لم يكن مجرى الأحداث بعدها سيئا ، وهذا ما يصدق على حياة هذين الرجلين كليهما ، فإذا صاروا مع ذلك إلى التشاؤم ، فهذا دليل على أن تشاؤمهما يرجع إلى طبيعتهما ، يرجع إلى أن الالفاعلية قد اجتمعت فيهما إلى الالفاعلية والترجيع البعيد

قال فيني على لسان شاترتون « قد قتل الحلم فيك العمل » وهذا تشخيص غير صحيح تماما فلئن استغرق فيني في الحلم ، فإن الحلم لم يقتل فيه شيئا ، لأن استغراقه هذا في الحلم ، إنما كان نتيجة لعجزه عن الفعل ولذلك لم يلبث فيني أن أدرك ثم اعترف أنه خدع عن نفسه حين تمنى الانخراط في السلك العسكري فقال « لقد عرفت في وقت متأخر أنني أخطأت ، وأنتى أقحمت في ميدان الحياة العملية طبيعة خلقت للتأمل » . وما وقع له واضح جدا من الناحية الطباعية ، فإن حاجته إلى العظمة ، وهي حاجة يستشعرها كل عاطفي ، قد دفعته بالتعاون مع البيئة التي عاش فيها طفولته ، إلى نشدان المحيد العسكري . لكن هذه الرغبة لم تكن إلا رغبة شعرية ، وكان لا بد أن تظل كذلك بسبب عجزه عن الفعل

حب العزلة : الميل إلى العزلة خصلة تلاحظ في جميع العاطفيين ... إنهم في العزلة يجدون أنفسهم ، يحمون من الجروح التي قد يصيبهم بها الآخرون ، يستمتعون بذواتهم ، يتلذذون بالتيار الدافق في أنفسهم ولولا أن فيني كان ميالا إلى العزلة لكان من حقنا أن نردد في حشره بين العاطفيين . ولكن الواقع أن جميع

الشواهد تدل على أنه كان يجب العزلة، وقد عبر عن هذا في شعره ونثره على السواء ، وانتهى إلا الاعتصام بالوحدة، يجد فيها قدره وأمنه وراحته . وبلغ من نفوره من الحياة الاجتماعية أنه هتف : « الحق أقول لكم قلما يكون الإنسان على خطأ ، ولكن النظام الاجتماعي على خطأ دائما » لقد كانت حاجته إلى الاستقلال حاجة ضارية كاسرة فلم يحتمل الجيش وابتعد عن الجمعيات ، وامتنع عن الانتماء إلى حزب ، وانصرف عن حياة الصالونات « حين يعود المرء في المساء من عالم الصالونات ؛ يدرك كيف أنه استبدل بطبعه طبعاً آخر ، وكيف أنكر نفسه عشر مرات » .

وهذا الميل إلى الوحدة هو الذي قاده إلى مين جيرو وفي خياله حلم جميل ، هو أنه سيجد في أحضان الطبيعة ضالته ولكنه في الواقع لم يجد هناك إلا الضجر والضجر خصلة في جميع العاطفين يتميزون بها عن غيرهم من الناس فلئن كان غيرهم يضرر أيضا ، لئن كان الدمويون مثلاً يضررون حين يفتقدون الاتصال بالآخرين ، فقليل من الناس يستقر فيهم الضجر مقبلاً عميقاً كما يستقر في العاطفين مقبلاً عميقاً ، وذلك من بلى الاهتمامات وانحلال الرغبات ، والاستسلام بسبب ذلك للفاعلية . وهذا فيني يهتف : « ما الإنسان ؟ كائن خلق ليعيش في الضجر ، ويموت من الضجر ، ذات يوم » .

وهذا الميل إلى الضجر ثمرة خصلتين في طبع فيني ، أولاهما أساسية والثانية فرعية أما الخصلة الأساسية فهي اللافاعلية ، وأما الخصلة الثانية فهي التقشف الذي يتصف به العاطفيون ، ويتميزون به عن جيرانهم ، العصيين . ولهذا التقشف طبيعة يجب أن نوضحها ، فهو لا ينشأ عن جهد يبذله العاطفي للتغلب على المغريات ، وإنما هو تقشف طبيعي تلقائي ، تستطيع أن تسميه عجزاً عن التمتع بملذات الحس ، فالعاطفيون لم يخلقوا للذة ، ليس بهم شره إلى الطعام ، وليس بهم شبق جنسي قوي ، أو قل إن شهوتهم الجنسية يكبتها الكسل ، أو الخجل ، أو احترام الآخر ، أو الحلم والريية ، أو الحرص على الكرامة ،



أو الإحساس بالواجب والقانون ، أو ما يشبه ذلك ، وليس بهم ميل إلى الملدات الاجتماعية ، حتى إنهم لينفرون منها « تحدثني عن التسليات ليس لي تسليات ، وإذا صادفت شيئاً يسمى بهذا الاسم ، فإن نفسي تكون من الاستغراق بحيث لا أراه ولا أسمع إلا في عناء ، اعترف بذلك » (مراملات ص ٢٣٤) « وتنصحني بالسفر. ما السفر ؟ هني انتقلت في لحظة بصر إلى جزيرة هونج كونج أو إلى غرناطة ، فإذا أفعل هنالك ؟ إن نظرة تكشف لي عن كل ما في تلك البلاد ، وإن جرة قلم تسجل ما رأيت حتى إذا انقضت تلك اللحظة ، أبت إلى ما أنا فيه من رؤى الفلسفة ، ونشوات الشعر ، وأحلام الميتافيزيقا » (اليوميات ص ٢٨٨)

التناقضات الداخلية والتردد ما من أحد بلغ الذي بلغه فني من تمزق بين التناقضات إنه بأسف على أن النبالة فقدت منزلتها ، ولكنه يحزن عن الملكية حتى حين تدعوه إليها ، ويقاطع النبلاء وهو ينخرط في الجندية ، ولكنه يكشف هنالك روحه الاستقلالية ويأخذ بنظم الشعر وهو يظن نفسه من أنصار شرعة العرش ، ولكنه من دعاة الحرية في الدين والفن ، مع تقوره ممن ينادون باللاادين عن ريبية . وهو يؤيد ثورة ١٨٤٨ ، ولكن المساواة السياسية تثير فيه الرعب والاشمزاز إلخ

وهذا التارجح الداخلي الذي يرجع إلى تنافر الخصائص المكونة لطبعه ، لابد أن يؤدي عنده إلى نوع من الانقسام في الشخصية ، إلى نوع من الازدواج النفسي في طبيعته ، وهو ازدواج تجلي فيه التعارض بين أبطال مؤلفاته ، حتى لكأن العصبي واللمفاوي اللذين فيه ، قد استقل أحدهما عن الآخر في مؤلفاته وفي بعض أعماله ، فالعصبي هو ستلو ، أو شاترتون ، أو المعجب بيايرون ، أو عشيق ماري دورفال ، واللمفاوي هو الدكتور « نوار » والأميرال كولنجود ، أو الإنجليزي المثالي الذي أعجب به

ويتجلى هذا التناقض الداخلي في الأعمال اليومية ترددا . . . والتردد إحدى الصفات التي يتميز بها العاطفيون . وهو صفة لم نتج منها فني ، عرفها فيه

جميع معاصريه ، وضاق بها ذرعا جميع من كانوا على صلة به لئلا كان يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، حتى فيما يتعلق بتمثيل مسرحياته ، وإصدار مؤلفاته ، وكان هذا واضحا في موقفه من لويس فيليب ومن نابليون الثالث .

ويشتمل هذا التردد على فقدان الثقة بالذات ، ومن أشيق مظاهر فقدان

الثقة بالذات لدى فيني فرط حاجته إلى التقرير والثناء . وها هو ذا يعترف « للشهرة حسنة واحدة ، هي أنها تتيح للمرء أن يثق بنفسه ، وأن يجهر بفكره كاملا » . وقد كتب إلى لامارتين يشكره على تهنته قائلا : « لن أستطيع أن أوفيك حقلك من الشكر على ما أعربت عنه من عواطف . إنني في حاجة إلى من يشد أزرى لأتق بنفسي » ( المراسلات ، ص ١٠ ) .

فقدان الروح العملية إذا كان فيني عاطفيا ، فلا بد أن يكون نقيض الدموي في الروح العملية ، أي لا بد أن تعوزه الروح العملية ، أن يكون أخرق في شئون المال ، أخرق في علاقاته بالآخرين ، أخرق في سلوكه الاجتماعي ، وذلك كله هو ما كان يتصف به فيني : لسوء حظه ، وكان من الواضح بحيث لا يخطئه ملاحظ أرادته أمه على الزواج من ليديا بنبورى طمعا في مال أبيها ، وانصاع هو لأوامر أمه ، فلا حصل المال ، ولا حصل الجمال وكان نبلا وملكيا ، وكان يمكن أن يكون له في البلاط حظوة ، ولكنه لا يملك أي آفة من آفات الحاشية الملكية ، فلم يظفر من هذه الخطوة بشيء . وكان لا بد أن يستقبل المجتمع أحسن استقبال لمواهبه ، وقد استقبله كذلك حقا ، لكنه لا يجب المجتمع ، وقد ابتعد عنه شيئا بعد شيء . وهل له بعد ذلك أن يطلب وظيفة دبلوماسية ؟ . ولم يعرف فيني ما عرفه فكتور هوجو من فن الدعاية لنفسه ، والترويج لأدبه ، واجتذاب الأنظار إليه ، وإذاعة شهرته بين الناس ، حتى لقد وقف من الشهرة موقف العداوة ( وهذه حركة سيكوديا الكيكية ) ، فقال « على المرء ألا يشد الشهرة في الزمن الحاضر ، بل في الأجيال اللاحقة » . وهذا نوع من الطموح المتشوف

الكاتب إن المزاج الذي تلتق في جميع خصائص الطبع تلك ، إنما هو الكاتب .

ويكفى أن تلقى نظرات سريعة على مراسلات فيني وعلى يومياته ، حتى نتأكد من أن الكتابة كانت نسيج حياته . وفي قوله « قد خلق الحزن معي » ، أبلغ تعبير عن ذلك ( المراسلات ص ٤٥ ) . إن تأذيه من الناس ، ومعاناته لما يلقي كل يوم من عناء إذا فرض عليه أن يقوم بعمل من الأعمال ، وعجزه الفلسفي عن التحليل ، وإخفاق فكره في الميتافيزيقا ، كل ذلك جعله لا يرى من تجارب الحياة إلا وجوها سلبية .

وأصنى تعبير عن جوهر هذه الكتابة التي كان الشاؤم صورتها العقلية ، إنما هو موقف الشاعر من الدين . والحق أن الإنسان يمكن أن يكون ضد الدين لسببين مختلفين بل متعارضين . فلما أن يكون هذا الموقف راجعا إلى أن الشخص تعوزه العاطفة ويعوزه التنظيم ( الدموي ) فيعجز عن التعاطف مع المشاعر التي تتألف منها الحاجة إلى الله ، وإما أن يكون راجعا إلى أن الصور التي يتخذها الدين تصدم ما يضطرم في نفسه من حاجات دينية ، بدلا من أن تلبها وترضيها . وفيني هو من هذا الفريق الثاني لقد كان خليقا يجمع الظروف أن تجعله متدينا ، فقد نشأته أمه التي كان لها عليه سلطان كبير ، نشأته على الكاثوليكية ، وكانت آراؤه الاجتماعية تقليدية في أول الأمر ، وكان كلما حز في نفسه ألم شديد كالآلم الذي حز في نفسه عند وفاة أمه ، يعود إلى الصلاة والدعاء ويمرر لسانه بلغة مسيحية ، وكانت الأمور التي تشغل نفسه في أعماقها ميتافيزيقية عاطفية أي دينية . ومع ذلك كله لم يؤمن بالدين ، وأعلن عجزه عن الإيمان بالدين فهل انضم إلى طائفة الربيين ؟ كلا بل كان يكره أولئك الذين يرجع عدم تدينهم إلى عدم مبالأهم أصلا ، ولئن كان هو نفسه ريبيا ، فإن ربيته نقيض الريبة الخفيفة الطائشة التي لأولئك . إنها ريبة قلقة معذبة

وهكذا تتوافر في فيني تلك الصفة البارزة من صفات العاطفيين ، وهي أنهم يجمعون بين الاستعداد للعاطفة الدينية ، وبين العجز عن الانسواء تحت راية دين بعينه . فالانفعالية ذات الرجوع البعيد تؤهله للعاطفة المنظمة الميتافيزيقية

الدينية ، ولكن اللافعالية تقطع الوثبة الداخلية التي تشتعل في نفس العاطفي ، وتحول بينها وبين الوصول إلى الإيمان ، حتى لقد تهبط بها إلى الكفر والتجديف .

الشرف والاستقامة إن الدين يخلي مكانه في نفس فيني للأخلاق ، وهذا ما نلاحظه لدى كثير من المفايين الذين تصرفهم برودتهم عن الروح الدينية . كتب فيبي يقول « الأخلاق محور العالم ، نسغ الأرض ، لكسير الحياة » . وها هوذا يجعل للشرف قيمة كقيمة الواجب ، ويقرب في كثير من الأحيان بين اللفظتين ، على إيثار للشرف بحكم طبعه ، فإن الواجب كلمة مجردة أخلق بالمفاري الفيلسوف الذي يريد أن يستخرج للأخلاق جوهرها يصلح على وجه الشمول : حتى إذا شحن الواجب بالانفعال ، وربط بالفئات الاجتماعية العيانية ، كالجيش أو النبالة أو الزواج ، كان هو الشرف . فالشرف ، كما يرى فيني ، هو شعر الواجب ، هو الواجب كما يترأى لشاعر

وإذا نظرنا إلى حياة فيني وجدناها ، من أولها إلى آخرها ، باستثناء ذلك الانحراف الذي ألقاه بين ذراعي ماري دورفال ، تبعد عن كل ما يمكن أن يوصف بالفوضى لقد كان إزاء أبويه الولد المحب المطواع ، وكان إزاء زوجه الزوج الودود المتفاني ، وكان لأصدقائه الصديق الوفي المخلص ، بقلبه على الأقل ، حتى لأولئك الذين لم يرهفوا معاملتهم له ، مثل هوجو وصانت بوف ، وكان للأشقياء من أدياء عصره نعم الحامي المحسن ، وكان يلتمس لهم كل شيء ولا يلتمس لنفسه شيئا ، ولم يعمد إلى شيء من التلاعب لامن أجل مال ، ولا من أجل مركز ، ولا من أجل مجد ووقف فنه وحياته على أنبل العواطف والتأملات التي يمكن أن ينذر لها إنسان نفسه . لقد عبر هـ . دولا جاردي عن الرأي الذي أطبق عليه الناس في فيني حين كتب يقول عن حياته « ما تلوثت يوما بمقار أو صغار أو تلاعب . لم ينحدر يوما لا من أجل مال ، ولا من أجل نجاح . كان كريبا على نفسه ، ولك أن تقول إنه كان ذا كبر وصلف . . . كان يشعر دائما بما شعر به الرواقيون من احترام لأنفسهم ، ومن إشفاق أن يزلوا » .

الطموح المشوف عرفنا أن الطموح المشوف هو الالتقاء والصراع ، في نفس واحدة ، بين الصبوة إلى المثل الأعلى والأهداف الرفيعة التي تغذيها طاقة عاطفية دافقة ، وبين العجز الذي تفرضه اللافعالية عن تحقيق هذه الأهداف في ميدان الواقع . وإننا لنلاحظ هذا الطموح المشوف واضحا في حياة فيني وفي آثاره . « كنت أشعر في نفسي برغبة قوية في أن أنتج شيئا عظيما ، وأن أكون عظيما بآثاري » . وقد انخرط في الجيش ليحصل المجد العسكري ، واقتحم ميدان الآداب ليلبغ المجد الأدبي . وها هو ذا يقول في قصيدته « الناي » :

إنى حلمت بمجد نابوليون

ولقد صبوت إلى ذرى بيروت

قد كان ذلك حماسة هوجاء

ومطامعا حمقاء

فالفعل يجهض ، لا يرى النورا

والجاء والأجماد كانت زورا

التعارض بين طبع فيني والطباع الأخرى كان لابداً لفيني ، وهو

العاطفي الشاعر ، أن يشعر بأنه قريب من العصيين ، ولكن الترجيع البعيد يقيم بين العصيين وجيرانهم العاطفين فرقا واضحا لا بد أن يظهر في آراء كل من الفريقين في الآخر . فإذا كان رأى فيني في العصيين ؟ إن كل الشواهد تدل على انقسام فيني العاطفي إلى عصبي وإلى لمفاوي ، فيما يصدر من أحكام في الآخرين فهو من حيث إنه عصبي ، أو من حيث إنه نصف عصبي ، يتعاطف مع الحدة القوية في عاطفة العصيين ، ويتعاطف مع ذلك الغنى والتدفق في انفعالهم ، وهو لذلك أحب بيروت ، ومحبة ، وقلده . ولكنه إن أحب بيروت الشاعر ، فقد كان يعيب على بيروت الإنسان فلسفته في الحياة ، فهو من حيث إنه لمفاوي ، أو نصف لمفاوي ، يرفض أن يسير وراء بيروت في مجاهل الرعب والتهمرد التي يقود إليها « شيطان الشذوذ » وكانت مشاعره الأخلاقية ، وميله إلى القصد والاعتدال ، ونفوره من كل تطرف ،

تحل محل الرومانطيقية الصاخبة الجمجاعة، رومانطيقية "حميمة تأملية" وكان يسوءه كل ما يدل على عدم الثبات وعدم الانضباط في العواطف ، فكان يأخذ على سكان الجنوب أنهم مسرفون في الحدة ( المراسلات ، ص ٣٧ ) ، وكان يأخذ على مدام دورفال « مرحها الصاخب » ، دون أن يمنعه ذلك من الهيام بها والعبودية لها ، كما يقع ذلك لكثير من العاطفيين ، إذ يهيمنون بعصبيات يخين ظنهم بما تتصف به قلوبهم من تنقل .

وقد عبر فيني عن الجانب اللغاوي من طبعه ، في إعجابه بالطبع الإنجليزي الذي يستطيع أن يخفي عواطفه ، من اجتماع قلة الانفعالية إلى قوة الترجيع البعيد . أما موقف فيني من الديمويين فقد كان موقف الثفور ، ولا أدل على ذلك مما ذكرناه عن نفرته من حياة الصالونات التي تضم الديمويين أكثر ما تضم ، وعن نفرته من الحياة الاجتماعية بوجه عام ، وعن نفرته من الحياة العملية وإخفاقه فيها . بل لقد كان فيني ينفر من الفعل عامة ، وهذا هو يقول « ما تطيق الآراء على الأشياء إلا مضبعة للوقت بالنسبة إلى صانعي الأنتكار » . وهو لذلك يشعر بالعداوة تجاه أشد الفعاليين مضاء في النشاط ، أعنى الفعاليين الانفعاليين . وقد عبر على لسان القى رينو في كتابه « العبودية والعظمة العكريتين » عن كل ما يمكن أن يشيره فيه منظر الآخرين وهم يعملون

« يا لهؤلاء الناس الذين يندفعون اندفاعا طائشا إلى التأثير في كل الأشياء ، هؤلاء الذين يسحقون الآخرين بشتمهم بأنفسهم إذ يوهونهم بأن مفتاح كل معرفة وكل قدرة هو في جيوبهم ، فما هي إلا أن يفتحوها حتى يخرجوا منها نورا لا يخطئ وسلطة لا تزول . . . لقد كنت أشعر أن هذا كله قوة زائفة ، واغتصاب » .

### ضيق ساحة الشعور

١ - لا شك أن فيني كان ضيق الشعور . وأول مظهر من مظاهر ضيق شعوره ، أنه كان صليبا فلم يكن فيني متحفظا متاعبلا ذا حياء وحذر ، فحب ، بل كان بلا مرونة ، كان أخرق في التلاؤم مع ظروف الحياة .

وإذا نظرنا في شعره رأيناه قليل التنوع والسهولة فقلما كان فيني يغير إيقاعه ،  
وقلما كان يعمد إلى التضمين ، فالجمل مفصلة على قدر الأبيات ،  
وبجره الاسكتلري رتيب مقدود . في شعره من المثانة أكثر مما فيه من الحياة .  
إن هذا الشعر يعبر عن صلابة شعوره ، وعن نقص في السهولة والانطلاق .  
وهذه الصلابة إنما ترجع إلى ضييق ساحة الشعور ، لأن الشعور المرين إنما هو  
الشعور الذي يحسب حساب عدد من التصورات في آن واحد ، ويجد في كثرتها  
فرصة للتأرجح أو لتنوع الاستجابات وتعقدها . ولقد كان فيني شديد الإحساس  
بالأوامر الأخلاقية ، ولا شك أن اجتماع ضيق ساحة الشعور إلى قوة الترجيع  
البيد كان يضمن على هذه الأوامر الأخلاقية مزيدا من الصلابة .

٢ - والجانب الحسن من الصلابة هو شدة التصورات ففي الشعور

الواسع يكون ضوء الشعور الذي ينصب على محتوى الفكر ، مضطرا إلى التوزع  
على عدد كبير من التصورات ، وبذلك تكون القوة المحركة التي يملكها كل  
تصور من هذه التصورات ضئيلة وما كذلك الشعور الضيق ، فإن العدد  
الصغير من التصورات المسيطرة يمتص كل طاقة الشعور ، ويوجهها في اتجاهه .  
ويظهر هذا ، في الشعر ، أبياتا قوية ، مصكوكة ، قادرة على أن تفرض نفسها  
على ذهن القارئ ، قادرة على أن تدمغ ذهن القارئ إن صح التعبير . وإذا قارنا  
بين بيت فيني وبيت فرلين أدركنا ما يمكن أن يولده الاختلاف الكبير في سعة  
الشعور من فرق في العبقرية الشعرية .

٣ - ويظهر آخر من مظاهر ضيق الشعور لدى فيني ، هو ما يمكن أن

نسميه غائية الفعل . إن ذوى الشعور الواسع من الناس لا يضيقون على أنفسهم ،  
بل يطوفون ، ويمضون إلى غاياتهم بلف ودوران ، ولا تترابط أفعالهم إلا ترابطا  
رخوا . أما ضيق ساحة الشعور فإنه يضييق على الفكر ، ويضييق على العمل ،  
ويحاصر الفكرة ويحاصر الفعل محاصرة دقيقة وهذا ما يعبر عنه فيني حين  
يتحدث عن نفسه قائلا : « الملكة الوحيدة التي أقدرها في نفسي هي حاجتي

الأبدية إلى التنظيم ، فإ تكاد توافيني فكرة حتى أحب لها ، في الدقيقة ذاتها ، شكلتها وبناءها وتنظيمها الكامل .

٤ - وأخيرا ، إن ضيق ساحة الشعور هو الذى يجعل الذاتية التأملية لدى فئتي متوسطة في درجتها . لاشك أن فئتي ، كسائر أفراد طبعه ، انطوائى ، أى متلفت إلى ذاته ، مشغول بها إلى درجة السأم من ذلك ، وهو تبعا لهذا ، كما لاحظ سانت بوف ، ذاهل عن العالم الخارجى ، وعمما يفكر فيه الناس ، وما يشعر به الناس . ولكن لئن كان فئتي انطوائيا ، فإن انطوائيته ذات طابع خاص ، وهى دون انطوائية غيره من الانطوائيين من حيث الدرجة ( مثل آميل أومين دوويران ) وهذا يرجع إلى ضيق شعوره . فما إن يأخذ في استبطان ذاته ، حتى يصير الاستبطان إلى معان مجردة ، وحتى يتلور في تأملات أخلاقية إن فئتي لا ينهى إلى تحليل للنفس ، واستكشاف للمشاعر لأن ضيق ساحة الشعور يجعل من العسير عليه أن يزدوج وبصير اثنين كما يتاح ذلك لعاطفي ذى شعور واسع مثل آميل

#### الضعف التحليلي في الذكاء النظرى

لا نستطيع الآن أن ندرس عقل فئتي دراسة دقيقة بفية أن نعين المقومات التى يتألف منها ، ولكن لا أقل من أن نساءل هل كان فيبى يملك تلك الخاصة التى نعتبرها قائمة بذاتها وأصيلة ، أعنى القدرة على التحليل ، ولا سيما التحليل الفكرى؟ من السهل أن نجيب على هذا السؤال بقولنا جازمين : إن فئتي لم يملك غير ذلك النوع من الفكر الأخلاقى الذى هو التعبير المباشر عن عفوية العاطفى . لم يكن هذا الشاعر الفيلسوف فيلسوفا . وإذا نحن قارناه ببيران ولانيو ، أو حتى بيجويو ولقريطس ، وجدناه دونهم كثيرا في الفكر الفلسفى ، على ما بينه وبينهم من وحدة في الطبع أو من قرابة في الطبع ، وإنما هو يشبه لوكونت دليل ، وسوللى بروودوم ، ومدام آكرمان ، وغيرهم من العاطفيين الذين انضوا تحت



لواء الشعر ، لأنهم كانوا على عتبة الفلسفة . وهو يزيد على هؤلاء أنه لم يعجز عن الشروع في تحليلات أصيلة فحسب بل لم يرغب في شيء من ذلك أيضا ، لأنه ، خلافا للوقريطس مثلا ، لم يعن حتى بما قام به غيره من تحليلات . أما أنه كان عاجزا عن التحليل فذلك ما يظهر فوراً من أن المعاني التي أقام عليها تشاؤمه ظلت ساذجة بسيطة لقد نشأ تشاؤمه عن فرط التأذى الذي يحيل معظم الإحساسات آلاما ، ومن اللافعالية التي تجعل الانفعالية منحدرة مهزومة ، وتجعل كل استجابة فعالة أمرا شاقا مؤلما ولو كان فيني على قدر من قوة التحليل ، لأضعف هذا التشاؤم ، أو لعدله بعض التعديل في أقل تقدير ذلك لأن العقل بطبيعته متفائل ، فهو إذ يفهمنا حقيقة الشيء الذي فجأنا وآلنا ، يدخل هذا الشيء في النظام الكوني العام ، فإذا نحن نعقله بعد أن بدا لنا غير معقول . فلقد كان في وسع فيني إذن ، لو أوتى قدرا من قوة التحليل ، أن يعلو فوق إحساسه بالشر ، ولا يقول أن يزيل هذا الإحساس بالشر كان في وسعه أن يتخذ نفسه ، بالعقل ، من سيطرة شعوره بالشر . وعكس هذا هو ما وقع له فإن عقله قد أحال كتابة الشعور إلى تشاؤم عقيدة لعجزه عن التحليل .

وهذا نفسه يظهر في نظرة فيني إلى الطبيعة . فالطبيعة عنده عدولاً بحسب :

« لا يسمع صرخاتنا ولا آهاتنا »

ولو قد حاول أحد أن يطلع فيني على فلسفة كنت أو فخته اللذين جهلها طوال حياته ، لما أحدث ذلك في فكره أي تأثير في أغلب الظن ، لأن جميع الدلائل تدل على أن تفكيره كان غريبا عن الفلسفة والعلم . وما ذلك إلا بسبب ضعف استعداداته للتحليل . ولئن فكّر ، لحظة من اللحظات ، في أن يبغى نفسه لدخول مدرسة البوليتكنيك فذلك ، كما قال ، « لأن ما يتمتع به ضباطها من رصانة وعزلة وعلم يناسب طبعي وعاداتي » ، ومعنى هذا أنه فكر في ذلك لأسباب عاطفية ، لا شأن لها بحج الرياضيات التي لم يصرف إليها شيئا من عنايته طوال حياته بعد ذلك . وقد يراءى لنا أنه كان يميل إلى الفلسفة .

والحق أنه كان يمكن، بسبب الترجيع البعيد، أن يجر الشعر إلى الفلسفة لو قد أوتى قدرة على التحليل كافية . لكنه لم يؤت هذه القدرة : فلم يكن له بالفلسفة شأن .

### شخصية فيني

١ - رده على طبعه

حياة الفرد لا يصنعها طبعه فحسب : بل تصنعها أيضا إرادته الحرة التي ترد على طبعه هكذا يرى لوسين وهو يقول بصدد ردود فيني على طبعه إن دراسة هذه الردود على نحو كامل تقتضي تحليلا دقيقا، ثم هو يكتفي بالإشارة إلى ثلاثة طرز من الرد السيكو ديبالكتيكي الذي واجه به فيني طبعه ، اختارها من بين الردود التي تتصل بالعجز عن الفعل ، هذا العجز الذي كان السبب الأساسي لمشكلات حياته الشخصية

١ - أما الرد الأول فهو مسابرة للأفعالية . ويرجع ذلك إلى أن فيني لم يعرف نفسه معرفة واضحة جدا ، كالتى تلاحظ لدى غيره من العاطفين . ولعل ذلك يرجع إلى تأثير المجموعة (ES) والعامل (EL) في آن معا ، إذ يؤدي هذا التأثير إلى أن « ينجي عن الشخص ما هو في الواقع وراء ما ينبغي أن يكونه أخلاقيا » .

إن سيطرة بعض الناس على أنفسهم بالإرادة يتم بمرحلتين المرحلة الأولى هي الإدراك الموضوعي لما هم عليه ، والمرحلة الثانية هي التصحيح الأخلاقي لما هم عليه . ولكن المرحلة الأولى لدى فيني لا وجود لها . لذلك لا نجد لديه أى مظهر من المظاهر التي يمكن أن تنشأ عن المرحلة الأولى ، لا فترات الهبوط التي كانت تتاب من دويران ذا الشعور الواسع ، ولا الأحكام القاسية التي كان يصدرها أميل في حق نفسه ، ولا الألفاظ القوية التي كان لوكونت دليل يستعملها في الاعتراف بقلة نشاطه ، كقوله عن نفسه إنه خامل وعاجز وحين يعترف فيني بأنه غير فعال ، فإنه يعلل كسله تعليلا من شأنه أن يمجده هذا الكسل ، فهو يقول إن النظر قد قتل فيه العمل ، وإنه خلق للفكر والتأمل .

وجهله هذا نفسه قد فاقم مسابقة للفاعلية ، فهو يسير في اتجاه هذه الالفاعلية بدلا من أن يعطلها ، وهو بذلك يضاعف آثارها فيه يهرب أمام العقبات ، وإذا جرحته عامة بعض أعضاء السبائكل انفصل عنهم ، وإذا اززعج من مخالطة المجتمع فرّ وابتعد ، وما يكاد يخفق أول إخفاق حتى يترك مطامحه السياسية أو الدبلوماسية . . . وهو ، سواء في باريز أو في مبن جبرو ، يستلم لوحدة نفسه وتبطله حيا ، وكان يمكن أن يبحث عن الظروف التي يستطيع بواسطتها أن يتشثل نفسه من نفسه ، أن يحمل نفسه على الفعل .

٢ - لئن كانت مسابقة فيني للفاعلية خطيرة ، ولئن أساءت إليه ،

فأنقصت خصوبة حياته ، وقللت ضخامة آثاره ، فيجب أن لا نهجل لماذا حرص فيني على لفاعليته ، بل لماذا كان من حقه أن يحرص عليها ، لما كان لها من شأن بالنسبة إليه . ذلك أن قيوله للعجز عن الفعل قد غدا « استسلاما للقوى الغائبية التي يملكها الانطلاق على السجدة حين تكون القيمة هي الملهم » ليس للفعل صورة واحدة بل صورتان ، الأولى متجهة إلى الخارج ، وهي التي تحرك الفعاليين وتغلب فيهم ، والثانية أميل إلى الداخل ، وهي اتجاه للنفس بؤثره الالفاعليون ، وقوامه الاستسلام . لكن الاستسلام يكون لضغط خارجي ويكون لوثبة داخلية . وهذا الاستسلام هو أيضا فعل ، لكنه من الإرادة كالحب من السلطة . إنه أيضا استجابة سيكوديا الكيكية . وانظر كيف يعبر فيني عن هذا الاستسلام : « حركة شعرية تشفى في نفسي رغم إرادتي . » ، « في نفسي شيء أقوى من المجد يحملني على الكتابة » . وكان فيني يستسلم لهذه القوة ، ويشعر بنشوبها ، ويبعد كل ما يمكن أن يعكر مجراها . لم يتمرّد عليها ، لم يخبها ، بل ظل وفيا لها . ولئن لم يخب من ذلك سعادة ، لقد حقق بذلك رسالته كشاعر .

٣ - لقد مر فيني بساعات من الإلهام خصبة ، لا تزال تفوح سعادتها من بعض صفحاته . فلماذا لم يخرج من هذه الساعات بشيء آخر غير تشاؤمه ذلك البسيط الساذج ؟ لماذا لم يستطع أن بأسر هذه الحماسة التي كانت تنعشه في بعض الساعات ، ليصنع منها ثقة دائمة ؟ إن ما كان يعبر عنه ، عادة ، هو تجربة التقطع والبأس والمرارة والفاجعة . لماذا ؟

لأن شعوره بذاته كان غالباً على افتتانه بالقيمة إن الإنسان السعيد هو الذى نفته القيمة ، سواء أكانت عقلية أم أخلاقية دينية أم فنية ، فإذا هو يتحرر من ذاته التجريبية ، ويتوحد بهذه القيمة ، ويكشف نفسه ذاتاً مهيبة .. ولكى يصل إلى هذه السعادة فى كل نقابها يجب أن تخف ذاته ، وأن لا تتقل بحمل يمنعها من الوثوب . وهذا ما يصعب على اللافعال إن فئتي لم يلامس السعادة إلا نادراً ، وكأنه كان يلامسها خلسة ، حتى إذا انتهت نشوة الشعر القصيرة ، عاد إلى لافعالته ، ورجع إليه شعوره المؤلم . وفى تلك اللحظة إنما كان يستأنف تفكيره فى مصير الإنسان ، فيحل فلسفة رديئة محل تجربة الإلهام وحماة الشعر ، ويعبر بتشاؤمه عن الهزيمة التى أعقبت السعادة .

ونستطيع أن نتساءل الآن ما هى القيمة التى تعلق بها فئتي . فنقول إن القيمة التى تعلق بها فئتي وهدف إليها هى أن يحصل من الآخرين على إعجابهم بالتعبير الصادق عن ذاته وكان كلما بلغ هذا الهدف وجد فى شعوره بقيمة نجاحه انتصاراً على ضعفه الداخلى الذى تفرضه عليه لافعالته إن ما يسعى إليه كل إنسان هو تجربة يبلغ بها إلى توكيد خطورته ، وهذه الخطورة يمكن أن تكون هى القوة الجسمية أو السلطة الاجتماعية أو الشهرة الشعبية أو المديح يزجيه له الناس ، أو اكتشاف قانون من قوانين الطبيعة ، أو حب شخص آخر أو حب الله . وقد أمل فئتي أن يبلغ إلى توكيد خطورة ذاته اتصالاً فنياً وأخلاقياً بينه وبين الآخرين ، بشعر هو التعبير الصادق النبيل عن نفسه .

لقد كان مؤهلاً لهذا بحكم طبيعه ، واختاره بإرادته الحرة

لكل إنسان جسم قوى أو ضعيف وهذا الجسم هو ما هو بغض النظر عن الطبع . فرب جموح نحيل هزيل يرهق طبعه جسمه ، ورب خامل قوى

الجسم لا تؤثر قوة جسمه في إيقاع حياته ولكن هذا لا يبنى أن جسم الإنسان يؤثر في مصيره تسهيلا أو إعاقة تبعا لقوته أو ضعفه وثمرة الوظائف العضوية هي ما نطلق عليه اسم المزاج لقد كان دانتون غضبيا ذا مزاج قوى ، وكان جسمه يتيح لفعاليته أن تبلغ غاية مردودها . وكان فولتير دمويا ذا مزاج ضعيف ، ولئن استطاعت فعاليته الكبيرة أن تخضع جسمه لمطالبها ، لقد شعر من ذلك بغير قليل من الانزعاج والارتباك . ولم يملك فيني في حياته إلا مزاجا ضعيفا . كان رابع أربعة إخوة ، مات ثلاثة منهم في سن مبكرة ، وكان متوعك الصحة دائما ، وقد أصيب بالتهاب الرئة وهو في الجيوش : وكثيرا ما كان يبصق دما وقد يغرينا أن نعلل تشاؤم فيني بهذه الظروف السيئة : فتلك هي عادة الناس في تعليل حياة الرجال وآثارهم ، بظروف خارجية والصواب عن ذلك بعيد . إن صحة ديكارت لم تكن خيرا من صحة فيني ، ولكن طبع ديكارت كان غير طبع فيني : فاستجاب الرجلان لهذه الظروف السيئة استجابتين مختلفتين كل الاختلاف : اتخذ الأول هذه العقبة ذريعة لليأس ، واتخذها الثاني فرصة للتأكيد . ولئن شكنا فيني من سوء صحته ، فلأن العاطفي أكثر الناس إحساسا بالتبدلات وبثقل الجسم ، وليس الأمر الأساسي في فيني أنه كان عليل المزاج ، بل أنه كان غير فعال .

### ٣ - القوة الجنسية المقنعة

سبق أن أشرنا إلى أن هناك فرقا بين القوة الجنسية الخفية أو المقنعة ، وبين القوة الجنسية الظاهرة فرب شخصين يملكان قوة جنسية واحدة ، ثم تظهر هذه القوة الجنسية في سلوك أحدهما سافرة نشيطة بلا وسواس ، بينما تظل لدى الثاني كامنة محتبثة عليها قناع يخفيها عن غير ذى العين البصيرة . ويرجع هذا الاختلاف أولا إلى أن القوة الجنسية لدى الأول ( كازانوفا ، لافونتين ) ، لا يلجمها الترجيع البعيد كما يلجمها لدى الثاني ، ولكن يمكن أن يرجع هذا الاختلاف أيضا إلى أن القوة الجنسية لدى الثاني تعوقها خصائص أخرى من

خصائص الطبع ، كالبخل أو احترام الشخص لنفسه ، كما يمكن أن توقعها عوامل خارجية ، كالتربية التى تلقاها الشخص فى طفولته ، أو التأثير الذى تحدثه فيه البيئة الاجتماعية . فإذا النشاط الجنسى يختنى من حياة الرجل أو المرأة فى الظاهر على الأقل ، لأنه كامن أو معلق ، ولكن القوة الجنسية تفضحها وتكشف عنها بعض العلامات التى تستطيع أن تلاحظها عين بصيرة . وهذا ما ينطبق على فيني الذى كان ، فيما يبدو ، يملك قوة جنسية كبيرة . وهذه الشهوانية هى إحدى المقومات التى يتألف منها استعداد فيني للخلق الشعرى ، شأنه فى ذلك شأن معظم الشعراء ، وهى ما تدل عليه بعض آثاره الأدبية أيضا . يضاف إلى ذلك أن فيني ، فى شبابه ، لم يخلع على نفسه ذلك الثوب من التحفظ الذى خلعه على نفسه بعد ذلك . وأوضح آيات قوته الجنسية ، بعد كل شئ ، هو أن شهوره المتجمعة قد انفجرت ذات يوم ، فإذا هو يندفع فى حب ماري دورفال حبا جامحا والها ، لا يصدده عنه أن هذه المرأة غير جديرة بهذا الحب .

#### ٤ - مؤثرات البيئة

١ - التربية التى تلقاها فى طفولته من أبويه يظهر أن أباه كان فعلا ذا ترجيح قريب وكان لأمه الجموح سلطة عليه أقوى من سلطة أبيه وقد جعلاه كاثوليكيًا ، معترا بنبالتة أكثر قليلا مما تسمح به نبالتة من اعتزاز . . . حتى لقد علمه أبواه أن يشعر بأنه منى فى الإمبراطورية والعصر وبذلك قويا استعداده ، من حيث هو عاطفى ، للتعلم بالماضى أكثر من السعى إلى المستقبل ، كما أنهما إذ غديا فيه الشعور بالعظمة المبهارة قد أيقظا طموحه المشوف بإشعاره بأن جهده مغلوب مقدما ولا شك أن بعض الجروح التى أصابته فى المدرسة قد أثرت فيه فى هذا الاتجاه نفسه .

٢ - ومن بين مجموعة المؤثرات فى طفولته ، يجب أن نبرز خاصة ظرفه الاجتماعى ، وهو كونه يتسمى إلى النبالة الصغيرة . وهناك تتعاون ظروفه الموضوعية مع استجابته السيكوديناميكية

لقد كان فيني نبيلًا ، ولكنه كان نبيلًا أقل مما يريد أن يكون . إنه يجب

النبالة للصورة التي تعطيه إياها النبالة عن نفسه . ولكنه لا يستمد من نبالة هذه أى فائدة عملية أو وظيفة اجتماعية ، حتى إنه أحال هذه النبالة إلى سلسلة من التنازلات ، فإنه لم يفد من هذه النبالة التي كانت تتيح له أن يدخل الجيش ضابطا ، وأن يُستقبل في صالونات باريز ، وأن يصل إلى البلاط ، وأن يسند إليه مركز حكومي ، إلا الاعتقاد المخطئ بأنه خلق للجيش ، وإلا النفور من حياة الصالونات ، واحتقار رجال البلاط ، والحزن من الشعور بأنه مبعود عن كل سلطة

٣ - ولا شك أن نشأته الدينية قد أسهمت في تغذية حاجته إلى القيمة ، وفي وفد اهتماماته الأخلاقية . ولكنه من التربية الكاثوليكية التي أخذته بها أمه لم يستمك بشئٍ ديني حقا ، لا الميتافيزيقا اللاهوتية ، ولإعادة امتحان الضمير ، ولا الميل إلى العبادة الدينية ، ولا الحاجة إلى الانضواء تحت لواء منظمة شاملة ، ولا أية معرفة بالحياة الصوفية . وما احتفظ به من التربية الكاثوليكية لا يزيد على عادات في الكلام يعبر بها عن مشاعره الخاصة (جبل الزيتون) ، وصورا مسيحية من التفكير والتعبير يستعملها في فترات الألم . فمن الواضح لدى فيني أن ما هو عميق قد أتاه من طبعه ، وأن البيئة لم تحمل إلى شخصيته إلاتحديبات أفادته في التفكير والتعبير

٤ - ولقد كانت مهته عسكرية ولكن من جميع صور الاهتمام بالمهنة لم يعرف فيني ، في حقيقة الأمر ، إلا صورة واحدة ، هي إدراك ما تصنعه بالإنسان . وواضح أن هذا الموقف هو أقل المواقف العسكرية ، ذلك لأن غاية الجيش هي أن ينصرف الإنسان إلى الفعل ناسياً نفسه .

يتبع من ذلك أن السنين التي قضاها فيني ضابطا في الجيش لم تكن بالنسبة إليه إلا طريقة في الشعور بذاته ، وما استمده من الخارج لا يعدو معلومات ضممتها كتابه « العبودية والعظمة العسكريتين »

٥ - رغم كل ما قد يظهر لنا ، لم يتأثر فيني بالبيئات الأدبية اللهم إلا في هذه الحدود الضيقة ، حدود أخذه من كتاب الماضي والحاضر عناصر التكنيك

الشعري . لا شك أنه أسهم في إغناء طرز التعبير في الشعر الفرنسي ، وهو بذلك قد تأثر بعصره وأثر فيه ، ولا شك أن ترجماته خاصة ، قد عززت تأثير شكسبير فيه وفي غيره ، ولكن هذا الانقياد للرأى الجديد كان من جهته دعوة إلى مبادئ لا خصوصاً لتأثيرات خارجية والذي يغلى أجمل قصائده وأشدها تأثيراً في النفس ، إنما هو روح فيني . إن هذه الروح هي التي يشدها من يجبون فيني ، من عصر إلى آخر . لئن أثرت فيه البيئة ، فلقد كان تأثيرها فيه بالطريقة السلبية التي يمكن للبيئة بها أن تخدم الأصالة والتفرد بتخليص الفرد من أنواع الضغط التي قد تخنقه ومنذ ترك فيني السيناكل أظهر أنه كان وأن عليه أن يظل شاعراً متوحداً

٦ - ومن الظاهر أخيراً أنه ما من صديق ، وما من امرأة حتى ولا مدام دورفال ، كانت لفته بمثابة صدمة توقف رسالته ، أو تحدث له انقلاباً لقد كان يمكن أن يصف « دليلاً » دون أن يعرف مدام دورفال . ولقد ساعد أصدقاؤه في غير قليل من الكرم ، ولكنه لم يتلق منهم كبير شيء ، حتى ولا تلك الثقة بنفسه ، التي كان في حاجة عميقة إليها . وتلك أيضاً سمحة من سمات العاطفيين تتحقق منها في حياته : وهي العجز عن نسج علاقات متينة بينه وبين الآخرين . والعاطفيون يقدرهم الناس ، وقد يجبونهم ، أكثر مما يجبون هم الناس . ذلك لأن اللافعالية تخلق فيهم نوعاً من العجز عن تغذية وتجديد علاقة من العلاقات أو صداقة من الصداقات ، فيغفلون هذه العلاقة ويدعوها لثأنها متى كان عليهم أن يبذلوا جهداً من أجل المحافظة عليها . وقد تفاهم هذا العجز لدى فيني بتأثير ما كان يظهر من تحفظ لاحظته جميع الناس وذكره

يجب أن نخلص من هذا الاستعراض السريع إلى أن ما أضافه البيئة إلى ذاتية فيني ليس كبير شيء . إن الارتباط بين الذات الصميمة والذات العامة ، بين سر النفس ومنطقة علاقاتها بالعالم المادى أو الاجتماعى ، يختلف باختلاف الأفراد ، فتارة نجد الذات الصميمة هي الغالبة وتارة نجد العكس فالعامل الخارجى أهم لدى بعض الأفراد من العامل الداخلى ، وفي هذه الحالة



نرى أن الشخصية تدين للبيئة بأكثر مما تدين به لأصالة الذات العميقة . كما أن العامل الداخلى أهم لدى بعضهم الآخر من العالم الخارجى ، وفى هذه الحالة نرى أن ما يأخذونه من البيئة ليس له شأن إذا قيس بما يستمدونه من أعماق أنفسهم . ولقد كان فينبي أكثر العاطفيين خضوعا لما يولد فى ذات نفسه ، وكانت شخصيته ، تبعاً لذلك ، تتضمن من مقومات الطبع أكثر مما تتضمن من مؤثرات البيئة .

## الفصل الثامن عشر

### نظرة نقدية

ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب أننا حرصنا على عرض هذه المدرسة الفرنسية المعاصرة في علم الطباغ عرضاً لا يلخص نتائجها فحسب ، بل يعكس روحها أيضاً ، ولا يخلو حتى من لهجة الإيمان بصدق هذه النتائج ، حتى ليتمكن أن يظن بنا التأييد الكامل للنظرية التي نحن بصددها ، وليس الأمر كذلك ، وإنما رأينا أن الأمانة في العرض تقتضى أن يبيء كأنه بأقلام أصحاب النظرية أنفسهم .

ولو أردنا الآن أن نحصى جميع ما يتبادر إلى الذهن من ملاحظات نقدية تفصيلية ، لطال الحديث في غير طائل . وقد رأينا أن نكتفى بتساؤلات تتناول ( ١ ) بعض الأسس التي تقوم عليها هذه النظرية ، ( ٢ ) المهج الذي اعتمدت عليه

### تساؤلات حول بعض الأسس

علم الطباغ الفرنسي المعاصر الذى وضع نواته هيانس وفيرزما ، وسعه ووجهه لوسين ، يميز في « طبع » الفرد بين أساس ثابت باق هو الطبع بالمعنى الضيق ، وبين بنية إضافية خاضعة للتغير والتبدل ، هي « الطبع » بالمعنى الواسع ، أو هو الشخصية التي تشمل كل الإنسان .

وعلى أساس ثبات الطبع بالمعنى الضيق أراد لوسين أن يقيم بناء علم الطباغ فهو يعرف الطبع بأنه « مجموعة الاستعدادات الولاوية التي تكون الهيكل النفسى للإنسان » . إن الطبع عنده حصيلة الوراثة ، وهو من هذه الناحية ثابت دائم باق ، لا يتطور ولا يتبدل ولا يتغير . إنه فطرى ، ليس فيه شيء مكتسب .

إن الاعتقاد بـثبات الطبع هو إذن الأساس الذى يقوم عليه علم الطباع الفرنسى المعاصر . ولا ندرى هل يشجع العلم على مثل هذا الاعتقاد .  
 أى شئ فى الشخصية الإنسانية ، وحتى فى الطبع بالمعنى الضيق ، ثابت لا يتغير ولا يطرأ عليه تبدل ؟  
 هل الأمور التى انتقلت إلى الفرد بالوراثة تبقى فيه مكتسبة لا ينفذ إليها أى تأثير ؟

وإذا كانت المورثات التى تنتقل إلينا بالوراثة لا تخضع لتأثير الأشياء المكتسبة ، فهل يستطيع أحد أن يؤكد أن تنشر ممكانتها الإكاملة أثناء الحياة يتمتع بمثل ذلك الثبات ؟  
 هل نحن قادرين حقاً على أن ننفذ من الطبع إلى ذلك الأساس الذى يقال إنه وراثى ولادى ؟

هل نحن نملك المعايير المضمونة التى نستطيع بها أن نفرق بين ما هو فى الإنسان موروث وما هو مكتسب ، ولو لدى الطفل الصغير ؟  
 أليست الأشياء الولادية نفسها متشعبة كل التشعب بشرائط الحياة التى أحاطت بالجنين وهو ما يزال فى رحم أمه ؟

أليس يتحد الموروث بالمكتسب اتحاداً وثقاً منذ الولادة ؟  
 وكيف نستخرج من سلوك الإنسان الذى أدخلت عليه « الذات » تعديلات وتعديلات ، كيف نستخرج الأشياء التى نستطيع أن نقطع بأنها ثابتة من الطبع ؟

لقد ذكر لويسين أسماء عدد كبير من مشاهير الرجال ، واعتقد أنه واجد فى حياتهم وفى آثارهم ما يبرهن به على نظريته . ولكنه ، وهو الذى يدرس الطبع بالمعنى الضيق ، لم يعرض علينا هياكل بل عرض علينا أجساماً كاملة التكوين بلحمها ودمها وثيابها . . . فكيف نستطيع أن نفرق فى « طباع » هذه الشخصيات بين ما يرجع إلى التكوين العضوى الوراثى وبين ما يرجع إلى البيئة والتاريخ الشخصى وأحداث الحياة والظروف وما إلى ذلك ؟

ولتذكر الجدال الذي قام بين علماء الأمراض العقلية حول « السيكوباتيا التكوينية » هل المرضى بالسيكوباتيا التكوينية هذه ، على وضوح معالمهم ، هم ثمرة التكوين الوراثي أم نتيجة تطور بعد الولادة ؟ هل يستطيع العلماء الذين يؤمنون بأهمية التكوين الولادي أن يدعوا أنهم قادرون على أن يفرقوا في هؤلاء المرضى بين ما هو موروث وما هو مكتسب أم أن كل ما يستطيعون أن يقولوه هو أن دور الوراثة أظهر في بعض الحالات ، وأن دور الاكساب أظهر في حالات أخرى ؟

ترى لو أردنا أن نعرى الإنسان حتى نصل إلى الميكل منه ، حتى نكتشف ما هو فيه قاعدة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، فهل يبقى من هذا الإنسان شيء ؟ ما من أحد يشك في أن لعلم تكون الجنين قوانينه الصحيحة ، وما من أحد يشك في أن معادلات مندل صادقة ، ولكن هل علم الجنين الذي يقوم على أسس وطيدة ، يمتد إلى ميدان علم الطباع ، حتى بالمعنى الضيق ؟

ألا تفسر الوقائع ونضطر إلى إلقاء الكلام جزافاً إذا نحن أردنا أن نبني علم الطباع على أساس خصائص ثابتة تؤول نماذج ثابتة ؟  
ذلك عن ثبات الطبع ووراثته أو ولادته ؟

ثم ما هذه « الذات » ، ما هذا « المبدأ الفعال » الذي « يحده الطبع على نحو فطري ثابت » ( راجع التعريفات ، ص ٢١ ) ثم هو مع ذلك حر ، كأنه مستقل في جوهره عن الكائن ، ومتحرر تبعاً لذلك من جبريته ؟

إن نظرية لوسين تضع الذات في البناء النفسي للإنسان . فما هي هذه الذات التي توفق بين الجبرية والحرية ؟ ما أصلها ؟ أليست تشارك قليلاً أو كثيراً في الخصائص الأساسية والخصائص التكميلية ذاتها ؟

إن لوسين يعزل هذه الذات ، ويسند إليها صفة الحرية والمبادعة ، فهل هي شيء متعال ؟ هل هي شيء فوق الإنسان ؟

أليس في تصور الأمور على هذا النحو تجزئنا للإنسان ؟ هل الإنسان طبع مقيد من جهة ، وروح حرة من جهة أخرى ؟ أليس هذا نوعاً من الذرية ؟

وكيف تصور هذه الحرية التي ليست حرة ، ما دامت محدودة بالطبع  
« على نحو فطري ثابت » ؟

ثم فلنتظر في الفقرات السيكوديناميكية التي يشرح فيها لويسن كيفية رد  
« الذات » على الطبع . هل ما ذكره عن تخصص الذات للطبع ، يخصها  
حقا ؟ هل « الذات » التي يحدثنا عنها تنتمي إلى فرد أم تنتمي إلى نموذج ؟  
إن لويسن يحدثنا عن رد النموذج على طبعه ، لا عن رد فرد بعينه على طبعه ،  
فكان لكل نموذج من النماذج ذاتا مشتركة بين جميع أفرادها ، وكان « الذات »  
ليست خاصة بفرد بعينه . وماذا تفعل هذه الذات أخيرا ؟ هل تخصص الطبع  
حقا ؟ إن رد فئتي على طبعه كان هو الاستسلام له ، والانسحاق معه ، وفي  
حديث لويسن عن رد فئتي على طبعه ما يشعر بأن فئتي كان معمولا على هذا  
الرد بحكم طبعه نفسه ( الالفاعلية ) ، فأين هي الحرية إذن ؟ بل أين هو الرد ؟  
ولماذا هذه « الذرية » أصلا ؟

ولنتظر ، بعد ، في نوع آخر من « الذرية »

هل لفكرة الانفعالية وفكرة الفعالية وفكرة الترجيع من معنى إذا اجتث  
التحليل ترابطها الحى ؟ إن لويسن يقول إن الانفعالية والفعالية والترجيع تظل  
غير محددة ما لم ننظر إليها في المركبات التي تدخل فيها . ولكن أين ينظر إليها  
لويسن ؟ إنه ينظر إليها في النماذج الثمانية ، لا في النماذج التي يبلغ عددها ٥٥٢  
نموذجا إذا نحن حسبنا عدد النماذج على أساس تزاوج المقومات الأساسية  
والمقومات التكميلية ومقومات الميل ( كما أحصاها موقتا جامستون برجييه ) وبه  
نظر إليها في هذا العدد الكبير من النماذج ، فهل يكفى هذا ؟ أما ينبغي أن ينظر  
إليها في الأفراد لا في النماذج ، أى حيث تتفاعل فيما بينها من جهة ، وتتغذى  
بغذاء من البيئة والتجارب من جهة أخرى هذا أبو نواس ودوستويفسكى

إنهما يتيمان بحسب تصنيف علم الطبائع الفرنسي المعاصر إلى النموذج العصبي  
إن كلا منهما انفعالي لا فعال ذو ترجيع قريب قرب بينهما . ألا ترى أن  
الاختلاف يصرخ ؟ إن الجرس الروحي الذي ينبعث من كل منهما ، وإن

النفقات الروحية التي ترن في كل منهما لتختلف أشد الاختلاف فإذا كان أبو نواس ودوستوفسكى « العصيان » يختلفان كل هذا الاختلاف فما رأيك في « التشابه » بين المعرى وروبير « العاطفين »؟ هل نقول إن الاختلاف بين الرجلين يرجع إلى اختلاف المقومات التكميلية وعوامل الميل وعامل « الذات » الحرة؟ إذن فما قيمة اشتراكهما في المقومات الأساسية؟ ألا تكون هذه المقومات التكميلية ومقومات الميل و « الذات » الحرة أهم عندئذ من المقومات الأساسية وأخطر منها شأنًا في تعيين الشخصية؟ وهل يمكن حقا أن نخرج من هذه المزاجات « النورية » ، من هذه الكيمياء الطباعية إلى وحدة الشخصية؟ هل نفسر طبعًا من الطباع إذا تحدثنا عن انفعالية مشفوعة بالفعالية تارة ، وباللافعالية تارة أخرى؟ أليس الأصح من ذلك أن نقول إن الفرد فعال ، على نحو من الانحاء ، في ميدان قابلياته وميوله وقدراته وأذواقه وأهدافه؟ هل الانفعالية والفعالية قائمتان بذاتهما؟ ثم كيف نفرق في الانفعالية بين ما هو فطري وما هو مكتسب ، ما يرجع إلى شروط عضوية وراثية ، وما يرجع إلى تجارب الحياة؟

### بعض التساؤلات حول المنهج

قال لوسين في ختام كتابه « علم الطباع » ما خلاصته ومعناه  
 « أغنيا استقصاءات هيمناس بدراسات طباعية أخرى ، واتبيننا إلى أن هنالك اليوم علما بالطباع موضوعيا فلا حاجة بالباحثين بعد الآن إلى أن يستأنفوا بناء علم الطباع من جديد ، كأن شيئا لم يكن قبلهم ، وإنما عليهم أن يكملوا هذا العلم وأن يوسعوه ، وأن يتأدوا به إلى مزيد من الدقة والصرامة .  
 « وقد كان سيينا إلى بناء هذا العلم العلاقات الكمية التي تمدنا بها الاستقصاءات ، والحدس النفسى الذى ألقيناه نورا على تلك العلاقات الكمية ، فجمع بينها وشد بعضها إلى بعض في نظام معقول .

« ونحن نعلم أن كثيرا من علماء النفس يريدون أن يلتزموا في دراساتهم منهجا موضوعيا كيميا ، وأن يرفضوا الاعتماد على أى جهد من جهود الحدس

والتعاطف ، وأن يردوا علم النفس إلى العلم الفيزيائي الرياضي ، فلقد كان هذا هو المثل الأعلى منذ قرنين ، وما يزال لكننا نعلم أيضا أن هؤلاء الذين يسعون إلى هذا المثل الأعلى قد حملوا على الهبوط إلى ما دون الشخصية قد حملوا على الهبوط إلى الجسم ، إلى الحيوان ، إلى المادة الخام فإذا هم يفكرون علمهم بالإنسان ، وإذا هم في معرفة البشر وتنوعهم دون غيرهم من الأفراد العاديين الذين يقيمون تعاملهم كل يوم على علم بالطباع عفوى

« ونحن نرى أن هذا الهبوط ليس أمرا محتوما وأن علم الطباع يستطيع أن يجمع بين وسائل العلم الدقيقة كالقياس والحساب ، وبين الحدسي الأدنى الذي لا يمكننا بدونه أن نصل إلى وحدة الطبع وهذا ما عمدنا إليه إذ زاوجنا بين نتائج الاستقصاء وبين التحليل الحدسي الأدنى وإذا كان العلم هو معرفة المادة ، وكانت الأدب هي معرفة الروح ، وكان الطبع واقعا على الحدود بين المادة والروح ، فعلى العلم والأدب أن يتعاقبا إذن في علم الطباع ، يأتي الأول بالتنظيم ويأتي الثاني بالتجربة الحية » . (لوسين ، « علم الطباع » ، ( ص ٥٣٩ - ٥٤١ )

صحيح أن لوسين قد اعتمد على نتائج إحصائية هي نتائج الاستقصاء ولكن ما قيمة هذا الاستقصاء نفسه ؟

لقد وجه هيمانس وفيرزما إلى عدد كبير من الأطباء الهولانديين والألمان استجوابا مؤلفا من تسعين سؤالا ، وطلبا إليهم أن يجيبوا على كل سؤال من أسئلة الاستجواب بصدد أشخاص يعرفونهم بحكم كونهم أطباء أسرهم . ولكن هيمانس وفيرزما لم يستخرجا المقومات الأساسية من حساب الترابط بين النتائج ، لم يعدا إلى شيء يشبه ما يعمد له أصحاب التحليل العاملي الذي قامت عليه دراسات علماء مثل سيرمان وشلدون وآيزنك وغيرهم ، بل تصورا أولا هذه المقومات التي عدّها أساسية ، وجعلنا أسئلة الاستجواب تدور حولها . والترابطات التي حساها هي الترابطات بين الصفات التي تشير إليها أسئلة الاستجواب وبين النماذج الثمانية التي اصطالحا على اعتبارها هي النماذج الطبيعية ، فنين لها مثلا أن

١١,٥٪ من العصبيين يوصفون بأنهم كاذبون

ونستطيع أن نساءل الآن

(١) - بأى حق نعتبر الانفعالية والفعالية والرجيع هى الصفات الأساسية التى تكون الطبع ؟ أليس فى هذا الاختيار تحكما قد لا يكون له ما يبرره من الواقع ؟

(٢) - هل يمكن الركون إلى قيمة الأجوبة التى أعطهاها الأطباء الهولانديون والألمان ؟ هل كان تقدير صفات الأفراد الذى قام به المستجوبون من هؤلاء الأطباء قائما على أساس مقارنة الأفراد بالوسطى ؟ على أى شىء كان يعتمد الطبيب المستجوب حين يقول عن فلان من الناس إنه مثلا « مستقل فى آرائه » ( السؤال ٣١ ) أو إنه « جيد الملاحظة » ( السؤال ٤٠ ) ، إلخ إلخ ، بمعنى أنه متفوق فى استقلال الرأى وفى قوة الملاحظة على وسطى الناس ؟

إن مبهج سلامم التقدير الذى يعدد إليه علماء النفس المحدثون يوجب أن نوضع كل صفة من الصفات على خط يقسم إلى درجات ، ثم يكون تعيين درجات الأشخاص المراد تقديرهم فى هذه الصفة ، بالنسبة إلى وسطى متفق عليه . فهل كان الطبيب الذى يحكم على فرد من الأفراد بأنه « مستقل فى رأيه » أكثر من وسطى الناس يعتمد على فكرة عن الوسطى متفق عليها بينه وبين سائر المستجوبين ، أم أنه يعتمد على ما قام فى ذهنه هو عما يجب أن يسمى « استقلالا فى الرأى » أو تفوقا على الوسطى فى استقلال الرأى ؟ أليس هذا الذى قام فى ذهنه عن استقلال الرأى متأثرا بشخصيته ؟

وقد اعتبر لوسين أن الرقم الذى يدل من نتائج الاستقصاء على أن ١١,٥٪ من العصبيين يوصفون بأنهم كاذبون ، اعتبر لوسين هذا الرقم مشيرا إلى أن العصبيين يحصلون فى الكذب على الدرجة ١١,٥ ، فكيف هذا ؟

وأية قيمة تعيلية لهذه الأرقام التى تأتينا بها نتائج الاستقصاء ؟ حين يقول لنا الاستقصاء الإحصائى إن ١١,٥٪ من العصبيين يكذبون ، فكيف نستطيع أن ندعى أن مقومات الطبع الأساسية للعصبى هى التى تعطل الكلب ؟ لو كان



اجتماع الانفعالية إلى اللافعالية والرجوع القريب هو الذي يولد الكذب فلماذا كان ٨٨,٥٪ من العصبيين لا يكذبون ؟

٣ - ولنتظر بعد في الأسئلة التي تشمل عليها استجابات هذه المدرسة .  
لننظر مثلا في الاستجابات الذي وضعه جاستون برجه . لننظر في الأسئلة المتعلقة بسعة ساحة الشعور من هذا الاستجابات اننا نقرأ ما يلي

س ٥٤ - أتمس الزمان شيئا سبالا متصلا ، يترق بغير تقطع جارا معه كل شيء ؟

أم أن الزمن يبدو لك سلبلة من اللحظات الثابتة نسبيا ، المنفصلة بعضها عن بعض ، المتعاقبة أيام شعور ساكن ؟ .

مامعنى هذا السؤال؟ أى إنسان يستطيع أن يجيب عليه غير جاستون برجه نفسه؟

ولنتقل إلى المنهج الآخر الذي اعتمد عليه لوسين أعنى الحدس الأدنى الذى حاول به أن يعقل النتائج الإحصائية هل تدل تحليلات لوسين على أنه كان ينفذ بحدسه إلى يتبوع الشخصية أو إلى يتابع الشخصية ، فيحس انحدار مظاهرها من هذه الينابيع ، أم أن هذه التحليلات لا تزيد على أن تكون نوعا من الكيمياء تشتمل على مزج مقادير مختلفة من مواد مختلفة ، من أجل إخراج مركبات جديدة ؟ إن المرء ليشعر ، حين يقرأ بعض تحليلات لوسين التي تحاول أن تجعل نتائج الاستقصاء معقولة أن لوسين لا يحلس بل يتصور تصورا عقليا وإنه فى هذا التصور العقلى ليلعب فى كثير من الأحيان كما يلعب البهلوان ، فيستخرج من المقومات الطبعية بعض الصفات تارة ، ثم يستخرج من هذه المقومات نفسها صفات أخرى تناقض الأولى تارة ثانية ، وذلك من أجل أن يبرر النتائج الإحصائية التي أمامه بأى ثمن ، وعلى أية طريقة . من ذلك مثلا أنه يعتبر الرجوع القريب أثناء حديثه عن الدموى شرطا ضروريا من شروط الحس الععلى الذى يتفوق فيه الدموى على سائر الطباع ، ثم يعتبره أثناء الحديث عن الهلامى عدوا من أعداء الحس العمل الذى يتخلف فيه الهلامى . فكأن غايته هى تبرير أرقام الاستقصاء كيفما اتفق . فهل كان له أن

يتناقض هذا التناقض لو كان يحدس حقا بدلا من أن يعتمد على تحليل منطقي يجريه على ما يجب له هواه ؟ ومن قبيل ذلك أيضا أنه يرجع صفة من الصفات تارة إلى هذه المقومة وتارة إلى تلك . وأنه يرجع صفة من الصفات تارة إلى مقومة تكميلية أو مقومة من مقومات الميل وتارة إلى مقومة أساسية أو إلى اجتماع مقومين أو ثلاث من المقومات الأساسية . فصفة الفكر ( س ٣٠ ) مثلا ترجع إلى سعة ساحة الشعور ، وهو مع ذلك يستعمل نتائج الاستقصاء المتعلقة بها في وصف نماذج الطبع الأساسية . كما أن هناك صفات يذكر أنها مستقلة عن مقومات الطبع الأساسية ( كالكفاء مثلا ، س ٣٠ ، الذي يعتبره لوسين مقومة تكميلية ، ويرفض جاستون برجييه ذلك ) ثم يستخدم نتائج الاستقصاء المتعلقة به في وصف النماذج الأساسية ، فاللمغاري يوصف بأنه ذكي أكثر من غيره إلخ وكل هذا الاضطراب ما كان ليقع أو أن الأمر أمر حدس يحدس ، لا عقل يحاول أن يلقى بمنطق هو إلى العتب أدنى وكيف يمكن أن نصدق أن ثمة حدساً إذا رأينا لوسين يبحر فولتير في النموذج الدموي ، ويكاد يستشهد على صدق اعتباره كذلك بكل صفة من صفاته . ويكاد يستشهد على صدق نظريته نفسها بإظهار التطابق الكامل بين سلوك فولتير وسلوك الدموي النموذجي ، ثم يأتي جاستون برجييه فيستعمل الحدس في فهم شخصية فولتير أو يدعي أنه يستعمله ، ثم يتنسى إلى أن فولتير ليس دمويًا ، لأنه انفعالي ، ولكنه انفعالي لا يملك عامل المودة إن دعوة لوسين إلى استعمال الحدس الأدبي منهجا في فهم الطباع دعوة لا غبار عليها ، وليس لوسين أول من دعا ولا آخر من دعا إلى مثل هذا

قال هنري فالون « إن الإحصاء لا يمكن أن يكون بالنسبة إلى عالم النفس إلا أداة مراقبة ، لا أداة اكتشاف . ولا بد من استعمال أشكال من الملاحظة تكون المبادأة فيها للحلس ، للإحساس النفسى ... » ( فالون ، الانسكلوبيديا ، المجلد ٨ ، ج ١٠ ، ص ١١ ) . ولكن هل إذا قرأنا تحليلات لوسين لم نشعر أن فيها من الاصطناع ما لا يتفق مع الحدس الأدبي الذي ينفذ إلى ينبوع الشخصية ، وشاهدته مشاهدة إن صح التعبير ؟

إن آيزنك يهدى كتابه « أبعاد الشخصية » إلى أستاذه سيريل برت الذى علمه أن الإحصاء خادم جيد ، ولكنه سيد سيء ترى هل كانت النتائج الإحصائية فى تحليلات لوسين تلعب دور الخادم أم تلعب دور السيد ؟

وهذه الأسماء التى تطلقها مدرسة علم الطباع الفرنسى على نماذجها ألا تحس أنها لا تناسب مسمياتها دائما ؟ ما هذا الدموى الذى ليس فيه حرارة الدم ، ليس فيه عاطفة ، ليس فيه انفعال ما هذا الغضبي الذى هو أكثر الناس امتلاء بالروح الإنسانية ، والروح الاجتماعية ، وحب الناس والتعاطف معهم ؟ إلخ

وكان كل شيء يهون ، لولا أن لوسين يريد ، مصرا ، أن يسد الطريق أمام كل محاولة جديدة للدراسة والتصنيف فهو يرى أن علم الطباع قد نشأ وكفى ، وأن كل ما يمكن وكل ما يجب أن يفعله الباحثون بعد الآن هو أن يزيدوا علم الطباع هذا غنى ، وأن يتأدوا به إلى فضل من الدقة لماذا يصبر لوسين على أن يسد الطريق هكذا ؟

وهل يجب أن محاولته ابتلاع الدراسات التى سبقته يبرر له أن يعد دراسته نهائية لا يأتىها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ؟ فما قوله إذا جاءه واحد ، كوتشيللى تلميذه ، فحاول أن يدخل تصنيفه فى تصنيف سابق عليه أو معاصر له هو تصنيف الدكتور كورمان ؟ أئذا كان النموذج السكيزوتيمى الذى ميزه كرتشمير والنموذج الانطوائى الذى ميزه يونج هما عين النموذج العاطفى فى تصنيفه ، كان ذلك دليلا على أن تصنيفه هو الكلمة الأخيرة ؟

أما بعد فلعلنا نستطيع ، دون أن نسلم لعلم الطباع الفرنسى المعاصر لا بصحة الأسس التى قام عليها ، ولا بمواءمة المناهج التى عمد إليها ، ولا بصدق النتائج التى انتهى إليها ، أن نردد مع الأستاذ الدكتور بوفن فى تقرير كتاب لوسين « إنه كتاب أسر موح . إنه فى أكثر أجزائه أصالة ، عمل فيلسوف وضع فى

خدمة علم جديد موارد فكر تحليلي بناء وإن الأطباء والمربين وعلماء الأمراض العقلية أنفسهم ليستمدون من قراءة هذا الكتاب في علم الطباع محرضات جديدة قوية على أن يتابعوا بحوثهم في اتجاه الأفراد أكثر من متابعتها في اتجاه النماذج<sup>(١)</sup>.

نعم ، في اتجاه الأفراد لا في اتجاه النماذج

لئن صدق أحدهم حين قال ما من ورقتين على أغصان الشجر في الغابة تشبه إحداهما الأخرى شبيها تاما ، فإن هذا القول أصدق على أفراد البشر منه على أوراق الشجر ما من وجهين إنسانيين يشبه أحدهما الآخر شبيها تاما ، حتى ولا وجهي التوأمين اللذين نشأ عن بيضة واحدة ولئن صدق هذا على ملامح الوجه ، فهو على ملامح النفس وسمات الطبع وصفات الخلق أصدق

(١) (الدكتور بوفن • الأريثيف السويرى لعلم الأعصاب وعلم الأمراض العقلية » ،

المجلد ٥٩ ، الملمزة ٢٠١ ، ١٩٤٧ )

## ملحق

## استجاب جاستون برجييه (١)

## ١ - الانفعالية

١ - أتاثر كثيرا من أمور صغيرة تعرف أنها لا قيمة لها ؟ أنضطرب

٩

أحيانا لشئون تافهة ؟

١

أم لا تهزك إلا الأحداث الخطيرة ؟

٩

١١ - أنتحمس أو تستنكر ، بسهولة ؟

١

أم أنت تقبل الأشياء كما هي ، بهدوء ؟

(١) عرفنا أن استجاب هيانس وفرزما قد وجه إلى أطباء طلب إليهم أن يقيموا على الأسئلة بصدد أشخاص يعرفونهم . أما استجاب جاستون برجييه هذا ، فإن الشخص المختبر هو الذى يجيب فيه على الأسئلة ، فتارة يطبق جميعاً فتوزع منه نسخ على عدد من المختبرين ، يتولون الإجابة على الأسئلة دون أن يساعد المختبر ، وتارة يطبق فردياً فيساعد المختبر المختبر في الإجابة على الأسئلة ، بتوضيحها وتبيان المقصود منها على وجه الدقة . وطبيعى أن الاختبار فى صورته الثانية يؤدي إلى نتائج أفضل . ويجب أن نعين درجة المختبر فى كل صفة من الصفات التى تعبر عنها الأسئلة بأحد رقمين (٩ أو ١) ، إلا بالنسبة إلى الأسئلة التى يجوز للشخص فيها أن يعين درجته بالرقم ٥ . ونحن نرى أن عدد الأسئلة المتصلة بكل مقومة من مقومات الطبع التسع هو عشرة . والدرجة التى تحظى للشخص فى كل مقومة هى وسطى الدرجات العشر التى عينت له بصدد الأسئلة ، فإذا جاءت درجات الأسئلة المتصلة بالانفعالية مثلا كما يلى : ٥ ، ٩ ، ١ ، ٩ ، ١ ، ٥ ، ٥ ، ٥ ، ٥ ، ٥ ، كان الوسطى هو ٢ و ٦ أو بعد الجبر ٦ ، وهكذا بالنسبة إلى سائر المقومات . ونوضع بعد ذلك الصيغة الطليمة للشخص كما يلى

|   |   |   |
|---|---|---|
| E | A | S |
|   |   |   |

|   |     |
|---|-----|
| L | M.V |
|   |     |

|    |    |   |    |
|----|----|---|----|
| Av | Is | T | Pi |
|    |    |   |    |

- ٢١ - أنت سريع التأذى ؟ . أيجرحك ، بسهولة وعمق ، نقد حاد بعض  
الحدة ، أو ملاحظة سيئة أو ساخرة ؟ ٤٩
- ١ أم أنت تحتل النقد دون أن يجرحك ؟
- ٣١ - أنتضطرب بسهولة لحادث غير متوقع ؟ أنتتفض حين يناديك  
أحد فجأة ؟ . أبيضر وجهك أو يحمر بسهولة ؟ ٩
- ١ أم أنت يصعب اضطرابك ؟
- ٤١ - أنتحمس أثناء الكلام ؟ . أيرتفع صوتك في الحديث ؟ . أتشعر  
بحاجة إلى استعمال ألفاظ قوية أو ألفاظ معبرة جدا ؟ ٢٩
- ١ أم أنك تتكلم بلا تعجل ، كلاما هادئا رزينا ؟
- ٥١ - أتشعر بالقلق إزاء مهمة جديدة أو إزاء تغير تنظره ؟ ٢٩
- ١ أم أنت تواجه الموقف يهدوء ؟
- ٦١ - أنتنقل من الحماسة إلى الانهيار ومن الفرح إلى الحزن ، أو  
بالعكس ، لسبب نافه ، أو حتى لغير سبب ظاهر ؟ ٩
- ١ أم أن مزاجك متساو ؟
- ٧١ - أنتحوذ عليك ، في كثير من الأحيان ، شكوك ووساوس  
بصدد أفعال لا قيمة لها ؟ . أيجتفظ ذهنك في كثير من الأحيان  
بفكرة تزعجك ولا فائدة منها البتة ؟ ٩
- ١ أم أنت لا تعرف هذه الحالة المزعجة إلا نادرا ؟
- ٨١ - أيتفق لك في بعض الأحيان أن تبلغ من شدة الانفعال أن  
ما ترغب في عمله يصبح مستحيلا كل الاستحالة (خوف  
يشك عن الحركة ، أو خجل يعقل لسانك عن الكلام ، إلخ ) ؟ ٥
- ١ أم أن ذلك لا يتفق لك إلا نادرا جدا ؟
- ١ أم أن ذلك لم يقع لك أبدا ؟
- ٩١ - أتشعر في كثير من الأحيان بأنك تعيس ؟ ٩
- ٩١ - أم أنك ، على وجه العموم ، راض عن حظك ، أم أنك ، أكثر

من ذلك ، حين لا تجرى الأمور على ما تحب ، تفكر في  
في الأمور التي ينبغي تغييرها أكثر مما تفكر في عواطفك ؟

## ٢ - الفعالية

٢ - أنتغل نفسك في همة ونشاط ، خلال ساعات الفراغ (دراسات

إضافية ، أعمال اجتماعية ، أشغال متنوعة ، أعمال يدوية ،

٩ وعلى وجه العموم أعمال غير مفروضة) ؟

٥ أم أنك تستفيد من ساعات الفراغ للراحة ؟

أم أنك تبقى ، مدة طويلة ، لا تعمل شيئاً ، وإنما تحلم

أو تكتفى بالتبليغ (قراءات مسلية ، راديو ، إلخ) ؟

١٢ - أنتحتاج إلى جهد شاقٍ للانتقال من الفكرة إلى الفعل ، ومن

١١ التقرير إلى التنفيذ ؟

٩ أم أنك تفضد فوراً ، وبلا صعوبة ، ما قررت القيام به ؟

٢٢ - أنتخور عزيمتك بسهولة أمام الصعوبات أو أمام عمل يبدو أنه

١ يحتاج إلى تعب شديد مفرط في الشدة ؟

أم أنك ، بالعكس ، امرؤ تزيد الصعوبات ويزيده الجهد

٩ مضياً فيما عقد النية عليه ؟

٣٢ - أنتحب أن تحلم ، سواء بماض لم يبق له وجود ، أو بمستقبل

٢٢ يمكن أن يوجد ، أو بمجرد أخيلة صرفة ؟

أم أنك تؤثر أن تعمل ، أو على الأقل أن تضع مشاريع معينة

٩ تهين للمستقبل حقاً ؟

٤٢ - أنتعمل فوراً ما يجب عليك أن تعمله ، دون أن تحتل من

٩ ذلك عناء ؟ (كتابة رسالة ، إنجاز أمر ، إلخ) ؟

٤١ أم أنك ميال إلى التأجيل ، إلى الأرجاء ؟

٩ ٥٢ - أنتعزم أمرك فوراً ، حتى في حالات صعوبة ؟

٤١ أم أنك تردد مدة طويلة ؟

- ٦٢ - أنت كثير الحركة ( تقوم بحركات وإشارات ، وتثب من على كرسيك بقوة ، وتذهب وتجيء في الغرفة ، في غير حالات الانفعال العنيف ) ؟
- ٩
- ١ أم أنت ، على وجه العموم ، ساكن إلا أن يهزك انفعال ؟
- ٧٢ - ألا تتردد أبدا عن الشروع في إحداث تغيير مفيد حين تعلم أن هذا التغيير سيقترضك جهدا كبيرا ؟
- ٩
- ١ أم أنك تراجع أمام العمل الذي يجب أن تشرع فيه ، وتفضل الإبقاء على الوضع القائم ؟
- ٨٢ - أتذا أصدرت أوامرك للقيام بعمل من الأعمال ، لم تعبأ بعد ذلك بالتنفيذ ، وشعرت بأنك تخلصت من هم ؟
- ٩
- ١ أم أنك تراقب التنفيذ عن كثب ، لتأكد من أن الأمور تنفذ تنفيذا حسنا بالشروط المطلوبة وفي الوقت المطلوب ؟
- ٩٢ - أتؤثر أن تشاهد على أن تفعل ؟ ( يلذ لك أن تشاهد في كثير من الأحيان وخلال مدة طويلة لعبة لا تمارسها ) ؟
- ١
- ٩ أم أنك تفضل أن تعمل على أن تشاهد ، لأن المشاهدة وحدها سرعان ما تبعث فيك الملل ، أو تحضك على الانتقال إلى الفعل بنفسك ؟

### ٣ - الترجيع البعيد

- ٣ - أتفقدك ، في أعمالك ، فكرة مستقبل بعيد ( تدخر لشيخوختك ، تجمع المواد اللازمة لعمل طويل الأجل ) أو النتائج البعيدة التي يمكن أن تنجم عن أعمالك ؟
- ٩
- ١ أم أنك تعنى بالنتائج المباشرة خاصة ؟
- ١٢ - أتفكر في « كل ما يمكن أن يقع » ، وتستعد له بعناية ( تترود بكل ما يجب التروود به في سفر ، تدرس خط السير ، تنبأ



- ٩ بالأحداث الممكنة ، إلخ) ؟
- ١ أم أنك تترك كل ذلك لحينه ، وتعتمد على إلهام اللحظة ؟
- ٩ ٢٣ - ألك مبادئ صارمة تحاول الترامها ؟
- ١ أم أنك تفضل التلاؤم مع الظروف بمرونة ؟
- ٩ ٣٣ - أثبتت على ما رسمت من خطط؟ أنتجز دائما ما بدأت به ؟
- ١ أم أنك في كثير من الأحيان تهجر عملا من الأعمال قبل أن تنيه (تبدأ كل شيء ولا تنهى شيئا) ؟
- ٩ ٤٣ - أنت ثابت جدا على المودة (تحافظ على صداقات الطفولة ، تعاشر أشخاصا بأنفسهم ، وجماعات بعينها ، باطراد) ؟
- ١ أم أنك كثيرا ما تبدل أصدقاءك (تنقطع ، مثلا ، عن رؤية أشخاص كنت تعاشرهم ، دون أن يكون هنالك دواع ذات بال تحملك على ذلك الانقطاع) ؟
- ٩ ٥٣ - بعد سورة غضب (أو بعد تلقى إهانة ، إذا كنت لا تغضب أبدا) أتصفو نفسك مباشرة (تعود كما كنت تماما ، فما تفكر في الأمر) ؟
- ١٥ أم أنك تظل معكر المزاج مدة من الزمن ؟
- ٩ أم يصعب أن تصفو نفسك (يظل حقدك قائما) ؟
- ٩ ٦٣ - ألك عادات صارمة جدا ، تحرص عليها كثيرا ؟ هل أنت حريص على تكرر بعض الأمور تكررا مطردا ؟
- ١ أم أنك تكره كل ما هو معتاد ومتنبأ به مقلما ، وتعد المفاجأة عنصرا أساسيا من عناصر اللذة ؟
- ٩ ٧٣ - أنتخب الترتيب ، والتناظر ، والاطراد ؟
- ١ أم أنك ترى الترتيب مملا ، وتحتاج إلى أن تجد شيئا من التروة والحيال في كل شيء ؟
- ٩ ٨٣ - أتضع مقدما برنامجا لاستعمال وقتك وجهودك ؟ . أنتحب أن تضع

- خططا ، ومواعيد ، وبرامج ؟ ٩  
 أم أنك تبأشر العمل دون قاعدة دقيقة معينة مقدما ؟ ١  
 ٩٣ - حين تتبنى رأيا من الآراء ، أفتتعلق بهذا الرأي في إصرار وعناد ؟ ٩  
 أم أنت يسهل إقناعك ، وتتسلم لإغراء فكرة جديدة ؟ ١

## ٤ - سعة ساحة الشعور

- ٤ - أيتفرقك ما أنت بسبيل عمله استغراقا كاملا ، بحيث لا تدرك ما يجري من حولك ؟ ١  
 أم يسهل عليك أن تعمل ما أنت بسبيل عمله ، مع الاستمرار على متابعة ما يجري من حولك ؟ ٩  
 ١٤ - أتولى الدقة والوضوح كثيرا من الشأن ؟ أتحب الأفكار الواضحة ، والأعباء المحددة ؟ ١  
 أم يحلو لك ما هو غامض ، غير محدد ، وما ترجع قيمته إلى « الفروق الطفيفة » ؟ ٩  
 ٢٤ - أتفر نفورا قويا غريزيا من كل ما يمكن أن يأتي مشوشا لك فيما أخذت به نفسك من عمل ؟ أتحقق كل ما يمكن أن يصرفك عما أنت فيه ؟ ١  
 أم أنك تقبل هذه المشوشات دون حتى ، وتردد عليها في رخاوة ؟ ٩  
 ٣٤ - أنت في حاجة إلى أن تحلل ، من أجل أن تفهم ؟ أباالمحيط إلى التفاصيل إنما تفهم البرهان أو الآلة أو الطريقة التي تعنيك أم يكفيك أن تدرك المجموع جملة ؟ ١  
 ٤٤ - أنت دقيق المواعيد ، حتى ليتفق أن تصل قبل الموعد خشية أن تضيعه ؟ ١  
 أم أنك تصل في كثير من الأحيان متأخرا ؟ ٩

- ٥٤ - أتحمس الزمان شيئا سبيلا متصلا ، يترقق بغير تقطع جاراً معه  
كل شيء ؟  
٩
- ٧٤ - أشعر بالحاجة إلى أن تمضى بما شرعت فيه من عمل إلى غاية  
الكمال ؟  
١
- ٨٤ - أنت قاطع بل جازم فيما تؤكد من رأى وما تضع من مشروع ؟  
أم أنك تكره هذا التقيد ، وتحاول أن تعدل فكرة بأخرى  
رافضاً أن تتقيد بإحدايهما ؟  
٩
- ٩٤ - أتكرر أقوالك وإشاراتك مرة بعد مرة ، أتكرر آراء بعينها ثبت  
حتى تجمدت ؟  
١
- أم أن آراءك سيالة رجرجاة ، لا يمكن أن تكون في يوم عين  
ما كانت في الماضي ، فكأنها غارقة في تيار الشعور والحياة ؟  
٩

### ٥ - انقطعية

- ٥ - أنحب الكفاح ؟ أتبحث عن التنافس والصراع ؟  
أم أنك تكره المعارك والخصومات ، وتؤثر الخضوع مقدماً (ولو  
في الظاهر) على أن تنسج المجال لنشوء صراع ؟  
١
- ١٥ - أتجد لذة في قيادة الآخرين ، حتى ولو اقتضى ذلك أن تجبرهم  
على الطاعة ، وأن تترع منهم الخضوع انتزاعاً ؟  
٩
- أم أنك تكره أن تفرض إرادتك على الآخرين فرضاً ، وتؤثر على  
ذلك « المناورة » والإغراء ؟  
١

- ٢٥ - أنت محب لطيف لبق تحاول أن تأسروا أن تفتن من يقاربونك ؟  
 ٩ أم أنك تعاملهم ببساطة ، بل حتى في شيء من الخشونة ؟
- ٣٥ - أتبتني تلقائيا عادات الناس الذين يكون عليك أن تعيش معهم ؟  
 ٩ أم أنك تحافظ ، في جميع البيئات ، على عاداتك التي درجت عليها ؟
- ٤٥ - أمارس أو تحب أن تمارس أنواعا من الرياضة العنيفة ؟  
 ٩ أم أنك تكره أن تمارسها ؟
- ٥٥ - أشعر بالحاجة إلى أن يحبك جميع من هم على صلة بك ، حتى أولئك الذين لا تنتظر منهم شيئا ؟  
 ٩ أم أنك لا تبالي عواطفهم ، ولا تسعى إلى الحصول على محبة أحد غير الذين تحبهم أنت نفسك ؟
- ٦٥ - أتعرف كيف « تفرض نفسك » ؟ أتمكن من تلقاء نفسك زمام قيادة جماعة ، أو توجيه عمل ، أو تنظيم اجتماع ؟  
 ٩ أم أنك لا تقبل أن توجه الآخرين ( إذا كان يقع لك ذلك ) إلا إذا جاءوا يطلبون منك أن توجههم أو إذا قبلوا من تلقاء أنفسهم أن توجههم ؟
- ٧٥ - أتحب المخاطرة ؟ أتعجد في مجابهة خطر من الأخطار لذة خاصة ؟  
 ٩ أم أنك تخشى المغامرات غير المضمونة العواقب ( وليس معنى هذا أنك تعوزك الشجاعة إزاء خطر لا تكون قد سمعت إليه ) ؟
- ٨٥ - أتحب أن يواسيك الناس وأن يرثوا لحالك ؟  
 ٩ أم أنك تكره أن يواسوك ، وتشعر بأنك تجرح حين يشفقون عليك ؟
- ٩٥ - أشعر بحاجة كبيرة إلى الاستقلال ؟ وهل يصعب عليك أن تخضع لتوجيه خارجي ؟  
 ٩

أم أنك تقبل ، من غير جهد ، أن تقاد وأن توجه ، ويسهل عليك أن تتلاءم مع طريقة رئيس أو معلم أو مدير ، في النظر إلى الأمور وفي العمل ؟

## ٦ - الاستيلاء

- ٦ - أنت طموح جدا ؟ ( لك رغبة عارمة في زيادة ثروتك ، أو تحسين مركزك ، أو إغناء معلوماتك ، أو مضاعفة سلطتك ، إلخ ) ؟
- ٩ أم أن طمعك في هذا كله معتدل ، فأنت ترى أنه لا يستحق أن يرهق المرء نفسه في ملاحقته ؟
- ١٦ - أيجلو لك أن تعبر كتبك أو أوراقك أو آلاتك ؟
- ٩ أم أنك لا تحب أن تعبر أشياءك ؟
- ٢٦ - أنتشع بقيمة الزمن ؟ هل تقوم بعملك بسرعة ، لتنتقل منه بسرعة إلى عمل آخر ؟
- ٩ أم أنك قليل الإحساس بما للزمن من قيمة خاصة ، وأنت لا تقيم كبير وزن لفكرة السرعة وفكرة المردود ( تحقيق أكبر مقدار من العمل بأقل مدة من الزمن ) ؟
- ٩ ٣٦ - أنت غيور في عواطفك ، وفي صداقاتك ؟
- ١ أم أنك قليل الغيرة ؟
- ٩ ٤٦ - أنت عنيف في إثبات حقوقك ، وفي المطالبة بما يجب لك ؟ أم أنك تكره المطالبة ، وتترك بسهولة ما كان يمكنك أن تطالب به ؟
- ١ ٥٦ - أيعينك ما تحققه من نجاح ( ما تحصل عليه من نصر في الرياضة ، أو الصيد ، أو المجتمع ، إلخ ) ؟ أنتابع تحسين هذا النجاح ، سواء بالقياس إلى ما حققته في الماضي أو بالقياس

- ٩ إلى ما يحققه الآخرون ؟
- ٦٦ - أم أن هذا الاحتمال غريب عنك ؟
- ٩ أم أنتج أن تكون الأول في كل أمر؟ أنتج أن تتقدم الآخرين ؟
- ٥ أم أنك محمول على الاحياء أمام الآخرين ؟
- ٦ أم أنك لاتبالي بالأسقية إطلاقا ؟
- ٩ ٧٦ - أنت بطبيعتك شكاك ريب ، قليل الثقة بالناس ؟
- ٦ أم أنت بطبيعتك تثق بالناس ؟
- ٨٦ - أنتجك قيمة الأشياء ؟. أنتظ لتذكر خلال مدة طويلة أثمان الأشياء التي اشتريتها ؟
- ٩ أم أن القيمة المادية لا تعنيك إلا قليلا ، فرعان ما تنسى ثمن الشراء ؟
- ٩٦ - أتريد أن تستفيد من جميع الفرص التي تعرض ، حتى ولو لم تكن لك رغبة خاصة فيما تقدمه لك ، وإنما مجرد « الاستفادة من الفرصة » ؟
- ٩ أم أنك تدع للفرص التي لم يكن يعنيك أمرها في السابق أن تفوت ؟

#### ٧ - الاهتمامات الحسية

- ٧ - أنتتبه كثيرا لإحساساتك ؟ أنتجك كثيرا الأشكال ، والألوان والأصوات ، في ذاتها ؟
- ١٩ أم أن الأشكال الحسية ليست بالنسبة إليك إلا « معلومات » عن طبيعة الأشياء ( مثلا يعنيك معنى الكلام الذي تسمعه دون أن تتبه كبير انتباه إلى جرس الأصوات ، وتعنيك فائدة شيء من الأشياء أكثر مما يعنيك لونه ، إلخ ) ؟
- ١٧ - أتولي ما تأكله كثيرا من الاهتمام؟ أناكل ببطء ، مثلذا بالمداق ؟

- ٩ أنت ذواقة في الطعام ؟
- ٩ أم أنك تأكل دون أن تولي المذاق كبير اهتمام ، وإنما تأكل من أجل أن « تتغذى » ؟
- ٩ ٢٧ - أنتهم بتحضير أطباق الطعام ( هل تعنيك « وصفات الطهي » ) ؟ أم أنك لا تبالي هذه الأمور ؟ فإذا كانت وظيفتك تجبرك على الاهتمام بها ، كنت لا ترى في الوصفات إلا وسائل لإرضاء الآخرين ، أو للنجاح في تحضير الطعام بسرعة وضمان ؟
- ٩ ٣٧ - أنتعنى كثيرا بالإحساسات الليلية ؟ أيولد لك ملمس الحرير أو القراء أو المحلل انفعالات قوية ( سواء أكانت هذه الانفعالات لذيدة أو مؤلة ) ؟
- ٩ أم أنك لا تولي هذه الأنواع من الاحساسات كبير اهتمام ؟
- ٩ ٤٧ - أنتحب أن تنظر إلى نفسك في المرآة لتدرس تعبيراتك ؟ . أترقب إشاراتك ونبرة صوتك ؟
- ٩ أم أن هذا لا يهكم إلا قليلا ؟
- ٩ ٥٧ - أنتحب الترف لذاته ( أى بغض النظر عما يحققه من إرضاء لحب الظهور ) ؟
- ٩ أم أن الترف لا يعينك ؟
- ٩ ٦٧ - أنتحب أن تداعب بيديك الأطفال الصغار أو الحيوانات ؟ أم أن ذلك لا يعينك في ذاته ( أى بغض النظر عن العواطف الرقيقة التي يمكن أن تشعر بها نحو الأطفال الصغار والحيوانات ) ؟
- ٩ ٧٧ - أبك حاجات جمالية ( فنية ) عميقة ؟ أقيمة الفن في رأيك لا تقل عن قيمة الأخلاق
- ٩ أم أن الفن لا يحتل في حياتك إلا مكانة ثانوية ، وأنت لا تمد الفن إلا وسيلة ممتعة للتسلية ؟
- ٩ ٨٧ - أيهكم كثيرا المكان الذي تعيش فيه ( المفروشات ، والأثاث ،

- والزينة ) ؟ مثلا ، أيصعب عليك أن تطبق الحياة في غرفة  
تعدّها بشعة؟ ٩
- أم أن ذلك في رأيك أقل قيمة من أن يكون المسكن عمليا ،  
مرحبا ، صحيا ، إلخ ؟ ١
- ٩٧ - ألاحظ بطبيعتك ملابس أصدقائك ( لونها ، شكلها ، قماشها ،  
إلخ . ) ؟ ٩
- أم أنك لا تنبّه إلى ذلك كثيرا ؟ ١

## ٨ - المودة

- ٨ - أيرق قلبك كثيرا لمصير الآخرين ؟ ٩
- أم أنك تبقى هادئا ، حتى حين تحاول أن تساعدهم عمليا ؟ ١
- ١٨ - أتعذ عواطف الآخرين أهم من الأفعال التي يقومون بها ؟ ٩
- أم أنك ، خلافا لذلك ، ترى أن المهم حقا إنما هو الأعمال ،  
وإنما هو النتائج ؟ ١
- ٢٨ - أنتج الحيوانات ككائنات ذات شخصية ، وسهك ما يعنمل  
في شعورها ؟ ٩
- أم أنك ، على كونك لا تؤذيها ، تعدّها بهائم تشبه أن تكون  
كالأشياء سواء بسواء ؟ ١
- ٣٨ - أهتم بالآخرين من ناحية ما ترغب أنت في تحقيقه ؟ أتعدهم  
أدوات يمكن استعمالها ، أو عقبات تجب إزالتها ؟ ١
- أم أنك ، خلافا لذلك ، تنقص نظراتهم ، ناسياً نظراتك ،  
وتشعر بما يشعرون به بالتعاطف ، وتحاول أن تخدمهم أكثر  
عما تحاول أن يخدموك ؟ ٩
- ٤٨ - أتعلمت بمعاونتك ، وخدمتك ، ورفاقتك في العمل ، وتستمر على  
علاقاتك بهم ، حتى حين تصبح هذه العلاقات مضرّة بك (لانطرد



- ٩ خادما مهملا ، ولا موظفا رديثا ) ؟  
 أم أنك لا تتردد عن الإقدام على هذه الانفصالات المفيدة  
 ( تستبدل بمعاونتك معاونا آخر ، وتستبدل بعلاقاتك علاقات  
 أخرى ) ؟
- ١  
 ٩ ٥٨ - أنتحب الأذقال كثيرا ؟ أتسرك صحبتهم ؟ أمجلو لك أن تشاركهم  
 العابهم ؟
- ١  
 ٥ أم أن الأطفال يشرون حنقك ؟  
 أم أنك لا تحفل بهم ، وكنتي ؟ أم أنك تحبهم « نظريا » إنصح  
 التعبير ، أى تحبهم « من بعد » ؟
- ١  
 ٩ ٦٨ - أتؤثر أن تحب على أن تطاع ؟  
 أم ترى أن هناك أمورا أهم كثيرا من الحب ، وأن تحقيق هذه  
 الأمور يقتضى أن يوضع الحب فى المترلة الثانية ؟
- ١  
 ٧٨ - حين تشعر بعاطفة نحو أحد الناس ، أفتحس أنك محمول على  
 التعبير له عن عاطفتك بكلمات رقيقة ، والتفغات رقيقة ؟  
 أم بأعمال تحقق له مساعدة موضوعية ( خدمة تنفذها له ،  
 معلومات تمده بها ، عون تقلمه له ، لىخ )
- ١  
 ٩ ٨٨ - أشعر بحاجة إلى رؤية أصدقائك كثيرا ؟  
 أم أنك تظل فى بعض الأحيان لا تراهم مدة طويلة ( دون أن  
 يضعف ذلك صداقتك لهم بالضرورة ، من جهة أخرى ) ؟
- ٦٦  
 ٩٨ - أيصعب عليك أن تعمل فى جو غير صديق ، أو فى جو عدو ؟  
 أم أن هذا لا يؤثر فىك كبير تأثير ؟
- ١

## ٩ - الهوى العقلى

- ٩ - أيضق لك كثيرا أن تسعى إلى حل مسائل ليس لها أى تطبيق عملي ؟  
 أم أنك لا تعنى إلا بالنتائج الوضعية وتنصرف عن كل ما لا يؤدي  
 إلى شيء ؟
- ١٩ - أفضل التسلية العقلية (دراسة ، مناقشات فكرية ، ألعاب  
 تقتضى تفكيراً ، كالشطرنج ، إلخ)
- ٩ - أم تؤثر تسلية من نوع آخر تسلية جسمية (رياضة ،  
 رحلات) أو تسلية اجتماعية (زيارات ، اجتماعات مختلفة)  
 أو تسلية عاطفية (قراءة روايات عاطفية ، الاستماع إلى  
 الموسيقى) ؟
- ١ - ٢٩ - أعتقد أن هناك أسراراً يجب احترامها وأن على العقل ، فى  
 بعض الميادين ، أن يخلى مكانه وأن يعدل عن متابعة البحث ؟
- ١ - أم ترى أن احترام الأسرار هذا إنما هو خيانة عقلية ، ونوع  
 من « الخطيئة ضد الفكر » ؟
- ٩ - ٣٩ - أتؤثر بعنايتك الوقائع العينية ؟
- ١ - أم الأفكار والنظريات ؟
- ٩ - ٤٩ - أتؤثر ، من بين الروايات ، تلك التى « يحدث » فيها شيء ،  
 والتى تقص جميع الأحداث تفصيلاً ؟
- ١ - أم تؤثر ، من بين الروايات ، تلك التى تتيح لك أن تدرك حركة  
 الأجهزة النفسية ، أو أن تدرك قيمة فكرة فلسفية (أخلاقية  
 اجتماعية ، إلخ) ؟
- ٩ - ٥٩ - أتبدو لك الحياة الاجتماعية أمراً هاماً جداً ؟ أترى أن على كل  
 إنسان أن ينخرط فيها ؟
- ١ - أم أنك قليل الثقة بما هو اجتماعي ، ميال إلى « التحرر » .

- منه ، لتفكر بحرية تامة ، بعيداً عن التقاليد ، ولكن دون الخضوع
- ٩ أيضا لمفريات العصر والبيئة ؟
- ٦٩ - أنتشر إزاء المسائل المعقدة بالمدلة ، أو تشعر أحيانا بشعور  
 ١ الزهو أمام تقدم العلم أو أمام اكتشافاتك الشخصية ؟
- ٩ أم أن هذه المشاعر (الشعور بالمدلة أو الشعور بالزهو) تبدو لك  
 في غير محلها ، لأن الأمر أمر فهم فحسب ؟
- ٧٩ - أنتحب الناس البسطاء ، والأشعار التي يسهل فهمها ، والقصص  
 ١ التي لا تعقيد فيها ؟
- ٩ أم أنك سرعان ما تمل الأشياء المسرفة في البساطة ، وتؤثر عليها  
 الآثار والأشخاص الذين يتيحون للعقل فرصة العمل العنيف ؟
- ٨٩ - أنتشر بحاجة إلى تحليل عواطف أصدقائك ، وإلى محاولة فهم  
 ٩ الآثار الفنية التي تعجب بها ؟
- ٩ أم يكفيك أن تستلم للذة التي يولدها وجود أصدقائك معك ،  
 ١ وتستلم للذة التي يولدها تأملك لتلك الآثار الفنية ؟
- ٩٩ - أنذا وجدت إزاء جهاز أو آلة لا تعرفهما ، كان يعينك قبل  
 ١ كل شيء أن تعرف التطبيقات التي يمكن أن تكون لهما ؟
- ٥ أم تعينك قبل كل شيء براعتهما ؟
- ٩ أم تعينك قبل كل شيء المبادئ التي طبقت في اختراعهما ؟

## فهرس الأعلام

١ - من علماء النفس وعلماء الطباع

|                    |                  |                       |                 |
|--------------------|------------------|-----------------------|-----------------|
| Sigaud             | سيجو             | Adler                 | آدلى            |
| Spranger           | شبرانجر          | Palmade (Guy)         | بالماد (جى)     |
| Schreider          | شرايدر           | Pavlov                | بافلوف          |
| Sheldon            | شلدون            | Pende                 | بانده           |
| Schopenhauer       | شوبنهاور         | Pannenburg            | باننبورج        |
| Freud              | فرويد            | Bergson               | برجسون          |
| Fouillée           | فوييه            | Berger (Gaston)       | برجيه (جاستون)  |
| Wirzma (Dr.)       | فيرزما (الدكتور) | Boutonnier (Juliette) | بوتونيه (جوليت) |
| Viola              | فيولا            | Paulhan               | بولان           |
| Gaille (Emile)     | كاى (إميل)       | Bear (Von)            | بير (فون)       |
| Kardiner           | كاردينر          | Percz (Bernard)       | بيريز (برنار)   |
| (Abram)            | (أبرام)          | Thorris (Georges)     | توريس (جورج)    |
| Kretschmer         | كرتشمير          | Jamin (Crépieux)      | جامين (كريبيو)  |
| Dr. Corman         | الدكتور كورمان   | Gaillat (Roger)       | جايا (روجيه)    |
| Queyrat            | كيرا             | Gross (Otto)          | جروس (أوتو)     |
| Le Gall (André)    | لوجال (آندره)    | Grieger (Paul)        | جريجيه (بول)    |
| Linton (Ralph)     | لتون (رالف)      | Gex (Maurice)         | جكس (موريس)     |
| Le Senne (René)    | لوسين (رونيه)    | Judet (Ginette)       | جوديه (جينيت)   |
| Leleu (Michèle)    | لولو (ميشيل)     | Rorschach             | رورشاش          |
| Levy               | لبنى             | Ribery                | ريبرى           |
| Mac Auliffe        | ماك أوليف        | Ribot                 | ريبو            |
| Malapert           | مالاير           | Smolinsky             | سمولنسكى        |
| Mucchielli (Roger) | موتشيللى (روجيه) | (Ivanov)              | (إيفانوف)       |

|                          |               |                           |                 |
|--------------------------|---------------|---------------------------|-----------------|
| Huxley ( <i>Aldous</i> ) | هکسلی (آلدوس) | Moro-Sir                  | مورو - سیر      |
| Heymans                  | هیانس         | ( <i>Edouard</i> )        | (إدوار)         |
| ( <i>Gertrude</i> )      | (جرترود)      | Maistriaux                | متریو           |
| Jeanch                   | ینش الأخوان   | ( <i>Robert</i> )         | (روبر)          |
| Yung                     | یونج          | Mesnard ( <i>Pierre</i> ) | مینار (بیر)     |
|                          |               | Murphy ( <i>Gardner</i> ) | میورفی (جاردنر) |

۲ - من درست طابعهم ، وغیرهم

|                           |                 |                         |                  |
|---------------------------|-----------------|-------------------------|------------------|
| Bruhl ( <i>Levy</i> )     | برول (لینی)     |                         | أبو العتاهية     |
| Prévost ( <i>Abbe</i> )   | پریفو (الآب)    |                         | أبو نواس         |
|                           | بشار            | Addisson                | أديسون           |
| Poe ( <i>Edgard</i> )     | پو (إدجار)      | Ostwald                 | استوالد          |
| Poincaré                  | پوانکاریه       | Platon                  | أفلاطون          |
| ( <i>Raymond</i> )        | (ریمون)         | Ampère                  | آمپیر            |
| Bourget ( <i>Paul</i> )   | بورجیه (بول)    | Amiel                   | آمییل            |
| Bossuet                   | بوسویه          | Augustin ( <i>St.</i> ) | أوغسطين (القدیس) |
| Buffon                    | بوفون           | Baader ( <i>Von</i> )   | بادر (فون)       |
| Beaumarchais              | بومارشیه        | Pasteur                 | پاستور           |
| Peguy                     | پیجی            | Pascal                  | پاسکال           |
| Biran ( <i>Mains de</i> ) | بیران (مین دو)  | Balzac                  | بالزاک           |
| Bacon                     | بیکون           | Bentham                 | بانٹام           |
| Byron                     | بیرون           | Bayle                   | بایل             |
| Picasso                   | پیکاسو          | Beethoven               | بتهوفن           |
| Taleyrand                 | تالیران         | Berlioz                 | برلیوز           |
| Chesterfield              | تسٹرفیلد (لورد) | Bernard ( <i>St.</i> )  | برنار (القدیس)   |
| Turgot                    | تورجو           | Brunschvigg             | برنشفیک          |
| Thoreau                   | تورو            | Proudhon                | پروڈون           |
| Turenne                   | توزین           | Proust                  | پروست            |

|                           |                  |                         |                 |
|---------------------------|------------------|-------------------------|-----------------|
| Racine                    | راسین            | Tolstoi ( <i>Léon</i> ) | تولستوی (لیون)  |
| Rimbaud                   | رامبو            | Thomas ( <i>St.</i> )   | توماس الاکوینی  |
| Robespierre               | روبسیر           | Taine                   | تین             |
| Rubens                    | روبنس            | Thackeray               | تاگری<br>الجاحظ |
| Rousseau                  | روسو             | Gambetta                | جامبتا          |
| Renoir                    | رونوار           | Goethe                  | گوته            |
| Richelieu                 | ریشلیو           | Gladstone               | جلادستون        |
| Renan                     | رینان            | Gauguin                 | گوجان           |
| Régnier                   | رنیه             | Jaurès                  | جوریس           |
| Zola ( <i>Emile</i> )     | زولا (ایمل)      | Joffre                  | جوفر            |
| Sainte-Beuve              | سنت بوف          | Goldsmith               | جولد سمیت       |
| Stendhal                  | ستاندال          | Gibbon                  | جیبون           |
| Scott ( <i>Walter</i> )   | سکوت (والتر)     | Giraudoux               | جیرودو          |
| Sully Prudhomme           | سولی برودوم      | Darwin                  | دارون           |
| Sévigné ( <i>Mme de</i> ) | سیفینی (مدام دو) | D'Alembert              | دالامبر         |
| Châtelet                  | شاتلیه (مدام دو) | Danton                  | دانتون          |
| ( <i>Mme de</i> )         |                  | Dante                   | دانته           |
| Chateaubriand             | شاتوبریان        | D'Annunzio              | دانتریو         |
| Shaftesbury               | شافتسبری         | Daudet                  | دودیه           |
| Shakespeare               | شکسپیر           | Dostoievsky             | دوستویفسکی      |
| Chopin                    | شوپان            | Delacroix               | دولاکروا        |
| Sand ( <i>Georges</i> )   | صاند (جورج)      | Dorval ( <i>Marie</i> ) | دورفال (ماری)   |
|                           | عمر بن الخطاب    | Dumas ( <i>Père</i> )   | دوماس (الآب)    |
| Van Gogh                  | فان جوخ          | DeLisle                 | دولیل (لوکونت)  |
| Fichte                    | فخته             | ( <i>Le Comte</i> )     |                 |
| France ( <i>Anatole</i> ) | فرانس (آ ناتول)  | Diderot                 | دیدرو           |
| Franklin                  | فرانکلین         | Descartes               | دیکارت          |
| Verlaine                  | فرلین            | Dickens                 | دیکتر           |
| Beaudelaire               | بودلیر           | Rabelais                | رابلیه          |

|                  |                       |                 |                   |
|------------------|-----------------------|-----------------|-------------------|
| Louis 18         | لويس ١٨               | Flaubert        | فلوبير            |
| Leibniz          | ليبتس                 | Foch            | فوش               |
| Marmontel        | مارمونتيل             | Voltaire        | فولتير            |
| Mazarin          | مازاران               | Vauvenargue     | فترفنارج          |
| Malebranche      | مالبرانث              | Fénelon         | فنون              |
|                  | المتنبى ( أبو الطيب ) | Fontenelle      | فونتنيل           |
| Metternich       | مترنيخ                | Vigny           | فيني              |
|                  | معاوية                | Carlyle         | كارليل            |
|                  | المعري ( أبو العلاء ) | Casanova        | كازانوف           |
| Machiavel        | مكيا فيل              | Cavendish       | كافنديش           |
| Mill (J. Stuart) | مل (جون ستوارت)       | Kant            | كانت              |
| Mill (James)     | مل ( جيمس )           | Claudiel (Paul) | كلوديل ( بول )    |
| Murat            | مورا                  | Corneille       | كورنى             |
| Mozart           | موزار                 | Courier         | كوربيه (بول لوى)  |
| Musset           | موسيه                 | Colette (Mme)   | كوليت ( مدام )    |
| Molière          | موليير                | Cuvier          | كوفيه             |
| Montesquieu      | مونتكيو               | Comte (Auguste) | كونت (أوغست)      |
| Montaigne        | مونتينى               | Condorcet       | كوندورسيه         |
| Mirabeau         | ميرابو                | Condillac       | كونديلاك          |
| Michelet         | ميشليه                | Condé           | كونديه            |
| Michel-Ange      | ميكلائانجلو           | Kierkegaard     | كيركجارد          |
| Napoléon         | نابليون               | Laforge         | لافورج ( جول )    |
| Nietzsche        | نشيه                  | La Fontaine     | لافونتين          |
| Newton           | نيوتن                 | Lambert         | لامبير (جان هنرى) |
| Hamelin          | هاملان                | Lessing         | لسنج              |
| Heine            | هاينى                 | Loti (Pierre)   | لوتى ( بيير )     |
| Helvétius        | هلفتيوس               | Lucrèce         | لوقريطس           |
| Henri 4          | هنرى الرابع           | Locke           | لوك               |
| Hugo             | هوجو                  | Louis 14        | لويس ١٤           |
| Horace           | هوراس                 | Louis 15        | لويس ١٥           |
|                  |                       | Louis 16        | لويس ١٦           |

|                        |                |          |        |
|------------------------|----------------|----------|--------|
| Hume                   | هیوم           | Hoffmann | هوفمان |
| Washington             | واشنگتن        | Hegel    | هیگل   |
| Wilde ( <i>Oscar</i> ) | وایلد (اوسکار) | Haeckel  | هیکل   |



المؤلفات التي ورد ذكرها في هذا الكتاب  
وأهم المؤلفات التي أشير إلى دراسات أصحابها

آدلر « علم النفس الفردي » ، « المزاج العصبي » ، « معرفة الإنسان » .

ALFRED ADLER, Individual psychology, Berlin.

Le Tempérament nerveux, tr. fr., Paris, Payot.

La connaissance de l'homme, tr. fr. Paris, Payot.

« أبعاد الشخصية » ، الترجمة الفرنسية .

H.J. EYSENCK, Les Dimensions de la personnalité, tr. fr. P.U.F.

Paris, 1950.

بالماد « علم الطباع » .

GUY PALMADE, "La Caractérologie", PUF, Paris, 1949.

باننبورج : « الكتاب الهجاءون » .

PANENBORG, Les écrivains satiriques, P.U.F., Paris, 1955.

برجيه « تحليل الطبع »

GASTON BERGER, Traité pratique d'analyse du caractère, P.U.F.,

Paris, 1950.

برجيه « الطبع والشخصية » .

G. BERGER, Caractère et personnalité, P.U.F., Paris, 1954.

بوتونيه « أنواع خلل الإرادة » .

JULIETTE BOUTONNIER, Les Défaillances de la Volonté, Paris,

P.U.F., 1951.

بولان « الطباع » .

PAULHAN, Les Caractères, Paris, 2e édit. 1906.

بيريز « الطبع من الطفل إلى الرجل » .

PEREZ, Le caractère de l'enfant à l'homme, Paris, 1891.

ثوريس « العمل الطبي وطبع المريض »

Le Dr THORRIS, L'acte médical et le caractère du malade, P.U.F.

Paris, 1956.

جايا « التحليل الطباعي لتلاميذ فصل من الفصول من قبل معلمهم » .  
ROGER GAILLAT, Analyse caractérielle des élèves d'une classe par leur maitre, P.U.F., Paris, 1951.

جريجيه: « الذكاء والتربية العقلية » .

PAUL GRIEGER, L'intelligence et l'éducation intellectuelle, investigations caractérologiques, P.U.F., Paris, 1950.

جكس « اختبار طباعي من أجل تشخيص سريع » .

MAURICE GEX, Test caractériel pour un diagnostic rapide, P.U.F., Paris, 1954.

جوديه « الحجل ، دراسة في الصحة النفسية للطبع العاطفي » .

GINETTE JUDET, La timidité, contribution à l'hygiène du sentiment, P.U.F., Paris, 1952.

رورشاش: « التشخيص النفسي »

RORSCHACH, Le Psychodiagnostic, tr. fr. par Ombredane, P.U.F., Paris, 1949.

ريبرى . « محاولة في تصنيف الطباع تصنيفا طبيعيا » .

RIBERY, Essai de classification naturelle des caractères, Paris, 1902.

ريبو « في مختلف أشكال الطبع » ، المجلة الفلسفية ، مجلد ٣٤ ، ١٨٩٢ ، « سيكولوجية العواطف » .

RIBOT, Sur les diverses formes du caractère (rev. Phil. 34, 1892).  
La psychologie des sentiments, Paris, Alcan.

سبيرمن « الشخصية الإرادية . الشخصية الذكائية »

SPEARMAN, Personnalité Volontaire. Personnalité intellectuelle, Herman, Paris, 1939.

شرايدر « النماذج الإنسانية » ، ثلاثة مجلدات

SCHREIDER, Les types humains, 3 vol. Hermann, Paris.

شلدون « الأشكال المختلفة للجسم الإنساني »

W.H. SHELDON and S.S. STEVENS, The Varieties of human physique, The varieties of Temperament, Harper, New York.

فرويد « المدخل إلى التحليل النفسي » ، « في النماذج الليبيدية » .

SIGMOND FREUD, Introduction à la psychanalyse, tr. fr. Payot, Ueber Libidinose Typen, Internationale Stsch. für Psychoanalyse, 1931.

- فوييه « المزاج بحسب الأفراد والجنس والأجناس » .  
 FOUILLÉE, Tempérament et caractère selon les individus, les sexes  
 et les races, 6e éd., Alcan, Paris, 1921.
- كاي « الطباع والخطوط » .  
 EMILE GAILLE, caractères et écritures, P.U.F., Paris.
- كرتشمير « الطبع وبنية الجسم »  
 KRETSCHMER, La structure du corps et le caractère, tr. fr. par le  
 Dr. Jankélévitch, Payot, Paris 1930.
- كورمان : « خمسة عشر درسا في المورفوسيكولوجيا » .  
 Le Dr. LOUIS CORMAN, Quinze leçons de morpho-psychologie,  
 Stock, Paris.
- كيرا « الطباع والتربية الأخلاقية »  
 QUEYRAT, Les caractères et l'éducation morale, 4e. édit. 1911, Paris.
- لوجال « علم طباع الأطفال والمراهقين » .  
 ANDRE LE GALL, Caractérologie des enfants et des adolescents, à  
 l'usage des parents et des éducateurs, P.U.F. Paris, 1951.
- لوسين « علم الطباع » .  
 RENÉ LE SENNE, Traité de caractérologie, P.U.F. Paris, 1945.
- لوسين « الكذب والطبع »  
 RENÉ LE SENNE, Le mensonge et le caractère, Alcan, Paris, 1930.
- لوسين « المصير الشخصي »  
 RENÉ LE SENNE, La destinée personnelle, Flammarion, Paris 1951.,
- لولو « اليوميات الشخصية » .  
 MICHÈLE LELEU, Les journaux intimes, P.U.F., Paris, 1954.
- ليني « سيكولوجية الطبع » .  
 LEVY, Psychologie du caractère, Paris, 1902.
- ملايير « عناصر الطبع وقوانين تزاوجها » .  
 MALAPERT, Les éléments du caractère et leurs lois de combinaison,  
 Paris, 2e édit. 1906.

- مينار « الحالة ديدرو ، دراسة في علم الطباع الأدبي » .  
 PIERRE MESNARD, Le cas Diderot, étude de caractérologie littéraire,  
 P.U.F., 1953.
- مينار « التربية والطبع »  
 P. MESNARD, Education et caractère, P.U.F., Paris, 1953.
- موتشيللي « الطباع والوجوه »  
 ROGER MUCCHIELLI, Caractères et visages, P.U.F., Paris, 1954.
- ميتريو « دراسة الطبع »  
 ROBERT MAISTRIAUX, L'étude des caractères, Bruxelles.
- ميتريو « استجواب طباعي »  
 ROBERT MAISTRIAUX, Questionnaire caractérologique, Bruxelles.
- ميوري « اختبارات آت » .  
 H.A. MURRAY, Thematic Apperception test, Harvard Univ.U.S.A.,  
 1943.
- هيمنس « سيكولوجية المرأة » .  
 HEYMANS, La psychologie des femmes, tr. fr. par le Senne, Paris,  
 Alcan, 1925.
- هيمنس « في مناهج علم النفس الخاص » (في « السنة الفلسفية » ج  
 ٤٢ ، ١٩١١) .
- « تصنيف الطباع » (في « مجلة الشهر » ، مارس ١٩١١) .  
 « العصر المقبل لعلم النفس » (في « مجلة الشهر » نوفمبر ١٩١٢) .
- HEYMANS, Des méthodes dans la psychologie spéciale (Année psych.,  
 t. 42, 1911).  
 La Classification des caractères (Revue du Mois, Mars, 1911)  
 Le Siècle futur de la psychologie
- يونج « النماذج النفسية » .  
 C.G. YUNG, Types psychologiques, tr. fr. par le Lay, Librairie de  
 l'Université, Genève, 1950.



## الفهرس

الصفحة

مقدمة

الفصل الأول تعريفات (الطبع ، الشخصية ، الذات ، علم الطباع بالمعنى الضيق ، علم الطباع بالمعنى الواسع ، علم الطباع العام ، علم الطباع الخاص ، علم فنات الطبع ، علم طبع الفرد)

٢١

الفصل الثاني نتائج علم الطباع (١ - الاستقراء الطباعي التصاوير النفسية الإحصائية ، السير أو التراجم السير الذاتية ٢ - الحدس الطباعي . ٣ - فهم الطبع والتحقق من الحدس)

٢٧

الفصل الثالث المقومات الأساسية لطبع وتصنيف الطباع وثنائية نماذج (الانفعالية ، الفعالية ، الترجيع ، والتصنيف الثاني)

٤٤

الفصل الرابع المقومات التكوينية وعوامل الميل (سعة ساحة الشعور ، التقطية : الأنوثة والذكورة ، الذكاء ، الذكاء المفرد والذكاء المصم ، حامل الاستيلاء ، عامل الاحتمالات الحسية ، حامل المودة ، عامل المهوى العقل)

الفصل الخامس : النموذج العصبي (١ - الصيغة الطباعية ، ٢ - عصبيون من التاريخ ٣ - نتائج إحصائية ، ٤ - الصورة النفسية قلب العاطفة والشعرية ، الحاجة إل لانفعال ، التردد النفسى قوة الفتنة والإغراء ، الاندفاعية ، التناقض بين الفكر والحياة ، الكسل ، فوضى الحياة الجنسية ، التفسير ، التردد وحج الظهور ، الكتابة والنبرة ، ٥ - سيكوبالكلتيك العصبي ، ٦ - فنات العصبيين)

الفصل السادس النموذج العاطفي (١ - الصيغة الطباعية ، ٢ - عاطفيون من التاريخ ، ٣ - نتائج إحصائية ، ٤ - الصورة النفسية : شدة التأذى ، تخصص الانفعالية ، العلاقة بالطبيعة ، الشغف بالتأمل ، الانعطائية ، حب الوحدة ، استرجاع الماضي ، للكتابة ، الإذعان المسبق ، الخجل ، كره الجشع ،

## الصحة

حبة الحيوانات ، الشعر الفلسي ، النور من السلطة ، الانفجارية ، الردد ،  
فقدان المبادعة ، الخراقة ، كره الحديد ، الآمة ، الطوح المشوي ، بسطة  
الحياة والتشرف قوة العاطفة الأخلاقية ، ٥ - سيكودياالكتيك العاطي ،  
٦ - فئات العاطفين )

١٠٦

الفصل السابع النموذج الفضي ( ١ - الصيغة الطباعة ، ٢ - غضين من التاريخ ،  
٣ - نتائج إحصائية ، ٤ - الصورة النفسية الانفعال والفعل ، الاستعداد  
للخطابة ، حدة العواطف ، الحاجة إلى الفعل ، الحياة الصاخبة ، قوة الحاجات  
الجوية ، الزعة الطبيعية ، محبة المجتمع ، المبادعة والروح الثورية ، محبة  
الحديد ، الاهتمامات السياسية ، الفرق العاطي ، التنازل والثقة بالمستقبل ،  
الانباتية ، الحس العمل ، ٥ - سيكودياالكتيك الفضي ، ٦ - فئات  
الفضيين).

١٢٩

الفصل الثامن النموذج الجموح ( ١ - الصيغة الطباعة ، ٢ - جموحون من  
التاريخ ، ٣ - نتائج إحصائية ، ٤ - الصورة النفسية الخطوة الاجتماعية ،  
الطوح المحقق ، العمل الجبار ، الاهتمامات الخاصة ، محبة التاريخ والتعلق  
بالماضي ، التشرف ، قوة العاطفة الدينية ، ٥ - سيكودياالكتيك الجموح ،  
٦ - فئات الجموحين )

١٤٧

الفصل التاسع النموذج الدموي ( ١ - الصيغة الطباعة ، ٢ - دمويون من التاريخ ،  
٣ - نتائج إحصائية ، ٤ - الصورة النفسية هدوء المظهر ، الميل العنصرية ،  
الحس العمل ، الاهتمام بالتحددات ، السياسة ، نقص التمدب أو التنظيم ،  
العددية ، الموقف من الدين ، التسامح ، ضعف الشعور الوطني ، العواطف نحو  
النساء ، الفراغ الداخلي ، ٥ - سيكودياالكتيك الدموي ، ٦ - فئات  
الدمويين).

الفصل العاشر النموذج المفاوي ( ١ - الصيغة الطباعة ، ٢ - مفاويون من  
التاريخ ، ٣ - نتائج إحصائية ، ٤ - الصورة النفسية نفس النشاط  
الظاهر ، الاعتدال العنصري ، اللامبالاة الاجتماعية ، استعداد لفعل ، المتابعة ،  
تنظيم الحياة والفكر ، الفضائل الصورية الموضوعية ، العقل المفاوي ،  
الفضائل الاجتماعية ، نتائج ضعف الانفعالية ضعف التحاطف  
٥ - سيكودياالكتيك المفاوي ، ٦ - فئات المفاويين ) .

١٨٩

- الفصل الحادى عشر "نموذج الهلاسى ( ١ - الصيغة الطباعية ، ٢ - هلاسى من التاريخ ، ٣ - نتائج إحصائية ، ٤ - الصورة النفسية )
- ٢١٤ الفصل الثانى عشر النموذج الحامل ( ١ - الصيغة الطباعية ٢ - حامل من التاريخ ، ٣ - الصورة النفسية )
- ٢١٩ الفصل الثالث عشر : الطباع والوجوه
- ٢٣٦ الفصل الرابع عشر الطباع والخطوط
- ٢٥١ الفصل الخامس عشر : الشخصية ( تأثير الأسرة والمدرسة والمهنة ، تأثير الحضارة ، التاريخ الشخصى )
- الفصل السادس عشر تطبيقات علم الطباع ( التحليل الأدبى ، التحليل التاريخى ، الصحة النفسية ، اكتشاف الرسالة ، التوجيه الروسى ، الاصطفاء المهنى والاصطفاء الشخصى ، التربية ، علم الجرائم ، علم تفاعل الطباع ، علم الطباع السياسى )
- ٢٨٤ الفصل السابع عشر شخصية الفرد دو فيزى
- ٣٠٧ الفصل الثامن عشر نظرة نقدية إلى علم الطباع الفرنسى المعاصر
- ٣١٨ ملحق استجواب جاستون ريجيه
- ٣٣٣ فهرس الأعلام من علماء النفس وعلماء الطباع ، ومن درست طباعهم ، وغيرهم
- ٣٣٨ المؤلفات التى ورد ذكرها وبعض المراجع التى أشير إلى دراسات أصحابها



